

INTERNATIONAL ISLAMIC UNIVERSITY

Islamabad - Pakistan
Faculty of Islamic Studies
(Usul-ud-Din)
Department of Tafseer & Quranic
Sciences

الجامعة الإسلامية العالمية

إسلام آباد - باكستان
كلية الدراسات الإسلامية
(أصول الدين)
قسم التفسير وعلوم القرآن



"ترجيحات الشيخ أبي الأعلى المودودي (المتوفى: ١٣٩٩هـ)"

في تفسيره تفهيم القرآن

(من سورة الفاتحة إلى سورة الأعراف)

— جمعاً ودراسة تقييمية —

بحث لنيل درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن

تحت إشراف:

الأستاذ الدكتور سمیع الحق بن المفتي عبد الديان

إعداد الباحثة:
رابعة نور

رقم التسجيل: 130/FU-PhD TQS/T09

العام الجامعي: ٢٠١٧ - ٢٠١٨م

69/20
K

Accession No TH24718

PHD

۲۹۷، ۱۲۲۵۷

رات

قرآن کریم - بحوث

قرآن کریم - تفاسیر

قرآن کریم - ترجیحات

قرآن کریم - سور

قرآن کریم - تفہیم القرآن

قرآن کریم - ابو الاعلیٰ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، باكستان

كلية أصول الدين

قسم التفسير وعلوم القرآن

لقد تمت مناقشة هذا البحث المعنون بـ :

«ترجيحات الشيخ أبي الأعلى المودودي في تفسيره تفهيم القرآن»

(من سورة الفاتحة إلى سورة الأعراف)

جمعاً ودراسة تقييمية

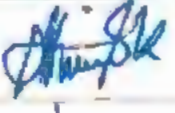
للباحثة : رابعة نور

رقم التسجيل: 130-FU/PHDTQS/F09

وذلك بتاريخ 03/ 07 /2018، وقد مُنحت درجة الدكتوراه بتقدير ممتاز، والله نسأل أن

يوفقها لكل خير، وأن ينفع بها الإسلام وأهله.

أعضاء لجنة المناقشة، وتوقيعاتهم:

الرقم المسلسل	العضو	الاسم الكامل	التوقيع
١.	المشرف	الدكتور سمیع الحق	
٢.	المناقش الخارجي	الدكتور عبد الحميد عباسي	
٣.	المناقش الخارجي	الدكتور رشيد احمد	
٤.	المناقش الداخلي	الدكتور شاد جنيد هاشمي	

الإهداء...

- إلى من علّمني الصبر والكفاح، إلى من علّمني الجد والاجتهاد، إلى من علّمني السير نحو المجد والعلا، إلى والدي الكريم - حفظه الله ورعاه -.
- إلى شجرة ذابت لتتير الدروب، وعطاء يفيض بلا حدود، ورمز يجسد الكفاح والخلود: إلى أمي الغالية - حماها الله ورعاها -.
- إلى من ضحى بأعلى ما كان يملك في سبيل رفع كلمة التوحيد، شقيقي الغالي الشهيد - بإذن الله - محمد عمران - رحمه الله رحمة واسعة -.
- إلى العلماء والدعاة الذين هم مصابيح العلم وأنوار الهدى.

❖ إلى هؤلاء جميعاً أهدي هذا العمل المتواضع.

كلمة الشكر

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، له الحمد حتى يرضى، وله الحمد إذا رضى، وله الحمد بعد الرضا، والصلاة والسلام على رسول المصطفى، وعبد المجتبي، وعلى آله وأصحابه، وصايب الدجى، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الجزاء.

وبعد فانطلاقاً من قول الله تعالى: "وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ"، وانطلاقاً من قول النبي صلى الله عليه وسلم: "مَنْ لَا يَشْكُرِ النَّاسَ لَا يَشْكُرِ اللَّهَ"، أقدم بخالص الشكر، وجزيل الامتنان إلى فضيلة الأستاذ الدكتور محمد الطنطاوي جليل المشرف الأول لهذه الرسالة التي كان قد تحملني بعطفه وحنانه قبل علمه وإخلاصه، وأخذ بيدي إلى مسالك العلم والمعرفة، وطرق البحث والتحقيق، فجزاه الله عني خيراً، وجعل معروفه في ميزان حسناته يوم العرض عليه، وأمد في عمره، وبارك في صحته وصحة أهله.

ومن سعادتني أن شرفني الله - عز وجل - بإتمام هذا البحث تحت رعاية وإشراف فضيلة الأستاذ الدكتور سمير الحق - حفظه الله ورعاه - الذي لم يتوان في تقديم النصيح والإرشاد، ومد يد العون والمساعدة طوال فترة الانشغال بهذا البحث، فأشكره جزيلاً الشكر، وأسأل الله أن يجزيه عني خير الجزاء، ويجزل له المثوبة، وبارك له في العمر والصحة.

ومن أسباب سعادتني أن أشكر كليتي كلية الدراسات الإسلامية (أصول الدين) المتمثلة في عميدها ورؤساء أقسامها، وأساتذتها المتخصصين في العلوم الإسلامية المتنوعة، وخاصة قسم التفسير وعلوم القرآن، وجميع أساتذته الذين أناروا لي دروب الحياة العلمية، وعلموني

١ سورة إبراهيم، الآية ٧.

٢ سنن الترمذي للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك الترمذي: ٣٣٩/٤، برقم (١٩٥٤)، أبواب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، قال الإمام الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح"، تحقيق وتعليق أحمد محمد شاكر، وآخرين، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر.

بعلمهم وإخلاصهم وتواضعهم، وأعضاء هيئة التدريس المحترمين حيث أعاطني الجميع بالعلم والعرفان، والتقدير والاحترام، فجزاكم الله خيرا، ورزقهم نعمة الصحة والعافية في المال والأهل والدين.

كما أشكر جامعتي العريقة التي أتاحت لي فرصة التعلم وفتحت لي أبواب الثقافة والمعرفة، حيث بها تعلمت، وفي أحضانها تربيت، وتعلمت المعارف العذبة من مناهلها الصافية، وتعرفت فيها على أهل العلم الحقيقيين الذين أثروا العلم وأمله على ما سواههم، فإدام الله عليها العافية وجعلها موئل التعلم والشفق المطربين. كما لا أنسى في نهاية هذه الكلمة أن أشكر كل من قدم لي عوناً ومساعدة بأي شكل من الأشكال، وأخص بالذكر منهم فضيلة الأستاذ الدكتور تاج أفسر رئيس قسم التفسير وعلومه بالكلية، الذي لم يخل بشيء من وقته، وعلمه، وآرائه السليمة، إضافة إلى أنه يستر لي سبل الإجراءات الإدارية المتبعة، والأستاذ البروفيسور أليف الدين الترابي - رحمه الله رحمة واسعة - والأستاذ الدكتور محمد الغزالي، رئيس تحرير مجلة الدراسات الإسلامية، مجمع البحوث الإسلامية، الجامعة الإسلامية العالمية - إسلام آباد، والأستاذ الدكتور محمد قسيم منصور، الأستاذ السابق بالكلية، والأستاذ الدكتور نور محمد جمعة الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية، والأستاذة الدكتورة نورة زوي، الأستاذة المساعدة بالكلية، وأشفاني الغالين علي قلبي وخاصة ياسر إلياس، وشقيقتي الغاليات، وأقول لهم جميعاً: جزاكم الله عني خيراً الجزاء.

وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا..

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى
وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فيقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا
وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^١.

ويقول أيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا
زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسْتَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ
عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^٢.

ويقول أيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ
أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾^٣.

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور
محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

التعريف بالموضوع

اخترت موضوع "ترجيحات الشيخ أبي الأعلى المودودي في تفسيره تفهيم القرآن (من
سورة الفاتحة إلى سورة الأعراف) جمعاً ودراسة تقيمية".
وقد تناول البحث:

- ١- ترجيحات الشيخ أبي الأعلى المودودي في تفسيره.
- ٢- عرض ودراسة ترجيحات الشيخ أبي الأعلى المودودي ثم التعليق والدراسة النقدية إن
استدعى المقام ذلك.

١ سورة آل عمران، الآية ١٠٢.

٢ سورة النساء، الآية ١.

٣ سورة الأحزاب، الآية ٧٠-٧١.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره

إن القرآن الكريم حبل الله المتين الذي لا تنقضي عجائبه ولا تمل منه العلماء ولا تنجده الأسماح، ولا يخلق على كثرة الرد، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به هدى إلى صراط مستقيم.

إن الكثير من المفسرين قد تناولوا كتاب الله بالدرس والتبيين والتوضيح وإظهار جوانب الإعجاز فيه وتناولوا كل جوانبه من المسائل العقدية والفقهية والأخلاقية، وقد وقع اختياري على هذا الموضوع، وذلك نظرا لما يلي:

(١) أن مؤلفه كان عالما عالما بعلمه، ومفكرا يقلوم الغزو الفكري، وداعية في ميدان الإصلاح، وكان قائداً لحركة إسلامية بارزة نشطة في مجال الدعوة إلى الله تعالى، مما كان له أثر في فهمه الآيات وتفسيرها وربط معانيها بالواقع حسيما تعرض لها في تفسيره، ويتجلى ذلك في:

(أ) إبرازه لجوانب الإصلاح الشامل للعقائد والأخلاق والأسرة والمجتمع والاقتصاد والدولة.

(ب) رده على أفكار الفرق الضالة من القاديانية، ومنكري الحديث، وعلى الفلسفات القبرية خالصة وغيرها علماً وعلى الحركات الاستشراقية والتنصيرية.

(٢) أن مؤلفه كان لفكره ولحركته أثر جلي غير محدود في شبه القارة الهندية حيث تجلوزها إلى مناطق كثيرة في العالم عامة لاسيما العالم العربي.

(٣) أن تفسيره من أكثر التفاسير انتشاراً بين الناطقين بالأردية علاوة على كتبه ورسائله في الموضوعات المختلفة ونظراً لأهميته فقد تمت ترجمته كاملاً أو جزئياً إلى مختلف لغات العالم، مثل العربية والإنجليزية والبشتوية والفارسية والبنغالية وغيرها من اللغات.

(٤) لما امتاز به أسلوبه عن غيره من المفكرين والكتاب ومنهج الذي سار عليه في الترجيح، ومن ذلك:

(أ) استخدامه لغة العصر، واختياره أسلوباً سهلاً جديداً حسب متطلبات المثقف الحالي.

- (ب) ذكر ما يبرز مواضيع السور ومضامينها وإلقائها في ذهن القارئ وربط أجزاءها في وحدة موضوعية قبل البدء في تفسيرها، وسمي باللغة الأردنية "دياجة".
- (ج) تحقيقه التلويحي والجغرافي للقصص القرآنية وربطها بالواقع ونفس الأمر.
- (د) عدم التعصب المنمحي في المسائل العقدية والفقهية من العبادات والمعاملات.
- (هـ) كون هذا الموضوع جديداً فيما أعلم فلم أقف على كتاب مكتوب، ولا رسالة مطبوعة خصصت لهذا الموضوع.
- (٦) رغبتي في جمع ترجيحات الشيخ أبي الأعلى المودودي في تفسيره، وبين قيمتها العلمية.
- (٧) ولخلفتي السابقة عن هذا التفسير في رسالتي للعاجستير (M.S Tafsir) بعنوان "تفسير تفهيم القرآن للشيخ أبي الأعلى المودودي ترجمة وتعليقاً لسورتي (الأنعام والأعراف)". وأمل في إتمام الرحلة العلمية التي بدأتها في المجستير.
- (٨) الوصول إلى الرأي الراجح من بين الأقوال المتنوعة، وذلك لأنه هو العمل بالعلم الصواب، ومن المعروف أنه لا يمكن الوصول إلى هذا العلم في المسائل الخفية إلا من طريق عملية الترجيح، سيرا على منهج الاتباع الأحسن.
- (٩) مناقشة أقوال أهل العلم وتناولها بالدراسة والتحليل، وذلك من خلال عدد من المصادر والمراجع في الفنون والعلوم المتنوعة.
- (١٠) الوصول إلى العلوم المتنوعة التي تتعلق بدراسة الترجيحات والاختيارات.

الدراسات السابقة

يحتبر تفسير تفهيم القرآن موسوعة علمية، اهتم به الباحثون اهتماما بالغاً. وقد كان اهتمامهم به مركزاً حول منهجه وترجمته، والتعليق عليه، وبيان الجانب الفقهي، والإصلاحي، والدعوي فيه.

وأما موضوع ترجيحاته في تفهيمه، فلم أقف على من أفردت ببحث مستقل، ولم أحصل إلا على بعض الإشارات من بعض أهل العلم لا تروي غليلاً ولا تشفي غليلاً. وفيما يلي بعض ما وقفت عليه من الرسائل الجامعية والكتيبات والمطبوعات حول المفسر وتفسيره:

١. التحقيق العلمي للاعتراضات الواردة على الإمام المودودي للعلامة المفتي محمد يوسف البنيري، الخريج من جامعة دار العلوم أمينية بالدهلي من تلامذة الشيخ المفتي كفايت الله رحمه الله (مولانا مودودي بر اعتراضات كا علمي جائزہ)، إسلامك بليكيشتز، الأهلية المحدودة، ١٩٨٠م.

٢. الأستاذ أبو الأعلى المودودي - رحمه الله - ومنهجه في تفسير القرآن الكريم رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الكتب والمسننة (١٤٠٢هـ - ١٤٠٣هـ) للبروفيسور أليف الدين الترابي، جامعة أم القرى، مكرمة للمكرمة، المملكة العربية السعودية.

٣. منهج المودودي في تفسير القرآن رسالة ماجستير محمد نسيم منصور، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، كلية أصول الدين، الجامعة العالمية بإسلام آباد.

٤. تفسير تفهيم القرآن للشيخ أبي الأعلى المودودي ترجمة وتعليق "الجزءان الخامس عشر والسادس عشر"، بالإضافة إلى الديباجة والخاتمة، رسالة ماجستير للطلاب أحمد قريشي سنة ٢٠٠٦م/ ٢٠٠٧م بالجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد، كلية أصول الدين، قسم التفسير وعلوم القرآن.

٥. ترجمة سورتي النساء والمائدة رسالة ماجستير للطلاب عارف متين، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد.

٦. تفهيم القرآن، كتاب الثورة للبروفيسور خورشيد أحمد "نائب رئيس الجامعة الإسلامية" (تفهيم القرآن: إليك كتاب انقلاب)، منشورات.

٧. الاستعلامات والتشبيهات في تفهيم القرآن للدكتور محمد جنيده (تفهيم القرآن كي تمثيلات وتشبيهات)، إسلامك بليكيشنز، الأهلية المحدودة، لاهور، ٢٠٠٦م.

٨. الأستاذ المودودي مفسراً للدكتور خالد علوي (سيد مودودي بجيت مفسراً، الفصل، أزدوبازار، لاهور).

وهناك عدد آخر من مما كتب حول تفسير تفهيم القرآن الكريم، ومعظمه يدخل تحت باب الترجمة والمنهج، والدعوة، وهو عبارة عن:

١. مقدمة التفسير باسم المبادئ الأساسية لفهم القرآن للشيخ خليل أحمد حلمي.
٢. المجلد الأول من سورة الفاتحة إلى سورة آل عمران لأحمد إدريس، دار القلم الكويت، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ/١٩٧٧م.
٣. سورة الكهف ومريم لأحمد إدريس، المختار الإسلامي، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ/١٩٨٠م.
٤. سورة النور محمد عاصم الحداد، دار الشام، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
٥. سورة الأحزاب للشيخ خليل أحمد حلمي.
٦. الإمام أبو الأعلى المودودي حياته، دعوته، جهله، للشيخ خليل أحمد حلمي، دار العروة، منصور، لاهور، باكستان، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.
٧. أبو الأعلى المودودي حياته وفكره العقدي لحمد بن صائق الجمل، الطبعة الأولى ١٩٨٦م/١٤٠٧هـ، دار المدني، الرياض.
٨. التفسير السياسي للإسلام في مرآة كتابات الأستاذ أبي الأعلى المودودي والشهيد سيد قطب لأبي الحسن الندوي.
٩. النقائص العلمية للاعتراضات على تفهيم القرآن للشيخ عامر عثمان (تفهيم القرآن بر اعتراضات كي علمي كمزوريلان).

إشكالية البحث:

هي عبارة عن بعض التساؤلات التالية:

- هل للشيخ أبي الأعلى المودودي ترجيحات في الأقوال التفسيرية؟
- ما هي الموضوعات العلمية التي تناولها بالترجيح؟
- هل كل ما رجحه الشيخ أبو الأعلى بحسب له أم أن هناك ما أخذ بحسب عليه في هذه الترجيحات؟

إن كل هذه التساؤلات فرضت عليّ أن أنتقل من الناحية النظرية إلى الناحية العلمية والتطبيقية، وجعلتني أكتف قراءتي فيه وأصل إلى النتيجة المستهدفة والمنشودة.

منهج البحث:

كان منهج البحث في هذه الرسالة منهجاً تحليلياً مقارناً نقدياً.

خطوات البحث:

- أما الخطوات التي سرت عليها في كتابة هذا البحث، فتتلخص فيما يلي:
- عرض الآية التي ورد ترجيح الإمام في تفسيرها، إن كان الحديث يدور في الآيات القرآنية وتفسيرها.
- عرض نص الشيخ المودودي محل الدراسة مع وضع عنوان مناسب له يتل على مضمونه، ويحمل صيغة السؤال غالباً.
- عرض المسألة وما ورد فيها من آراء مختلفة عند المفسرين في تفاسيرهم.
- دراسة نص الترجيح مقارنة بالآراء المرحوجة والتعليق عليها مع بيان أدلة القول الراجح وبيان قاعلة الترجيح ما وجدت إلى ذلك ميلاً.
- حاولت قدر الإمكان والاستطاعة أن أتناول الترجيحات الواضحة غير المبهمة، وما لا يحتاج إلى كبير عناء، وتأويل مستبعد.
- اعتمدت في الوصول إلى العملية الترجيحية على ثلاثة أنواع من التفسير:

١. الذي يذكر الأقوال والخلاف في تأويل المسألة المطلوبة دون بيان الراجح منها، ووجه ترجيحه غالباً، كتفسير زاد المسير لابن الجوزي.

٢. الذي يذكر الأقوال والخلاف مع بولان الراجح منها، كتفسير البضاوي مثلاً.

٣. الذي يذكر الأقوال وخلاف المفسرين، مع بيان الراجح منها، وبيان وجه ترجيحه، كتفسير الطبري، والقرطبي مثلاً.

- وضعت الكلام المنقول بنصه بين علامتي التنصيص هكذا " "، وعند التصرف في كلماته أشير إلى ذلك في الطائش عقب الإحالة بلفظة "بتصرف" أو "انظر". وإذا كان الكلام منقولاً بمعناه، أو مستقلاً بضمونه، أو بتصرف كثير، فهو تقديم وتأخير، وتغيير في بعض العبارات، فلا أضحه بين علامتي التنصيص وإنما أصدر الإحالة بلفظة تدل على ذلك.

- تعريف ما يحتاج إلى التعريف من القبائل واللدن والأماكن الغريبة والفرق والجماعات غير المعروفة.

- شرحت الكلمات والعبارة التي تحتاج إلى توضيح والتي ترد في رسالتي.
- عزو الآيات القرآنية الواردة في رسالتي إلى سورها مع ذكر أرقام الآيات.
- تخريج الأحاديث الواردة في رسالتي من مصادرها الأصلية وبيان درجتها إن لم تكن في الصحيحين.
- ترجمة للأعلام الواردة أسمائهم في الرسالة.

النسخة المعتمدة لتفہیم القرآن فی هذا البحث:

- المجلد الاول: من سورة الفاتحة إلى سورة الانعام، الطبعة الخامسة، يوليو ٢٠١٢م، إدارة ترجمان القرآن الأهلية المحدودة، لاهور.
- المجلد الثاني: من سورة الاعراف إلى سورة الإسراء، الطبعة الخامسة، يوليو ٢٠١٢م، إدارة ترجمان القرآن الأهلية المحدودة، لاهور.
- المجلد الثالث: من سورة الكهف إلى سورة الروم، الطبعة الخامسة، يوليو ٢٠١٢م، إدارة ترجمان القرآن الأهلية المحدودة، لاهور.
- المجلد الرابع: من سورة لقمان إلى سورة الأحقاف، الطبعة الخامسة، يوليو ٢٠١٢م، إدارة ترجمان القرآن الأهلية المحدودة، لاهور.
- المجلد الخامس: من سورة محمد إلى سورة الطلاق، الطبعة الخامسة، يوليو ٢٠١٢م، إدارة ترجمان القرآن الأهلية المحدودة، لاهور.
- المجلد السادس: من سورة التحريم إلى سورة الناس، الطبعة الخامسة، يوليو ٢٠١٢م، إدارة ترجمان القرآن الأهلية المحدودة، لاهور.

خطة البحث

يتكون هذا البحث من مقدمة، وتمهيد، وبابين، وخاتمة، ونهاية، وبيانها كالتالي:

المقدمة وتحتوي على:

- التعريف بالموضوع.
- أهمية الموضوع وأسباب اختياره.
- الدراسات السابقة.
- إشكالية البحث.
- منهج البحث.
- خطوات البحث.
- خطة البحث.

التمهيد ويشتمل على:

- نبذة عن الشيخ المودودي.
- نبذة عن قواعد الترجيح عند المفسرين.

الباب الأول:

ترجيحات الشيخ أبي الأعلى المودودي في أم الكتاب، والزهراوين:

وفي ثلاثة فصول:

- الفصل الأول: ترجيحاته في أم الكتاب (الفاتحة).
- الفصل الثاني: ترجيحاته في سورة البقرة.
- الفصل الثالث: ترجيحاته في سورة آل عمران.

الباب الثاني:

ترجيحات الشيخ أبي الأعلى المودودي في سور النساء، والمائدة،
والأنعام، والأعراف؛

وفيه أربعة فصول:

- الفصل الأول: ترجيحاته في سورة النساء
- الفصل الثاني: ترجيحاته في سورة المائدة
- الفصل الثالث: ترجيحاته في سورة الأنعام
- الفصل الرابع: ترجيحاته في سورة الأعراف

الخاتمة

وتشتمل على:

- نتائج البحث.
- التوصيات والمقترحات.

الفهارس

وتشمل:

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث والآثار.
- فهرس الأعلام المترجم لهم.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

التمهيد:

ويشتمل على:

- نبذة عن الشيخ المودودي
- نبذة عن قواعد الترجيح عند المفسرين

نبذة عن الشيخ المودودي:

يحكم أن البحث عن ترجيحات الشيخ الإمام ليحلوا لي أن أترجم له كنقطة انطلاق إلى محتويات البحث الأخرى، ومن العلوم أن هناك محاولات متعددة ترجم أصحابها من خلالها للشيخ المودودي، وقد تراوحت بين الطول والقصر، وسأكتفي بعرض ترجمة موجزة له، وذلك للتعرف على شخصيته، والوقوف على أهم المراحل، والمنعطفات، والظروف التي مرّ عليها، وكان لها صدى في حياته المتعددة الجوانب.

والحق أن شخصية الشيخ المودودي ليست مضمورة، وإنما هي شخصية ذاع صيتها في الأقاليم، فقد تحدث عنه جهابذة الفكر، وعما لفة القلم بلغات العالم المتعددة، فقد كتب عنه في اللغة العربية كل من:

١. البروفيسور أليف الدين الترابي^١ في رسالته للمجستير "الإمام أبو الأعلى المودودي ومنهجه في تفسير القرآن".
٢. الأستاذ خليل أحمد الحلواني^٢ في كتابه "الإمام أبو الأعلى المودودي، حياته،

١ هو أليف الدين الترابي بن عالم الدين القرشي المؤسس والمدير العام للمعهد العالي للدراسات والبحوث الاستراتيجية بسلام آباد (باكستان)، وكان نائباً لأمير الجماعة الإسلامية بولاية جامو كشمير الحرة، ورئيس تحرير مجلة كشمير المسلمة، وعضو مجلس الأمناء لؤسسة القدس الشريف، وعضو الجمعية العمومية للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، كما أنه كان عضو الجمعية العمومية للمؤتمر العالي للدفاع عن مكانة النبي صلى الله عليه وسلم، وهو مؤلف لأكثر من (٢٠) كتاباً (انظر: أئمة الفكر الإسلامي الحديث للبروفيسور أليف الدين الترابي، الصفحة الأخيرة، الطبعة الأولى، جلد الثاني عام ١٤٢٦هـ / يونيو عام ٢٠٠٤م).

٢ هو الشيخ خليل بن أحمد الحلواني، ولد عام ١٩٢٩م بقرية "حامد" الواقعة في محافظة "فيروزبور" الهندية، وحفظ القرآن الكريم في طفولته، ثم التحق بالمدرسة الأعظمية في مدينة "كرنل" وتخرج فيها عام ١٩٤٥م، له

ودعوته، وجهاده".

٣. الدكتور محمد وجيب البيومي^١ في كتابه " النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين".

٤. المستشار عبدالله العقيل^٢ في كتابه "من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة".

وكتب عنه في اللغة الأردوية جمع من الأساتذة الكبار والمفكرين الأفاضل مثل:

١. الأستاذ علي سفيان آفاقي^٣ في كتابه "قائد تحريك اسلامي سيد ابرو الاعلى المودودي" (الإمام أبرو الأعلى المودودي قائد الحركة الإسلامية)^٤.

عشرات من المؤلفات القيمة في اللغة الأردية والعربية من أثلوه "الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة"، "بر الأمان"، و"المبادئ الأساسية لفهم القرآن"، ولقد وافته النية عام ١٩٩٤م إثر حادث مروري بباكستان. (انظر: تحليل أحمد الحامدي - موسوعة الإخوان المسلمين www.IkhwanWiki.com).

١ هو الدكتور محمد رجب البيومي، ولد عام ١٩٣٣م في الكفّر الجديد التابعة لمدينة الميزة بمحافظة الدقهلية بمصر. توفي عام ٢٠١١م من مؤلفاته: "النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين". وتلك عدداً من الجوائز في ميادين العلم والأدب. (انظر: د/ محمد رجب البيومي: لغات من حياته وجوانب إبداعه - موسوعة الإخوان وموسوعة ويكيبيديا الحرة على الإنترنت).

٢ يعتبر المستشار عبد الله العقيل أحد قادة الإخوان المسلمين وواحد من مفكريه. ولد يوم الاثنين ١٣٤٧ هـ/ ١٩٢٨م في مدينة الزبير من بلدة "حرمة" بمنطقة سدير بشجب، وألف عدة كتب منها: "سيرة أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة"، و"صفحات من بطولات الإخوان في فلسطين"، و"كلمات مرتجلات في مشيئة الإمام الشهيد حسن البنا". (انظر: موسوعة الإخوان وموسوعة ويكيبيديا الحرة على الإنترنت).

٣ ولد علي سفيان آفاقي سنة ١٩٣٣م في منطقة "بهوبل"، وانتقل في الرابعة عشر من عمره إلى باكستان واستقر به المقام في مدينة "لاهور"، له مجموعة من الكتب والمقالات منها: (يردب كي الف ليلة طلسمات قرنتك، ذرا انكلمستان تك، كملك باهمك، وموم كا آفمي)، وبطريق ٢٧ يناير سنة ٢٠١٥م ساء الثلاثاء انتقل في مدينة "لاهور" إلى جوار ربها. (انظر: www.bbc.co.uk/Urdu - صفحة أول - BBCURDU).

Flickr:ali sufian afaqi\photostream+https://www flickr-
N٠٢@٤٨٥٠٢٧٩\people\com).

٤ لقد ادعى ناشر هذا الكتاب أنه أول من كتب عن الإمام المودودي وصار كتابه مرجعاً مضيقاً أن هذا الكتاب طبع لأول مرة في عام ١٩٥٣م عندما حكّم عليه بالإعدام ولما أراد جمع من الناس أن يتعرفوا على الإمام وجماعته؛ قام المؤلف بتحقيق أسيتهم لجميع ما اتفق له من المعلومات المسموعة والمالية لديه بصلق وأمانة.

٢. الأستاذ محمد يوسف بهته^١ في كتابه "مولانا مودودي ابنى اور دوسرون كي نظر مين" (الإمام المودودي في رأيه ورأي الآخرين).
 ٣. الأستاذ نعيم صديقي^٢ في كتابه "المودودي".
 ٤. الأستاذ أسعد الجيلاني^٣ في ثلاثة كتبه: "مولانا مودودي سي ملهى" (تفضلوا بزيارة الإمام المودودي)، و"سيد مودودي دعوت و تحريك" (الإمام المودودي: فكره ودعوته)، و"سيد مودودي بچين، جواني، برهانيا" (الإمام المودودي: الطفولة، الشباب، الكهولة).
 ٥. السبلة حمير^٤ في كتابها "شجرهائي سايه دار" (الأشجار الوارفة).
- ولقد تكبد مشقة تعريب بعض تلك الكتب المؤلفة باللغة الأردية جمع من الأساتذة الأجلاء أمثل:
١. الدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم^٥ حيث قام بتعريب كتاب "سيد مودودي
-
- وما إن طبع الكتاب ونزل السوق حتى انتهى عن آخره. (انظر: ص ٤ من الكتاب نفسه، سنة الطبعة: الحزم ١٤٣٢هـ/سبتمبر ٢٠١٠م، اذان: معمر بيلي كيشتر، منصوره، لاهور).
- ١ لم أعثر على ترجمته حتى الآن.
 - ٢ الشيخ نعيم صديقي (١٩١٦م - ٢٠١٢م) يعتبر الشيخ من مشاهير أهل العلم والثقافة الذين خطبوا الدولة دينياً واجتماعياً وثقافياً وأدبياً ولد بقرية (خان بور) من منطقة (جكوال)، وأصبح أحد أعضاء هيئة تأسيس الجامعة سنة ١٩٤١م، ومنذ تلك اللحظة دأب ضيقه بين الناس من مؤلفاته: "محسن انسانيته"، و"المودودي"، و"تعمير ميرت جي لوازم"، انتقل رحمه الله إلى جوار ربه ٢٥ من سبتمبر سنة ٢٠١٢م. (انظر: خدمات نعيم صديقي العلمية والأدبية للدكتور عبد الله شاه هاشمي (بالأردوية)، ص ١١، الطبعة الأولى، مايو سنة ٢٠١١م، الناشر: حكوم مروة وحيد سليمان، إدارة مطبوعات سليمان، لاهور، بضعة حروف، الكاتبة: انور سليم ٢٤ يناير سنة ٢٠١١م).
 - ٣ لم أعثر على ترجمته حتى الآن.
 - ٤ هذا الكتاب في الأصل نسخة منقحة للكتاب "تفضلوا بزيارة الإمام المودودي" حسب تعريجات المؤلف في الكتاب نفسه. (انظر: ص ٢٧).
 - ٥ كبرى بنات المودودي ولدت في ٢٢ من يوليو عام ١٩٤٠م بالهند. (انظر: الأشجار الوارفة للسبلة حمير المودودي (بالأردوية)، ص ٣، الطبعة الرابعة، مارس ٢٠٠٦، منشورات منصوره، لاهور)، وقد تشرفت بالتلمذ على أبيها من بين إخوتها وأخواتها حسب تعريجاتها في الكتاب نفسه. (انظر: ص ٧٥).
 - ٦ لم أعثر على ترجمته حتى الآن.

دعوت وتحريرته" لأسعد كيلاني وطبع بعنوان: (أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته).
٢. الدكتور نور محمد جمعة وقد ترجم كتاب السيدة خيرا "شجرهائي سايه دار"
إلى العربية بعنوان: (الأشجار الوارفة).

ولقد خصصت بعض المجلات الأردنية بعض أعدادها للمؤلف وتفسيره، مثل:

- العدد الخاص مجلة "آئين الأسبوعية" الصادرة من مكتب آئين الأسبوعية،
لاهور، وذلك بمناسبة اكتمال تفهيم القرآن، المجلد ١١، العدد ٧، الصادر بتاريخ ١٥
من ديسمبر عام ١٩٧٢م.

- "تذكرة سيد مودودي" في ثلاث مجلدات لخليل أحمد الحامدي، الصادرة من إداره
المعروف الإسلامية، منصوره، لاهور، الطبعة الأولى، إبريل ١٩٨٦م.

- المبدئين الخاصين مجلة "ترجمان القرآن الشهرية" لثوية المودودي (١٩٠٣-٢٠٠٣م)،
الصادرة من إداره ترجمان القرآن، منصوره، لاهور، المجلد ١٣٠، العدد ١٠، الصادر
بشهر أكتوبر عام ٢٠٠٣م، والمجلد ١٣٦، العدد ٥، الصادر لشهر مايو عام ٢٠٠٤م.

- العدد الخاص مجلة "الدعوة الشهرية" الصادرة من أكاديمية الدعوة بالجامعة
الإسلامية العالمية، إسلام آباد، المجلد ١٠، العدد ٧-٩، الصادرة لشهر ديسمبر عام
٢٠٠٣م.

- ومجلة "الشياب" الصادرة في عام ٢٠٠٧م بمعهد المودودي للدراسات الإسلامية،
لاهور.

وحاولت أن أستقري كل ما كتب عنه في هذا المجال، فوجدت أن معظم الكتابات
متشابهة مباحثها، ومتشابهة مطالبها، وإن تنوعت العناوين الواردة في تلك الكتب من
كاتب إلى كاتب آخر، كما وجدت أنها تراوحت بين الطول والقصر، والإطناب
والإيجاز.

١. أستاذ مساعد بقسم الدراسات الأدبية بكلية اللغة العربية بالإسلامية بالجامعة الإسلامية العالمية بإسلام
آباد.

ترجمة الإمام المودودي :

ولادته ونشأته وحياته العلمية

ولد الإمام أبو الأعلى المودودي في ٣ من رجب عام ١٣٣١ هـ الموافق ٢٥ من سبتمبر عام ١٩١٣ م. وقد تنبأ أحد الأولياء لوالده قبل ثلاث سنوات من الولادة بولادته، ونصحته أن يسميه بإبي الأعلى، وهو اسم جده الأعلى شيخ فرع الأسرة المودودية، ولذلك قبل والده هذه النصيحة خلسة وأنه كان قد تأثر بالشيخ محي الدين. وبعد مولد الإمام بعام زهد والده في طلب الدنيا وعاش لثلاث سنوات حياة كلها زهد ولما عاد بعدها إلى حياته العادية غلب عليه الطابع الديني، كما غلب على والدته أيضا الطابع الديني، وفي هذه الأجواء النقية فتح الشيخ عينه على الدنيا، وكان لكل ذلك أثر كبير في حياته حيث رسم على قلبه وعقله معالم دينية عميقة^١.

قضى الشيخ سنوات عمره الأولى في مدينة "لورنك آباد" بولاية "خيدر آباد الدكن"^٢، وتلقى علومه الابتدائية من والده الذي رباه تربية حسنة في جميع عاداته، وأخلاقه، فدرس علوم اللغة العربية، والقرآن، والحديث، والفقه، واللغة الفارسية، يضاف إلى ذلك أنه حفظ المؤطا للإمام مالك بظهر الغيب^٣. وكان والده يرغب في أنه يجعله عالما صرموقا، ولهذا ركز على تدريسه اللغة العربية مع اللغة الفارسية بالإضافة إلى الفقه والحديث ولم تكن هناك رغبة في تدريس علوم اللغة الإنجليزية وما يتعلق بها، وقد اقتصر والده على الدراسة في البيت لفترة حتى تخر دخوله المدرسة حفاظا على الأخلاق واللغة، وتجنبا للصحبة السوء. وكان والده يتكلم باللهجة الرائجة آنذاك في دهملي. ولحرصه الشديد على تنشئة ولده على العلم الصحيح

١ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ترجمة د/ سمير عبد الحميد إبراهيم، ص: ٢١ - ٢٢، الطبعة الرابعة، عام ١٩٧٨ م، شركة القيصلي، لاهور.

٢ انظر: المصدر السابق، ص ٢٢.

٣ انظر: الإمام أبو الأعلى المودودي، حياته ودعوته، وجهاته للأستاذ خليل الخاضعي، ص ٦، أكتوبر عام ١٩٨٩ م، دار الحرية للدعوة الإسلامية، المنصورة، لاهور، باكستان.

٤ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ٢٦ - ٢٧.

٥ انظر: المصدر السابق، ص ٢٧.

واللغة السليمة كان يمنعه من استعمال كلمات دارجة حينما ترد على لسانه ومعلمه المنطق السليم^١. وكان يلزمه معظم الأوقات بالإضافة إلى أوقات الدروس فكان يأخذ معه إلى مجالس أصدقائه العلمية وفي الليل كان يهتم بتلقيه قصص الأنبياء والعظماء من رجال الدين، وحكايات التاريخ الإسلامي. وكان لهذا الاهتمام دور هام في تكوين شخصيته^٢. كان لا يسمح له أن يرفع يده على الضعيف والمظلوم. وإذا عمل ذلك كان يؤدبه كما يحكي لنا الإمام: بأنه قدّر مرة أن ضرب ابن خادمه، فطلبه والده وجاء بهذا الطفل طالبا إليه أن يضربه كما ضربه^٣. وظل أبو الأعلى المودودي يدرس في البيت حتى السنة التاسعة وقرأ خلال هذه السنة الكتب الابتدائية في الصرف والنحو والأدب العربي والفقه^٤.

ثم أرسل إلى المدرسة الفوقانية بأورنك آباد بناء على مشورة أستاذه الشيخ نديم الله حسنين والتحق بالمرحلة الرشيدية^٥ بأورنك آباد في التاسعة من عمره^٦. وكانت الدراسة في المرحلة المتوسطة والثانوية بالأردية بالإضافة إلى اللغة العربية، مع دراسة الفقه والحديث والمنطق كمواد إجبارية. وفي عام ١٩١٤م اجتاز امتحان "المولوي" في هذه المدرسة في الحادية عشرة من عمره، وكان المنهج الدراسي يشمل: الصرف، والنحو، والأدب، والترجمة من الأردية إلى العربية، والعكس، والمنطق، والفوائض، والفقه، والفرائض، والعلوم العصرية، والجغرافيا، والمقابلة، وإقليدس، والمساحة في الرياضيات، والأدب الإنجليزي، وقواعده والتعبير فيه، والترجمة

١ انظر: الإمام أبو الأعلى المودودي، حياته، ودعوته، وجهاده للاستاذ خليل الجليلي، ص ٦.

٢ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للاستاذ جيلاني، ص ٢٧.

٣ انظر: الإمام أبو الأعلى المودودي، حياته، ودعوته، وجهاده للاستاذ خليل الجليلي، ص ٦.

٤ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للاستاذ جيلاني، ص ٢٨.

٥ سميت المدرسة العليا باسم مدرسة فوقانية آنذاك (انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للاستاذ جيلاني، ص ٢٨).

٦ هي المتوسطة (انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للاستاذ جيلاني، ص ٢٨).

٧ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للاستاذ جيلاني، ص ٢٨.

٨ انظر: المصدر نفسه.

٩ يراد به الثانوية (انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للاستاذ جيلاني، ص ٢٨).

إلى الأردنية منه^١. ثم انتقل والد الإمام المودودي من "أوردنك آباد" إلى "حيدر آباد" مع عائلته بسبب ضعف وضعه المالي، وضمَّ ابنته إلى "دار العلوم" بحيدر آباد، وكان رئيسها آنذاك العالم الكبير، ومفسر القرآن الشهير الشيخ حميد الدين الفراهي^٢، والتحق بصف "المولوي العام" وهو بعلو الصف المولوي في المرتبة العلمية^٣. ولم يستطع والد الإمام المودودي البقاء في حيدر آباد طويلاً فانتقل إلى "بهوبهل" تاركاً ولده أبا الأعلى المودودي مع والدته في حيدر آباد لإكمال الدراسة.

وقد استمر أبو الأعلى في دراسته وسكن في بيت يبعد عن دار العلوم خمسة عشر كيلو متراً وكان يذهب إليها صباحاً ويعود منها مساءً مشياً على الأقدام وأحياناً كان لا يجد ما يأكله. ولم يمض على ذلك ستة أشهر حتى بلغه أن والده أصيب بالشلل التشنجي، فترك أبو الأعلى الدراسة وذهب مع والدته إلى "بهوبهل"، وقام على خدمة والده بلزماً به إلى أن وافته الحنية عام ١٣٣٩هـ الموافق عام ١٩٢٠م. وقد قرر الإمام المودودي أن يجعل قلمه وسيلة للرزق بعد إصابة والده بالشلل، وذلك عن طريق ميوله الأدبية التي ورثها عن والده وعن طريق ملكة الكتابة التي أصابها بالطالعة والقراءة، وعدم احترافه أي حرفة^٤.

أسرته: يتضح الإمام المودودي إلى أسرة حملت راية الدعوة والهداية منذ أكثر من ١٣٠٠ عام ومن عظماء هذه الأسرة الشيخ أبو أحمد أبدال الجشتي المتوفى عام ١٣٥٨هـ / ١٩٦٥م من أولاد السيد حسن المشي بن الإمام الحسن رضي الله عنه. ومنها الشيخ قطب الدين المودودي الجشتي الابن

١ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للاستاذ جيلاني، ص ٢٩، وعلوم القرآن لمولانا كوهر رحمان (بالأردنية) ج ٢، ص ٦١٩، الطبعة الثالثة، يناير عام ٢٠١٠م، مكتبة تفهيم القرآن، مردان.

٢ انظر: الإمام أبو الأعلى المودودي، حياته، ودعوته، وجهاده للاستاذ خليل الحامدي، ص ٧.

٣ انظر: أبو الأعلى المودودي، عصره، حياته، دعوته، مؤلفاته للبروفيسور أليف الدين الترابي، ص ١٢٤، الطبعة الأولى عام ١٩٨٧م، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت. (وهو في الأصل الباب الأول لرسائله للحصول على درجة الماجستير من جامعة أم القرى بعنوان الاستاذ أبو الأعلى المودودي ومنهجه في تفسير القرآن الكريم).

٤ انظر: الإمام أبو الأعلى المودودي، حياته، ودعوته، وجهاده للاستاذ خليل الحامدي، ص ٧.

٥ انظر: المصدر نفسه.

٦ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للاستاذ جيلاني، ص ٣٠.

الأكبر للشيخ ناصر الدين أبي يوسف الذي كان شيخ الشيوخ لسلالة الفرقة الجشتية، وهو رأس الأسرة المودودية، وقد أقامت هذه الأسرة منطقة "جشت" قرب مدينة "هرات" بأفغانستان في القرن الثالث الهجري. وقد هاجر شيخ فرع الأسرة المودودية إلى الهند في زمان الاسكندر اللودهي في أواخر القرن التاسع الهجري، وكان شيخ هذا الفرع هو أبو الأعلى المودودي الجد الأعلى للإمام المودودي وأقام في "براس" القريبة من "كرنال". وفي زمان "شه عالم" انتقل إلى "دهلي" وسكنت الأسرة بصفة دائمية مدينة دهلي.

والده:

ولد والد الامام المودودي سيد احمد حسن مودودي عام ١٢٦٦هـ الموافق عام ١٨٥٠م في دهلي بالهند وكان أحد طلبة جامعة "عليكوه" التي أنشأها سيد احمد خان، وقد التحق بهذه الجامعة لأن أمه كانت من أقارب سيد احمد خان، ولكنه لم يكمل الدراسة في تلك الجامعة لكونها تدرس الثقافة الإنجليزية الاستعمارية وكان المسلمون يحاربون تلك الثقافة عامة، وعائلته خاصة، فيمتنعون أولادهم من الذهاب إلى معاهدها، ومن ثم ترك الجامعة، وذهب بعدها إلى مدينة "إله آباد" حيث درس الحاملة، ثم عيّن معلماً لولي العهد في ولاية "ديوكوه" وأقام هناك عدة سنوات، ثم ترك "ديوكوه" بعد وفاة ولي العهد في المؤامرة ضده، وعمل في الحاملة في شتى المدن الهندية كمدينة (ميرت)، ومدينة (غلازي آباد)، ومدينة (بلند شهر). وفي عام ١٣٦٤هـ الموافق عام ١٨٩٦م قديم والده إلى "أورنك آباد" من مدن ولاية "الدهكن" للدفاع في قضية ما.

١. نقلاً عن مجلة "المجتمع"، المجلد: ١٨١٧، ص ٥٥، ٢٩ من شعبان - ص من رمضان عام ١٤٢٩هـ/ ٣٠ من أغسطس - ٥ من سبتمبر عام ٢٠٠٨م، "الأشجار الوارفة" بقلم: السيد حمير المودودي، ترجمة: د/ نور محمد جمعة. (يراجع: النص الأصلي "الأشجار الوارفة" للسيدة حمير المودودي (بالأردنية)، ص ٨).

٢. انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ١٦-١٧، والإمام أبو الأعلى المودودي، حياته، ودعوته، وجهاته للأستاذ خليل الحامدي، ص ٥.

٣. انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ١٨-١٩.

٤. انظر: المصدر السابق، ص ١٩، والإمام المودودي، حياته ودعوته، وجهاته للأستاذ خليل الحامدي، ص ٧.

٥. انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ١٩.

٦. الإمام المودودي في رأيه ورأي الآخرين للأستاذ محمد يوسف بهته (بالأردنية)، ص ٢٧-٢٨، الطبعة الثانية، مارس ١٩٨٤م، إدارة معارف إسلامي متصورة، لاهور.

وهناك لازم الشيخ عبي الدين خان قاضي القضاة، ومن أثر مصلحته أنه كان يعمل في سبيل الله مع العمل بالمحكمة.

وبعد أربع سنوات حينما كان عمر الإمام المودودي ستة واجدة ترك والده المحكمة وذهب في طلب الدنية وقام بتقسيم متاع البيت وسافر إلى دهلي، حيث أقام بقرية (غرب سرائي)، وقام بزراعة قطعة من الأرض ليعيش عليها، وقضى معظم وقته في دراسة الدين وتدريسه واستمر على ذلك ثلاث سنوات حتى طلبه شيخه مرة ثانية، ونصحه أن لا يترك الكسب بطريقة شرعية فعاد إلى المحكمة مرة ثانية لكن بسبب صدقه وثبته من القضايا ابتعد عنه الناس، وقلّت القضايا التي وكلت إليه وتعرضت له المشاكل المادية وجعلته يتجه إلى الدين بكلمة فتغيرت أفكاره، وتغيرت طريقة حياته الاجتماعية. وظل يعمل بالمحكمة في "أورنك آباد" حتى ١٣٣٣م ثم وانتقل بعده إلى "حيدر آباد" ثم اتجه إلى "بهريل" بسبب صحته المتدهورة، وهناك دامه مرض الشلل إلى أن انتقل إلى ربه الأعلى عام ١٣٣٨ هـ الموافق عام ١٩١٧م.

بداية حياته الصحفية:

في عام ١٣٣٦ هـ الموافق عام ١٩١٨م دخل ميدان الصحافة مع شقيقه الأكبر أبي الخير المودودي الذي أصبح مديرا لتحرير جريدة "مدينة" بمدينة "بنجور" (الهند)، وكان عمره خمس عشرة سنة، إلا أنه لم يستمر لأكثر من شهر ونصف في هذا العمل، فقد أغلقتها الحكومة، ومنها انتقل إلى جريدة أسبوعية أخرى، ثم أصبحت يوميا باسم "تاج" من "جبل بور" (الهند). ولكن لم تستمر جريدة "تاج" من الاستمرار في صدورها لأكثر من شهر، فقد أغلقتها الحكومة أيضا فانتقل من "جبل بور" إلى "بهريل" ثم إلى "دهلي". وأجبرته الكتابة الصحفية على دراسة اللغة الإنجليزية، ولم تستمر فترة الدراسة هذه سوى أربعة أو خمسة أشهر إلى أن حصلت له فيها القدرة على مطالعة في الإنجليزية وفهم كتب التاريخ، والفلسفة، والسياسة، وعلم الاجتماع، والأديان، والحضارة وغيرها، ولم تصادفه أي صعوبة في فهم المقالات العلمية في هذه اللغة.

١ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للاستلا جيلاني، ص ٢٠ - ٢١.

٢ انظر: المصدر السابق، ص ٣٠ - ٣١.

وقرر الإمام أن ينضم إلى حركة الخلافة مع عمله في مجل الصحافة في بداية حياته العملية عام ١٩١٨م، فواصل العمل فيها إلى نهاية عام ١٩٢٤م. وألف الإمام كتاب "التشكلات التبشيرية في تركيا"^١ وترجم كتاب "بجازر اليونانيين في سمرنا" من اللغة الإنجليزية إلى اللغة الأردنية خلال فترة ١٩١٨م، ١٩٢٠م. وفي عام ١٩٢٠م ترك أخصه مهنة الصحافة في حين استدعاه صاحب جريدة "تاج" لإصدارها مرة أخرى فأصدرها أسبوعياً ثم يومياً لوعده في السابعة عشر من عمره. هذا بالإضافة إلى أنه شارك هناك في السياسة عملياً بالعمل لحركة الخلافة. فأصبح يسجل افتتاحيات الجريدة بقلم من النثر، يثير المشاعر ويذكرى المواطنين. وقبضت الحكومة على إحدى مقالاته لكنه لم يجر من بطش الحكومة؛ لأن صاحب الجريدة كان هو المسؤول عن التحرير، والطباعة، والنشر؛ لكنه لم يفرح بذلك وقور ألا يكتب شيئاً بعدها إلا على مسؤوليته الشخصية. واحتكاكه بحركة الخلافة أتاح له فرصة الاتصال بالشخصيات الكبيرة والزعماء السياسيين في الهند، فجهأ إلى "دهلي" وفي عام ١٩٢١م قابل مفتي الديار الهندية الشيخ كفاية الله الدهلوي، والشيخ أحمد سعيد رئيس ومدير جمعية علماء الهند فقي هذا العام نشرت جمعية العلماء بالهند إصدار جريدة (المسلم) من عاصمة البلاد، ووقع اختيارها على الإمام المودودي البالغ من عمره سبع عشرة سنة مديراً لتحريرها، واستمرت هذه الجريدة إلى عام ١٩٢٣م. وبقي الإمام يديرها حتى النهاية.

ومن الجدير بالذكر أن الفترة ما بين عام ١٩١٦م وعام ١٩٢١م كانت فترة اضطراب وقلق في حياته فقد توقف تعليمه فيها ولكن بالإقامة في "دهلي" مديراً لتحرير الجريدة (المسلم) عام ١٩٢١م وجد الفرصة أن يتجه إلى إكمال تعليمه مرة أخرى، فإنه بجانب عمله في الجريدة درس كتب الأدب العربي، والتفسير، والحديث، والمنطق، والفلسفة على أيدي مجموعة من الأساتذة

١ انظر: الإمام أبو الأعلى المودودي، حياته، ودعوته، وجهاته للأستاذ خليل الحامدي، ص ٨.

٢ انظر: أبو الأعلى المودودي عصره، حياته، ودعوته، مؤلفاته للبروفيسور أليف الدين الترابي، ص ٢٢٨.

٣ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ٣٢.

٤ الإمام أبو الأعلى المودودي، حياته، ودعوته، وجهاته للأستاذ خليل الحامدي، ص ٨.

٥ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ٣٢-٣٣.

٦ انظر: المصدر السابق، ص ٣٣، والإمام أبو الأعلى المودودي حياته، ودعوته، وجهاته للأستاذ خليل الحامدي،

وترك "دهلي" بعد إغلاق جريدة "المسلم" عام ١٩٢٣م، وانصرف إلى القراءة والمطالعة لسنة ونصف في "يهوبيل". عاد إلى "دهلي" مرة أخرى في أوائل عام ١٩٢٤م حيث أراد "محمد علي جوهر" أن يساعده في إخراج جريدة "همرد" إلا أن "الشيخ محمد سعيد" أظهر نية إصدار جريدة باسم "الجمعية" تصدرها جمعية علماء الهند. فوافق نظراً للروابط القديمة مع بعض فاضلها عام ١٩٢٥م حتى عام ١٩٢٨م بوحته. وبجانب عمله في الجريدة استمر في دراسة كتب العلوم المختلفة، وأكمل ما تبقى من دراسة الكتب العربية، وحاول تعلم اللغة الألمانية كذلك، وقد تعلم علوم المعاني، والبلاغة، والأدب العربي، والمنطق، والفلسفة، وعلم الكلام على يد الشيخ عبد السلام نيازي الذي لم يكن يباري في الفلسفة والعلوم العقلية كالرياضيات والمنطق، وكان الشيخ رئيساً لدار العلوم الأمنية بدعلي في ذلك الوقت، وكان يجيد اللغة العربية واللغة الفارسية واللغة الإنجليزية واللغة الألمانية واللغة الفرنسية واللغة السنسكريتية وعدة لغات أخرى، ومن الجدير بالذكر أنه كان يتلقى تلك الدروس قبل صلاة الفجر. وكتب أول كتاب له باسم "الأخلاق الاجتماعية" وكان عمره عشرون سنة. وفي عام ١٩٢٦م حصل على "سند الفراغة" - وهي شهادة ذاتية من المدرس لا من دار العلوم وكانت تعتبر أعلى رتبة - في العلوم العقلية، والأدبية، والبلاغة، والعلوم الأصلية، والفرعية من الشيخ محمد شريف الله خان سواتي المدرس بـ "دار العلوم فتح بوري" في دهلي. وفي العام التالي حصل من الشيخ إشفاق الرحمن الكاندهلوي المدرس في "المدرسة العربية العالية فتح بوري" في دهلي والمتخرج من "دار العلوم سهانپور" على "سند الفراغة" في

١ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للاستاذ جيلاني، ص ٣٢-٣٤.

٢ نقلاً عن مجلة "المجتمع" العدد ١٨١٧، ص ٥٥-٥٦، "الأشجار الوارفة" بقلم: السيدة حمير المودودي، ترجمة: د/ نور محمد جمعة، (مراجع: النص الأصلي "الأشجار الوارفة" للسيدة حمير المودودي (بالأردنية)، ص ٩-١٠)، وانظر: أبو الأعلى المودودي عصره، حياته، دعوته، مؤلفاته للبروفيسور أليف المدين الترابي، ص ١٢٦، وأيضاً: الإمام أبو الأعلى المودودي، حياته، ودعوته، وجهاته للاستاذ خليل الحامدي، ص ١٠.

٣ "سيد مودودي مه وسلكي آئيني مي" (الإمام المودودي في مرة الشهر والسنة) لمحمد شاهد رفيع، مقال منشور في العدد الخاص مجلة "دعوة" الشهيرة عن السيد المودودي (بالأردنية)، ص ١٤، الصادرة من أكاديمية الدعوة بالجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، المجلد ١٠، العدد ٧-٩، الصادر لشهر ديسمبر عام ٢٠٠٣م.

علوم الحديث والفقه والأدب وتدرسيها. وفي العام التالي حصل من الشيخ إشفاق الرحمن أيضاً على "سند الفراغة" في سماع وقرأة الجميع الترمذي وموطأ الإمام مالك رحمهما الله. واستمر الإمام المودودي في دراسته حتى نهاية عام ١٩٢٨م، ولا يستثنى من ذلك سوى بضعة أشهر قضاه الإمام في مدينة (بهرهلا) بعد أن أغلقت جريدة (المسلم) في عام ١٩٢٣م، ولكنه خصص هذه المدة أيضاً لمطالعة أهم الكتب في العلوم الدينية والعلوم الحديثة. ثم حينما قررت الجمعية إصدار جريدة (الجمعية) عام ١٩٢٤م اختير الإمام كذلك مديراً لها، واستمر فيها حتى نهاية عام ١٩٢٩م إلى أن قرر أن يترك مجال الصحافة لأن المتحدث باسم جمعية علماء الهند قام بمزاولة حزب المؤتمر عن طريق جريدة "الجمعية". كما قام بتأليف الكتاب (مصدر قوة المسلم) عام ١٩٢٥م، وكتاب "الجهاد في الإسلام" عام ١٩٢٨م. وقد كتب هذا الأخير رداً على اتهام وجهه الغاندي إلى الإسلام بأنه انتشر بالسيف وقد قام "محمد علي جوهر" بتوجيه نداء إلى الشيب بالرد على هذا الاتهام، وهكذا كان هذا الكتاب تلبية لهذا النداء ورداً على تحدي غاندي.^١

وفي عام ١٩٢٨م بعد أن قرر الإمام أن يترك مجال الصحافة ليستعد لعمل الدعوة سافر إلى حيدر آباد الدكن حيث كان شقيقه الأكبر يشتغل في دار الترجمة العثمانية وأفرغ نفسه للمطالعة استعداداً لهذا العمل الجليل، وذلك من عام ١٩٢٨م إلى عام ١٩٣٢م. ومع أنه قضى معظم وقته في المطالعة تمكن من تأليف أو ترجمة بعض الكتب خلال هذه الفترة وذلك

١ مجلة "تذكرة سيد مودودي" لخليل أحمد الحامدي (بالأردوية)، ص ٩٤٤، الصادرة من إدارة المعارف الإسلامية، منصور، لاهور، الطبعة الأولى، إبريل ١٩٨٦، وعلوم القرآن لمولانا كوهل رحمن (بالأردوية)، ج ٢، ص ٦٢٠ - ٦٢٢.

٢ المصدر نفسه، وعلوم القرآن لمولانا كوهل رحمن (بالأردوية)، ج ٢، ص ٦٢٢.

٣ انظر: أبو الأعلى المودودي عصره، حياته، دعوته، مؤلفاته للبروفيسور أليف الدين الترابي، ص ١٤٦.

٤ انظر: الإمام المودودي في رأيه ورأي الآخرين لمجدي يوسف بهت (بالأردوية)، ص ٣٥.

٥ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ٤٢٤.

٦ أبو الأعلى المودودي عصره، حياته، دعوته، مؤلفاته للبروفيسور أليف الدين الترابي، ص ١٢٨.

٧ انظر: الإمام أبو الأعلى المودودي، حياته، ودعوته، وجهاته للأستاذ خليل الحامدي، ص ١٦.

٨ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ٤٢٤.

ليكتب ما يعيش عليه. فاما الكتب التي ألفها خلال هذه المدة فهي: (تاريخ السلاجقة)، و (تاريخ الدكن). واما الكتب التي نقلها إلى اللغة الأردية فهي: تاريخ ابن خلكان (الأجزاء المتعلقة بالفاطميين)، والأسفار الأربعة للشيخ صدر الدين الشيرازي في الفلسفة^١.

بداية حياته الدعوية:

في عام ١٩٣٢م تولى الإمام المودودي إدارة مجلة ترجمان القرآن الشهرية التي كانت تصدر من مدينة حيدر آباد (الدكن)^٢، وبدأ يقدم فيها دعونه ورسائله بعزم جديد وأسلوب فريد، وكان شيعارها "احملوا أيها المسلمون دعوة القرآن وانفضوا وحلقوا فوق العالم"^٣، وظل يصدرها حتى وفاته عام ١٩٧٩م^٤، وما زالت تصدر إلى اليوم.

وألّف كتباً عديدة في من عام ١٩٣٢م إلى عام ١٩٣٧م منها:

- الحضارة الإسلامية أسسها ومبادئها.
- مسألة الجبر والقدر.
- نحن والحضارة الغربية.
- الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة.
- المفاهيم الإسلامية حول الدين والدولة في بحكمة العقل.
- الرسول والرسالة.
- التنقيحات والتفهيمات.
- حقوق الزوجين.
- تحديد النسل في ميزان النقد.

١ انظر: أبو الأعلى المودودي عصره، حياته، دعوته، مؤلفاته للبروفيسور أليف الدين الترابي، ص ١٢٨.

٢ انظر: المصغر نفسه، والإمام المودودي في رأيه ورأي الآخرين لعميد يوسف بهته (بالأردنية)، ص ٣٦.

٣ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ٤٢٥، والإمام أبو الأعلى المودودي، حياته، ودعوته، وجهاته للأستاذ خليل الحامدي، ص ١٩.

٤ الإمام أبو الأعلى المودودي، حياته، ودعوته، وجهاته للأستاذ خليل الحامدي، ص ١٩.

٥ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ٤٢٥.

٦ انظر: الإمام أبو الأعلى المودودي، حياته، ودعوته، وجهاته للأستاذ خليل الحامدي، ص ٢٣.

• مباني الإسلام.

• أسس الاقتصاد بين الإسلام والنظم المعاصرة.

• الحجاب.

• الربا.

وكان من المعجبين بمجلة الإمام المودودي ودعوته الفريدة الدكتور محمد إقبال فقابلته واقترح عليه أن يهاجر من "حيدر آباد" إلى "بنجاب"، فوافقه الإمام وهاجر من حيدر آباد (الباكستان) إلى "بنجاب" عام ١٩٣٨م حيث أسس إدارة "دار الإسلام"، ووقف أرضها لحد أضدقه الدكتور محمد إقبال على خدمة الإسلام^١، وبهذا تمكن من تحريك نشاطه ومساعيه بسرعة شديدة في سبيل حركته ودعوته الإسلاميتين^٢، وكان في نفس الوقت عرضت عليه الجامعة العثمانية أن يعمل استاذاً بها براتب كبير، ولكنه رفض هذا العرض مع أن وضعه الاقتصادي كان يتطلب قبوله ذلك، خاصة وهو لم يكن يعرف شيئاً عن مصيره في بنجاب^٣. ولم يمض على هجرة الإمام إلا شهر ونصف حتى بلغه خبر وفاة الدكتور محمد إقبال فكتب في رثائه: "فقدت أكبر سند لي في الدنيا يموت هذا الرجل العظيم"^٤. ومن الجدير بالذكر أن مشروع "دار الإسلام" قد انتشر في مجلة "ترجمان القرآن" قبل هجرة الإمام المودودي من حيدر آباد.

١ ترجم هذا الكتاب إلى ثلاثين لغة في العالم واهتمت به الكثيرون إلى الإسلام صلت من الملائكة من النسخ. ووردت إلى المؤلف آلاف الرسائل من الذين قرأوا هذا الكتاب فأسلموا. ومن الجدير بالذكر أن هذا الكتاب ألف في أسبوع بطلب من إدارة التربية والتعليم بحيدر آباد (الباكستان) بوضع الكتاب في التربية الإسلامية للصف الطبع والماشر. (انظر: الإمام أبو الأعلى المودودي، حياته، ودعوته، وجهاته للأستاذ خليل الحامدي، ص ٢٥-٢٦).

٢ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ٤٢٥، و انظر: الإمام أبو الأعلى المودودي، حياته، ودعوته، وجهاته للأستاذ خليل الحامدي، ص ٢٣.

٣ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ٤٢٥-٤٢٦، والإمام أبو الأعلى المودودي، حياته، ودعوته، وجهاته للأستاذ خليل الحامدي، ص ٢٩.

٤ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ١٣.

٥ انظر: أبو الأعلى المودودي، حياته، ودعوته، مؤلفاته للبروفيسور ألف الدين الترابي، ص ١٢٢، والمصدر السابق، ص ٦١.

٦ انظر: الإمام أبو الأعلى المودودي، حياته، ودعوته، وجهاته للأستاذ خليل الحامدي، ص ٢٩-٣٠.

فقد بين الإمام فيه أن تكون قرية " دار الإسلام " قرية إسلامية نموذجية تقام فيها الحياة القرية والاجتماعية على الأسس الإسلامية السامية فوجه الإمام دعوته لكل من يعجبه هذا المشروع ويرغب في الإقامة بـ " دار الإسلام " ١.

وانتقل الإمام إلى " لاهور " بعد حوالي ثلاثة أشهر من هجرته لما حصل بينه وبين صاحب الوقف من خلاف حول غايات هذا الوقف. ففي " لاهور " عرض عليه القائمون بالكلية الإسلامية أن يكون محاضراً بها، فقبل ذلك العرض ولكن كمحاضر الشرف وبقي سنة كاملة يلقي محاضراته في الكلية عن الإسلام ودعوته ٢.

الحياة السياسية في عصره :

إن شبه القارة الهندية في تلك الفترة كانت منقسمة إلى معسكرين كبيرين: معسكر موال لحزب المؤتمر الوطني بزعامة الغاندي ونهرو. هذا المعسكر كان ينادي بوحدة الشعب الهندي وكان يتبنى فكرة القومية الهندية. وبالتالي كان يخارب تقسيم البلاد إلى الهند وباكستان. ومعسكر آخر كان مراديا لحزب الرابطة المسلمة بقيادة محمد علي جناح الشهير بالقائد الأعظم. والسواد الأعظم من مسلمي الهند مع هذا المعسكر. وكلا شعائرهم القومية المسلمة وكان يطالب بإنشاء باكستان في المناطق التي يعيش فيها المسلمون بالأغلبية والإمام المودودي فند بكل صراحة نظرية القومية الهندية. وألف في ذلك كتابين : " المسلمون والصراع السياسي الحالي " (جزءين)، " ومبالة القومية " في فترة عام ١٩٣٧-١٩٣٨م. والإمام كان مؤيدا لفكرة إنشاء باكستان بعد التقسيم، ولكنه لم يوتج إلى قيادة معسكر التقسيم، لأن فكرة التقسيم لم تبين على أسس الإسلام، بل على أسس القومية المسلمة، وكان رأى الإمام أن هذه القيادة لا تستطيع إقامة دولة باكستان على أسس الإسلام، بل لا يعرفون عن الإسلام إلا اسمه وإفهم سيكونون أول من يحارب الإسلام في دولة باكستان الإسلامية ٣.

وفي عام ١٩٣٩م ألقى محاضرة بعنوان " الجهاد في سبيل الله " في قاعة بلدية لاهور، وأخرى عام ١٩٤٠م بعنوان " منهج جديد للتربية والتعليم " في دار العلوم لندرة العلماء بلكهنوا.

١ انظر: أبو الأعلى المودودي عصره، حياته، دعوته، مؤلفاته للبروفيسور أليف الدين الترابي، ص ١٣٢.

٢ انظر: الإمام أبو الأعلى المودودي، حياته، دعوته، رجائه للأستاذ تحليل الحامدي، ص ٣٠.

٣ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ٤١-٤٢، والمصلح السابق ص ٣٨-٣٩.

والثالثة في عام ١٩٤١م بعنوان " معضلات الإنسلا الاقتصادية وحلها في الإسلام " في جامعة علي كره.

بداية حياته الحركية وتأسيس "الجماعة الإسلامية"

قضى الإمام فترة عام ١٩٣٩م - ١٩٤١م في إيضاح ملامح الحركة الإسلامية أمام المسلمين، فكتب عدة كتب منها: "تجديد وإحياء الدين"، "كيف تقام الحكومة الإسلامية"، "بحث عن العبادات الإسلامية"، و"النظرية السياسية في الإسلام"٢. ولما أحس الإمام أن فكره قد انتشر وأن مجموعة من الناس قد اقتنعوا بفكره دعا عن طريق مجلته "ترجمان القرآن" لتجمعهم في "لاهور" لتأسيس الجماعة الإسلامية فاجتمع ٧٥ شخصا، وأسسوا الجماعة الإسلامية في ٢٦ من أغسطس عام ١٩٤١م الموافق ٢ من شعبان عام ١٣٦٠هـ وانتخب أميرا لها. وفي هذه الفترة أتم كتابه "المصطلحات الأربعة في القرآن"٣.

لقد اعتقد الإمام أن الوصول إلى الهدف النبيل في حياة المؤمن لا يتم إلا عن طريق الاسترشاد بهدي القرآن الكريم، ومن ثم عقد العزم على أن يقوم بتفسير القرآن الكريم تحت عنوان (تفهيم القرآن)، وذلك بعد ستة أشهر من تأسيس الجماعة الإسلامية في فبراير عام ١٩٤٢م٤. وبدأ الإمام دعوته في الهند عن طريق "ترجمان القرآن" وعقدت الجماعة الإسلامية اجتماعات دينية خالصة في مختلف أنحاء الهند وفي هذه الفترة كتب عدة كتب منها "طريق الأمن"، و"دين الحق" و"الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية"، و"وجهة النظر الأخلاقية في الإسلام"، و"شهادة الحق"٥.

١ انظر: الإمام أبو الأعلى المودودي، حياته، ودعوته، وجهاد للأستاذ خليل الحامدي، ص ٣٠.

٢ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ٤٢٦.

٣ انظر: المصدر السابق، ص ٤٢٦، و ٤٣ - ٤٥.

٤ انظر: "تفهيم القرآن كن حالات مي لكهي كلي" (في لي ظروف كتبت تفهيم القرآن)، خطبة للإمام المودودي منشورة في العدد الخاص مجلة "آئين الأسيوعية" بمناسبة اكتمال تفهيم القرآن، ص ١١٥. الصادرة من مكتب آئين الأسيوعية، لاهور، المجلد ١١، العدد ٧، الصادر بتاريخ ١٥ من ديسمبر عام ١٩٨٢م.

٥ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ٤٢٧.

قيام باكستان وكفاح الإمام

في أغسطس عام ١٩٤٧م قامت باكستان، وتوزع عمل الجماعة في القطرين : الهندي والباكستاني، وصار لكل منهما نظام ومنهج مستقل، يقوم كل منهما على الدور الموكّل اليه. وبعد التقسيم مباشرة ظهرت حالة من الفساد خلصت في التجارب الشرقي بأكمله، وظهرت قضية المهجرين المسلمين الذين طردهم الهنوك، وانتقل الإمام المودودي مع زملائه من "دار السلام" إلى "لاهور" حيث أسس مقر الجماعة ومركزها وحيث يتم إصدار مجلة "ترجمان القرآن" أيضا. واستدعى الإمام المودودي رجال الجماعة الإسلامية بباكستان وكلفهم بالمشاركة في خدمات الدعم، والمساعدة الخيرية في معسكرات المهجرين، وبدأ يعمل على إيقاظ الشعور السياسي لدى الناس وإعداد زعرة صالحة للقيام بإقامة دولة الإسلام في المنطقة، وأهم المحاور التي دار الحديث حولها في هذه الفترة كانت عبارة عن:

- النظام الاجتماعي في الإسلام.
- القانون الإسلامي.
- الدستور الإسلامي.
- الدولة الإسلامية.

وقام المودودي بالقاء محاضرات مستمرة يشرح فيها النقاط السابقة ويحجب على أسئلة السائلين، حتى اتضحت فكرة الدولة الإسلامية لدى العامة والخاصة.^١

ومن الأعمال الكبيرة التي قام بها الإمام المودودي هو جهادة الطويل لإقامة دولة الإسلام في باكستان. حيث لقي في سبيله عنيدا من الهن والشاهب، وكان على يقين أن الخوض في هذا الميدان يعني سلوك طريق مخوف بالأشواك، كما كان يعرف أن هذا هو سبيل المؤمن الصالح الرافض لكل طاغية واستبداد، إذ لا يجتمع في قلب المؤمن: الإيمان بالله إلها واحدا، وحاكما مشرعا واحدا مع الإقرار بمن سواه مصدرا للتشريع، فما جعل الله لرجل من قليلين في جوفه^٢.

١ انظر: الإمام أبو الأعلى المودودي، حياته ودعوته، وجهاته للأستاذ خليل الجليلي، ص ٤٠.

٢ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ٧٣-٧٥، و ٤٢٧.

٣ انظر: الإمام أبو الأعلى المودودي، حياته ودعوته، وجهاته للأستاذ خليل الجليلي، ص ٥٣.

ومن المعروف أن زمامة السلطة في باكستان كانت بيد طبقة متفرجة تثير الشبهات حول الإسلام، وصلاحيته كنظام للدولة بعد قيام باكستان بشهور، على الرغم من أن الأمر كان مقررا مسبقا أن يكون الإسلام هو منهج دولة باكستان؛ ولذا بدأ الإمام المودودي بجهته في وضع قواعد الدولة، فألقى محاضرتين في فترتي يناير، وفبراير من العام ١٩٤٨م في كلية الحقوق بـلاهور أمام رجال القانون تحت عنوان "القانون الإسلامي وطريق تنفيذه في باكستان"، ثم أعد بحوثا أخرى لإعداد الجو الفكري المؤيد للإسلام "كحقوق أهل الذمة في الدولة الإسلامية"، و"مقتضيات الحرية والإسلام"، و"لماذا تدعو إلى النظام الإسلامي؟"، وكل - تلك البحوث يوضحها كتابه: "الدولة الإسلامية" ١.

وفي شهر مارس عام ١٩٤٨م ألقى خطابا للشعب في اجتماع عام بـكراتشي، وقدم أربع نقاط تحت عنوان "المطالبة بالنظام الإسلامي" :

١. باكستان هي ملك لله فقط وعلى الحكومة الباكستانية أن تقوم نظاما يرضي الله.
 ٢. يجب القضاء على القوانين التي تخالف الشريعة الإسلامية، ولا يتم إجراء أي قانون مستقبلا يكون مخالفا للشريعة الإسلامية.
 ٣. القانون الأساسي لباكستان هو الشريعة الإسلامية.
 ٤. أن تقوم الحكومة الباكستانية بتحديد سلطاتها طبقا لحدود الشريعة ٢.
- وفي مارس عام ١٩٤٨م ازداد الضغط على الحكومة من قبل الجماعة الإسلامية في قضية المطالبة بالنظام الإسلامي، ففي ٤ من أكتوبر عام ١٩٤٨م حين عجزت الحكومة على الرد على "المطالب الإسلامية" ألقت القبض لأول مرة على الإمام المودودي، وعلى قادة الجماعة الإسلامية المؤسسين، إلا أن حركة المطالبة بالنظام الإسلامي استمرت ٣. وفي هذه الفترة كتب الإمام المودودي:

- نظام الحياة الإسلامي.
- وسائل تنفيذ القانون الإسلامي في باكستان.

١ انظر : المصدر السابق، ص ٥٤ - ٥٥ .

٢ انظر : أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ٤٢٨ .

٣ انظر: المصدر السابق، ص ٤٢٩ .

• حقوق أهل الذمة في الدولة الإسلامية.

• كتاب الربا.

• مسألة ملكية الأرض.

• المجلد الأول من تفسيره: "تفهيم القرآن" ١.

وفي ١٢ من مارس عام ١٩٤٩م نشطت حركة المطالبة بتطبيق الإسلام بتعارف شعبي كبير لدرجة أن الحكومة أجبرت على الموافقة على "قرار الأهداف" الذي يحدد الوجهة الصحيحة لباكستان^٢. وملخصه: "إن الحاكم في باكستان الله - سبحانه وتعالى -، وأن الحكومة ملزمة بتطبيق ما يريه الحاكم الأعلى وهو الله". ولا يزال هذا القرار يعتبر أساس الدولة الباكستانية. ومن الجدير بالذكر أن مشروع القرار عرض على الإمام في السجن بطريقة سرية لأخذ الموافقة^٣. وفي ٢٨ من مايو عام ١٩٥٠م أطلق سراح الإمام وزملائه. بعدما قضوا في السجن عشرين شهرا إلا خمسة أيام.

وفي سبتمبر عام ١٩٥٠م أصدرت الحكومة توصيات لمبادئ الدولة، وكانت تنافي روح الإسلام، بل كانت مناقضة لروح قرار الأهداف في الوقت ذاته، فأصدر الإمام استنكاره بكل قوة وأبدى ملاحظاته على التوصيات في احتفال شعبي بمدينة "لاهور" فاضطرت الحكومة لسحبها، مطالبة العلماء بالاتفاق على ترشيح مسودة دستور إسلامي، ظنا منها أن العلماء في باكستان لا يمكنهم الاتفاق على دستور واحد، إلا أن العلماء فاجزوها حيث اجتمع ٣٦ علما عن يمثلون كل الأحزاب الدينية في باكستان. وفي ٢١ من يناير عام ١٩٥١م اتفقوا على ٢٢ نقطة دستورية بمدينة كراتشي، وكان للإمام دوره البارز في هذا الاجتماع^٤.

١. انظر: المصدر نفسه، والإمام أبو الأعلى المودودي، حياته، ودعوته، وجهاده للاستقلال لخليل الحامدي، ص ٥٦.

٢. انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للاستقلال جيلاني، ص ٤٢٩.

٣. انظر: الإمام أبو الأعلى المودودي، حياته، ودعوته، وجهاده للاستقلال لخليل الحامدي، ص ٥٧.

٤. انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للاستقلال جيلاني، ص ٤٣٠.

٥. انظر: الإمام أبو الأعلى المودودي، حياته، ودعوته، وجهاده للاستقلال لخليل الحامدي، ص ٥٧.

٦. انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للاستقلال جيلاني، ص ٤٣٦، والمصدر السابق، ص ٥٨.

وفي ١٠ من نوفمبر عام ١٩٥١م عقدت الجماعة الإسلامية مؤتمرها العام على مستوى البلد والقي الإمام في ذلك المؤتمر خطبا احتوت على عدة موضوعات، مثل: "ماضي المسلمين وحاضرهم"، و"برنامج العمل في المستقبل"، و"القضايا الداخلية والخارجية للبلاد"^١. وفي نفس الفترة ألف الإمام كتابه المعروف: (أسس الدستور الإسلامي في القرآن)، ردا على التحني الذي تقدم به الخليلي الشهير السيد بروهي، والذي كان مؤداه: "من يبين لي أن في القرآن دستورا إسلاميا فأكافئه بخمسة آلاف روبية"، وبعد أن قرأه الخليلي افتتح بأن القرآن كتب هداية في جميع نواحي الحياة، وأن فيه دستورا إسلاميا تقام عليه الدولة في العصر الحديث، ليس هذا فحسب بل قدم السيد بروهي فيما بعد في الجمعية التأسيسية مشروعا دستورياً قبض فيه أسما للدستور الإسلامي، يضاف إلى ذلك أن الإمام ألقى بهذا الصدد محاضرة في كراتشي بعنوان "تدوين الدستور الإسلامي"^٢.

وفي شهر مابر لعام ١٩٥٢م عقد مؤتمر جميع الأحزاب بكراتشي من أجل اتخاذ قرار باعتبار القاديانيين أقلية غير مسلمة^٣، وذلك بعد ما حدثت في مقاطعة بنجاب اضطرابات عنيفة بينهم وبين المسلمين قتل فيها المئات من المسلمين، وألف الإمام المودودي في هذه الظروف الكتيب الشهير باسم (المسألة القاديانية)، ولقد كشف الإمام فيها عن عقائد هذه النحلة، ومزاعماتها الرهيبة ضد المسلمين، فلتخذ حاكم باكستان "السيد غلام محمد" من تلك الاضطرابات عبرا لإعلان الحكم العرقي في بنجاب، وكذلك لإلغاء الجمعية التأسيسية مع دستورها الجديد. ثم ألقى المحض على الكثيرين من المسلمين وعلى الإمام المودودي للمرة الثانية بتهمة تأليف الكتيب المذكور.

وفي ١١ من مايو عام ١٩٥٣م حكمت المحكمة عليه بالإعدام بسبب الكتيب المذكور، وقد سمع هذا القرار بوجه باسم وقلب مفتوح. وأخبر بأنه لا يحق له أن يدير قضية ضد حكم المحكمة العسكرية ولكن يمكن له أن يقدم الاسترحام خلال الأسبوع، فاحمر وجهه وأجاب بمنتهى

١ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ٤٣٦ - ٤٣٢.

٢ انظر: أبو الأعلى المودودي حياته ودعوته وجهاته للأستاذ خليل الجامدي، ص ٥٩.

٣ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ٤٣٣.

٤ انظر: الإمام أبو الأعلى المودودي، حياته، ودعوته، وجهاته للأستاذ خليل الجامدي، ص ٦٢ - ٦٣.

الرزاقه : " لا أسترجم أحداً لأن أحكام الموت والحياة لا تتخذ في الأرض وإنما تصدر من السماء، فإن كان السهم قد رث موتي فلا يستطيع أحد إنقاذي منه. وإن لم تكن اتخذت القرار بالموت فلا يستطيع أحد أن يضربني ولو قيد شعرة " ١. ثم توجه الإمام إلى معارفه قائلا: " لا يقدم أحد منكم الاسترحام، لا والدني، ولا أخي، ولا زوجتي، ولا أحد من أولادي، وأرجو كذلك من زملاء الدعوة أن لا يقدموا لأجلي الاسترحام " ٢.

وظهر رد الفعل في صورة برقيات الاستنكار من سائر أنحاء العالم الإسلامي تستنكر وتطلب من الحكومة سحب هذا الحكم على الفور، وكان من الذين أرسلوا برقيات الاستنكار من العالم الإسلامي العلامة حسن الحضيبي مرشد الإخوان المسلمين في مصر، والعلامة نور المشايخ المجدي، والعلامة نور المشايخ ملاشور يلزار من أفغانستان، وعلماء الجزائر، والشيخ أمين الحضيبي مفتي فلسطين الأعظم ورئيس المؤتمر الإسلامي، والشيخ محمد الزهاوي إمام أهل السنة والجماعة في العراق، وآية الله محمد الخالص مجتهد الشيعة الأعظم في العراق، والمسلمون المقيمون في إنجلترا، وقام الشعب السوري بالمظاهرات أمام سفارة باكستان، كما انتشرت المقالات الخاصة في الصحف الإسلامية، ومن الجدير بالذكر أن برقيات الاستنكار من الدول غير المسلمة أيضا وصلت، وهكذا اضطرت الحكومة إلى أن تغير حكم الإعدام إلى حكم

١ انظر: "جب صاحب تفهيم القرآن كز سزائي موت كا حكم سنبا كبا" (حينما وصله الحكم بإعدامه) للسيد طفيل محمد مقل منشور في العدد الخاص مجلة "آئين الأسبوعية" بمناسبة اكتمال تفهيم القرآن، ص ١٨٦ - ١٨٧، والمصدر السابق، ص ١٧٣.

٢ انظر: الإمام أبو الأعلى المودودي: حياته، ودعوته، وجهلته للأستاذ خليل الحامدي، ص ١٣.

٣ انظر: الإمام المودودي، الطفولة، الشباب، الكهولة للأستاذ جيلاني (بالأردنية)، ص ١١٦ - ١١٨، الطبعة الخامسة مايو عام ١٩٧٧م، إداره نزيهان القرآن، منصوره، لاهور.

٤ انظر: "جب صاحب تفهيم القرآن كز سزائي موت كا حكم سنبا كبا" (حينما وصله الحكم بإعدامه) للسيد طفيل محمد مقل منشور في العدد الخاص مجلة "آئين الأسبوعية" بمناسبة اكتمال تفهيم القرآن، ص ١٨٨.

السجن المؤبد. وفي عام ١٩٥٥م قامت المحكمة العليا بإصدار حكم العفو عن الإمام المودودي وزملائه بعد خمسة وعشرين شهرا من الاعتقال.^١

واستمرت الجهود من أجل إعداد الدستور الإسلامي إلى أن استبشر الشعب الباكستاني بصدور دستور إسلامي جديد بتاريخ ٢٣ من مارس عام ١٩٥٦م، والذي قبلته كافة الجماعات بباكستان. وقبلته الجماعة الإسلامية مع بعض التعديلات^٢، وقل الإمام المودودي في تصريح له: "نبأ اليوم حياة جديدة، حياة شعب حر قد قرر بلسان منليه أن الحاكمية في باكستان لله - عز وجل - وأن السلطة أمانة من الله في عنقه، لا يزاوها إلا في حدود وضعها الله ورسوله، فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتلي لولا أن هدانا الله".^٣

وفي يونيو عام ١٩٥٦م تلقى الإمام المودودي دعوة من قبل مؤتمر العالم الإسلامي بدمشق لحضور جلسات المؤتمر هناك، فسافر إلى سوريا لحضور المؤتمر، والتقى بزعماء الحركات الإسلامية من أقطار العالم^٤، وانتخب رئيسا لهيئة التبليغ والدعوة الإسلامية لمؤتمر العالم الإسلامي.^٥

ولكن لم يثق الشعب الباكستاني بحلارة الدستور الإسلامي بعد إلى أن قام الجنرال أيوب خان رئيس أركان الجيش بالانقلاب العسكري في ٨ من أكتوبر عام ١٩٥٨م، وألغى البرلمان

١ انظر: الإمام المودودي، الطفولة، الشباب، الكهولة للأستاذ جيلاني (بالأفريقية)، ص ١١٦ - ١١٨.

٢ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ٤٣٤، والإمام أبو الأعلى المودودي، حياته ودعوته، وجهاته للأستاذ خليل الحامدي، ص ٦٤.

٣ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ٤٣٥، والإمام أبو الأعلى المودودي، حياته ودعوته، وجهاته للأستاذ خليل الحامدي، ص ٦٥.

٤ انظر: الإمام أبو الأعلى المودودي، حياته ودعوته، وجهاته للأستاذ خليل الحامدي، ص ٦٥.

٥ انظر: أبو الأعلى المودودي، صفحات من حياته، وجهاته لأحد إخصائيه، ص ٦٨، نقلا عن أبو الأعلى المودودي عصره، حياته، دعوته، مؤلفاته للبروفيسور أليف الدين الترابي، ص ١٤٥.

٦ "سيد مودودي من وسال كي أنبي مي" (الإمام المودودي في سراء الشهر والسنة) محمد شامد رفيع، عقل منشور في العدد الخاص لمجلة "دعوة الشهرية" عن السيد المودودي، ص ١٧.

وطويت صحف الدستور، وأدخلت البلاد في دوامة من الحن والمتاعب الجديدة^١. وأوقف كل ما يكون بصله مع النظام الجمهوري وألغى جميع الأحزاب السياسية لأربع سنوات كاملة، واضطرب القائمون على الدعوة إلى القيام بالدعوة الفردية، وظل الإمام المودودي يواصل تفسيره الجهادية^٢.

كان عهد أيوب خان فترة خصبة لأعداء الإسلام حيث إنهم وجدوا الجو مناسباً فهاضوا وأفرخوا، وخاصة فئة منكري السنة المعروفة بالفئة المروزيّة التي رفعت رأسها وازدهرت تحت رعاية فائقة من الحكيم العسكري، وأصبحت تثير البلبلة الفكرية حول السنة النبوية، وتصدر كتباً ومجلات مضللة تقوم أجهزة الحكومة على توزيعها. فالإمام لم يتحمل هذا التضليل المسنود من الحكومة، وتزل إلى الميدان، وتناول أقوال هذه الفئة الضالة، وأكاذيبها واحدة بعد الأخرى في مجلته، ودحضها علمياً وتاريخياً وعقلياً دحضا قضي على الفئة نهائياً. ويحتوي كتابه "مكانة السنة في التشريع" على تفاصيل هذه المعارك الفكرية التي خاضها الإمام مع تلك الفئة الضالة، والتي كانت سبباً في إرسال الإمام ثلاث مرات إلى السجن في العهد العسكري حيث تعرض للقهقير والظلم^٣.

الرحلة إلى أرض القرآن

وفي ٣ من نوفمبر عام ١٩٥٩م قام الإمام المودودي برحلة امتدت من ٣ نوفمبر عام ١٩٥٩م إلى ٥ من فبراير عام ١٩٦٠م إلى أرض القرآن ليشاهد الأماكن التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، وكتب السيرة، وذلك ليتمكن من فهم الآيات التي ورد فيها ذكر هذه الأماكن فهماً دقيقاً ومن ثم

١ انظر: الإمام أبو الأعلى المودودي، حياته، ودعوته، وجهاته للأستاذ خليل الحامدي، ص ٦٥.

٢ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ١٢٧ - ١٢٨.

٣ انظر: المصدر السابق، ص ٤٣٦.

٤ انظر: الإمام أبو الأعلى المودودي، حياته، ودعوته، وجهاته للأستاذ خليل الحامدي، ص ٦٦ - ٦٧.

٥ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ١٢٨.

يمكن من تفسيرها وتفهمها بحرايط هذه الأماكن وصورها كما هي موضحة في تفسيره اليوم. وشاهد الإمام خلالها الأماكن التي تقع في الجزائر والأردن، والشام، ومصر، والكويت، غير أنه لم يزر العراق لأنها آنذاك كانت تعيش حالة سياسية متوترة ولم يكن لمثل الإمام صاحب العقل الراجح أن يوقع نفسه في مظان التهلكة المحتملة^١.

عضوية مجلس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة:

وفي عام ١٩٦١م تلقى الإمام المودودي الدعوة من قبل حكومة المملكة العربية السعودية ليعرض عليها مشروع إنشاء الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وسافر الإمام إلى الرياض في ديسمبر عام ١٩٦١م وعرض المشروع على القائمين بالجامعة وناقش الموضوع معهم حتى تم الاتفاق على التهج الدراسي والتربوي في الجامعة واختير الإمام عضواً لمجلس الجامعة^٢.

عضوية المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي:

وفي عام ١٩٦٢م تلقى الإمام المودودي دعوة أخرى من قبل حكومة المملكة العربية السعودية لحضور مؤتمر العالم الإسلامي بمكة المكرمة. وفي ١٨ من مايو عام ١٩٦٢م سافر الإمام إلى المملكة العربية السعودية لحضور ذلك المؤتمر وألقى فيه محاضرة بعنوان "العدالة الاجتماعية في الإسلام" ثم قرر المؤتمر تأسيس رابطة العالم الإسلامي لمواجهة التحديات والمؤامرات التي يواجهها الإسلام واختير الإمام عضواً للمجلس التأسيسي للرابطة^٣.

١ انظر: الرحلة إلى أرض القرآن للأستاذ محمد عاصم الحذاد (بالأردنية)، الفصل، أريد بلزار، لاهور.

٢ انظر: المصدر السابق، ص ٩.

٣ انظر: سيد أبو الأعلى المودودي للشودري عبد الرحمن عبد، ص ٢٩٣، نقلاً عن أبو الأعلى المودودي عصره، حياته، دعوته، مؤلفاته للبروفيسور أليف الدين الترابي، ص ١٤٧.

٤ انظر: المصدر السابق، ص ٢٩٦ - ٢٩٧، نقلاً عن أبو الأعلى المودودي عصره، حياته، دعوته، مؤلفاته للبروفيسور أليف الدين الترابي، ص ١٤٧ - ١٤٨.

وفي عام ١٩٦٣م أعلن أيوب خان دستوراً جديداً للرئاسة يخالف الإسلام، فانتقده الإمام بالنقد الشديد، وأبرز بكل جرأة نواحيه الخطيرة التي أريد بها توطيد دعائم النظام الدكتاتوري في باكستان. وابلغ صده إلى أقاصي اليلاء فاهتزت به أركان العرش العسكري، حيث لم يدم بعده أكثر من خمس سنوات، حيث انهار هذا الصنم عام ١٩٦٩م.^١

وفي أكتوبر عام ١٩٦٣م أفلحت الجماعة الإسلامية لاجتماعها العام على الرغم من أن الحكومة لم يعجبها ذلك، فتمعت فيه استخدام سكر الصوت فأخذت الجماعة طريقة قديمة للتبليغ وهي طريقة المكبرين فقام الإمام المودودي ليلقي خطابه الافتتاحي وكان الإمام المودودي يلقي خطابه كلمة كلمة وكان المكبرون يتلونونها متناولين ويلفونها إلى آخر الصفوف، وبينما كان الإمام في خطابه إذ هجم عليه المشاهيرون تحت إشراف من الشرطة فأخذوا ينتمسون في المرافق ثم فتحوا النيران وأطلق أحدهم الرصاص على الإمام، ولكن الله أنقذه منه، واستشهد العضو "الله يحتر"، وبومها قل كلمته الحكيمة الشهيرة: "إن الحركة الإسلامية مثلها كمثل الماء الجاري، فإذا وجد صخرة في طريقه لا يحطم عليها رأسه، وإنما يتعطف بطبيعته يميناً أو يساراً ليتابع جريانه، ويترك الصخرة وراءه، تعض أناملها من الغيظ، وهكذا كل مكر سوف يبور، والله خير الماكرين".^٢

وحين اقترحت الجماعة الإسلامية تسمية البلاد باسم "جمهورية باكستان الإسلامية"، ونادت بضرورة حصول الأفراد على الحرية وذلك في محضر طويل بلغ طوله ٩ أميل وقع عليه الشعب، وقدم إلى البرلمان، وتضمن أيضاً الحقوق الأساسية في الدستور. فغضب الحاكم

١ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ٤٣٦ .

٢ انظر: الإمام أبو الأعلى المودودي، حياته، ودعوته، وجهاته للأستاذ خليل الحامدي، ص ٦٨ .

٣ انظر: المصدر نفسه.

٤ انظر: الإمام أبو الأعلى المودودي، حياته، ودعوته، وجهاته للأستاذ خليل الحامدي، ص ٦٨ - ٦٩ .

٥ انظر: المصدر السابق، ص ٦٩ .

وأصدر قراراً بحظر نشاط الجماعة بموجب قانون صنعه الإنجليز عام ١٩٥٨م، وألقي القبض على الإمام وعلي جميع أعضاء مجلس الشورى للمرة الثالثة في ٦ من يناير عام ١٩٦٤م، ولكن اعتبرت المحكمة العليا عمل الحظر والاعتقال غير قانونيين وتم رفع الحظر المفروض على نشاط الجماعة وأطلق سراح المسجونين في أكتوبر عام ١٩٦٤م. وأثناء نيابته في السجن أكمل جزءاً كبيراً من تفهيم القرآن^٢. وكان الإفراج عن قادة الجماعة في الوقت الذي كان فيه موعد الانتخابات العامة لرئاسة جمهورية باكستان الإسلامية، وقد اتفقت الأحزاب السياسية المعارضة فيما بينها على ترشيح السيدة فاطمة جناح لتلك الانتخابات وذلك لكونها شخصية بارزة بمشقة القائد محمد علي جناح مؤسس باكستان، فاضطر مجلس الشورى للجماعة الإسلامية إلى الموافقة على ذلك القرار. وذلك لأنه لم يبق هناك أي طريق لإنقاذ البلاد من النظام الدكتاتوري العسكري الذي قد أخضع وسائل الدولة لنشر المنكرات في البلاد. وأجريت الانتخابات في ٢ يناير عام ١٩٦٥م وقد استخدم أيوب خان وسائل الدولة خلال حملته الانتخابية، فضلاً عن الغش والتزوير، فاضطرت اللجنة الانتخابية أن تعلن عن النتائج المزورة التي تنص على فوز أيوب خان وفشل فاطمة جناح. ولكن تمكنت الجماعة خلال حملتها الانتخابية أن تبلغ رسائلها السلمية إلى الشعب.

موقفه الحاسم من قضية كشمير المسلمة

كان الاستعمار الهندي يراقب الفرصة المناسبة يغتصبها للهجوم على جمهورية باكستان الإسلامية ففي ٦ سبتمبر عام ١٩٦٥م اعتدى على باكستان وذلك لأن باكستان كانت تؤيد جهاد

١ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ٤٣٦ - ٤٣٧، ١٤١.

٢ انظر: المصدر السابق، ص ٤٣٧.

٣ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ١٤١.

٤ انظر: سيد أبو الأعلى المودودي للشوقي عبد الرحمن عبد، ص ٣٤٩، نقلاً عن أبو الأعلى المودودي عصره، حياته، دعوته، مؤلفاته للبروفيسور أليف الدين الترابي، ص ١٥٢ - ١٥٣.

٥ انظر: أبو الأعلى المودودي عصره، حياته، دعوته، مؤلفاته للبروفيسور أليف الدين الترابي، ص ١٥٣.

مسلمي كشمير لتحرير بلادهم من الاستعمار الهندوسي، فأصدر الاستاذ المودودي بياناً قال فيه: إن باكستان بصفتها دار الإسلام فرض على كل مسلم فيها أن يصد العدو حتى آخر قطرة من دمه^١، فقررت أحزاب المعارضة القيام بتأييد الدولة لمقاومة ذلك الهجوم، فاستدعى أيوب خان قادة المعارضة لمقابلته ليتاورهم في ذلك الأمر فقابلوه فاتفقوا معه على خطة مقاومة الهجوم الاستعماري^٢، وفي ذلك الوقت تناسى الإمام كل أنواع الظلم والاعتداءات التي وقعت عليه وعلى زملائه من قبل الدكتاتور محمد أيوب خان، فقام هو وجماعته بمخيمات جلييلة، إضافة إلى أنه ألقى عدة خطابات بين يدي الشعب ومن الإذاعة في موضوع الجهل ومتطلباته^٣، ووضع فيها أن سبيل الخلاص من الهناكة الجبابرة، ووسيلة النجاة الوحيدة التي بإمكانها أن تأخذ بأيدي المضطهدين من مسلمي كشمير المختلة إلى بر الأمان هي: الجهل في سبيل الله^٤. وقام بمساعدة مهاجري الحرب^٥ ويقول البروفيسور أليف الدين الترابي: "واني لأحد أولئك الشهود العيان للخدمات التي قامت بها الجماعة فأقيمت حوالي عشرة مراكز في شتى مدن كشمير الحرة لتوزيع التمريضات على هؤلاء اللاجئين كما أنشئت عدة "مستشفيات" لعلاجهم"^٦. وقد زار الإمام معسكرات المهجرين الكشميريين بنفسه، وذلك ليصني إلى ما يحملونه من الأضرار للمساوية، والحكايات المفعمة بثقافة الظلم، والاستبداد التي تمارسها قوات الاحتلال الهندوسية في حق إخواننا من أهل كشمير المحترقة^٧. يضاف إلى ذلك أنه ألف كتابه الشهير (القضية

١ مجلة "إيشيا الأسبوعية" (لاهور) عدد ١٥/٩/١٩٦٥ م نقلا عن أبو الأعلى المودودي عصره، حياته، دعوته.

مؤلفاته للبروفيسور أليف الدين الترابي ص ١٥٣.

٢ انظر: سيد أبو الأعلى المودودي للشوادي عبد الرحمن عبد ص ٣٥٢، نقلا عن أبو الأعلى المودودي عصره، حياته، دعوته، مؤلفاته للبروفيسور أليف الدين الترابي ص ١٥٣.

٣ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني ص ٤٢٧. والإمام المودودي، الطفولة، الشباب، الكهولة للأستاذ جيلاني (بالأردنية)، ص ٦٥١-١٥٢.

٤ انظر: القضية الكشميرية للإمام المودودي (بالأردنية)، ص ٨٩، و ٩٨، بدون تاريخ الطبع ومكان الطبع.

٥ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني ص ٤٢٧.

٦ انظر: أبو الأعلى المودودي عصره، حياته، دعوته، مؤلفاته للبروفيسور أليف الدين الترابي، ص ١٥٣-١٥٤.

٧ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني ص ٤٢٧. والإمام المودودي، الطفولة، الشباب، الكهولة للأستاذ جيلاني (بالأردنية)، ص ٦٥٢.

الكشميرية) لتوضيح هذه المسألة^١ ووزعت منه خمس وعشرون ألف نسخة باللغة العربية، وعشرون ألف نسخة باللغة الإنجليزية بين الحجاج في موسم الحج لعام ١٩٦٦م، وقد ترجم إلى اللغة التركية، الفرنسية، والسواحلية.

وفي رمضان عام ١٣٨٦هـ الموافق يناير عام ١٩٦٧م ألقى القبض على الإمام للمرة الرابعة، وذلك حين خالف الحاكم العسكري أيوب خان في تحديد يوم عيد الفطر المبارك، فقد كان الحاكم أعلن التمسك به قبل يومه الذي كان يوافق يوم الجمعة المبارك، وذلك لتجنب الحرافة التي كان يعتنقها والتي كانت تقول: إن حلول العيد يوم الجمعة والقاء الخطبتين (خطبة العيد وخطبة الجمعة) في يوم واحد أمر يندر بانتهاج الحاكم القائم، ولكن الإمام أصر على أن العيد أمر يثبت بالهلال، ولا علاقة له بآخر أي شهر، فاعتقل لمدة شهرين، ثم أطلقت المحكمة العليا سراحه^٢. وفي ١٥ من سبتمبر عام ١٩٦٩م سافر الإمام المودودي إلى الرباط بالمغرب ليحضر مؤتمر التعليم الإسلامي العالمي الذي عقد بجامعة القرويين بفاس، وقرأ مقالا عن أهداف المقررات في الجامعات الإسلامية.

وفي أول يوليو عام ١٩٧٠م أعلن أحد قادة اليساريين السيد بهاشاني أنه سيبدأ الحركة المناهضة للنظام الشيوعي فدعا الإمام المودودي الشعب لاعتقاد مسيرات في يوم "عظمة الإسلام" في ٣١ من مايو عام ١٩٧٠م أي قبل موعد بهاشاني بيوم واحد، وكان هدف تلك المسيرات الكبرى إبراز القوة الشعبية لمقاومة الشيوعية والمطالبة بتطبيق النظام الإسلامي. وقدّر الله أن وافقت أكثر الأحزاب السياسية على إقامة ذلك اليوم، وفي ٣١ مايو عام ١٩٧٠م خرج

١ الإمام المودودي، الطفولة، الشباب، الكهولة للأستاذ جيلاني (بالأردنية)، ص ١١٣.

٢ انظر: "سيد مودودي مه وسل كي أنبي مي" (الإمام المودودي في مرآة الشهر والسنة) محمد شاهد رفيع، مقل منشور في المجلد الخاص لـ "دعوة الشهرية" عن السيد المودودي، ص ١٨.

٣ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ٢٧، وانظر: الإمام أبو الأعلى المودودي حياته، ودعوته، وجهته للأستاذ خليل الخليلي، ص ٧٠.

٤ انظر: "سيد مودودي مه وسل كي أنبي مي" (الإمام المودودي في مرآة الشهر والسنة) محمد شاهد رفيع، مقل منشور في المجلد الخاص لـ "دعوة الشهرية" عن السيد المودودي، ص ١٨.

الآلاف من الناس إلى شوارع المدن بباكستان في مسيرات ضخمة يرددون كلمة التوحيد، ويقبل
إنها كانت أكبر مسيرة في تاريخ لاهور.

إكمال تفسيره (تفهيم القرآن):

وفي ٢٤ من ربيع الثاني عام ١٣٩٢هـ الموافق ٧ يونيو عام ١٩٧٢م تمكن الإمام المودودي من
إكمال تفسيره «تفهيم القرآن» في مدة ثلاثين عاماً وأربعة أشهر^١. وفي ٤ من نوفمبر عام ١٩٧٢م
اعتزل من إمارة الجماعة الإسلامية بعد واحد وثلاثين عاماً من الكفاح الطويل، وذلك لأسباب
صحية، وانصرف إلى البحث، والكتابة، وبدأ بتأليف كتابه "سيرة النبي صلى الله عليه
وسلم"^٢. واختير الأستاذ طقيل محمد أميراً للجماعة الإسلامية.

وفي ٢٤ من أكتوبر عام ١٩٧٤م الموافق ٢٨ من رمضان المبارك عام ١٣٩٣هـ يوم الجمعة تشرف
الإمام بوضع حجر أساس المسجد، وذلك في مقر الجماعة الجديد المسمى بـ " المنصورة "
بلاهور^٣. وفي مايو عام ١٩٧٤م الموافق ذا الحجة عام ١٣٩٣هـ لقب الإمام بـ " إمام المسلمين " في
جلسة رابطة العلم الإسلامي. ومن الجدير بالذكر أن جهاد الإمام المودودي في مجال الدعوة
وخدمة الإسلام لم يكن مقصوراً على شبه القارة الباكستانية فحسب، بل قد توسعت فائوته إلى
البلاد الإسلامية كلها، وتقديراً لجهاده الطويل، وكفاحه المتدبر مُنح جائزة الملك فيصل العالمية
الأولى لخدمة الإسلام والمسلمين عام ١٩٧٨م الموافق عام ١٣٩٩هـ^٤. وكانت عبارة عن مائتي ألف

١ انظر: الإمام المودودي، الطفولة، الشباب، الكهولة للأستاذ جيلاني (بالأردنية)، ص ٦٥٨.

٢ انظر: تفهيم القرآن للإمام المودودي، الخاتمة، ج ٦، ص ٥٧٥، الطبعة الخامسة يوليو ٢٠١٢م، الأهلية المحدودة
تريخان القرآن، لاهور.

٣ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ٤٣٩.

٤ المودودي ليصبح صديقي (بالأردنية)، ص ٣٥٩، الطبعة السادسة عام ٢٠٠٦م، الفيصل، أردنيانازار، لاهور.

٥ انظر: المصدر السابق، ص ٣٦١.

٦ " سيد مودودي مه وسيل كي آيتي مي " (الإمام المودودي في مرآة الشهر والسنة) محمد شاهد رقيب، مقال
منشور في العدد الخاص مجلة " دعوة الشهرية " عن السيد المودودي، ص ١٨ -

٧ انظر: قرار هيئة جائزة الملك فيصل العالمية الصادرة في ٢ ربيع الثاني عام ١٣٩٩هـ نقلًا عن أبو الأعلى
المودودي عصره، حياته، دعوته، مؤلفاته للبروفيسور أليفت الدين القرايبي، ص ١٦١ - ١٦٢.

ربال سعودي، وميدالية ذهبية قور الإمام منحهما لجمع المعارف الإسلامية بمحاضرة (لاهور) لتصرف في مشاريعه الإسلامية.

المرض والوفاة :

وفي ٢٦ من مايو عام ١٩٧٩م بعدما اشتد عليه المرض كرر أن يسافر لعلاج إلى أمريكا حيث كان ابنه الدكتور أحمد فاروق المودودي طبيباً في مدينة (بوفالو: Buffalo)، هناك أجريت له عملية لقرحة المعدة بعد شهر، مما كان سبباً في نوبة قلبية شديدة فشل على إثرها قلبه، وكنيته الوحيدة، وكشدة ما كان يجد أعني عليه. وفي ٢٢ من سبتمبر عام ١٩٧٩م تعرض لنوبة قلبية جديدة كانت سبباً في وفاته، وانتقاله من دار البوار، إلى دار القرار ملياً نداء ربه الرحيم، وذلك بعدما عمّر ٧٦ عاماً كلها جد واجتهاد، ونضال وكفاح، وخدمة لا تعرف إلى الدعة والراحة سبيلاً.

وفي ٢٦ من سبتمبر عام ١٩٧٩م أقيمت عليه الجنازة الأخيرة في ملعب ميدان القذافي بـ (لاهور) أمها الشيخ يوسف القرضاوي، وشارك فيها الأستاذ سيف الإسلام حسن البنا من مصر، وعبد العزيز العلي المطروح من الكويت، وسعيد حوى من سوريا، وعبد الله عقيل سليمان العقيل من السعودية، وجمع غفير من أنحاء العالم الإسلامي، فكانت جنازة مهية، وحشدًا هائلًا، وموكبًا عظيمًا يدل على مكانة الرجل، وتكدير الناس له، والوفاء لجهده وجهاده في سبيل الإسلام، وتبليغ رسالته، والدفاع عن قضايا المسلمين، والتصدي لأعداء الإسلام، من الصهاينة والصليبيين، والشيوعيين، والعلمانيين، والمنحرفين، والهدامين الذين يكيدون للإسلام.

١ انظر: مجمع المعارف الإسلامية للأستاذ خليل الحاندي، ص ٧، نقلًا عن أبوالأعلى المودودي عصره حياته دعوته مؤلفاته للمير وفيسور أليف الدين الترابي، ص ١٦٢.

٢ انظر: الأشجار الواردة للسيدة حميرا المودودي، ص ٩٥.

٣ انظر: المودودي لنعم صديقي (بالأزهوية)، ص ٣٩٩ - ٤٠٠.

٤ "سيد مودودي مه رسول كي آيني مي" (الإمام المودودي في مرآة الشهر والسنّة) محمد شامد رفيع، مقال منشور في العدد الخاص مجلة "دعوة الشهرية" عن السيد المودودي، ص ١٩.

والمسلمين^١. ودُفن -رحمه الله- في جانب من منزله بـلاهور. وقد أقيمت صلاة الجنازة عليه اتفقت عشرة مرة في بفلو، ونيويورك، ولندن، وكرايتشي، ولاهور^٢. وقد صُلِّي عليه صلاة الغائب في المملكة العربية السعودية في الحرمين الشريفين وفي سائر المساجد في المملكة، وكذلك في بعض البلاد الإسلامية الأخرى^٣.

وما تقدم نستطيع أن نستخلص أن الإمام المودودي -رحمه الله- هو عملاق الفكر الإسلامي المعاصر ومجدد القرن الرابع عشر الهجري^٤ ومؤسس الجماعة الإسلامية وأول من فاز بجائزة الملك فيصل العالمية وصاحب فكرة إنشاء "الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة" وعضو مجلس الجامعة نفسها كما كان عضواً في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة. وكانت شخصيته تمثل ثورة في دياجير الظلام، ثورة إيجابية بناعة تسعى لتربية رجال يقدرون على حمل الأمانة التي عجزت عنها السموات والأرض والجبال الراسيات، وتأسيس جيل لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، وإنشاء حزب صدقوا ما عاهدوا الله عليه. فعبقرية قلمه سطرت له مجداً انطلق منه ليتخطى حدود المكان ويتجاوز قيود الزمان ومؤلفاته تتجاوز المائة والأربعين كتاباً، ورسائله ومقالاته تتجاوز الألف وترجم أكثرها إلى

١ انظر: من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة للمستشار عبد الله العقيل، ص ٥٧، الطبعة الثامنة عام ١٤٢٩هـ/عام ٢٠٠٨م، دار البشير، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٢ انظر: "سيد مودودي مه وسل كي آنجي مي" (الإمام المودودي في مرآة الشهر والسنه) لمحمد شاهد رفيع، مقال منشور في العدد الخاص لـ "دعوة الشهرية" عن السيد المودودي، ص ١٩.

٣ انظر: أبو الأعلى المودودي عصره، حياته، دعوته، مؤلفاته، للبروفيسور الطيب الدين الترابي، ص ١٦٢.

٤ انظر: عملاق الفكر الإسلامي المعاصر (أبو الأعلى المودودي، مقال من إعداد: نور محمد جمعة أستاذ بكلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد، منشور على موقع: www.saaaid.net/aldawah.htm

٥ انظر: مجلة "المجتمع" العدد ٨١٧، ص ٥٧.

٦ جمع ديجور، وهو الظلام لسان العرب لمحمد بن بكر بن علي، أبي الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفي الإفريقي: ٢٧٨/٢، الطبعة الثالثة عام ١٤١٤هـ دار صادر، بيروت.

معظم لغات العالم، يقول البروفيسور أليف الدين الترابي: "إن العديد من تاليفات الأستاذ قد ترجمت إلى أكثر من خمس وثلاثين لغة من لغات العالم الحية وكُنشروا وتوزع هذه الكتب في العالم من شرقه إلى غربه" ٢ فأصبحت ينابيع تجدد وعطاء فكرية ودعوية لرجل كافح ليرفع دعوته من مرحلة التنظير الفكري إلى مجال التطبيق العملي للتشريع الإسلامي حكما وقیفة.

وقد كان بمثابة الأب الروحي لكثير من كبار قادة الفكر الإسلامي فكتابه "المصطلحات الأربعة" أحدث ثورة في فكر شهود الإسلام سيد قطب^٣ الذي أصبح وكأنه نسخة مصغرة للمودودي الهندي وقد كان يعبر كل بلغته عن الفكرة الواحدة في آن واحد وكان كلا منهما يلهم الآخر بمكنون صدره من خلال أشير الهواء إذ الأرواح جنود مجنونة. وما هو المودودي وقد قرأ كتاب "معالم في الطريق" لمؤلفه سيد قطب في ليلة واحدة بمكة المكرمة يقول: إن ما ورد في هذا الكتاب هو نفس ما أراه بل كأنني أنا الذي ألفته فقد عبر عن أفكاره بدقة ولا عجب فمصدر أفكاره وأفكاره واحد وهو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم^٤.

١ انظر: المصدر السابق و"الإمام أبو الأعلى المودودي عملاق الفكر الإسلامي الحديث" لفصيح الله عبد الباقي، نقل منشور في مجلة "الشباب"، ص ٥، الصادر في عام ٢٠٠٧م، وعملاق الفكر الإسلامي المعاصر (أبو الأعلى المودودي) للنور محمد جمعة.

٢ أبو الأعلى المودودي عصره، حياته، دعوته، مؤلفاته، ص ٢٩.

٣ السيد قطب هـ: سيد لطيف بن إبراهيم، كاتب وأديب وفيلسوف إسلامي مصري، عضو سابق في جماعة الإخوان المسلمين، ورئيس سابق لقسم نشر الدعوة في الجماعة، ورئيس تحرير جريدة الإخوان المسلمين، ولد في قرية (موشا) في أسيوط سنة ١٩٠٦م، تخرج بكلية دار العلوم بالقاهرة، وبعد انضمامه إلى جماعة الإخوان المسلمين اتهم بالتآمر على نظام الحكم، وصدر الأمر بإعدامه، فأعدم سنة ١٩٦٦م. يعتبر السيد قطب من أكثر الشخصيات تأثيراً في الحركات الإسلامية التي وجدت في بداية تحسّيات القرن الماضي، كتبه متداولة مطبوعة منها "في ظلال القرآن"، و"التصوير الفني في القرآن"، و"المستقبل لهذا الدين"، و"معالم في الطريق". (انظر: الأعلام لحبر الدين بن عمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي ١٤٧٣-١٤٨٠، الطبعة الخامسة عشر، مايو ٢٠٠٢م، دار العلم للملايين وموسوعة ويكيبيديا الحرة، وموسوعة الإخوان المسلمين على الإنترنت).

٤ راجع: من أعلام الدعوة للحركة الإسلامية المعاصرة للمستشار عبد الله العقيل، ص ٤٨، و"الإمام أبو الأعلى المودودي عملاق الفكر الإسلامي الحديث" لفصيح الله عبد الباقي، ص ٥، وعملاق الفكر الإسلامي المعاصر (أبو الأعلى المودودي) للنور محمد جمعة.

لقد اتسم الشيخ رحمه الله بمجموعة من السمات حيث كان داعية الحق ومتحدث الإسلام ومنظر الحيلة وأديباً خطيباً وقائداً سياسياً ومليحاً فليحاً وكانت شخصيته بالغة الأهمية من كل النواحي السياسية والتاريخية والعلمية والأدبية يضاف إلى ذلك سيرته الحسنة ومملوكة الطيب - الأمر الذي يضفي عليها قيمة مفردة في زمانه.

ومن الصعوبة بمكان أن تُعنون شخصيته بعنوان معين؛ لأنه كان في آن واحد مؤلفاً عظيمًا وأديباً باهراً وعالم دين ذا تجربة حركية وداعية ثائراً وقائداً سياسياً ومصلحاً اجتماعياً ومجاهداً جريئاً إلى مستوى أن خير حكم إعدامه لم يحرك له ساكناً ولم يقلق له بهلاً كما أنه كان ممن لا يخافون في الله لومة لائم يقول الأستاذ "نعيم صديقي" بعد ذكر صفات الشيخ المتعددة: "إلا أن رأيي الشخصي أن نعتبره مفكراً ثائراً وبذلك نستطيع أن نجمع جوانب متعددة تحت عنوان موحد".

وكان الشيخ رحمه الله يعلن ثورته على كل موازين المجتمع المتغلقة ومعايير التاريخة المختومة وعلى أوضاع الاجتماع العتيقة المهللة وفي مقابل ذلك كان يفكر في ترويض الموازين البديلة والمعايير الأخرى والأوضاع المثلى وكلما ترفض شخصية ما عالماً موجوداً ويبدأ في تخطيط عالم جديد فإننا نعتبر ذلك الشخص المفكر الثائر.

١ انظر: المودودي لنعيم صديقي (بالأردنية)، ص ١٨.

٢ المصدر السابق، ص ١٦.

٣ راجع: كتاب تفضلوا بزيارة الإمام المودودي للأستاذ سعد جيلاني (بالأردنية)، ص ٣٦-٣٣ الطبعة الأولى فبراير عام ١٩٦٦م، آزاد بك ديو، سر كودها (مقربي باكستان)، وقتاري المودودي "رسائل ومسائل" للإمام الجليل أبي الأعلى المودودي، الجزء الأول، ترجمة وتحقيق: محمد علي غوري، ص ٩، الطبعة الأولى عام ١٤١٤هـ/ عام ١٩٩٤م، المركز العربي للخدمات، أردنيلازار، لاهور، باكستان.

٤ انظر: الإمام المودودي في رأيه ورأي الآخرين لعماد يوسف بهته (بالأردنية)، ص ٢٤٥.

٥ انظر: كتاب إحياء الدين والإمام المودودي لتحليل الرحمن جشتي (بالأردنية)، ص ١٥، الطبعة الأولى يوليو عام ٢٠٠٤م، منشورات منصوره لاهور.

٦ انظر: المودودي لنعيم صديقي (بالأردنية)، ص ١١٦.

٧ انظر: المصدر السابق، ص ١١٧-١١٨.

ثناء العلماء والمفكرين عليه

سأحاول في الأسطر القادمة أن أقتل الكلمات التي سجلتها أقلام بعض العلماء الأفاضل والمفكرين البارزين، فمن أين أتى عليه:

شهيد الإسلام سيد قطب

كان الشهيد سيد قطب يعلو له دائماً أن يسمي المودودي بـ "المسلم العظيم" ١.

العلامة الفيلسوف محمد إقبال

يقول الشاعر الإسلامي الكبير العلامة الفيلسوف محمد إقبال اللاهوري - رحمه الله - عن الإمام المودودي: "إن هذا الشيخ يعرض دين الرسول صلى الله عليه وسلم بقلم مدانه الدم" ٢. "إن هذا الشيخ يعرض دين الرسول صلى الله عليه وسلم بقلم مؤيد من الرسول - صلى الله عليه وسلم - إن شاء الله" ٣. وكان ينصح دائماً الشباب المسلمين بإقتناء كتابه "الجهاد في الإسلام" ويثني عليه ٤.

الأستاذ عمر التلمساني:

ويقول الأستاذ العلامة عمر التلمساني المرشد العام الثالث لحركة الإخوان المسلمين مقارناً بين الإمام حسن البنا الشهيد والإمام أبي الأعلى المودودي - رحمهما الله - وبين منهجهما في الدعوة الإسلامية قائلاً: "إنهما بحق إماما الجيل الطاهران المتفردان، إنهما استمدا كل معلوماتهما ومنهجيهما وأساليبهما ووسائلهما في الدعوة إلى الله - سبحانه وتعالى - من القرآن الكريم وسنة الرسول - عليه الصلاة والسلام - دون أن يخذ من هذا الفيلسوف، أو استمداد من ذلك الكتاب فجاءت مدرستهما بقليلة كل البعد عما قد يعيب الدعوة الإسلامية بأي فهم أو تفكير لا صلة له

١ من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة للمحافظ عبد الله العقيل، ص ٤٤.

٢ الإمام أبو الأعلى المودودي عملاق الفكر الإسلامي الحديث "لفصيح الله عبد الجاني، ص ٨، وعملق الفكر الإسلامي المعاصر (أبو الأعلى المودودي) للتدوين محمد جمعة.

٣ الإمام أبو الأعلى المودودي حياته، ودعوته، وجهاده للأستاذ خليل الحامدي، ص ٢٨.

٤ انظر: من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة للمحافظ عبد الله العقيل، ص ٤٤.

بالإسلام^{١٣}. والنظر إلى ما لاقه البها من عنت وتهجم وإيذاء يرى نفس الشيء بالنسبة للإمام المودودي وكأنهما على سبيل^{١٤}.

الشيخ أبو الحسن الندوي

يقول الداعية الإسلامي الكبير الشيخ أبو الحسن الندوي في رثائه الخار للعلامة المودودي - رحمه الله - : "إنني لا أعرف رجلاً أثر في الجيل الإسلامي الجديد، فكرياً وعملياً مثل تأثير المراحل العظيم، فقد كان السيد جمل الدين الأفغاني من أقوى الشخصيات الإسلامية التي نبعت في القرن الماضي، وأكثرها نفوذاً في عقول الشباب المثقف، وسيطرة بل سحراً عليها، وتأثيراً في الاتجاهات والأساليب الأدبية والكتابية والخطابية، حتى كان صانع جيل، ومفتتح عهد، ولكن الحق يقال : إن سيطرته العقلية والنفسية كانت محصورة في السخط على الأوضاع السياسية القائمة والاستعمار الأجنبي، وفي إثارة الأنفة والنخوة في الشعوب الإسلامية المحكومة في بلادها، والعمل للجامعة، دون فكر منسقة، أو دعوة واعية إيجابية، تقوم على الدراسات الإسلامية العميقة، والنقد والتحليل العلميين للحضارة الغربية المادية، وقيمتها وموازنها، مع شدة حنق هذا النابغة وتلميذه العملاق الشيخ محمد عبيد علي الأحمم الغربية التي قادت الحملة والزحف على العالم الإسلامي، وفي مقفعتها الشعب الإنجليزي والحكومة البريطانية، وكانت دعوة سلبية أكثر منها إيجابية. ولكن الأستاذ أبا المودودي رحمه الله قد قامت دعوته على أسس علمية، أعمق وأمتن من الأسس التي تقوم عليها دعوات سياسية، وردود فعل للاستعمار الأجنبي، وكانت كتاباته وبحوثه موجهة إلى معرفة طبيعة هذه الحضارة الغربية، وفلمفنتها في الحياة وتحليلها تحليلًا علمياً، قلما يوجد له نظير في الزمن القريب، وقد عرض الإسلام ونظم حياته وأوضاع حضارته وحكمه وصياغته للمجتمع والحياة، وقيادته للركب البشري والمسيرة الإنسانية في أسلوب علمي رصين، وفي لغة عصرية تتفق مع نفسية الجيل المثقف، وبملا الفراغ

١ انظر: مجلة الدعوة المصرية، العدد السادس في أول ذي الحجة عام ١٣٩٩ هـ ص ٤، نقلاً عن أبا الأعلى

المودودي عصره، حياته، دعوته، مؤلفاته للبروفيسور ألف الدين الترابي، ص ٦-٧.

٢ الإمام أبو الأعلى المودودي عملاق الفكر الإسلامي الحديث" لفصيح الله عبدالباقي، ص ٨. وعملان الفكر الإسلامي المعاصر (أبو الأعلى المودودي)، للنور محمد جمعة.

الذي كان يوجد في الأدب الإسلامي من زمن طويل" ١. "ومن مآثره الخالدة .. أنه حارب "مركب النقص" في نفوس الشباب الإسلامي فيما يتصل بالمعتقد والأخلاق ونظام الحياة الإسلامية. وكان لكتابات فضل كبير لإعلاء الثقة إلى نفوس هؤلاء الشباب بصلاحية الإسلام لمسيرة العصر الحديث" ٢.

الدكتور يوسف القرضاوي:

يقول الدكتور يوسف القرضاوي عن الإمام المودودي وعن سمات فكره:

"... هو في الواقع طبيب اجتماعي، ينفذ بعين بصيرته إلى حقيقة أدواء الأمة ولا يكتفي بالنظر إلى الأعراض دون أن يتعمق في معرفة الأسباب والغوص إلى الأعماق، فإذا عرف حقيقة المرض لم يجعل دواءه مجرد مراهم لعلاج السطح الخارجي، دون اجتثاث الجراثيم الداخلية، أو تصف مسكنات تخفف الألم برهة من الزمن، ولا تستأصل الداء من جذوره، وكان المودودي هنا طبيباً نطاسياً لأمة، عرف حقيقة دائها وجراثيمه الأصلية" وحدد الشيخ القرضاوي سمات الفكر المودودي في نقاط ثلاث وهي: الالتزام بالإسلام كل الإسلام، المعاصرة، المواجهة، ورأى ميزته في "أنه لم يكن مجرد مفكر أكاديمي، أو مصلح نظري، يعيش في برج عاجي أو في صومعة منعزلة يفرغ فكره الإصلاحي على المورق، ثم لا يتحمل تبعه بعد ذلك، لقد كان للمودودي بحوار رسالته الفكرية العظيمة رسالة علمية أخرى لا تقل عظمتها عن الأولى، وهي أن يحول فكره إلى حركة، وحركة إيجابية بنفذه تعمل على تأليف الرجال بعد تأليف الكتب والرسائل".

وعما أعجب به القرضاوي أيضاً في الإمام المودودي إدراكه لفقه الأولويات، هذا الفقه الذي ينفصل عنه كثير من الدعاة، يقول الشيخ: "والإمام أبو الأعلى المودودي كانت الأولوية عنده لمحاربة الجاهلية الحديثة ورد الناس إلى الدين والعبادة بمعناها الشاملة والخضوع لـ "حاكمية الله" وحده، ورفض حاكمية المخلوقين، أيا كانت منزلتهم أو وظائفهم، ملكوين أو قادة

١ انظر: مجلة الاعتصام، العدد ١٢، (ذو الحجة، سنة ١٣٩٩هـ)، نقلاً عن النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين للدكتور محمد رجب البيومي: ٥١٧ - ٥١١، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٥، دار القلم، دمشق/الدار الشامية، بيروت.

٢ الإمام أبو الأعلى المودودي عملاق الفكر الإسلامي الحديث لتفصيل الله سبحانه الباقي ص ٨، وعلاق الفكر الإسلامي المعاصر (أبو الأعلى المودودي) كنور محمد جمعة.

سياسيين، وإنشاء حركة إسلامية متميزة، ترفض فكرة الغرب في المدنية والاقتصاد والسياسة وحياة الفرد والأسرة والمجتمع، وتتخذ منهاجاً خاصاً في الانقلاب أو التغيير، ويظهر له في ذلك كتب ورسائل جمة، عبرت عن فلسفته في الدعوة إلى الإسلام وتجديده، وقامت جماعته لتبنيها ونشرها^١. كما أن العلامة الدكتور يوسف القرضاوي يذكر العلامة المودودي مثباً عليه الشكر العطر فيقول: "المفكر المجتهد صاحب النظر العميق، والتحليل الدقيق ناقد للحضارة الغربية على بصيرة، والداعي إلى نظام الإسلام عن بيته، صاحب الكتب والرسائل التي ترجمت إلى عشرات اللغات، الذي وقف في وجه دعاة التغريب، وأعداء السنة من القاديانيين، والمرترقة من الخرافيين، والقبوريين. مؤسس كبرى الجماعات الإسلامية في شبه القارة الهندية: العلامة أبو الأعلى المودودي الذي انفتحت أصول دعونه مع أصول دعوة حسن البنا، وإن لم يلتقيا، وإنما التقى أبناء المدرستين وتعاونوا في مجالات شتى، وعصروا في أوروبا وأمريكا والشرق الأدنى^٢".

الشيخ محمد رجب البيومي:

يقول الدكتور محمد رجب البيومي عن الإمام المودودي وعن مواقفه الإيمانية: "وموقف الإمام المودودي من الماركسية أشهر من أن يشار إليه، فقد كتب عنها ما صار سلاحاً باتراً لدى كل كاتب إسلامي، لأن علم المودودي الموسوعي، وعقله المبدع، وفكره المستبط ونظيره العميق إلى شتى حركات الانقلاب في الكتلة الشرقية، مما جعله يضع النقاط على الحروف، والحق أن مفكراً كبيراً من طراز المودودي، يجب أن لا تخلو مكتبة في بيت كل مسلم من مؤلفاته، إذ يعطي المسلم ما لا يجده عند سواه، وكأنه في إعطائه الفصح الزاخر مؤيد بروح الله^٣".

١. راجع: الإمام أبو الأعلى المودودي عملاق الفكر الإسلامي الحديث " لفصيح الله عبدالباقى، ص ٨ - ٩. وعملاق الفكر الإسلامي المعاصر (أبو الأعلى المودودي) للفر محمد جمعة.

٢. انظر: من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة للمستشار عبد الله العقيل، ص ٥٢.

٣. النهضة الإسلامية في سيرة أعلامها المعاصرين للدكتور محمد رجب البيومي: ٥٢٢/١.

المستشار عبد الله العقيل:

يقول المستشار عبد الله العقيل حفظه الله عن شخصية الإمام المودودي: "إن العلامة المودودي علم من أعلام الإسلام المعاصرين، ومفكر من مفكريه، وداعية من دعائه، آتاه الله الحكمة وبعد النظر، والعمق في الفهم، والصبر على العلم، والتأمل في الواقع، والدراسة الميدانية للأفكار الراجحة، والأوضاع السائدة، والتجسس لمصادر المعرفة، وتمييزها وثبوتيتها، والنقد الموضوعي لحضارة الغرب، بلعذ الصالح منها وطرح غير النافع، وتقديم الإسلام حلاً لمشكلات الحياة في جميع جوانبها وهذا هو المنهج الذي سار عليه الإمام الشهيد حسن البنا رحمه الله، وأتبعه بالبرامج التعليمية التي تصوغ الأخ المسلم وفق منهج الإسلام الحق"^١.

العلامة الشيخ بشير الإبراهيمي الجزائري:

يقول العلامة بشير الإبراهيمي الجزائري: "كان الإمام المودودي شخصية قلما اتفق لي أن رأيت مثله، فقد كان رزق من المواهب العديدة ما يندر وجودها لشخصية واحدة"^٢.

عبد الماجد الدرا آبادي:

وكان الشيخ عبد الماجد دريا آبادي يقول: "إن الله - عز وجل - شرح صدره لمواجهة قن العصر الراهنة. وما فاض به قلمه بخصوص الجماعات الداعية للحق، يعتبر قطرات الحياة الناهضة. وتعتبر شخصيته من هذه الناحية بين طبقات العلماء رفيعة المستوى وعالية الرتبة. وكان بحق مفكر الأمة"^٣.

الأستاذ طفيل محمد:

يقول الأستاذ طفيل محمد الساعد الأيمن للإمام المودودي وأمر الجماعة الإسلامية السابق (٨٧ - ١٩٧٢ م): "لقد وجدته طوال الأعرام التي رافقته فيها مثلاً نابضاً بالنشاط والحيوية للدعوة الإسلامية المعاصرة"^٤.

١ من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة للمستشار عبد الله العقيل، ص ٤٧ - ٤٨.

٢ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ١٧٨، والإمام المودودي الطفولة، الشباب، الكهولة للأستاذ جيلاني (بالأردنية)، ص ٢٣٦.

٣ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ١٧٩، والإمام المودودي، الطفولة، الشباب، الكهولة للأستاذ جيلاني (بالأردنية)، ص ٢٣٦.

٤ انظر: "الإمام المودودي رحمه الله (بالأردنية) للسيد طفيل محمد، مقال منشور في العدد الخاص لـ "نرجان القرآن الشهرية" لثرية المودودي، ص ٣٩، الصادر لشهر مايو عام ٢٠٠٤م.

الأستاذ سيد سليمان الندوي:

يقول الأستاذ سيد سليمان الندوي: "إن العالم كله يعرف المكانة العلمية للمودودي، ولا شك في أنه مفكر الإسلام في هذا العصر، وعالم دين له مكانة عالية، قام بمحاربة الإلحاد القادم من أوروبا، وكان كالسد المنيع أمام طوفانه الذي طغى على الهند. عالم فاضل درس القرآن والحديث دراسة عميقة مكنته من أن يناقش جميع مشاكل العصر الحاضر على ضوءها بمنتهى الاطمئنان، وهذا هو السبب الذي يجعل الملحد، والدهريين يرتعدون منه، ويهربون أمام أدلته، وحججه القوية، إن مسلمي الهند ومسلمي العالم الإسلامي ينتظرون من المودودي الكثير والكثير".^١

الأستاذ ملك غلام علي:

يقول الأستاذ ملك غلام علي: "أحسست بعد أن قضيت مع المودودي عدة أشهر أن حياته كتاب مفتوح، وبعد أن بقيت في خدمته فترة أحسست بكل وضوح أن باطنه أوضح من ظاهره، وأنه في خلوته أطيب منه في جلوته، فقلبه مملوء بالعواطف العميقة، والمحبة للإسلام، والأخوة الإنسانية". ^٢ المصدر ٢

١ انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ١٨٢.

الشيخ أمين أحسن إصلاحي^١:

يقول الشيخ أمين أحسن إصلاحي: "إنني أعتبر المودودي رجلا عظيما جدا، فقل أن يولد مثله لم أكن أعتقد أبدا أن الله سوف يهبه هذه السعادة ليشتقي في يوم من الأيام، وهو يكافح في سبيل الله لقد اختاره الله من بين آلال الموجودين ليضعه في هذا المقام العظيم"^٢.

الأستاذ نعيم صديقي:

يقول الأستاذ نعيم صديقي: "بعد قراءة كتب المودودي يفرق الإنسان في الحيرة، والدهشة، كيف قام هذا الرجل رغم مشاغله وأعماله بإنتاج هذا العمل العلمي، وهذا الأدب القيم الضخم، إن هذا الأدب الذي أنتجه المودودي بشكل دائرة المعارف إسلامية"^٣.

١ هو: أمين أحسن الإصلاحي: ولد في ١٩٠٤م/١٣٢٧هـ إحدى قرى منطقة "ميهبور" الهندية. ودرس في إحدى مدارسها الشهيرة السني بمدرسة "الإصلاح"، وبعد التخرج عين مدرسا فيها سنة ١٩٢٥م، واستمرت استفادته من الشيخ الفراهي. وبعد وفاة شيخه تتلمذ على يد الشيخ عبد الرحمن المباركفوري علم الحديث. وفي هذه الأثناء توثقت روابطه بالشيخ المودودي، وسنة ١٩٤١م حين تأسست الجماعة كان أحد شركائها، ثم انشغل في مهمة التأليف والكتابة والدعوة فيها، وسنة ١٩٥٧م عزل الجماعة بعد سبعة عشر عاما. وبعده بدأ بكتابة تفسير القرآن الكريم تحت عنوان "تدبر القرآن"، وأكماله في سنة ١٩٨٠م بعد ثلاث وعشرين عاما. ثم فتح إدارة تحت مسمى "تدبر القرآن والحديث"، وذلك لدراسة (التفليهم) التفسير وأصوله، والحديث ومبادئه. وقد كتب حوالي عشرين مؤلفا يضاف إليه ترجمته الأوردية لتفسير شيخه الفراهي المسمى بـ "نظام القرآن" التي كانت تطبع في رسالته المسمى بـ "الإصلاح"، وقد طبعت تحت عنوان "تفسير الفراهي"، وقد مات في ١٩٩٧م/١٤١٧هـ بمدينة "لاهور". (انظر: تفسير تدبر القرآن "دراسة نقدية" للحافظ افتخار - بزم اردر lib.bazmeurdu.net وموسوعة ويكيبيديا الحرة على الانترنت (بالأردوية)).

٢ أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني، ص ١٨٣ - ١٨٤.

٣ المصدر السابق، ص ١٨٤.

٤ وهناك غير هؤلاء من علماء الأمة ومفكرها ممن أدلى بدلو الثناء عليه من أمثلة الشيخ قاري محمد طيب الأستاذ بطورة العلماء، والأستاذ مناظر أحمد الجيلاني، والأستاذ محمد منظور نعماني، والأستاذ البهري سميت، المؤلف المشهور في المكانة العالية من غير المسلمين، والأستاذ أغا شورش الكشميري والدكتور محمد عطلة الرحمن، والأستاذ محمد عثمان والدكتور محمد يسر الزبيري، والشيخ سلطان أحمد اللكهنوي، ومولانا عبد القدوس البهاري والأستاذ عمر العثماني، والأستاذ سيد حسن رياض، وغيرهم من رجال العلم، والأدب

نبذة عن قواعد الترجيح عند المفسرين:

الحمد لله والصلاة والسلام على خير خلق الله محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه وسلم وبعد.

لقد أكرم الله تعالى هذه الأمة بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد وأنعم به عليها؛ ولذا تقبله المسلمون قبولاً حساناً فأقبلوا عليه دراسة وتعلماً وفهماً وتدبراً وتفسيراً، ومن هنا كان نشأة عدد من العلوم التي وقفها أصحابها لخدمة النص القرآني، فكان علم التفسير في مقدمة العلوم التي قدمت خدمات جليلة في سبيل تأويل الآيات الكريمة وتفسير معانيها في مختلف الأزمنة والأمكنة، ولم يكن يُقديم على هذا العلم الجليل إلا أصحابه المؤهلون وأربابه الموفقون، ففسروه وحاولوا أن يفربوا المفاهيم الصحيحة والمرادات السليمة للقرآن من أمة الإسلام، ومما نشأ لخدمة النص القرآني ما سمي في صفحات التاريخ بـ "علوم القرآن" الذي استهدف أصحابه من وضعه أن يلقوا أضواء كاشفة على ما يكون عوناً لقارئ القرآن الكريم وتفسيره، ليسير على هدى وبصيرة، وأن لا يضل عن صراط الهدي المستقيم. وكان أحد الفنون التي ينبغي أن يتعلمها المفسر ما يسمى بعلم "قواعد التفسير" الذي يبصر المفسر على مواطن الضوابط ويُلخِّص بيده إلى مواضع الخلافات القرآنية الحقيقية، ذلك العلم الذي تفرع عنه ما يسمى الآن بـ "قواعد الترجيح عند المفسرين"، والذي يميز الأقوال الراجحة من الأقوال المرجوحة في المسائل الخلافية، ويعين المفسر على معرفة المقول الأصوب من غيره والرأي الأنسب بالأخذ.

وقواعد الترجيح مركب إضافي مكون من كلمتين:

١) قواعد

٢) الترجيح.

وقبل تعريف هذا المركب لابد أولاً من معرفة كل جزء من أجزائه هلي حلة، من حيث المعنى اللغوي والاصطلاحي ثم يتبعه تعريف هذا المركب.

١) تعريف القواعد

والصحافة: (انظر: أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ جيلاني؛ ص ١٨٠ - ١٨٩، والإمام المودودي، الطفولة، الشباب، الكهولة للأستاذ جيلاني؛ ص: ٢٢٧).

القواعد لغة:

جمع قاعدة وهي أساس (أصل) الشيء وأسفله الذي ينتمي عليه غيره، والقاعدة هي الأصل لما فوقها. وقواعد البيت أو البناء أساسه، ويورد هذا المعنى في التزليل: "وَأَذْرَفُفُ إِبراهيمُ القَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ"، و قوله سبحانه: "قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَآتَى اللَّهُ بُتْلَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ". والقواعد: أساطين البناء التي تعمل، وقواعد الهودج: خشباته الأربعة المعرضة في أسفله تجري مجرى قواعد البناء، والقاعد من النخل الذي يناله اليد وقعدت الفسيلة إذا صار لها جذع، وقال أبو عبيد: قواعد السحاب: القواعد هي أصولها المعرضة في أفق السماء ولحبيها مشبهة بقواعد البيت وهي حيطانه، قال ذلك في تفسيره لغريب قوله صلى الله عليه وسلم: حين سأل عن سحاب مرت فقلنا: "كيف ترون قواعدها وبوامقها"، وقال ابن الأثير: أراد بالقواعد ما اعترض منها وسفل، تشبيها بقواعد البناء.

١ سورة البقرة، الآية ١٢٧.

٢ سورة النحل، الآية ٢٦.

٣ انظر: تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهر المروزي ١٢٧/١ وما بعده، المحقق: محمد عوض مرعب، الطبعة الأولى ٢٠٠١م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، والصحيح تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي ٥٢٥/٢، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، دار العلم للملايين، بيروت، ومعجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي ١٠٨/٥، المحقق: عبد السلام محمد هارون، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، دار الفكر، والمفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ٦٧٩/١، المحقق: صفوان عدنان الداوي، الطبعة الأولى ١٤١٢م دار القلم، الدار الشامية/ دمشق بيروت، ولسان العرب لابن منظور ٣٦١/٣، والكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأبي البقاء أبيه بن موسى الحسني القزويني ٧٧٨/١، المحقق: عدنان ذويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات/ حامد عبد القادر/ محمد النجار): ٧٤٨/٢، دار الدعوة.

٤ غريب الحديث ١٠٤/٣، المحقق: محمد عبد المعيد خان، الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند.

٥ النهاية في غريب الحديث والأثر ٨٧/٤، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطنطاوي، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، المكتبة العلمية، بيروت.

وتستعمل في الأمور الحسبة والمعنوية على السواء، كقواعد العلم، وقاعدة الباب هي الأصل الذي نبنى عليه غيره^١.

القواعد اصطلاحاً: عرفت القاعدة في الاصطلاح بتعاريف كثيرة، منها:

(١) هي الأمر الكلي الذي ينطبق عليه جزئيات كثيرة يفهم أحكامها منها^٢.

(٢) هي قضية كلية منطبقة على جميع أجزائها^٣.

(٣) هي قضية كلية من حيث اشتغالها بالقوة على أحكام جزئيات موضوعها، وتسمى فروعا، واستخراجها منها تفريعا كقولنا: كل إجماع حق^٤.

(٤) هي حكم أخصي يتطبق على معظم جزئياته^٥.

ذكر حسين الخريبي التعريف الأول والرابع وقال:

"وفي نظري - والله أعلم - أن الخلاف بين الحدين صوري إذ كل منهما يقرر أن لكل قاعدة مستثنيات لا تدخل تحت حكم القاعدة فمن جعل القاعدة كلية، نظر إلى هذه الجزئيات المخرجة

١ انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية لحسين بن علي بن حسين الخريبي: ٣٦-٣٧، راجعه وقدم له فضيلة الشيخ مناع القطان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، وقواعد التفسير جمعاً ودراسة لحالد بن عثمان السبت: ٣٤/١، دار ابن عفاة.

٢ قواعد التفسير للسبت: ٣٣/١.

٣ الأشبه والنظائر لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السيدي: ١١/١، الطبعة الأولى ١٤١١هـ/١٩٩١م، دار الكتب العلمية، وانظر أيضاً شرح الكوكب المنير لتقي الدين أبي البقاء محمد بن أحمد بن عبيد العزيز بن علي الفتوح المعروف بابن الفجار الحلي: ٣٠/١، المحقق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، مكتبة العبيكان، والمعجم الوسيط: ٧٤/٢.

٤ كتاب التعريفات لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني: ٧٧/١، المحقق: خبطة وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، وانظر أيضاً موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم لمحمد بن علي ابن الفاسي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي: ١٢٩٥/٢، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيع المعجم، تحقيق: د. علي حجاج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، الطبعة الأولى ١٩٩٦م، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت.

٥ الكليات لأبي البقاء: ٧٢/١.

٦ المدخل الفقهي العام لمصطفى أحمد الزرقا: ٩٦٥/٢، الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، دار القلم، دمشق.

من القاعدة على أنها لا تدخل تحت حكم القاعدة أصلاً. فجعل حكمها كلياً باعتبار ما بقي تحت حكمها من جزئيات. ومن جعل حكمها أغلياً اعتبر هذه الجزئيات المخرجة على أنها تحت صورة القاعدة أصلاً، وإنما أخرجت بدليل، فصار حكم القاعدة منتفهاً عنها مع كونها كانت من جزئيات القاعدة، وبما أن هذه الجزئيات المخرجة قليلة بالنسبة لما يندرج تحت القاعدة من جزئيات صار حكم القاعدة أغلياً.

ولعل التعريف الثاني - حكم أغلي ينطبق على معظم الجزئيات - أقرب إلى الناحية الواقعية في الصورة المختلف عليها، وهي الجزئيات المستثناة، فهي في الأصل تدخل تحت القاعدة وإنما خرجت لاعتبار معين. فهذا تعريف القاعدة بمدلولها العام فتشمل كل ما يطلق عليه قاعدة في العلوم كافة كالقاعدة الأصولية "الأمر يقتضي الوجوب"، والقاعدة النحوية "الفاعل مرفوع"، والقاعدة الفقهية "لا ضرر ولا ضرار" والقاعدة الترجيحية "القول بالتأسيس مقدم على القول بالتأكيد"، وغيرها من القواعد^١. ويقول خالد السبت في هذا الصدد: "ذكر أهل العلم للقاعدة في الاصطلاح تعاريف متعددة - وكثيرة منها متقارب - أذكر منها ما أظنه أكثر دقة وأدل على المقصود، فأقول: هي حكم كلي يُعرف به على أحكام جزئياته"^٢.

٢) تعريف الترجيح

الترجيح لغة: من رجع الشيء راجحاً أي: جعله فضلاً غالباً زائداً، ويطلق على إعتقاد الرجحان مجازاً وقول راجح ورأي مرجوح، ورجح الشيء بيلد: إذا أثقله على غيره، ورجح الميزان: إذا مال، وأرجحه: إذا أثقله حتى مال، ورجح في مجلسه أي: ثقل فلم يخف^٣.

الترجيح اصطلاحاً:

وقد عرف الترجيح في الاصطلاح بتعاريف كثيرة، منها:

١) "تقوية أحد الطريقتين على الآخر ليعلم الأقوى فيعمل به ويطرح الآخر"^٤.

١ قواعد الترجيح عند المفسرين، ص ٢٨.

٢ قواعد التفسير: ٢٢٧/٨.

٣ انظر: تهذيب اللغة للأزهري: ٨٧٤، والصحاح للجوهري: ٣٦٤/٨، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس:

٨٩٩/٢، ولسان العرب لابن منظور: ٤٤٢/٣، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي: ٤١٥/٨، ومعجم الوسيط:

٣٢٩/٨.

(٢) "تقوية إحدى الأمارتين على الأخرى ليعمل بها".

(٣) "إنبات مرتبة في إحدى الدليلين على الآخر".

(٤) "تقوية إحدى الأمارتين على الأخرى لدليل".

والمراد بالترجيح في التفسير: "تقوية أحد الأقوال في تفسير الآية لدليل أو قاعدة تقوية، أو لتضعيف أو رد ما سواه".

قواعد الترجيح:

وفي ضوء ما تقدم يمكنني الجمع بين كلمتي المركب، وتعريفهما (قواعد الترجيح) بأنها: "ضوابط وأصول أغلبية يتوصل بها إلى معرفة الراجح من الأقوال المختلفة في تفسير كتاب الله".

إنَّ المتتبع للتفسير القرآني كثيراً ما يجد الأقوال المختلفة والآراء المتنوعة في كلمات القرآن وآياته، فيختلط عليه القول الخطأ بالصواب والغث بالسمين والحق بالباطل؛ من هنا كانت الحاجة ماسة إلى بيان القواعد والأصول الترجيحية التي يتوصل بها إلى أرجح الأقوال من بين الأقوال المختلفة والآراء المتنوعة. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "مبني سبب تأليف مقدمته في

١ الموصول في علم الأصول لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري: ٣٩٧/٥، دراسة وتحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، مؤسسة الرسالة.

٢ نهاية الأصول شرح منهج الوصول لعبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسفندي الشافعي، أبي محمد جمال الدين: ٣٧٤/١، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٧م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٣ التعريفات للجرجاني: ٥٦/١.

٤ شرح الكوكب المنير لابن النجار: ١١٦/٤.

٥ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٣٥/١.

٦ المصدر السابق: ٣٩/١.

"هو: شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الجليل بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحارثي الحنبلي الدمشقي الإمام العلامة الفقيه المجتهد الناقد المفسر البارز الأصولي ولد في ٦٦١هـ، اشتغل بالعلوم منذ صغره، فدرس وأفتى وفق الأقران قبل العشرين، وقد امتحن وأقي مراراً، مات في ٧٢٨هـ وهو معتقل بقلعة الشام من تصانيفه: "كتاب السبلية الشرعية"، و"كتاب المختص الصراط المستقيم"، و"كتاب الرد على طوائف الشيعة". (انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثالثة لأبي

أصول التفسير: " فقد سألني بعض الإخوان أن أكتب له مقدمة تتضمن قواعد كلية، تعين على فهم القرآن ومعرفة تفسيره ومعانيه، والتمييز في منقول ذلك ومعقوله بين الحق وأنواع الأباطيل، والفتنة على الدليل الفاضل بين الأقاويل؛ فإن الكتب المصنفة في التفسير مشحونة بالغث والسمين، والباطل الواضح والحق المبين".^١

ومع أهمية هذا الموضوع لم يفرّد أحد من العلماء المتقدمين هذه القواعد بالتصنيف، والتأليف بل ذكروها في ثانيا تفاسيرهم^٢ أو في مقدماتها، أو في كتب علوم القرآن، إلا أن بعض المعاصرين أفردها بالتأليف مثل حسين بن علي الطبري حيث ألف كتاب باسم: "قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية"، وخالد بن عثمان السبيت ألف كتابه باسم: "قواعد التفسير جمعاً ودراسة" -حفظهما الله-.

وفيما يلي عرض لبعض القواعد والأصول الترجيحية التي بواسطتها يتوصل إلى أصح الأقوال، ويحلّو لي أن أقسمها على ثلاثة اعتبارات رئيسية:

(أ) القواعد الترجيحية المتعلقة بالنص القرآني.

(ب) القواعد الترجيحية المتعلقة بالسنة والآثار والقرآن.

(ج) القواعد الترجيحية المتعلقة بلغة العرب.

الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني: ١٦٧١ وما بعده، المحقق: مراقبة/محمد عبيد المعهد ضلّفة الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد الهند، طبقات المفسرين محمد بن علي بن أحمد شمس الدين الداودي المالكي: ٤٦١ وما بعده، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ الطبع. (راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العلماء بإشراف الناشر).

١ مقدمة في أصول التفسير: ٧٨، الطبعة ١٤٩٠هـ/ ١٩٨٠م، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

٢ من هؤلاء إمام المفسرين محمد بن جرير الطبري الذي حلّز قصب السبق فيها حيث استخدم القواعد الترجيحية في ثانيا تفسيره.

٣ مثلاً: الإمام ابن جزري ذكر في مقلعة تصحيحه اثني عشر وجهاً من وجوه الترجيح. (انظر: المسهيل لعلوم التنزيل لأبي القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله ابن جزري الكلبي الغرناطي: ١٩٨، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت).

١) القواعد الترجيحية المتعلقة بالنص القرآني؛

١) ما يتعلق بإحكامه ونسخه؛

القاعدة؛

لا تصح دعوى النسخ في آية من كتاب الله تعالى إلا إذا صح التصريح بنسخها أو انتفى حكمها من كل وجه؛

والمعنى؛ إذا اختلف المفسرون في الآية القرآنية بين نسخها وعدمها فأصح الأقوال منها القول بعدمها إلا إذا ثبت التصريح بنسخها أو انتفى حكمها من كل وجه، أو امتنع الجمع بينهما أو الانتفاء في بعض الأوجه دون بعض كالتخصيص والتقييد والمحو. فالأصل عدم النسخ وبقاء الحكم إلا إذا ثبت النسخ بالدليل الواضح الظاهر، ولا يثبت مع الاحتمال.

ومثل ذلك ما قاله الإمام الطبري في قوله تعالى: "لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدِّلُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوا يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ". "وأولى الأقوال التي ذكرناها بتأويل الآية قول من قال: إنها محكمة، وليست بمسوخة". وذلك أن النسخ لا يكون في حكم إلا بنفيه بآخر، هو له ناف من كل وجهه. وليس في قوله جل وعز: "لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ"،

١ قواعد الترجيح عند المفسرين للحزبي: ٧٧/١.

٢ انظر: المصدر السابق: ٧٢/١.

٣ انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين للحزبي: ٧٨/١، وقواعد التفسير للسير: ٧٢٨/٢، و ٧٢٣.

٤ هو: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن أبو جعفر الطبري، الإمام، المجتهد، العالم، رأس المفسرين على الإطلاق، جمع من العلوم ما لم يشترك فيه أحد من أهل عصره، ولد بأمل طبرستان سنة أربع وعشرين ومائتين له التصانيف البديعة منها: "تفسير القرآن"، و"تهذيب الآثار"، و"تاريخ الأمم والملوك"، مات سنة عشر وثلاثمائة (انظر: طبقات المفسرين للداودي: ١١٠/٢ وما بعده وطبقات المفسرين لأحمد بن محمد الأدنه و٤٨/١ وما بعده، المحقق: سليمان بن صالح الحزري، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، مكتبة العلوم والحكم، السعودية. وسير أعلام النبلاء لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي: ٢٦٧/١٤ وما بعده، حققه: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، مؤسسة الرسالة).

٥ سورة البقرة، الآية ٢٨٤.

نفى الحكم الذي أعلم عبته بقوله: "أَوْ تُخَفَّوْهُ بِحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ". لأن الحاسبة ليست بموجبة عقوبة، ولا مؤاخلة بما حوسب عليه العبد من ذنوبه".^١

ويقول أيضا في قوله تعالى: "وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَلْيَذُقُوا مِنْهُ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا".^٢ "وأول الأقوال في ذلك بالصحة، قول من قال: "هذه الآية محكمة غير منسوخة، وإنما عنى بها الوصية لأولي قربي الموصي وعننى باليتامى والمساكين أن يقال لهم قول معروف". وإنما قلنا ذلك أول بالصحة من غيره، لما قد بينا في غير موضع من كتابنا هذا وغيره، أن شيئا من أحكام الله تبارك وتعالى التي أثبتتها في كتابه أو بينها على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، غير جائز فيه أن يقال له ناسخ لحكم آخر، أو منسوخ بحكم آخر، إلا والحكماء اللذان قضى لأحدهما بأنه ناسخ والآخر بأنه منسوخ ناف كل واحد منهما صاحبه، غير جائز اجتماع الحكم بهما في وقت واحد بوجه من الوجوه، وإن كان جائزا عسره إلى غير النسخ أو تقول بأن أحدهما ناسخ والآخر منسوخ، حجة يجب التسليم لها".^٣

وهكذا رجح الإمام الطبري قول واحد من بين الأقوال التفسيرية المختلفة بناء على هذه القاعدة.

ويدخل تحت هذه القاعدة القواعد التالية:

إذا وقع التعارض بين احتمال النسخ واحتمال التخصيص، فالنسخ أولى.

إذا وقع التعارض بين النسخ والإضمار، فالإضمار أولى.

إذا وقع التعارض بين النسخ والاشتراك، فالاشتراك أولى.

إذا وقع التعارض بين النسخ والمجاز، فالمجاز أولى.

إذا وقع التعارض بين النسخ والنقل، فالنقل أولى.^٤

(٢) ومنها ما يتعلق بقراءته ورسمه:

القاعدة الأولى: إذا ثبتت القراءة فلا يجوز ردّها أو رد معناها، وهي بمنزلة آية مستقلة.

١ جامع البيان في تأويل القرآن: ١١٨/٦، المحقق: أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى: ١٤٢٠ هـ/٢٠٠٠ م، مؤسسة الرسالة.

٢ سورة النساء: الآية ٦.

٣ جامع البيان: ١٢/٧.

٤ قواعد الترجيح عند المفسرين للمحرابي: ٨٥/١.

والمعنى: إذا ثبتت القراءة فلا يجوز ردّها ولا ردّ معناها بل يجب قبولها وقبول معناها، وهي بمنزلة آية مستقلة، وتنوع القراءات بمنزلة تعدد الآيات.

ووضع ثلاثة شروط لصحة القراءة وتبوتها، وإن احتل شرط (ركن) منها فأطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة.

والشروط هي: (١) صحة السند (٢) موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً (٣) موافقة العربية ولو بوجه.

فلا يجوز ردّ القراءة الثابتة أو الطعن فيها، أو ردّ معناها، بل يلزم قبولها، ومن فعل ذلك فلا يلتفت إليه.

ومثل ذلك ما أورده الإمام القرطبي: في قوله تعالى: "مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ".
"اختلف العلماء أيما أبلغ: ملك أو مالك؟ والقراءتان مرويتان عن النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر، ذكرهما الترمذي، ف قيل: "ملك" أعم وأبلغ من "مالك" إذ كل ملك مالك، وليس كل مالك ملكاً، ولأن أمر الملك نافذ على المالك في ملكه، حتى لا يقصرّف إلّا

١ المصدر السابق: ٨٩/١

٢ انظر: المصدر السابق: ٨٩/١

٣ قواعد التفسير للمبست: ٨٨/١

٤ انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: ٩٠/١-٩١، وقواعد التفسير للمبست: ٨٤/١

٥ انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: ٩٨/١، وقواعد التفسير للمبست: ٩٤/١

٦ هو: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج أبو عبد الله الأنصاري الحنزي المالكي القرطبي الإمام العلامة صاحب التفسير للشهور المسمى بـ "الجامع لأحكام القرآن" الذي سطرت به الركبان، منقش في العلم متبحر فيه، تصانيفه ندى على إمامته، وكثرة اطلاعه، ووفور فضله، توفي في ٦٧١ هـ من تصانيفه: "شرح الأسماء الحسنى"، و"التذكار في فضل الأفكار"، و"التذكرة في أحوال المؤمنين وأمور الآخرة"، (انظر: الوافي بالوفيات لصالح الدين خليل بن أبيك بن عبد الله الصفدي: ٨٧/٢ تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وركي مصطفى: عام ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، دار إحياء التراث، بيروت، وطبقات المفسرين للناصري: ٦٩٢-٧٠، وطبقات المفسرين للأدبوني: ٢٤٦١-٢٤٦٧).

٧ سورة الفاتحة، الآية ٤.

عَنْ تَقْدِيرِ الْمَلِكِ قَالَ أَبُو عَمِيَّةَ وَالْمُبَرَّدُ وَقِيلَ: "مَالِكٌ" أَبْلَغُ، لِأَنَّهُ يَكُونُ مَالِكًا لِلنَّاسِ
وغيرِهِمْ، فَالْمَالِكُ أَبْلَغُ تَصَرُّفًا وَأَعْظَمُ، إِذْ إِلَى إِجْرَاءِ قَوَائِنِ الشَّرْعِ، ثُمَّ عَنْهُ زِيَادَةُ التَّمْلِكِ^١.

ثُمَّ يَقُولُ: "قُلْتُ: وَقَدْ احْتَجَّ بَعْضُهُمْ عَلَى أَنَّ مَالِكًا أَبْلَغُ لِأَنَّهُ فِيهِ زِيَادَةُ حَرْفِهِ فَلِقَارِيهِ عَشْرُ
حَسَنَاتٍ زِيَادَةً عَنْ قَرَأٍ مَالِكٍ. قُلْتُ: هَذَا نَظَرٌ إِلَى الصَّيَغَةِ لَا إِلَى الْمَعْنَى، وَقَدْ ثَبَتَتِ الْقِرَاءَةُ
بِمِلْكِهِ وَفِيهِ مِنَ الْمَعْنَى مَا لَيْسَ فِي مَالِكٍ عَلَى مَا بَيَّنَّا وَاللَّهُ أَعْلَمُ".

ويقول العلامة الألوسي^٢ بعد ذكر القراءات المختلفة في قوله تعالى: "مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ":
"والتواتر منها قراءة مالك ومالك...".

ثم يقول: "وعندي لا ثمة للخلاف والقراءتان فرسا رهان ولا فرق بين المالك والمالك صفتين
لله تعالى كما قاله الصمين ولا التفات إلى من قال إنهما كحاضر وحذر ومتى أردت ترجيح أحد
الوصفين تعارضت لدي الأدلة وسدت على الباب الآثار وانقلب إلي بصر البصيرة خاسئا
وهو خسير إلا أنني أقرأ كالكسائي مالك لأحظى بزيادة عشر حسنات ولأن فيه إشارة واضحة
إلى الفضل الكبير والرحمة الواسعة والطمع بالمالك من حيث إنه مالك فوق الطمع بالمالك من
حيث إنه ملك فأقصى ما يرجى من الملك أن ينجو الإنسان منه وأسا برأس ومن المالك يرجى
ما هو فوق ذلك فالقراءة به أرفق بلأدنيين مثلي وأنسب بما قبله".

١ الجامع لأحكام القرآن: ١٤٠/١، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الطبعة الثانية ١٣٧٤هـ/ ١٩٦٤م، دار
الكتب المصرية، القاهرة.

٢ المصدر السابق: ١٤٧١.

٣ هو: محمود بن عبد الله الحسني الأنوسي، شهلب الدين، أبو التناذ مفسر، محدث أديب، من المجتدين،
(١٢١٧ - ١٢٧٠هـ/ ١٨٠٢ - ١٨٥٤م) من أهل بغداد. مولده ووفاته فيها. كان سلفي الاعتقاد مجتهدا فقيها بغداديا
وتولى التدريس أيضا من مصنفاته: "روح المعاني" في التفسير، و"نشوة الشمس" في السفر إلى أملاسهول
رحلته إلى الآستانة، و"نشوة اللذات في العود إلى دار السلام". (انظر: الأعلام للزركلي: ١٧١/٨، والموسوعة
العربية المصورة بإشراف: محمد شفيق غريب: ١٦٦٤/٢، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ الطبع).

٤ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٨٧/١، المحقق: علي عبد الحارث عطية، الطبعة الأولى
١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥ المصدر السابق: ٨٧٨.

ومن هنا لم يرد الإمامان الجليلان: القرطبي والألوسي القراءة المثابتة ولم يطعنوا فيها، كما لم يردا معيناها وفقا للقاعدة.

القاعدة الثانية: اتحاد معنى القراءتين أولى من اختلافه^١.

والمعنى: إذا اختلف المفسرون في تفسير الآية القرآنية بناء على اختلاف القراءتين أو القراءات الواردة فيها، فحمل القراءتين أو القراءات على القول الذي يجمع القراءات في الآية على معنى واحد أولى بتفسير الآية، وهذا من تفسير القرآن بالقرآن فالقراءة بمنزلة آية مستقلة.

فإن أمكن الجمع بمقتضى القراءتين فالجمع أولى من اختلافها.

ومثال ذلك ما أورده الإمام ابن كثير في قوله: "وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ" في قوله تعالى: "يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ"^٢، "وَمِنَ الْقُرْآنِ مَنْ قُرْآنٌ" "وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ"، وكلتا القراءتين ترجع إلى معنى واحد^٣.

هكذا حل الإمام ابن كثير القراءتين على القول الذي يجمع القراءتين في الآية على معنى واحد.

القاعدة الثالثة: معنى القراءة المتواترة أولى بالصواب من معنى القراءة الشاذة^٤.

١ قواعد الترجيح عند المفسرين: ١٠٦/١.

٢ انظر: المصدر السابق: ١٠٠/١.

٣ انظر: المصدر السابق: ١٠٧/١.

^٤ هو: إسماعيل بن عمر بن كثير الحافظ عماد الدين أبي الفداء القرشي البصريّ المدعي الشافعي، ولد في دمشق سنة ٧٠١هـ، إمام حافظ، محدث متقن، مفسر فاضل، ومفت بارع، أخذ الكثير عن شيخه ابن تيمية وامامه ابن رجب، وأسبب اتباعه في كثير من آرائه، توفي في سنة ٧٨٤هـ من مصنفاته: "تفسير القرآن العظيم"، و "الهداية والنهاية"، و "منقب الإمام الشافعي"، (انظر: طبقات المفسرين للدواويني: ١١٧/١ وما بعدها وطبقات المفسرين للأدبني: ٢٦٠/١-٢٦١).

٥ سورة البقرة، الآية ٩.

٦ تفسير القرآن العظيم: ١٧٧/١، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الطبعة الثانية: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، دار طيبة للنشر

والتوزيع

٧ قواعد الترجيح عند المفسرين للحريزي: ١٠٤/١.

والمعنى: إذا اختلف المفسرون في تفسير الآية القرآنية بنه على اختلاف معنى القراءتين أو القراءات متواترة كانت أو شاذة، الواردة في الآية ولا يمكن حمل معنى القراءة الشاذة على معنى القراءة المتواترة فحمل القراءتين على معنى القراءة المتواترة أولى^١.

ومثال ذلك ما أورده القاضي ابن عطية في قوله: "فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا" في قوله تعالى: "إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ"^٢، واحتج عطية بما في مصحف ابن مسعود "أَنْ لَا يَطُوفَ بِهِمَا" وهي قراءة خالفت مصاحف الإسلام وقد أنكرتها عائشة رضي الله عنها في قولها

١ انظر: المصدر نفسه.

٢ هو: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عمام بن عطية الأندلسي الطنجي المغربي القاضي الإمام العلامة شيخ المفسرين، كان عالماً بالتفسير والفقه والمريضة، كما كانت له يد في الإنشاء والنظم والنثر، ألف تفسيره المسمى بـ "الحرر الموجيز" فحُسن فيه وأبدع. ولد سنة ٤٨١هـ وتوفي سنة ٥٤١هـ أو ٥٤٢هـ من مؤلفاته: "برنماج"، و"المجموع". (انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٩/٥٨٧-٥٨٨هـ، وطبقات المفسرين للداودي: ٣٦٥/١ وما بعدها).

٣ سورة البقرة، الآية ١٥٨.

٤ هي: عائشة بنت أبي بكر الصديق، الصديقة بنت الصديق أم المؤمنين زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وأشهر نسائه، ولدت بعد المبعث بترمس سنين أو خمس، تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة بستين أو ثلاث سنين، وهي بنت ست أو سبع، ودخل بها بالمدينة، وهي بنت تسع، وما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم - وحى وهو في لحاف امرأة من نسائه غريها، كانت من أفقه الناس وأحسنهم رأياً في العامة، نزل فيها من القرآن ما يتلى إلى يوم القيامة روت عن النبي صلى الله عليه وسلم كثيراً، وروى عنها عمر بن الخطاب وكثير من الصحابة والتابعين، توفيت سنة سبع وخمسين أو ثمان وخمسين. (انظر: الاحتجاج في معرفة الأصحاب لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي: ١/٨٨٧ وما بعدها، المحقق: علي محمد البجاوي، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، دار الجيل، بيروت، وأسد الغابة لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجوزي، عز الدين ابن الأثير: ١/٨٨٧ وما بعدها، علم النشر: ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، دار الفكر، بيروت، والإصابة في تمييز الصحابة لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني: ٣/٣٦٨ وما بعدها، تحقيق: خليل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت).

لعروة حين قال لها "أرأيت قول الله: فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا؟ فما نرى على أحد شيئا إلا يطوف بهما" قالت: "يا عروة كلا لو كان ذلك لقلنا: فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَطُوفَ بِهِمَا".

قال القاضي أبو محمد عبد الحق رضي الله عنه -يريد به ابن عطية-: "وأيضاً فإن ما في مصحف ابن مسعود يرجع إلى معنى أن يطوف وتكون "لا" زائدة صلة في الكلام، كقوله: "مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسُجِدَ" ٢١.

ويقول الإمام القرطبي: "فإن قيل: فَقَدْ رَوَى عَطَّةٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَرَأَ" فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَلَّا يَطُوفَ بِهِمَا" وَهِيَ قِرَاءَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ وَيُرْوَى أَنَّهَا فِي مَصْحَفِ أَبِي كَذَلِكَ، وَيُرْوَى عَنْ أَنَسٍ* بِمِثْلِ هَذَا. وَالْجَوَابُ أَنَّ ذَلِكَ خِلَافُ مَا فِي الْمَصْحَفِ، وَلَا يَتْرَكَ مَا قَدْ ثَبَتَ فِي الْمَصْحَفِ إِلَى قِرَاءَةٍ لَا يَذَرَى أَصَحُّتَ أَمْ لَهُ وَكَانَ عَطَّةٌ يُكْثِرُ الْإِسْلَاحَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ غَيْرِ سَمَاعٍ. وَالرَّوَايَةُ فِي هَذَا عَنْ أَنَسٍ قَدْ قِيلَ إِنَّهَا لَيْسَتْ بِالْمُضَيَّوطةِ، أَوْ تَكُونُ "لَا" وَائِلَةً لِلتَّوَكِيدِ" ٢٢.

ويقول العلامة الألوسي: "وقرأ ابن مسعود وأبي- أَنَّ لَا يَطُوفُ- ولا تصلح أن تكون نصرة للقول الأول لأنها شاذة لا عمل بها مع ما يعارضها ولا احتمال أن "لا" زائدة كما يقتضيه السياق" ٢٣.

هكذا استعمل هؤلاء الأئمة المفسرون هذه القاعدة في الترجيح بين أقوال المفسرين.

القاعدة الرابعة: الوجه التفسيري والإعرابي الموافق لرسم المصحف أولى من الوجه المخالف

له ٢٤

١ سورة الأعراف الآية ١٢.

٢ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢٢٠/٨، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ دار الكتب العلمية، بيروت.

٣ هو: أنس بن مالك بن النضر بن خنضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عمرو بن غنم بن عدي بن النجار، أبو حمزة الأنصاري الجزري التجري البصري، غلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأحد المكثرين من الرواية عنه دعا له النبي صلى الله عليه وسلم أقام بالمدينة بعد النبي صلى الله عليه وسلم، وشهد الفتح مات بالبصرة سنة ٩١ هـ أو ٩٢ هـ أو ٩٣ هـ (انظر: الاستيعاب لابن عبد البر اللامي القرطبي: ١٠٩/١ وما بعدها، وأسد الغابة لابن الأثير: ١٥٧/١-١٥٢، والإصابة لابن حجر: ٢٧٥/٨ وما بعدها).

٤ الجامع لأحكام القرآن: ١٨٢/٢.

٥ روح المعاني: ٤٢٥/١.

والمعنى: إذا اختلف المفسرون في تفسير آية قرآنية أو لفظة قرآنية أو في إعرابها على الأقوال مختلفة، وكان القول منها موافقا لرسم المصحف والآخر مخالفا له، فأول الأقوال بتفسير الآية وإعرابها الذي يوافق الرسم العثماني الذي أجمع عليه الصحابة.

ومثال ذلك ما ذكره الإمام القرطبي في قوله سبحانه "سَنُقَرِّكَ فَلَا تَنْسَى" ^١ "وَقَوْلُهُ فَلَا: لِلنَّهْيِ لَا لِلنُّهْيِ. وَقِيلَ: لِلنَّهْيِ وَإِنَّمَا أُثْبِتَ الْيَاءُ لِأَنَّ رُوَسَّ الْكَلِمَةِ عَلَى ذَلِكَ. وَالْمَعْنَى لَا تَقْفُ عَنْ قِرَائَتِهِ وَتَكَرَّارِهِ فَتَنْسَهُ، إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَنْسِيكَ يَرْفَعُ تِلْكَ وَتَقَارِبُهُ لِلْمَصْدَحَةِ وَالْأَوَّلُ هُوَ الْمَخْتَارُ، لِأَنَّ الْمُسْتِثْنَاءَ مِنَ النَّهْيِ لَا يَكُنْ يَكُونُ إِلَّا مُؤَقَّتًا مَعْلُومًا. وَأَيْضًا فَإِنَّ الْيَاءَ مُثَبَّتَةٌ فِي جَمِيعِ الْمَصَاحِفِ، وَعَلَيْهَا الْقِرَاءَةُ" ^٢.

والقول بأن "لا" للنهي هو الراجح؛ لأنه مكتوب في المصحف بإثبات الألف المقصورة، وإن دخلت الفعل المضارع على "لا" التامة فجزمته، وإن كان في آخره حرف علة حليف، وهذا حرف علة غير مخدوف، فثبت أن "لا" هنا غير ناهية.

وهكذا اعتمد الإمام القرطبي على هذه القاعدة في الترجيح بين الأقوال التفسيرية

٢) ومنها ما يتعلق بسياقه أو معهود استعماله:

القاعدة الأولى: إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما، إلا بدليل يجب التسليم له ^٣.

والمعنى: إذا اختلف المفسرون في تفسير آية أو جملة على عدة أقوال، فمنهم من يحملها على القول الذي يجعلها داخلة في سياق الآيات، ومنهم من يحملها على القول الذي يخرجها عن

١ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ١١٠/١.

٢ انظر: المصدر نفسه، وقصود في أصول التفسير لمساعد بن سليمان الطيار، ص ١٠٣، تقديم: محمد بن صالح الفوزان، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، دار ابن الجوزي، النعاج.

٣ سورة الأعلى، الآية ٦.

٤ الجامع لأحكام القرآن: ١٩٧٢.

٥ انظر: قصود في أصول التفسير للطيار، ص ١٠٣.

٦ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ١٢٥/١.

٧ والسياق هو ما قبل الكلام وما بعده (المسبق والخلف). انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين للحري:

سبيل الآيات فحملها على القول الذي يجعلها داخلة في سياق الآيات أولى به من الخروج عنها؛ لأنه أوفق للنظم وألحق بالسبيل إلا أن يدلّ الدليل (خبر صحيح متصل السند أو إجماع أهل التأويل) على منع هذا القول أو تصحيح غيره. فالسبيل يعين على ترجيح أحد المعاني؛ لأنه أولى وأقرب المعاني مع أن غيره من الأقوال محتملة، وقد اهتم كثير من المفسرين بهذه القاعدة في ترجيح الأقوال ورفعها.

يقول الإمام ابن جزّي^٢ أثناء كلامه عن وجوه الترجيح: "أن يشهد بصحة القول ويدلّ عليه ما قبله أو ما بعده"^٣.

ومثال ذلك ما ذكره الإمام الطبري في قوله تعالى: "يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقَّتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ"^٤ من الأقوال المختلفة في قوله تعالى: "ثَقُلَتْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ" ثم أتبعه بقوله: "وأولى ذلك عندي بالصواب، قول من قال: معنى ذلك: ثقلت الساعة في السموات والأرض على أهلها، أن يعرفوا وقتها وقيامها؛ لأن الله أخفى ذلك عن خلقه، فلم يطلع عليه منهم أحداً. وذلك أن الله أخبر بذلك بعد قوله: (قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقَّتِهَا إِلَّا هُوَ)، وأخبر بعده أنها لا تأتي إلا بغتة، فالذي هو أولى: أن يكون ما بين ذلك أيضاً خبراً عن خفاء علمها عن الخلق، إذ كان ما قبله وما بعده كذلك"^٥.

١ انظر: المصنوع السابق: ١٢٥/١، وقصود في أصول التفسير للطيار، ص ١٠١.

٢ هو: محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف ابن جزّي الكلبي النرناطي (أبو القاسم) كان عالماً في فنون العربية والفقه والأصول والأدب والحديث والتفسير، تقدم خطيباً ببلده على حداثة سنه فاتفقوا على نضله من مصنفاته: "وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم"، و"المختصر البارع في قراءة نافع"، و"الفوائد العلية في لحن العلة"، و"الدعوات والأذكار المخرجة من صحيح الأخبار". توفي شهيداً عام إحدى وأربعين وسبعمائة (انظر: الدرر الكامنة لابن حجر: ٨٧٥-٨٩٠ وطبقات المفسرين للداردي: ٨٥/٢-٨٨).

٣ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩١.

٤ سورة الأعراف: الآية ١٨٧.

٥ جامع البيان: ٢٩٧/١٣-٢٩٧.

وهكذا استلزم الإمام الطبري بهذه القاعدة على صحة ترجيحه لقول واحد من بين الأقوال التفسيرية المتعلقة.

القاعدة الثانية: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه^١.

والمعنى: أن الأصل في تصوحي الوحي (القرآن والسنة) أن تحمل على ظواهرها، وتفسر حسب مقتضى ظاهر الألفاظ المتبادر إلى الذهن من المعاني، ولا يجوز العدول بالفاظهما عن ظواهرهما إلا بدليل واضح عقليا كان أو سمعيا وذلك لأنه لا طريق إلى معرفة مراد المتكلم إلا ألفاظه وكلماته؛ ولأن الحكم للظاهر حتى يتبين ما سواه.

ونص ابن جزري على هذه القاعدة في مقدمة تفسيره قائلا: "أن يكون ذلك المعنى المتبادر إلى الذهن، فإن ذلك دليل على ظهوره ورجحانه"^٢.

ومثل ذلك ما ذكره الإمام الطبري في قوله تعالى: "إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَنْبِيَاءُ يَمَّا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي وَكَأَنِّي بَيْنَ يَدَيْهِ كَمَنْ قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ"^٣ بعد ذكر الأقوال المختلفة في "الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَنْبِيَاءُ": "والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله تعالى أخبر أن التوراة يحكم بها عيسى الأنبياء لليهود والرَّبَّانِيُّونَ من خلقه والأخبار. وقد يجوز أن يكون عني بذلك ابنا صوريا وغيرهما، غير أنه قد دخل في ظاهر التنزيل مسلمو الأنبياء وكل رباني وحبر. ولا دلالة في ظاهر التنزيل على أنه معني به خلاص من الربانيين والأخبار، ولا قامت بذلك حجة يجب التسليم لها فكل رباني وحبر داخل في الآية بظاهر التنزيل"^٤.

وقال القاضي ابن عطية بعد ذكر الأقوال في قوله تعالى "الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَنْبِيَاءُ": "وفي هذا نظر - أن يراد بهما ابنا صوريا، والرواية الصحيحة أن ابني صوريا وغيرهم جحدوا أمر الرجم ابن

١ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ١٣٧/١.

٢ انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ١٣٧/١، وقواعد التفسير للسبت: ٨٤٢/٢.

٣ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩٧.

٤ سورة المائدة، الآية ٤٤.

٥ جامع البيان: ٣٤٢/١٠.

عطية وفضحهم فيه عبد الله بن سلام، وإنما اللفظ عام في كل خبر مستقيم فيما مضى من الزمان، ولما في مدة محمد صلى الله عليه وسلم قلو وجد لأسلم فلم يسم حبرا ولا ريمانيا^١. وهكذا رجح الإمامين الجليلين الطبري، وابن عطية بهذه القاعدة.

القاعدة الثالثة: حمل معاني كلام الله على الغالب من أسلوب القرآن ومهود استعماله أولى من الخروج به عن ذلك^٢.

والمعنى: إذا اختلف المفسرون في تفسير آية، أو جملة، أو لفظة فاصوب الأقوال بتأويل الآية هو القول الموافق لاستعمال القرآن وطريقته في غير موضع النزاع، سواء في الألفاظ المفردة، أو في التراكيب، وسواء أكان ذلك في الاستعمال استعمالاً أغلبياً أو كلياً. فطريقة القرآن ومهود استعماله ترجح قولاً وترد القول الآخر^٣.

ومثل ذلك ما قاله الإمام الطبري في قوله تعالى: "فَلَا أَقْسِمُ بِخَوَائِعِ النُّجُومِ"^٤: "اختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم: معناه فلا أقسم بمنازل القرآن، وقالوا: أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوماً متفرقة. وقال آخرون: بل معنى ذلك: فلا أقسم بمساقط النجوم. وقال آخرون: بل معنى ذلك: بمنازل النجوم... وقال آخرون: بل معنى ذلك: بآثار النجوم عند قيام الساعة. وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: فلا أقسم بمساقط النجوم ومعانيها في السماء وذلك أن المواقع جمع موقع، والموقع المنفل، من وقع يقع موقعاً، فالأغلب من معانيه والأظهر من تأويله ما قلنا في ذلك، ولذلك قلنا: هو أولى معانيه به"^٥.

ويقول العلامة ابن القيم: "وقد اختلف في النجوم التي أقسم بمواقعها فقليل هي آيات القرآن ومواقعها نزولها شيئاً بعد شيء وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطاء وقول

١. المحرر الوجيز: ١٩٥/٢-١٩٦.

٢. قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ١٧٢/١.

٣. انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: ١٧٢/١، وقواعد التفسير لطه: ٧٧٢، وفصول في أصول التفسير للطيار، ص ١١٢.

٤. سورة الواقعة، الآية ٧٥.

٥. جامع البيان: ١٤٧/٣.

٦. المصدر السابق: ١٤٨/٣.

سعيد بن جبير والكلبي ومقاتل وقتادة وقيل النجوم هي الكواكب ومواقعها مساقطها عند غروبها هذا قول أبي عبيدة وغيره وقيل مواقعها انتشارها وانكدارها يوم القيامة وهذا قول الحسن ومن حجة هذا القول أن لفظ مواقع تقتضيه قنائه مفاعل من الوقوع وهو السقوط فلكل نجم موقع وجميعها مواقع ومن حجة قول من قل هي مساقطها عند الغروب أن الرب تعالى يقسم بالنجوم وطلوعها وجريانها وغروبها إذ فيها وفي أحوالها الثلاث آية وصبرة ودلالة كما تقدم في قوله تعالى {فَلَا أُقْسِمُ بِالْخَاسِ الْجَوَّارِ الْكَاسِ} {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى} وقال {فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ} ويرجح هذا القول أيضاً أن النجوم حيث وقعت في القرآن فالمراد منها الكواكب كقوله تعالى {وَإِذَا بَرَأَ النَّجْمَ} وقوله {وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنَّجْمُ}.

ومن هنا ذكر الإمام الطبري والعلامة ابن القيم أغلب من معاني القرآن الكريم من أسلوب القرآن الكريم ومعهود استعماله وجه من وجوه الترجيح القول من بين الأقوال الأخرى، وهو: أن المراد بالمواقع هو: "مساقط النجوم عند الغروب"؛ لأن النجوم يراد به الكواكب في القرآن.

ب) القواعد الترجيحية المتعلقة بالسنة والآثار والقرآن.

١١ ما يتعلق بالسنة.

القاعدة الأولى: إذا ثبت الحديث وكان نصاً في تفسير الآية فلا يصار إلى غيره.

والمنع: قد نجد في تفسير بعض الآيات تفسيراً للنبي صلى الله عليه وسلم - وأقوالاً أخرى، فإذا ثبت الحديث وسق في تفسير الآية وبيانها، فيجب تقديمه وحمل الآية عليه ولا يصار إلى غيره؛ إذ هو أعلم الناس بتفسير كلام الله - عز وجل -، فهو الشارح الأول للقرآن الكريم، وهذا

١ سورة التكاوير، الآية ١٥-١٦.

٢ سورة التجم، الآية ١.

٣ سورة المعارج، الآية ٤٠.

٤ سورة الطور، الآية ٤٩.

٥ سورة النحل، الآية ١٢.

٦ التبيين في أقسام القرآن: ٢١٩/١-٢٢٠. المحقق: محمد حماد الفقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٧ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ١٩١/١.

من مهام رسالته، قل تعالى: "وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ"^١ فلا حاجة إلى قول أحد بعد قول الرسول الله صلى الله عليه وسلم^٢.

ومثال ذلك ما ذكره الإمام الطبري في قوله تعالى: "الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ النَّاسُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ"^٣. من القولين في المراد بالظلم:

(١) الشرك والمعنى: ولم يخلطوا إيمانهم بشرك فالآية على الخصوص.

(٢) فعل جميع ما نهى الله عنه وترك جميع ما أمر الله بفعله، والمعنى: ولم يخلطوا إيمانهم بشيء من معاني الظلم، فالآية على العموم^٤.

ثم يقول: "وأولى القولين بالصحة في ذلك ما صح به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الخبر الذي رواه ابن مسعود عنه أنه قال: الظلم الذي ذكره الله تعالى ذكره في هذا الموضع، هو الشرك"^٥.

هكذا رجّح الإمام الطبري القول الأول بناء على هذه القاعدة، وهو أن المراد بـ "ظلم" هنا: "الشرك".

القاعدة الثانية: إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجّح له على ما خالفه^٦.

١ سورة النحل، الآية ٤٤.

٢ انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: ١٩١/١، وقواعد التفسير للسبّيت: ١٤٩/١.

٣ سورة الأنعام، الآية ٨٢.

٤ انظر: جامع البيان: ٤٩٤/١ وما بعدها.

٥ المصدر السابق: ٥٠٣/١-٥٠٤.

٦ قال الإمام البخاري: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ سُلَيْمَانَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "لَمَّا نَزَلَتْ: {وَلَمْ يَلْبِسُوا} [الأنعام: ٨٢] إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ قَالَ أَصْحَابُهُ: وَإِنَّا لَمْ يَظْلِمُوا؟ فَتَبَيَّنَ: {إِنَّ الشُّرْكَ} [النحل: ١٣] لَظْلَمَ عَظِيمٌ" [الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه - صحيح البخاري: ٥٦٧/١، برقم: (٤٦٢٩)، كتاب التفسير، باب: {وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} [الأنعام: ٨٢]، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترميز محمد فؤاد عبد الباقي)، ومتم مرتبط بشروحه فتح الباري لابن رجب ولابن حجر، مع الكتاب: شرح وتعليق د. مصطفى ديب البغا، كالتالي: رقم الحديث (والجزء والصفحة) في ط البغا يليه تعليقه، ثم أطرافه).

والمعنى: إذا اختلف المفسرون في تفسير آية على عدة أقوال، فالقول الذي يزيد خير الرسول - صلى الله عليه وسلم - مقدم على ما سواه^١.

ومثال ذلك ما ذكره القاضي ابن عطية في قوله تعالى: "إِنْ تَدِينُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُزَوِّجُهَا الْفُقَرَاءَ فَهِيَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيَكْفُرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ" ذهب جمهور المفسرين إلى أن هذه الآية هي في صدقة التطوع... قال القاضي أبو محمد عبد الحق رضي الله عنه - يريد به ابن عطية -: ويقوي ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم "صلاة الرجل في بيته أفضل من صلاته في المسجد إلا المكتوبة، وذلك أن الفرائض لا يدخلها رياء والتوافل عرضة لذلك... وقيل المراد بالآية فرض الزكاة وما تطوع به فكان الإخفاء فيهما أفضل في مدة النبي عليه السلام، ثم ساءت ظنون الناس بعد ذلك فاستحسن العلماء إظهار القرص لئلا يظن بأحد المنع. ثم يقول: وهذا القول مخالف للأثار^٢.

ويقول الإمام ابن كثير في هذه الآية: "وَالْكَصَلُ أَنْ الْمِسْرَارَ أَفْضَلُ لِهَذِهِ الْآيَةِ، وَلَمَّا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلَانِ تَحَلَّبَا فِي اللَّهِ اجْتِمَاعًا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّنٌ بِالْمَسْجِدِ إِذَا خَرَجَ مِنْهُ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْهِ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنُهُ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَلٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَخَفَاها حَتَّى لَا يَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ"^٣.

هكذا اعتمد الإمامين الجليلين: ابن عطية وابن كثير على هذه القاعدة في الترجيح.

١ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٢٠٦/١.

٢ انظر: المصدر السابق، وقصود في أصول التفسير للطيار، ص ١١٦.

٣ سورة البقرة، الآية ٢٧١.

٤ المعجم الوجيز: ٣٦٥/٨.

٥ صحيح البخاري: ١٣٣/٨، برقم: (٦٦٠)، كتاب الأذان، باب مَنْ جَلَسَ فِي الْمَسْجِدِ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ وَفَضَّلَ الْمَسَاجِدَ وَالْمَسَدَ الصَّحِيحَ الْمُخْتَصَرُ بِنَقْلِ الْعَدَلِ عَنِ الْعَدَلِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري: ٧٨٥/٨، برقم: (٦٠٣٩)، كتاب الزكاة، باب فَضْلُ إِخْفَاءِ الصَّدَقَةِ. المحقق: محمد فزاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي: بيروت.

٦ تفسير القرآن العظيم: ٧٠١/١ - ٧٠٢.

القاعدة الثالثة: كل تفسير يخالف القرآن أو السنة أو إجماع الأمة فهو مردود^١.

والمعنى: كل تفسير يخالف دليلاً قطعي الثبوت والدلالة من القرآن أو السنة أو إجماع الأمة أو ظني الثبوت قطعي الدلالة منها المقترن بوصف يقويه ويصححه فهو مردود^٢.

ومثل ذلك ما نقل القاضي ابن عطية في قوله تعالى: "وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَامْتَكَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ"^٣ قول مقاتل وقال: "وحكى النقاش عن مقاتل: "أن الله إنما أمر الملائكة بالسجود لآدم قبل أن يخلقه"، قال: "والقرآن يرد على هذا القول"^٤.

ثم يقول: "وقال قوم: سجود الملائكة كان مرتين، والإجماع يرد هذا"^٥.
هكذا رد القاضي ابن عطية على قول مقاتل؛ لأن القرآن والإجماع يرد عليه.

القاعدة الرابعة: لا يصح حمل الآية على تفسيرات وتفصيلات لأمر غيبية لا دليل عليها من

القرآن والسنة^٦.

والمعنى: لا يصح حمل الآية على الاجتهادات أو التفصيلات أو الأخبار الإسرائيلية التي لا دليل عليها من القرآن والسنة إلى معرفة الأمور الغيبية كأمر بدء الخلق وأخبار الأمم السابقة وأمر البعث ونحوها^٧.

مثل ذلك ما ذكره القاضي ابن عطية في قوله تعالى: "وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ"^٨ بعد ذكر الروايات الإسرائيلية في تعين الشجرة التي أكل منها آدم وحواء -عليهما السلام-: "وليس في شيء من هذا التعيين ما يعضده خبر، وإنما الصواب أن يعتقد أن الله تعالى نهى آدم عن شجرة فخالف

١ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٢١٤/١.

٢ انظر: المصدر نفسه.

٣ سورة البقرة، الآية ٣٤.

٤ انحر: الوجيز: ١٢٤/١.

٥ المصدر نفسه.

٦ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٢٢٥/١.

٧ انظر: المصدر السابق.

٨ سورة البقرة، الآية ٣٥.

هو إليها وعصى في الأكل منها، وفي حظره تعالى على آدم الشجرة ما يدل على أن مكانه في الجنة لا يدوم، لأن المخلد لا يحظر عليه شيء، ولا يؤمر ولا ينهى^١.
هكذا فسر القاضي ابن عطية الآية الكريمة وفقاً للقاعدة.

(٢) ما يتعلق بالآثار.

القاعدة الأولى: إذا صح سبب نزول الصريح فهو مرجح لما وافقه من أوجه التفسير^٢.

والمعنى: إذا اختلف المفسرون في تفسير آية على أقوال، فأول الأقوال القول الذي يوافق سبب النزول الصحيح الصريح في السببية^٣، ولأن له حكم المرفوع^٤.
ومثل ذلك ما ذكر الإمام القرطبي في "وليس البر أن تأتوا البيوت من ظهورها" في قوله تعالى: "يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"^٥. كَانَ الْأَنْصَارُ إِذَا حَجُّوا وَعَلَدُوا لَا يَدْخُلُونَ مِنْ أَبْوَابِ بُيُوتِهِمْ، فَإِنْ رَجَعُوا لِحَاجَةٍ إِلَى بُيُوتِهِمْ بَعْدَ الْإِحْرَامِ يَتَمَنُّونَ ظَهَرَ بُيُوتِهِمْ عَلَى الْجُدُرَانِ، وَكَانُوا يَرُونَ هَذَا مِنَ النَّسَكِ وَالْبِرِّ، لَمَّا يَحُولُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ حَائِلٌ. فَرَدَّ اللَّهُ -عز وجل- عليهم. فعلى هذا يراد بالبيوت وبالإتيان المعنى الحقيقي، وهى البيوت المعروفة وبالإتيان المجزئ إليها^٦. هو ضرب مثل، والمعنى ليس البر أن تسألوا الجهل، ولكن البر التقوى، وأسألوا العلماء، وعلى هذا يراد بالبيوت وبالإتيان المعنى المجازي^٧. هُوَ مَثَلٌ فِي جَمَاعِ النَّسَلِ، وَأَتَاهُمْ أُمُرٌ بِإِتْيَانِهِنَّ فِي قُبُلِهِنَّ لَمَّا فِي ذُبُرِهِنَّ، وَعَلَى هَذَا يراد بالبيوت النسب، وبالإتيان إتيانهم في القبل. وهذا هو المعنى المجازي^٨.

ثم يقول: "قُلْتُ: الْقَوْلُ الْأَوَّلُ - كَانَ الْأَنْصَارُ إِذَا رَجَعُوا مِنَ الْحَجِّ إِلَى بُيُوتِهِمْ لَا يَدْخُلُونَ مِنْ أَبْوَابِهَا بَلْ يَدْخُلُونَهَا مِنْ ظُهُورِهَا - أَصَحُّ مِنْهُ الْقَوْلَانِ، لَمَّا رَوَاهُ الْبَرَاءُ قَالَ: كَانَ الْأَنْصَارُ إِذَا

١ المحرر الوجيز: ١٢٨٨.

٢ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٢٤٧٨.

٣ انظر: المصدر نفسه.

٤ انظر: قواعد التفسير للسبت: ٥٤/١.

٥ سورة البقرة، الآية ١٨٩.

٦ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٣٤٤/٢ وما بعده.

حَجُّوا فَرَجَعُوا لَمْ يَدْخُلُوا النِّيَّوَاتِ مِنْ أَبَوَائِهِمْ قَالَ: فَبَجَّهَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَدَخَلَ مِنْ بَابِهِ فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَتَرَأَتْ هَذِهِ اللَّيْلَةَ: "وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا النِّيَّوَاتِ مِنْ ظُهُورِهَا" وَهَذَا نَصٌّ فِي النِّيَّوَاتِ حَقِيقَةً. وَأَمَّا بَلَدُ الْأَقْوَالِ فَتَوَخَّذْ مِنْ مُوَضِّعٍ آخَرَ لَا مِنَ اللَّيْلَةِ فَتَأْمَلْهُ.".

هكذا رجّح الإمام القرطبي القول الذي يوافق سبب النزول الصريح بناء على هذه القاعدة.

القاعدة الثانية: إذا ثبت تاريخ نزول الآية أو السورة فهو مرجح لما وافقه من أوجه التفسير.

والمعنى: إذا اختلف المفسرون في تفسير آية قرآنية، فيرجح القول الذي وافق تاريخ نزول الآية، والقول الذي يخالف تاريخ نزولها فهو قول ضعيف عند مخالفة تاريخ نزول الآية المختلف فيه، أو مردود عند مخالفة تاريخ نزول الآية المتفق عليه.

ومثل ذلك ما ذكره الإمام الطبري القولين في "يُريدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ" في قوله تعالى: "سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِمٍ لِتُقَاتِلُوا دُرُوسًا فَتَمِيعُكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكَ قَوْلَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ نَسِيتُمْ لَوْلَا نَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا" .

(١) أي: يريدون أن يغيروا وعد الله لأهل الخديبية بأن جعل الله غنائم خيبر لهم دون غيرهم، عرضاً من غنائم أهل مكة إذا انصرفوا عنهم على صلح، ولم يصيبوا منهم شيئاً. هذا هو المراد بهذا الكلام. قاله مجاهد^٢ وقتادة، وعليه عامة أهل التأويل.

١ خرّجه البخاري ومسلم. (أخرجه البخاري: ٣٧١، برقم: ٤٥١٢). كتاب التفسير، تفسير سورة البقرة، باب قول: {وَكَيْسَ الْبِرِّ أَنْ تَأْتُوا النِّبْيَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذَلِكُنَّ الْبِرُّ مِنْ أَمْنٍ وَأَتُوا النِّبْيَ مِنْ أَيْوَاهِمَا وَأَقْبُوا إِلَيْهِمْ فَتُفْلِحُونَ} للبقرة: ١٨٩، ومسلم: ٣٣٩٤، برقم: ٣٠٢٦). كتاب التفسير.

٢ المصالح السابق: ٣٤٧٢ يتصرف يسير.

٣ قواعد الترجيح عند المفسرين للخريبي: ٢٥٨١.

٤ يراد بها مرحلة زمنية معينة، أو حلقة معينة، أو القليلة أو البعدية بالنسبة لسورة أخرى... قواعد الترجيح عند المفسرين للمعنى: ٢٦٠/١.

• انظر: المصدر السابق.

٦ سورة الفتح، الآية ٤٥.

* ومجاهد مولى مجاهد بن جهم أبو الحجاج مولى السلاب بن أبي السلاب المخزومي المكي الإمام شيخ القراء والمفسرين. ولد سنة ٢١١هـ في خلافة عمر بن الخطاب. أخذ عن ابن عباس القرآن والتفسير والفقه حتى قرأ

(٢) أي: يريدون أن يخرجوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة، وقد قل الله تبارك وتعالى: «فَقُلْ لَنْ تُخْرَجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا». فهذا هو كلام الله تعالى ابن زيد.

ثم يقوله: "وهذا الذي قاله ابن زيد قول لا وجه له، لأن قول الله عز وجل (فَاسْتَلْذُكُوا لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تُخْرَجُوا مِنِّي أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مِنِّي عَدُوًّا) إنما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم متصرفه من تبوك وعني به الذين تخلفوا عنه حين توجه إلى تبوك لغزو الروم، ولا اختلاف بين أهل العلم بمغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تبوك كانت بعد فتح خيبر وبعد فتح مكة أيضًا، فكيف يجوز أن يكون الأمر على ما وصفنا معينا بقول الله (يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ) وهو خبر عن المتخلفين عن المسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ شخص معتمرا يريد البيت فصنعه المشركون عن البيت، الذين تخلفوا عنه في غزوة تبوك وغزوة تبوك لم تكن كانت يوم نزلت هذه الآية، ولا كان أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: (فَاسْتَلْذُكُوا لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تُخْرَجُوا مِنِّي أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مِنِّي عَدُوًّا). فإذ كان ذلك كذلك، فالصواب من القول في ذلك: ما قاله مجاهد وقتادة على ما قد بينا".

وضعف ابن جزري قول ابن زيد قائلا: "وهذا ضعيف لأن هذه الآية نزلت بعد رجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك بعد الخليبية مرة".^١

ورد عليه أبو حيان الأندلسي: "وهذا لا يصح؛ لأن هذه الآية نزلت مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك في آخر عمره. وهذه السورة نزلت عام الحديبية، وأيضاً فقد غزت مرتين عليه وسلم من تبوك في آخر عمره. وهذه السورة نزلت عام الحديبية، وأيضاً فقد غزت مرتين

علي ابن عبيد القاسم ثلاث عرصات، وصاحب ابن عمر مدة كثيرة، قل فتاة، أعلم من بقي بالتفسير مجاهد، توفي سنة إحدى أو اثنين أو ثلاث أو أربع وخمسة (انظر: سير أعلام النبلاء للطبري: ٤٤٩/٤ وما بعدها، وطبقات المفسرين للناجي: ٣٠٩/١ وما بعدها، وطبقات المفسرين للأدنه وي: ٩١/١)...

٦ سورة القصص الآية ٨٣

٤ انظر: جامع البيان: ٢١٥/٢٢ وما بعده.

٣ جامعات اليان: ٧٢٢ (٤).

٤ التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٨٧٢.

هو: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أنير الملقب أبو حيان الأندلسي الغرناطي، نحوي عجمي لغوي، ومفسر، ومحدث، ومقرئ، ومؤرخ، وأديب، برع في التفسير، والعربية، والقراءات، والأدب، والتاريخ،

وَجَهَنَّةَ بَعْدَ هَذِهِ الْمَثَلَةِ مَعَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَفَضَّلَهُمْ بَعْدَ عَلَى تَيْمِيمٍ وَغَطَفَانَ وَغَيْرِهِمْ
مِنَ الْعَرَبِ^١.

وهكذا صحح هؤلاء الأئمة المفسرون قولاً، وضعفوا آخر بناء على هذه القاعدة.

القاعدة الثالثة: تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم^٢

والمعنى: ترجح فهم السلف وأقوالهم في التفسير؛ لأنها هي المعتمدة والحجة دون أقوال من
خالفهم من أهل الأهواء والبدع وغيرهم^٣.

ونص ابن جزي على هذه القاعدة بقوله: "أن يكون القول قول من يقتدي به من الصحابة
كالخلفاء الأربعة وعبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- لدعاء الرسول الله -صلى الله عليه
وسلم- له: "اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ"^٤.

اتفق أهل عصره على تقديمه وإمامته، حيث أخذ عنه أكابر عصره، صنف التصنيفات المسطرة منها: "البحر
المحيط في التفسير"^٥، و"تحف الأريب بما في القرآن من الغريب"^٦، و"تجريد أحكام سيده"^٧. (انظر: طبقات
المفسرين للداودي: ٢٨٧/١ وما بعده. وطبقات المفسرين للأولاد: ٢٧٩/١ وما بعده).

١ البحر المحيط في التفسير: ٢٨٩/٩، المحقق: صدقي محمد جميل، الطبعة ١٤٢٠هـ، دار الفكر، بيروت.

٢ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٢٧٧/١.

٣ انظر: المصدر نفسه، وقواعد التفسير للسبب: ٢٠٦/١.

٤ وما قيل بعدم جواز إحداه قول مخالف لأقوال السلف في تفسير الآية، فالمراد به عدم جواز إحداه قول
من قبل خلاف التضاد الذي يخرج الآية عما قاله السلف. انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٢٨٠/١،
وقواعد التفسير للسبب: ٢٠٠/١.

٥ هذه الرواية أخرجهما للحاكم في مستدركه عن ابن عباس رضي الله عنهما قلنا: كَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِ مَيْمُونَةَ فَوَضَعَتْ لَهُ وَضْعًا، فَقَالَتْ لَهُ مَيْمُونَةُ: وَصَحَّ لَكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ وَضْعًا،
فَقَالَ: "اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ"، وقد هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجه، وواقفه
الذهبي على تصحيحه (المستدرک علی الصحیحین: ٦٩٣/١، برقم: ٦٢٨٠)، ذكر عبد الله بن عباس رضي الله
عنهما، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى ١٤١١هـ/١٩٩٠م، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩١.

ومثل ذلك ما ذكره الإمام الطبري من القولين في: "كثروا بالعصبة" في قوله تعالى: "إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُتُوبِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُجِبُ الْفَرِحِينَ"^١

(١) إنما العصبة تثقل بها.

(٢) قَوْمُهَا بِالْعُصْبَةِ: أَنْ تَثْقُلَهُمْ؛ وَالْمَعْنَى: إِنْ مَفَاتِحَهُ لَتُنُوءَ الْعُصْبَةُ: أَيَّ تَحْمِلُهُنَّ بِثِقَلِهَا.

ثم يقول: "وهذا القول الآخر في تأويل قوله: (لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ) أولى بالصواب من الأقوال الأخرى، لمعنيين أحدهما: أنه تأويل موافق لظاهر التنزيل. والثاني: أن الآثار التي ذكرنا عن أهل التأويل بنحو هذا المعنى جاءت، وإن قول من قال: معنى ذلك: ما إن العصبة لتنوء بمطامعهم إنما هو توجيه منهم إلى أن معناه: ما إن العصبة لتنهض بمطامعهم وإذا وجه إلى ذلك لم يكن فيه من الدلالة على أنه أريد به الخبر عن كثرة كنوزهم على نحو ما فيه إذا وجه إلى أن معناه: إن مفاتيحه تثقل العصبة وتحمليها، لأنه قد تنهض العصبة بالقليل من المفاتيح وبالكثير. وإنما قصد جل ثناؤه الخبر عن كثرة ذلك وإذا أريد به الخبر عن كثرتهم كان لا شك أن الذي قاله من ذكرنا قوله، من أن معناه: لتنوء العصبة بمطامعهم، قول لا معنى له، هذا مع خلافه تأويل السلف في ذلك"^٢.

هكذا رجح الإمام الطبري قولاً بناء على ما تقتضي به هذه القاعدة.

القاعدة الرابعة: تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ.

والمعنى: إذا قام مفسر بتفسير آية من كتاب الله يخالف فيه عامة المفسرين، ولا دليل على ترجيح قوله دلالة واضحة قوية فيعدّ قوله شاذاً، ويقدم قول عامة المفسرين؛ لأنهم أقرب إلى الحق وأبعد عن الخطأ.^٣

ونص الإمام ابن جزي على هذه القاعدة: "أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين: فإن كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه".^٤

١ سورة القصص، الآية ٧٦.

٢ انظر: جلعع البيان: ٢٢٠/٩ - ٢٢١.

٣ المصدر السابق: ٢٢٢/٩.

٤ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٢٨٨/٩.

٥ انظر: المصدر نفسه.

ومثل ذلك ما ذكر المفسرون من القولين في قوله: "قِرَّةٌ خَاسِيَةٌ"، في قوله تعالى: "وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَّةً خَاسِيَةً"^١.

(١) نسخ الله المعتدين في السبت مسخاً حقيقياً صورياً، هذا قول جمهور المفسرين^٢.

(٢) مسخهم الله مسخاً معنوياً لا صورياً، حيث مسخت قلوبهم فقط. هذا قول مجاهد^٣.

يرد الإمام الطبري على قول الإمام مجاهد قائلاً: "وهذا القول الذي قاله مجاهد، قول لظاهر ما دل عليه كتاب الله مخالف. وذلك أن الله أخبر في كتابه أنه جعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت، كما أخبر عنهم أنهم قالوا لنبيهم: (أَرَأَيْتَ اللَّهُ جَهْرَةً؟)، وأن الله تعالى ذكره أصعقهم عند مسألتهم ذلك ربهم، وأنهم عبدوا العجل، فجعل نبيهم قتل أنفسهم، وأنهم أسروا بدخول الأرض المقدسة فقالوا لنبيهم: (اقْبِ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ)^٤ فابتلاهم بالتيه. فواء قاتل قاذهم لم يمسحهم قردة، وقد أخبر جل ذكره أنه جعل منهم قردة وخنازير - وأنكر قال: لم يكن شيء مما أخبر الله عن بني إسرائيل أنه كان منهم - من الخلاف على أنبيائهم، والتكال والعقوبات التي أحلها الله بهم. ومن أنكر شيئاً من ذلك وأقر بتخرجه، سئل البرهان على قوله، وعورض - فيما أنكر من ذلك - بما أقر به، ثم يسأل الفرق من خير مستفيض أو أثر صحيح. هذا مع خلاف قول مجاهد قول جميع الحجة التي لا يجوز عليها الخطأ والكذب فيما نقلته جمعة عليه وكفى دليلاً على فساد قول إجماعها على تخطئته"^٥.

١ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩٨.

٢ سورة البقرة، الآية ٦٥.

٣ انظر: زاد المسير في علم التفسير لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي: ٧٤٨، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، وتفسير القرطبي: ٤٤٣٨، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٣٩٧/١، وتفسير الألوسي: ٢٨٣/١، والتحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، التونسي: ٥٤٤/١، سنة النشر ١٩٨٤هـ، الدار التونسية للنشر، تونس.

٤ انظر: تفسير ابن عطية: ٦٢٦/١، وزاد المسير لابن الجوزي: ٧٤٨، وتفسير القرطبي: ٤٤٣٨.

٥ سورة النساء، الآية ١٥٣.

٦ سورة المائدة، الآية: ٢٤.

٧ جامع البيان: ١٧٦/٢.

ويقول الإمام القرطبي: "وَرَوَى عَنْ مُجَاهِدٍ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ آيَةِ أَنَّهُ إِنَّمَا مُسِيخَتْ قُلُوبُهُمْ فَقَطْ، وَرَدَّتْ أَفْهَامُهُمْ كَأَفْهَامِ الْفَرَكَةِ. وَلَمْ يَقُلْهُ غَيْرُهُ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ فِيمَا أَعْلَمَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ".^١
وهكذا اعتبر الإمامين الجليلين: الطبري، والقرطبي القول الثاني من شذوذه الإمام مجاهد، ومن ثم رد عليه وفقاً للقاعدة.

(٣) ما يتعلق بالقرآن.

القاعدة الأولى: القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه.^٢

والمعنى: إذا اختلف المفسرون في تفسير آية على أقوال أحدها له قرينة في السياق، فأولى الأقوال بتفسير الآية الذي تؤيده قرينة في السياق.^٣

ومثل ذلك ما قاله الإمام القرطبي في قوله تعالى: "أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْبَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِتَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمْتُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"^٤، اختلف في القائل له "كَمْ لَبِثْتَ"، فقيل: الله عز وجل، ولم يقل له إن كنت صادقاً كما قال للملائكة على ما تقدم. وقيل: سبع هاتفاً من السماء يقول له ذلك. وقيل: خاطبه جبريل. وقيل: نبي. وقيل: رجل مؤمن ممن شاهدته من قومه عند موته وعمر إلى حين إحيائه فقال له: كَمْ لَبِثْتَ.

قلت: (القائل هو الإمام القرطبي): والظاهر أن القائل هو الله تعالى، لقوله "وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا"، والله أعلم.^٥

وهكذا رجح الإمام القرطبي القول الذي تؤيده قرائن في السياق على ما خالفه وفقاً لهذه القاعدة.

^١ الجامع لأحكام القرآن: ٤٤٣/١.

^٢ قواعد الترجيح عند المفسرين: ٢٩٩/١.

^٣ المصدر نفسه.

^٤ سورة البقرة، الآية ٢٥٩.

^٥ الجامع لأحكام القرآن: ٢٩١/٣.

القاعدة الثانية: القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عديم ذلك^١.

والمعنى: إذا اختلف المفسرون في تفسير آية من كتاب الله على أقوال مختلفة، والقول منها يؤيده آية أو آيات أخرى، أو قراءة متواترة في الآية نفسها لأنها بمنزلة الآية، فحمل الآية عليه أولاً؛ لأنها أصح الأقوال لتأييد القرآن له، ويدخل تحت هذه القاعدة أيضاً القول الذي تردّ الآيات. قد اهتمّ المفسرون سلفاً وخلفاً بهذه القاعدة، وغدما من أحسن طرق التفسير وأجلّها، واستعملها في ترجيح الأقوال، وتضعيفها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أُجمل في مكان فإنه قد فُسِّرَ في موضع آخر، وما انحصر من مكان فقد بسط في موضع آخر"^٢. ونص الإمام ابن جزي على هذه القاعدة ووضعها في القواعد الترجيحية قائلا: "تفسير بعض القرآن ببعض فإذا لم يوضح من القرآن على المراد بموضع آخر حملناه عليه ورجحنا القول بذلك على غيره من الأقوال"^٣.

ومثال ذلك ما ذكر المفسرون في الملائكة الذين أمروا بالسجود في قوله تعالى: "وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ"^٤. قولين: (١) أنهم جميع الملائكة (٢) أنهم ملائكة الأرض.

يقول الإمام البغوي^٥ بعد ذكر هذين القولين: "وَالصَّحُّ أَنَّهُ مَعَ جَمِيعِ الْمَلَائِكَةِ يَقُولُهُ تَعَالَى: فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ"^٦.

١ قواعد الترجيح عند المفسرين: ٣١٢/٨.

٢ انظر: المصدر نفسه.

٣ مقدمة في أصول التفسير: ٣٩٨.

٤ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٣٨-١٣٩.

٥ سورة البقرة: الآية ٣٤.

٦ هو: الإمام العلامة القدرة الحافظ شيخ الإسلام، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، المفسر، الملقب بمحيي السنة وبركني الدين، وكان زاهدا ورعا قائما فقيها عدلا من مصنفاته: "شرح السنة" و"معالم التنزيل" وهو التفسير المشهور بتفسير البغوي و"المصليح"، وكتاب "التعليب" في المذهب، و"الجمع بين الصحيحين"، و"الأربعين حديثا". وكانت وفاته بمرور الروي (نحو أسنان) سنة ست عشرة وخمس مائة، ودفن بجنب شيخه القاضي حسين. انظر: (سير أعلام النبلاء للذهبي: ٤٣٩/٩) وما بعده.

وهكذا رجح الإمام البغوي قولاً بناء على هذه القاعدة (تفسير القرآن بالقرآن).
ورد شيخ الإسلام ابن تيمية على سؤال في هذا الصدد قائلاً: "بل أسجد له جميع الملائكة كما
نطق بذلك القرآن في قوله تعالى: "فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ"^٢، فهذه ثلاث صيغ
مفروقة للعموم وللإستغراق، فإن قوله: "الْمَلَائِكَةُ" يقتضي جميع الملائكة فإن اسم الجمع
المعروف بالآلف واللام يقتضي العموم كقوله: (أرب الملائكة والروح) فهو رب جميع الملائكة.
الثاني: "كُلُّهُمْ"، وهذا من أبلغ العموم، الثالث: قوله: "أَجْمَعُونَ" وهذا تأكيد للعموم. فمن
قال: إنه لم يسجد له جميع الملائكة، بل ملائكة الأرض، فقد رد القرآن بالكذب والبهتان"^٣.

**القاعدة الثالثة: كل قول طعن في عصمة النبي صلى الله عليه وسلم - ومقام الرسالة فهو
مردود.**

والمعنى: أن يذكر قول كوجه في تفسير الآية؛ لكنه يطعن في عصمة النبوة ومقام النبوة ومنزلتها
فهو مردود.

ومثال ذلك ما ذكر الإمام الطبري خلاف أهل التأويل في قوله: "فَقَدْ أَنْ لَنْ تُقَيَّرَ عَلَيْهِ" في
قوله تعالى: "وَذَا الثُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَايِبًا فَقَدْ أَنْ لَنْ تُقَيَّرَ عَلَيْهِ فَنَلَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَأِ إِلَهَ إِلَّا
أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ"^٤ على الأقوال التالية:

وطبقات الشافعية الكبرى لنج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي: ٧٥/٧-٧٧، المحقق: د/ محمود محمد
الطنطاوي. و ٢/ عبد الفتاح محمد الحلوي، الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ، مطبوعات المفسرين للأدب، ١٥٨٨-
(٦٦٠).

١ سورة الحجر، الآية ٣٠.

٢ معالم التنزيل في تفسير القرآن - تفسير البغوي: ١٠٤/١، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الطبعة الأولى: ١٤٢٠ هـ
دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣ سورة الحجر، الآية ٣٠.

٤ مجموع فتاوى: ٣٤٥/٤-٣٤٦.

٥ قواعد الترجيح عند المفسرين: ٣٢٨.

٦ المصدر السابق: ٣٢٨-٣٢٩.

٧ سورة الأنبياء، الآية ٨٧.

(١) فظن أن لن نصيق عليه بالعقوبة كما قال الله جل ثناؤه (وَمَنْ قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيَصْغِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ) .

(٢) فظن أن الله تعالى يعجز عن عقوبته لا يقدر عليه.

(٣) ذلك على معنى الاستفهام والمعنى أقطن أن لن تقدر عليه، قاله ابن زيد؟

ثم يقول: "وأولى هذه الأقوال في تأويل ذلك عندي بالصواب قول من قال: عني به: فظن يونس أن لن نجسه ونصيق عليه، عقوبة له على مغاضبته ربه، وإنما قلنا ذلك أولى بتأويل الكلمة، لأنه لا يجوز أن ينسب إلى الكفر وقد اختاره النبوة، ووصفه بأن ظن أن ربه يعجز عما أراد به ولا يقدر عليه، ووصف له بأنه جهل قدرة الله، وذلك وصف له بالكفر، وغير جائز لأحد وصفه بذلك، ولما ما قاله ابن زيد فإنه قول لو كان في الكلام دليل على أنه استفهام حسن، ولكنه لا دلالة فيه على أن ذلك كذلك، والعرب لا تحذف من الكلام شيئاً لهم إليه حاجة إلا وقد أبقت دليلاً على أنه مراد في الكلام، فإذا لم يكن في قوله (فَظُنُّ أَنْ لَنْ تُقَدِرَ عَلَيْهِ) دلالة على أن المراد به الاستفهام كما قال ابن زيد كان معلوماً أنه ليس به وإذا فسد هذان الوجهان، صبح الثالث وهو ما قلنا".

وهكذا رجع الإمام الطبري قولاً ورد آخر؛ لأجل طعنه في عصمة الأنبياء، ومقام رسالتهم اعتماداً على هذه القاعدة.

ج) القواعد الترجيحية المتعلقة بلغة العرب.

١) ما يتعلق باستعمال العرب للألفاظ والمباني.

القاعدة الأولى: كل تفسير ليس مأخوذاً من دلالة ألفاظ الآية وسياقها فهو رد على قائله^١.

والمعنى: كل تفسير مخرج بمعاني كتاب الله عما تدل عليه ألفاظه وسياقه، ولم يدل اللفظ على هذا المعنى بأي نوع من أنواع الدلالة فهو مردود، وليس من تفسير كتاب الله تعالى في شيء؛

١ سورة الطلاق، الآية ٧.

٢ انظر: جامع البيان: ٥١٨/٥١٥-٥١٥.

٣ سورة الأنبياء، الآية ٨٧.

٤ قواعد الترجيح عند المفسرين للعربي: ٣٤٩/٢.

لأن الألفاظ هي قوالب المعاني وبها يستدل على مراد المتكلم، فالغناء دلالتها بإطلاق اللغة التخاطب وفائدته.

ومثل ذلك ما ذكر الإمام القرطبي في قوله: "يَا مُخَلِّصُ الْعِجَلِ" في قوله تعالى: "وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلَ فَوُتُّوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَكُتِبَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ الثَّوَابُ الرَّحِيمُ"^١: "قَالَ بَعْضُ الرُّبَلَاءِ الْمَعَانِي عِجَلُ كُلِّ إِنْسَانٍ نَفْسُهُ فَمَنْ أَسْقَطَهُ وَخَالَفَ مِرَاتَهُ فَقَدْ بَرَّاهُ مِنْ ظُلْمِهِ وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ هُنَا عِجَلٌ عَلَى الْحَقِيقَةِ عَيْدُوهُ كَمَا نَطَقَ بِهِ التَّنْزِيلُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ"^٢.

هكذا رد الإمام القرطبي على هذا التفسير الباطني، وكذلك يرد كل تفسير باطني لا يدل عليه الفاظ القرآن بناء على هذه القاعدة.

القاعدة الثانية: ليس كل ما ثبت في اللغة حمل آيات التنزيل عليها^٤.

والمعنى: لا يكفي ثبوت المعنى للكلمة المفسرة وصحتها في اللغة، بل لا بد من مراعاة السياق القرآني وأصناف النزول والقرآن الحافظة بل الخطاب وقت نزول القرآن؛ وذلك لأن الاعتماد على مجرد اللغة يهمل غرض المتكلم به سبحانه وتعالى من كلامه، ولكل كلمة معنى في سياق قد لا يصلح في سياق آخر.

ومثل ذلك ما ذكر المفسرون قولين في قوله: "مُصَدِّقًا يَكَلِّمُهُ مِنَ اللَّهِ" في قوله تعالى: "فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بَصَدَقَةٍ يُكَلِّمُهُ مِنَ اللَّهِ وَبَشِيرًا وَخَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ"^٥:

(١) بعيسى ابن مريم.

(٢) بكتاب من الله.

١ انظر: المصدر نفسه.

٢ سورة البقرة، الآية ٥٤.

٣ الجملع لأحكام القرآن: ٤٠١/١.

٤ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٣١٢/١.

٥ انظر: المصدر نفسه.

٦ سورة آل عمران، الآية ٣٩.

يقول الإمام الطبري بعد إيراد القول الأول في تفسيره: "وقد زعم بعض أهل العلم بلغات العرب من أهل البصرة، أن معنى قوله: "مصدقًا بكلمة من الله"، بكتاب من الله من قول العرب: "أتشدني فلان كلمة كذا"، يراد به: قصيدة كذا، جهلا منه بتأويل "الكلمة"، واجترأ على ترجمة القرآن برأيه".^١

هكذا رد الإمام الطبري على القول الثاني وفقا للقاعدة.

القاعدة الثالثة: يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر.^٢

والمعنى: يجب أن يحمل معاني كتاب الله تعالى على الأظلب والأصح والأشهر، المعروف عند العرب، دون الشاذ والضعيف والمنكر، ويحمل أيضا على المعاني والعلات والعرف الذي نزل به القرآن والسنة، دون ما حدث واستجد بعد التنزيل؛ وذلك لأن القرآن الكريم نزل بأفصح اللغات، وأشهرها، فلا يجوز العلول في تفسيره عن ذلك كله، إلا أن يدل الدليل على خلافه؛ ومثال ذلك ما ذكر الإمام الطبري عدة أقوال في قوله: "وَنُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَنُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ" في قوله تعالى: "ثَوَلِجُ اللَّيْلِ فِي النَّهَارِ وَثَوَلِجُ النَّهَارِ فِي اللَّيْلِ وَنُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَنُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَنَرْزُقُ مَنْ نَشَاءُ بِفَيْزٍ جَسَدِي".^٣

(١) يراد به إخراج الأشياء الحية من النطفة الميتة، ويخرج النطفة الميتة من الأشياء الحية".

(٢) يراد به إخراج النخلة من النواة، والنواة من النخلة، والسنبلي من الحب، والحب من السنبلي، والبيض من الدجاج، والدجاج من البيض".

(٣) يراد به إخراج المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن".^٤

١ انظر: تفسير القرطبي: ١/٧٧.

٢ يريد به أبا عبيدة لأنه ذكر هذا القول الثاني في كتابه مجاز القرآن. انظر: (انظر: ٩١/٨ في مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري المحقق: محمد قواد مزكين، الطبعة ١٣٨١هـ مكتبة الخالجي، القاهرة).

٣ جامع البيان: ٣٧٣/٦ - ٣٧٤.

٤ قواعد الترجيح عند المفسرين للحرمي: ٣٦٩.

٥ انظر: المصدر نفسه، وقصود في أصول التفسير للطبري، ص ١١٠، وقواعد التفسير للسبتي: ٢١٧/٨.

٦ سورة آل عمران الآية ٢٧.

ثم قال: "وأولى التأويلات التي ذكرناها في هذه الآية بالصواب تأويل من قال: "يخرج الإنسان الحي والأنعام والبهائم الأحياء من النطف الميتة، وذلك إخراج الحي من الميت، ويخرج النطف الميتة من الإنسان الحي والأنعام والبهائم الأحياء، وذلك إخراج الميت من الحي". وذلك أن كل حي فارق شيء من جسده، فذلك الذي فارقه منه ميت. فالنطف ميتة لفارقتها جسد من خرجت منه، ثم ينشئ الله منها إنساناً حياً وبهائم وأنعاماً أحياء، وكذلك حكم كل شيء حي زايلاً شيء منه، فالذي زايلاً منه ميت. وذلك هو نظير قوله: (كَيْفَ تُكْفِرُونَ بِاللّٰهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)^١. وأما تأويل من تأوله بمعنى الحية من السنبلة، والسنبلة من الحبة، والبيضة من الدجاجة، والدجاجة من البيضة، والمؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن، فإن ذلك وإن كان له وجه مفهوم، فليس ذلك الأغلب الظاهر في استعمال الناس في الكلام، وتوجيه معاني كتب الله عز وجل إلى الظاهر المستعمل في الناس، أولى من توجيهها إلى الحقي القليل في الاستعمال^٢. وإن كان له وجه مفهوم، فليس ذلك الأغلب الظاهر في استعمال الناس في الكلام.

ومكذا رجع الإمام الطبري قولاً ورد أقوالاً أخرى بناء على هذه القاعدة.

القاعدة الرابعة: يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة^٣.

والمعنى: إذا اختلف المفسرون في تفسير آية فمنهم من يحملها على الحقيقة ومنهم من يحملها على المجاز، فلتصوب الأقوال حملها على الحقيقة، إلا أن يدل الدليل على امتناعها لأن الحقيقة هي الأصل في الكلام، ويجب حمل النصوص عليها إلا إذا دل الدليل على غيرها. ونص ابن جزي على هذه القاعدة أثناء كلامه عن وجوه الترجيح في مقدمة تفسيره: "تقديم الحقيقة على المجاز، فإن الحقيقة أولى أن يحمل عليها اللفظ عند الأصوليين"^٤.

١ أنظر: جامع البيان ٣٠٤/١ وما بعده.

٢ سورة البقرة الآية ٣٨.

٣ المصدر السابق: ٣٠٩/١.

٤ قواعد الترجيح عند المفسرين للمحرر: ٣٨٧/٢.

٥ المصدر نفسه.

٦ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٢/١.

ومثل ذلك ما ذكر ابن جزى قولين في قوله: "أَمَاتَ وَأَحْيَا" في قوله تعالى: "وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا"؛^١

(١) يراد به الحياة المعروفة والموت المعروف.

(٢) يراد به الإيمان والكفر.

ثم يقول: "والأول أرجح، لأنه حقيقة"^٢ من هنا رجح ابن جزى الحقيقة على المجاز.

القاعدة الخامسة: إذا اختلفت الحقيقة الشرعية والحقيقة اللغوية في تفسير كلام الله تعالى قدمت الشرعية.^٣

والمعنى: إذا دار تفسير الآية بين المعنى الشرعي والمعنى اللغوي، ولا دليل لتحسين أحدهما، فيقدم المعنى الشرعي؛ لأن القرآن الكريم نزل ليبيّن الشرع لا ليبيّن اللغة، إلا أن يدلّ الدليل على تقديم المعنى اللغوي.^٤

ومثل ذلك ما ذكر المفسرون قولين في المراد به "السجود" في قوله تعالى: "وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ"^٥

(١) هو الخضوع والتذلل والانقياد، وهذا هو الجانب اللغوي للسجود.

(٢) هو وضع الجبهة على الأرض على وجه الحقيقة كالسجود المعتاد في الصلاة، سجود

تحية وبكرمة لآدم وطاعة لله لا سجود عبادة. وهذا هو المعنى الاصطلاحي والشرعي للسجود.

١ سورة التجم، الآية ٤٤.

٢ انظر: تفسير ابن جزى: ٣٢٠/٣.

٣ المصدر نفسه.

٤ قواعد الترجيح عند المفسرين للعربي: ٤٠٧/١.

٥ انظر: المصدر نفسه، وأصول في التفسير محمد الصالح العثيمين، ص ٣٣، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، دار ابن الجوزي، الدمام، وفصول في أصول التفسير للطيار، ص ١٠٦.

٦ سورة البقرة، الآية ٢٤.

٧ انظر: تفسير ابن عطية: ١٢٤/١، ومفاتيح الغيب - التفسير الكبير لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري: ٤٢٨/٢، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، وتفسير الألوسي: ٣٣٠/١، وغيرهم.

يرد الإمام الرازي^١ على القول الأول فيقول: "وأما القول الثالث^٢ فضعيف أيضاً لأن السجود لما
ملك أنه في عرف الشرع عبادة عن وضع الجبهة على الأرض فوجب أن يكون في أصل اللغو
كذلك لأن الأصل عدم التثنية^٣."

ويقول الإمام القرطبي في تفسير الآية: "واختلف الناس في كيفية سجود الملائكة لآدم بعد
اتفاقهم على أنه لم يكن سجود عبادة، فقل الجمهور: كان هذا أمراً للملائكة بوضع الجبهة
على الأرض، كالسجود المعتاد في الصلاة، لأنه الظاهر بين السجود في العرف والشرع، وعلى
هذا قيل: كان ذلك السجود تكريماً لآدم وإظهاراً لفضله وطاعة لله تعالى، وكان آدم كالقنبل
تأ^٤."

وهكذا رجح المفسرون المعنى الشرعي للسجود الذي هو وضع الجبهة على الأرض على
المعنى اللغوي الذي هو الخضوع والإنقياد وفقاً للقاعدة.

**القاعدة السادسة: إذا اختلفت الحقيقة العرفية والحقيقة اللغوية في تفسير كلام الله تعالى
قدمت العرفية^٥.**

والمعنى: إذا اختلف في كلام الشارع بين الحقيقة العرفية والحقيقة اللغوية ولا دليل على تعيين
أحدهما، فالأرجح حمل تفسير الآية على الحقيقة العرفية، حيث يفيد ذلك بعرف النبي صلى
الله عليه وسلم، إلا أن يدل الدليل على ترجيح المعنى اللغوي^٦.

١ انظر: تفسير الطبري: ٥١٢/١، والتفسير الكبير للرازي: ٤٢٧/٣، وتفسير القرطبي: ٢٩٣/٨، وغيرهم.

٢ هو: محمد بن عمر بن الحسين بن الحسين بن علي العلامة فخر الدين أبو عبد الله القرشي البكري
الطبرستاني الرازي ابن خطيب الري الشافعي المفسر المتكلم الأصولي صاحب التصانيف. ولد سنة أربع
وأربعين وخمسة من مصنفاته: "التفسير الكبير"، و"البرهان في قراءة القرآن"، و"عيون الحكمة فلسفة".
وقد كانت وفاته في يوم الفطر بهرة سنة ست وثمانئة (انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢١/٥٠٠-٥٠١ هـ
١٤٠٥ هـ/١٩٨٥ م، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي: ٨١/٨، وطبقات المفسرين للأدنه ربي: ٣١٣٨-٣١٤٤).

٣ وهو الإنقياد والخضوع.

٤ التفسير الكبير: ٤٢٨/٢.

٥ الجاسع لأحكام القرآن: ٢٩٣/٨.

٦ قراعد الترجيح عند المفسرين: ٤١٢/٢.

٧ وذلك إذا لا يمكن حمل الآية على المعنى الشرعي فنلجأ إلى المعنى العرفي.

ومثال ذلك ما ذكر المفسرون في قوله: "وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ" في قوله تعالى: "إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِبِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَمِّنَ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ"^١، عدة أقوال:

١) المقصودون بهذا الصنف الغزاة: ٢) أو المقصود بهم: الحجيج: ٣) أو المقصود بهم طلبه العلم.

يقول الإمام الميمني: "وَلَا يُعْطَى شَيْءٌ مِنْهُ فِي الْحَجِّ عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ. وَقَدْ قَوْمٌ يَجُوزُ أَنْ يُصَرَّفَ مِنْهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَى الْحَجِّ. وَيُرْوَى ذَلِكَ عَنْ ابْنِ حَبَّاسٍ، وَهُوَ قَوْلُ الْحَسَنِ وَأَحْمَدَ وَإِسْحَاقَ"^٢.

ويقول القاضي ابن العربي: "قَدْ مَالَكُمُ سَبِيلُ اللَّهِ كَثِيرَةٌ وَلَكِنِّي لَا أَهْلِمُ خِلَافًا فِي أَنَّ الْمُرَادَ بِسَبِيلِ اللَّهِ هَاهُنَا الْغَزَا مِنْ جُمْلَةِ سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا مَا يُزَكَّرُ عَنْ أَحْمَدَ وَإِسْحَاقَ فَإِنَّهُمَا قَالَا: إِنَّهُ الْحَجُّ. وَالَّذِي يَصِحُّ عِنْدِي مِنْ قَوْلِهِمَا أَنَّ الْحَجَّ مِنْ جُمْلَةِ السَّبِيلِ مَعَ الْغَزَا؛ لِأَنَّهُ طَرِيقُ بَرٍّ قَاطِعٌ مِنْهُ بِاسْمِ السَّبِيلِ، وَهَذَا يُجِلُّ عَقْدَ الْبَابِ، وَيُخَرِّمُ قَانُونَ الشَّرِيعَةِ، وَيَتَنَزَّلُ سَبِيلُكَ النَّظَرِ، وَمَا جَاءَ قَطُّ بِإِعْطَاءِ الزَّكَاةِ فِي الْحَجِّ أَمْرًا"^٣.

١ انظر: المصدر السابق، وقواعد التفسير للسبته: ١٥٢/٨.

٢ سورة التوبة، الآية ٦٠.

٣ ذكره أكثر المفسرين ووجهه، انظر على سبيل المثال: تفسير الطبري: ٦٩/١٤، وتفسير الماوردي: = النكت والعيون لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي: ٣٧٧/٤، المحقق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، وزاد المسير لابن الجوزي: ٣٧٧/٤.

٤ انظر: تفسير ابن كثير: ١٦٩/٤، وتفسير المأثور: ٣٦٢/٥.

٥ معالم التنزيل: ٣٢٢/٤.

٦ هو الإمام العلامة، الحافظ، القاضي، أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي الأندلسي، الإشبيلي، المالكي، صاحب التصانيف، ولد سنة ٤٦٨هـ، صنف وجمع وترجم في العلوم، وهو أحد من بلغ رتبة الاجتهاد، توفي سنة ٥٤٣هـ. من مؤلفاته: "أحكام القرآن"، و"أمهات المسائل"، و"نزهة الناظر". (انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٩٧/٢٠ وما بعدها، وطبقات المفسرين للأدب: ١٨٠/٤ - ١٨١).

٧ أحكام القرآن: ٥٣٢/٢، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلّق عليه محمد عبد القادر عطا، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان.

ويقول رشيد رضا: "اتَّفَقَتِ الْمَذَاهِبُ عَلَى أَنَّ الْغَزَاةَ وَالْمُرَاطِبِينَ هُمُ الْمَكْصُودُونَ بِهَذَا الصَّنْفِ مِنْ مُسْتَحَقِّي الصَّدَقَاتِ، إِمَّا وَحْدَهُمْ، وَهُوَ قَوْلُ الْجُمْهُورِ، وَإِمَّا مَعَ غَيْرِهِمْ وَمَا يُشْمَلُهُ عُمُومُ الْإِضَافَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ".^١

وإنَّ إطلاقَ لفظ "في سبيل الله" على الغزو والجهاد كان شائعاً في الاستعمال عند نزول القرآن، فكان عرفاً.

هكذا رجَّح هؤلاء المفسرون المعنى العرفي على المعنى اللغوي في تفسير الآية الكريمة وفقاً لهذه القاعدة.

القاعدة السابعة: القول بالاستقلال مقدم على القول بالإضمار.

والمعنى: إذا اختلف المفسرون في تفسير آية قرآنية، فمنهم من يحملها على التفسير ويرى الحاجة إليه، ومنهم من يحملها على عدم التقدير، ويرى عدم الاحتياج إلى التقدير، ويفهم الخطاب دونه، فيقدم حمل الآية على عدم التقدير، لموافقة الأصل.^٢

ونص بهذه القاعدة ابن جزي أيضاً حيث يقول: تقديم الاستقلال على الإضمار إلا أن يدل دليل على الإضمار.

ومن أمثله ما ذكره المفسرون في قوله: "وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ" في قوله تعالى: "وَلَرَّ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَجَبِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَهْجِي وَعَرَبِي قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَبَيِّنَةٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ" عدة أقوال كالآتي:

(١) وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ مبتدأ، وفي آذانهم وقْر خبره.

(٢) وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ عطف على الموصول الأول في قوله: "قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَبَيِّنَةٌ".

١ تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): ٤٣٧/١٠، سنة النشر: ١٩٩٠م، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢ قواعد الترجيح عند المفسرين للحريري: ٤١٧/٢.

٣ المصدر السابق: ٤٣٧/٢.

٤ انظر نفس المصدر السابق، وفصول في أصول التفسير للطيار، ص ١٢٠.

٥ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٢٨.

٢) وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ مَبْدَأَ خَبْرِهِ مَحْذُوفٌ، وَالتَّقْدِيرُ: هُوَ أَيُّ الْقُرْآنِ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْ.

يقول العلامة أبو حيان الأندلسي: "وَالظَّاهِرُ أَنَّ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ مَبْدَأَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْ هُوَ مُوَضِّعُ الْخَبَرِ. وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: هُوَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْ عَلَى حَذْفِ الْمَبْتَدَأِ لَمَّا اخْتَبَرَ أَنَّهُ مَتَى وَثِقَهُ لِلْمُؤْمِنِينَ لَخَبَرِ أَنَّهُ وَقُرْ وَصَحَّمْ فِي آذَانِهِمْ أَيُّ الْكَافِرِينَ، وَلَا يَضْطَرُّ إِلَى إِضْمَارِ هُوَ، فَالْكَلَامُ تَأَمُّ دُونَهُ اخْتَبَرَ أَنَّ فِي آذَانِهِمْ صَحَّمًا عَنْ سَمَاعِهِمْ. ثُمَّ اخْتَبَرَ أَنَّهُ عَلَيْهِمْ عَمَى، يَمْتَنِعُهُمْ مِنْ إِبْصَارِ حِكْمَتِهِ وَالنَّظَرِ فِي مَعَانِيهِ وَالتَّقْرِيرِ لِآيَاتِهِ، وَجَاءَ بِلَفْظِ عَلَيْهِمُ الدَّالَّةِ عَلَى اسْتِثْنَاءِ الْعَمَى عَنْهُمْ، وَجَاءَ فِي حَقِّ الْمُؤْمِنِينَ بِالدَّالَّةِ عَلَى الْإِخْتِصَاصِ، وَكَوْنُ وَالَّذِينَ فِي مُوَضِّعِ جُرْ عَطْفًا عَلَى قَوْلِهِ لِلَّذِينَ آمَنُوا، وَالتَّقْدِيرُ: وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ وَقُرْ فِي آذَانِهِمْ إِعْرَابٌ مُتَكَلِّفٌ، وَهُوَ مِنَ الْعَطْفِ عَلَى عَامِلِيهِ، وَفِيهِ مَذَاهِبٌ كَثِيرَةٌ فِي النُّجُوزِ، وَالتَّمَشُّهُورُ مَنَعَ ذَلِكَ".

وعلى هذا الرجوع هو القول الأول؛ لأنه سالم من الإضمار والتقدير، كما صرح بذلك الإمام أبو حيان الأندلسي.

القاعدة الثامنة: القول بالترتيب مقدم على القول بالتقديم والتأخير.

١ سورة فصلت، الآية ٤٤.

٢ انظر: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري بجار الله ١٢٠٣/٤، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ دار الكتاب العربي، بيروت، وأتوا التنزيل وأسرار التأويل لنصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البضاوي: ٧/٥، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشي، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ دار إحياء التراث العربي، بيروت، وتفسير الألوسي: ٢٨١/٢.

٣ هو: العلامة، كبير المعتزلة، محمود بن عمر بن أحمد أبو القاسم الزمخشري الحواري، النحوي، الطنوبي، المتكلم، الأديب، المفهر، الحنفي، صاحب "الكشاف"، بلقب بجار الله لأنه جاور بمكة زماناً، ولد في رجب، سنة سبع وستين وأربع مائة بزمخشر (خوارزم). كان واسع العلم، رأساً في البلاغة والعربية والمعاني والبيان، وله نظم جيد، مات ليلة عرفة، سنة ثمان وثلاثين وخمس مائة، له التصانيف البديعة، منها "الفاث" في قريب الحديث، و"ربيع الأبرار"، و"أجلى البلاغة"، و"المنهاج" في الأصول، و"المفصل" في النحو. (انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٥٩/٢٠ وما بعده، وطبقات المفسرين للدوادري: ٣٤/٢ وما بعده، طبقات المفسرين للأدنه وي: ١٧٢/١-١٧٣).

٤ البحر المحيط: ٣١٢/٩.

٥ قواعد الترجيح عند المفسرين للحريزي: ٤٥٧/٢.

والعلمي: إذا اختلف المفسرون في تفسير آية من كتاب الله - عز وجل -، فمنهم من يدعي التقديم في الآية والتأخير فيها، ومنهم من يدعي إبقاء الكلام على ترتيبها فأولى الأقوال بتفسير الآية إبقاؤها على ترتيبها لأنه هو الأصل في الكلام، ولا يعكس عن هذا الأصل إلا بدليل صريح وقريظة جلية.

ونص ابن جزى على هذه القاعدة في مقدمة تفسيره قائلا: حمل الكلام على ترتيبه إلا أن يدل الدليل على التقديم والتأخير.

ومثال ذلك ما ذكره المفسرون قولين في تأويل قوله تعالى: "وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى"^١.

(١) إن "أَحْوَى" صفة لـ "غُثَاءً"، أي: أن الله - عز وجل - أخرج المرعى أخضر ثم جعله يابساً أسوداً.

(٢) إن "أَحْوَى" حل من "الْمَرْعَى"، أي: أن الله - عز وجل - أخرجه أسوداً من شدة الخضرة، وعلى هذا تقديره: الَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى أَحْوَى فَجَعَلَهُ غُثَاءً.

يقول الإمام الطبري معلقاً على القول الثاني: "وهذا القول وإن كان غير مدفوع أن يكون ما استندت خضرته من النبات، قد تسميه العرب أسود غير صواب عندي بخلافه تأويل أهل التأويل في أن الحرف إنما يحتل لمعناه المخرج بالتقديم والتأخير إذا لم يكن له وجه مفهوم إلا بتقديمه عن موضعه، أو تأخيره، فأما وله في موضعه وجه صحيح فلا وجه لطلب الاحتمال لمعناه بالتقديم والتأخير".^٢

وعلق الإمام ابن جزى على القول الثاني قائلا: "وفي هذا القول تكلف".^٣

وهكذا رجح الإمامين الطبري، وابن جزى القول الأول؛ لأنه يسلم من التقديم والتأخير/الإبقاء على ترتيبه، على ما قالت به هذه القاعدة.

١ انظر: المصدر، وقصود في أصول التفسير للطيار، ص ١٠٩.

٢ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٣/١.

٣ سورة الأعلى، الآية ٤-٥.

٤ انظر: الكشف للزحاشي: ٧٣٨/٤، وتفسير البيضاوي: ٣٠٥/٥، وتفسير ابن جزى: ٤٧٤/١.

٥ جامع البيان: ٣٧٠/٢٤.

٦ التسهيل لعلوم التنزيل: ٤٧٤/٢.

القاعدة التاسعة: لا ينبغي حمل الآية على القلب ولها بدونه وجه صحيح^١

والمعنى: إذ اختلف المفسرون في تفسير آية، وكان خلافهم يدور بين حمل الآية على القلب أو عدمه، فالأولى حمها على عدم القلب لموافقتها لظاهر الآية ولا يجوز أن ينتقل عنه إلا بدليل يجب الرجوع إليه ولأنه هو الأصل^٢.

ومثال ذلك ما ذكر القاضي ابن عطية في قوله: "فَهَذَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ" في قوله تعالى: "كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأُنْزِلَ مَعَهُمُ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَذَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ" قوليت:

(١) إن الله - عز وجل - هدى أمة محمد صلى الله عليه وسلم - للتصديق بجميع الكتب السماوية.

(٢) إن الله هدى المؤمنين للحق في جميع ما اختلف فيه أهل الكتابين^٣. ثم بقوله "وقال الفراء: في الكلام قلب... وتقديره فهدى الله الذين آمنوا للحق عما اختلفوا فيه... وادعاء القلب على لفظ كتاب الله دون ضرورة تدفع إلى ذلك عجز وسوء نظر، وذلك أن الكلام يخرج على وجهه ورصفه، لأن قوله فهدى يقتضي أنهم أصابوا الحق، رغم المعنى في قوله فيه، وتبين بقوله من الحق جنس ما وقع الخلاف فيه".

ذكر أبو حيان الأندلسي تعليق القاضي ابن عطية على قول الفراء وقال عنه: "وَهُوَ حَسَنٌ". وهكذا رد القاضي ابن عطية على ادعاء القلب في الآية، ووافقه الإمام أبو حيان الأندلسي في ذلك، وهذا ما ترجحه هذه القاعدة.

١ قواعد الترجيح عند المفسرين للمحرر: ٦٧/٢.

٢ انظر: المصدر نفسه.

٣ سورة البقرة، الآية ٢١٣.

٤ انظر: المحرر الوجيز: ٢٨٦/١ - ٢٨٧.

٥ المصدر السابق: ٢٨٧.

٦ البحر المحيط: ٣٧٠/٢.

القاعدة العاشرة: إذا دار الكلام بين التأسيس والتأكيد، فحمله على التأسيس أولى^١.

والعلی: إذا احتمل اللفظ أو الجملة من كتاب الله تعالى أن يقع تأكيداً لما سبق، أو يقع مؤسساً مفيداً لمعنى جديد لم يسبق، فحمله على التأسيس (قاعدة جديدة) أولى من جملة على التأكيد (الإعانة)، إلا إذا تعلّر جملة على التأسيس؛ ولأنه هو الأصل في الكلام.

ومثل ذلك ما في قوله تعالى: "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَلَواتُ كُلِّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ"^٢.

من اختلاف المفسرين في الضمير المحذوف الذي هو فاعل "علِمَ"

١) إنه عائد إلى الله في قوله: "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ"، أي: كُلُّ قَدْ عَلِمَ الله صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ.

٢) إنه عائد إلى قوله: "كُلُّ"، أي: كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ.

يقول الإمام الشنقيطي بعد ذكر هذين القولين: "وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ -القول الثاني- فَقَوْلُهُ تَعَالَى: وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ تَأْسِيسٌ لَا تَأْكِيدٌ أَمَّا عَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّ الضَّمِيرَ رَاجِعٌ إِلَى اللَّهِ أَيْ: قَدْ عَلِمَ اللَّهُ صَلَاتَهُ يَكُونُ قَوْلُهُ: وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ كَالْتِكْرَارِ مَعَ ذَلِكَ، فَيَكُونُ مِنْ قِبَلِ التَّوَكِيدِ اللَّفْظِيِّ وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ الْمُقَرَّرَ فِي الْأَصُولِ أَنَّ الْحَمَلَ عَلَى التَّأْسِيسِ أَرْجَحُ مِنَ الْحَمْلِ عَلَى التَّوَكِيدِ"^٣.

وهكذا رجع الإمام الشنقيطي القول الثاني الذي يحمل الكلام على التأسيس دون التأكيد وفقاً للقاعدة.

١ قواعد الترجيح عند المفسرين للحريري: ٤٧٣/٢.

٢ انظر: المصدر نفسه وفصول في أصول التفسير للطيبر، ص ١١٧.

٣ سورة النور، الآية ١، ع.

٤ انظر: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٥٧٨، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي: ٥٥١/٥، عام النشر: ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان.

٥ أضواء البيان: ٥٥٢/٥.

القاعدة الحادية عشرة: حمل الفاظ الوحي على التباين أرجح من حملها على الترادف^١.

والمعنى: إذا اختلف المفسرون في تفسير آية، فمنهم من يقول بترادف بعض ألفاظها تأكيداً للمعنى المذكور، ومنهم من يقول بالتباين بين معانيها فأرجح القولين في ذلك قول من يقول بتباينها لتوافقه الأصل؛ ولإفلاته فائدة جديدة، وأما القول بترادفها فهو لن يحمل معنى جديداً إلا أنه سيكون تأكيداً لما سبق، وعلماء الترجيح يرون أن التأسيس أولى من التأكيد.

ومثل ذلك ما ذكر المفسرون قولين في قوله "الْبِرُّ وَالتَّقْوَى" في قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا سَعَايَ اللَّهِ وَلَا الشُّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا أَمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَلُّوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نَقَوْمٍ أَنْ صَدُّوا عَنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَلَّوْا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَلَّوْا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ"^٢.

(١) هما لفظان مترادفان في المعنى، وكوّر باختلاف اللفظ تأكيداً ومبالغة، إذ كل بر تقوى وكل تقوى بر^٣.

(٢) هما لفظان متباينان في المعنى، فالبر يستخدم في المأمورات، والتقوى يستخدم في المنهيات، أو البر أعم يتناول الواجبات والمندوبات وترك المحرمات، وفي كل ما يتقرب به إلى الله تعالى، والتقوى تختص بالواجبات وترك المحرمات^٤.

يقول الإمام الطبري في الآية: "وليعن بعضكم أيها المؤمنون، بعضاً "على البر"، وهو العمل بما أمر الله بالعمل به "والتقوى"، هو اتقاء ما أمر الله باتقائه واجتنابه من معاصيه"^٥.

١ تواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٤٨٧/٢.

٢ انظر: المصدر نفسه.

٣ سورة المائدة الآية ٢.

٤ انظر: تفسير ابن عطية: ٢٢٨/١، والبحر المحرط لأبي حيوان الأندلسي: ٥٨٢.

٥ انظر: تفسير الطبري: ٤٩٠/٩.

٦ انظر: تفسير ابن عطية: ٢٢٨/١، وتفسير ابن جزري: ٢٢٠/١.

٧ جامع البيان: ٤٩٠/٩.

ويقول الإمام ابن جزّي: "والفرق بين البر والتقوى أن البر علم في فعل الواجبات والمندوبات وترك المحرمات، وفي كل ما يقرب إلى الله، والتقوى في الواجبات وترك المحرمات دون فعل المندوبات قالبر أعم من التقوى".^١

فأولى القولين في هذا القول الثاني، وهذا ما تقرره هذه القاعدة. أي "البر" و"التقوى" هما لفظان متباينان في المعنى، وبينهما فرق في المعنى؛ وذلك لإفادة قاعدة جديدة، وأما على القول الأول فـ "التقوى" يكون مؤكداً لـ "البر"، وهذا لا يفيد فائدة جديدة.

القاعدة الثانية عشرة: إذا دار الكلام بين الزيادة والتأصيل فحمله على التأصيل أولى.^٢

والمعنى: إذا احتتمل اللفظ من كتاب الله تعالى الزيادة والتأصيل، ودار خلاف المفسرين بين حملها على الزيادة والتأصيل (عدم الزيادة)، فمنهم من حملها على الزيادة وأصل المعنى يتم بدونها، ومنهم من حملها على التأصيل (عدم الزيادة)، وأصل المعنى لا يتم بدونها، فالأول حملها على التأصيل (عدم الزيادة)؛ لأنه هو الأصل، ولا يعدل عنه إلا بدليل يحجب الرجوع إليه؛ ولأن التأسيس أولى من التأكيد.^٣

ومثال ذلك ما اختلف في تأويل "الواو" التي في قوله تعالى: "أَوْكَلِمًا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَيْهِ فَرِيضٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ"^٤؛ فمنهم من يقول: هي زائدة تجعل مع حروف الاستفهام. وهي مثل "الفاء" في قوله تعالى: "أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ"^٥، ومنهم من يقول: هي حرف عطف.^٦

يقول الإمام الطبري بعد ذكر القولين: "والصواب في ذلك عندي من القول أنها "واو" عطف، أدخلت عليها "الف" الاستفهام، كأنه قل جل ثناؤه: "وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ

١ التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٢٠/٨.

٢ قواعد الترجيح عند المفسرين للمحررين: ٤٩٥/٢.

٣ انظر: المصدر نفسه.

٤ سورة البقرة، الآية ١٠٠.

٥ سورة البقرة، الآية ٨٧.

٦ انظر: تفسير الطبري: ٣٩٩/٢-٤٠٠، والبحر المحیط لأبي حيان الأندلسي: ٥١٨/١.

خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا^١، وكلما عاهدوا عهدا نبه فريق منهم ثم أدخل "الف" الاستفهام على "وكلما" فقال: "قالوا سمعنا وعصينا أو كلما عاهدوا عهدا نبه فريق منهم". وقد بينا فيما مضى أنه غير جائز أن يكون في كتاب الله حرف لا معنى له، فألغى ذلك عن إعالة البيان على فساد قول من زعم أن "الواو" و"الف" من قوله: (أو كلما) و (أو كلما) زائدتان لا معنى لهما^٢.

وهذا القول رجحه أبو حيان الأندلسي في تفسيره حيث يقول: "وهو الصحيح"^٣. وهكذا رجح الإمام الطبري والإمام أبو حيان الأندلسي القول الثاني القائل بعدم الزيادة (التأصيل) بناء على القاعدة المذكورة.

القاعدة الثالثة عشرة: القول الذي يؤيده تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها أولى بتفسير الآية^٤.

والمعنى: إذا اختلف المفسرون في تفسير آية قرآنية على عدة أقوال، فالقول الذي يشرح مع تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها أولى الأقوال بتفسير الآية لأن التصريف والاشتقاق يعيدان الألفاظ إلى أصولها فتتضح الألفاظ والمعاني المتفرغة منها، وبهما يستعين في ترجيح الأقوال وتضعيفها^٥.

وذكر ابن جزي هذه القاعدة أيضا في وجوه الترجيح في مقدمة تفسيره، فيقول: "أن يدل على صحة كلام العرب من اللغة والإعراب أو التصريف أو الاشتقاق"^٦.

ومثال ذلك ما اختلف المفسرون في معنى "الإمام" في قوله تعالى: "يَوْمَ تُدْعَوُ كُلُّ أُنثَىٰ بِإِمامِهِمْ"^٧ على عدة أقوال، منها: (١) يراد به كتاب أعمال كل إنسان. (٢) يراد به نبيهم. (٣) يراد

١ سورة البقرة، الآية ٩٣.

٢ جامع البيان: ٤٠٠/١.

٣ البحر المحيط: ٥١٧/٨.

٤ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ١١٨/٤.

٥ انظر: نفسه، وفصول في أصول التفسير للطبري، ص ١٠٧.

٦ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٢/١.

٧ سورة الإسراء، الآية ٧١.

به كتابهم الذي أنزل على نبيهم. ٤) يراد به إمام عصرهم الذي كان يأتي به من نبي أو غيره. ٥) يراد به أمهاتهم على أن الإمام جمع أم.

رد المفسرون على هذا القول الأخير وتروته هذه القاعدة أيضا وذلك أن "أم" لا تجمع على "إمام"، بل تجمع على "أمهات".

يرد الزمخشري على القول الأخير قائلا: "ومن جدد التفسير: أن الإمام جمع أم، وأن الناس يدعون يوم القيامة بأسمائهم، وأن الحكمة في الدعاء بالأسماء دون الأباء رعاية حق عيسى عليه السلام، وإظهار شرف الحسن والحسين، وأن لا يفتضح أولاد الزنا. وليت شعري أيهما أبدع؟ أصح لفظه أم بهاء حكيمته؟".

يقول السمين الحلبي بعد ذكر رد الإمام الزمخشري: "قلت: وهو معذور لأن "أم" لا يُجمع على "إمام"، وهذا قول من لا يعرف الصناعة ولا لغة العرب".

ويقول الإمام القرطبي في معرض رده على القول الأخير: "قلت: وفي هذا القول نظر، فإن في الحديث الصحيح عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا جمع الله المولودين والنجارين يوم القيامة، يرفع لكل غدير لونه، فيقول: "هذه غدير فلان بين فلان". فقوله: "هذه غدير فلان ابن فلان" دليل على أن الناس يدعون في الآخرة بأسمائهم وأسماء آبائهم، وهذا يرد على من قال: إنما يدعون بأسماء أمهاتهم لأن في ذلك شرا على آبائهم والله أعلم".

١ انظر هذه الأقوال: تفسير الطبري: ٥٠٢/٧، وفتح القدير محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني

اليماني: ٢٩٢/٣، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت.

٢ انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٥٢٠/٩.

٣ الكشاف: ٦٨٢/٢.

٤ النحو المصون في علوم الكتاب المكنون: ٣٩٠/٧. المحقق الدكتور أحمد محمد الخراط، دار الفلم، دمشق.

٥ خرج البخاري ومسلم (صحيح البخاري: ٤١/٨، برقم: ٦١٧٧)، باب ما يذعن الناس بأبائهم، كتاب الأدب،

وصحيح مسلم: ١٣٥٩/٣، برقم: ١٧٣٥)، باب تحريم الغدير. كتاب الجهاد والسير، واللفظ لهما.

٦ الجامع لأحكام القرآن: ٢٩٧/١٠-٢٩٨ بتصرف يسير.

ويقول الإمام الشنقيطي: "وَقَوْلُ مَنْ قَالَ: إِنَّ الْمُرَادَ بِإِيمَانِهِمْ كَمَحْمَدٍ بِنِ كَعْبٍ "أَمَّا أَنَّهُمْ" أَيْ يَقُلُ: يَا فَلَانُ ابْنُ فَلَانٍ - قَوْلٌ بَاطِلٌ بَلَا شَكٍّ وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ مَرْفُوعًا "يُرْفَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِكُلِّ غَائِرٍ لَوَاءٌ فَيَقَالُ هُنَا غَدْرَةُ فَلَانِ ابْنِ فَلَانٍ".^١

والأرجح هو القول الأول؛ لقَوْلِهِ تَعَالَى: "وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ".^٢ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: "يَوْمَ نَذَعُ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِيمَانِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ يَنبِئُهُ فَأُوْتِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ" أَيْ يَقْرَءُ وَحَسْبُ قِرَآئَتِهِ مِنَ الْفَرْحِ لِمَا فِيهِ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: "فَلَمَّا مِنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ يَنبِئُهُ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِيَةَ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَةَ" إِلَى أَنْ قَالَ: "وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ يَجْهَلِيهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَةَ وَلَمْ أَذَرِ مَا حِسَابِيَةَ".^٣

ومن هنا رد هؤلاء الأئمة للمفسرون على القول الأخير المخالف مع تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها ورجحوا القول الأول للتحقق مع تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها على مقتضى القاعدة.

القاعدة الرابعة عشرة: يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص.

والمعنى: إذا اختلف المفسرون في تفسير آية من كتَبَ الله تعالى بين حملها على عموم ألفاظها وتخصيصها على بعض أفرادها، فالصحيح هو حملها على العموم ما لم يرد ما يخصها.^٤
وعند ابن جزي هذه القاعدة في وجوه الترجيح التي ذكرها في تفسيره فيقول: "تقديم العمومي على الخاصضي، فإنَّ العمومي أولى لأنَّ الأصل إلا أن يدلَّ دليل على تخصيصه".^٥

١ أضواء البيان: ١٧٦/٣.

٢ سورة يس، الآية ١٢.

٣ سورة الحاقة، الآيات ١٩-٢٦.

٤ انظر: تفسير ابن كثير: ٩٩/٥.

٥ قواعد الترجيح عند المفسرين للحريزي: ٥٢٧/٢.

٦ انظر: المصدر نفسه، وفصول في أصول التفسير للطيار، ص ٩٩، وقواعد التفسير للسبت: ٥٩٩/٧.

٧ التسهيل للعلوم (التتيل): ١٩/١.

ومثال ذلك ما ذكر الإمام الطبري عدة أقوال في تأويل "لَهُوَ الْحَدِيثُ" في قوله تعالى: "وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ يَبْغِي عِلْمًا وَعَمَلًا عِزًّا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ"^١، كالتالي:

(١) هو الغناء والاستماع له.

(٢) هو الطبل.

(٣) هو الشرك.^٢

ثم يقوله: "والصواب من القول في ذلك أن يقال: عني به كل ما كان من الحديث ملهيا عن سبيل الله مما نهى الله عن استماعه أو رسوله؛ لأن الله تعالى عَمَّ يقوله: "لَهُوَ الْحَدِيثُ" ولم يخص بعضا دون بعض، فذلك على عمومته حتى يأتي ما يدل على خصوصه والغناء والشرك من ذلك".^٣

ويقول الإمام ابن جزري بعد ذكر الأقوال في الآية: "ومعنى اللفظ بعم ذلك كله، وظاهر الآية أنه هو مضاف إلى الكفر بالنبين واستخفاف"^٤.

ومن هنا رجَّح الإمام الطبري، والإمام ابن جزري حمل الآية على عموم ألفاظها دون تخصيصها على بعض أفرادها بناء على القاعدة.

القاعدة الخامسة عشرة: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

والمعنى: إذا صح سبب نزول للآية وتكون ألفاظ الآية عامة، واختلف المفسرون فيها، فمنهم من يخصصها على سبب نزولها، ومنهم من يحملها على عموم ألفاظها، فالأولى هو حملها على عموم ألفاظها، ولم يخصصها على سبب نزولها، ما لم يرد الدليل على تخصيص ألفاظها.

١ سورة لقمان، الآية ٦.

٢ انظر: جامع البيان: ١٢٧/٢٠ وما بعدها.

٣ المصدر السابق: ١٣٠/٢٠.

٤ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٣٧/٢.

٥ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٥٤٥/٢.

٦ انظر: المصدر نفسه، وفصول في أصول التفسير للطيار، ص ٩٩، وقواعد التفسير للسبت: ٥٩٢/٢.

ومثال ذلك ما قاله الإمام أبو حيان الأندلسي بعد ذكر الأقوال المختلفة في سبب نزول قوله تعالى: "وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانُوا لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ": "وظاهر الآية العموم في كل مانع وفي كل مسجد، والعموم وإن كان سبب نزوله خاصاً فالعبرة به لما يخصه السبب".^١

ومن هنا لم يخص الإمام أبو حيان الأندلسي الفاظ الآية على سبب نزوله بل حملها على عموم الفاظها وفقاً للقاعدة.

القاعدة السادسة عشرة: إذا دار اللفظ بين أن يكون مقيداً أو مطلقاً فإنه يحمل على إطلاقه.^٢

والعنى: إذا ورد لفظ في نصوص الوحي مطلقاً غير مقيد بقيد أو شرط، فالأصل إبقاء المطلق على إطلاقه، ولا يجوز تقييده بل يفسر على إطلاقه وإبهامه، إلا إذا وجد دليل التقييد.^٣ وقد نص ابن جزري على هذه القاعدة في مقدمة تفسيره أثناء ذكر الوجوه الترجيحية قائلا: "تقديم الإطلاق على التقييد إلا أن يدل دليل على التقييد".^٤

ومثاله ما اختلف المفسرون في وجوب قضاء تتابع الأيام التي ذكرت في قوله تعالى: "شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ"^٥، على قولين:

(١) يجب التتابع فيها.

(٢) لا يجب التتابع فيها بل هي عمول على الاستحباب.^٦

١ سورة البقرة، الآية ١١٤.

٢ البحر المحيط: ٥٩٨/٨.

٣ قواعد الترجيح عند المفسرين للمحررين: ٥٥٥/٢.

٤ انظر: المصدر نفسه، وقواعد التفسير للسبب: ٢٣١/٢.

٥ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩٨.

٦ سورة البقرة، الآية ١٨٥.

٧ انظر: تفسير القرطبي: ٢٨١/٢-٢٨٢، وتفسير ابن كثير: ٥٠٤/١.

فالقول الأول هو الراجح؛ لأنه ليس في الآية ما يدل على تقييد أيام يتابع به الآية مطلقاً في وجوب صيام عدة أيام أفطرت، ولا يجوز تقييد المطلق على التقييد إلا لدليل، وهذا ما ترجحه هذه القاعدة.

ويرجع الإمام ابن كثير القول الأول قائلا: "وهذا قول جمهور السلف والخلف، وعليه ثبت الدليل؛ لأن التتابع إنما وجب في الشهر لضرورة أدائه في الشهر، فأما بعد انقضاء رمضان فالمراد صيام أيام عدة ما أفطر. ولهذا قل تعالى: "فعدة من أيام أخر" ثم قل: "يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر".

وهذا ما رجحه الإمام الشوكاني قائلا: "وليس في الآية ما يدل على وجوب التتابع في القضاة".

القاعدة السابعة عشرة: الأصل في الأوامر أنها للوجوب وفي النواهي أنها للتحريم.

والمعنى: إذا وردت صيغة أمر في نصوص الوحي مجردة عن القرائن، فإنها تقتضي الوجوب (تحمّل على الوجوب)، وكذلك إذا وردت صيغة نهي مجردة عن القرائن، فإنها تقتضي التحريم (تحمّل على التحريم)، إلا إذا دلّ الدليل بخلافه.

ومثل ذلك ما ذكر الإمام الطبري اختلاف المفسرين في معنى قوله: "وأشهدوا إذا تبأيتهم" في قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَارَيْتُمْ يَتِينَ إِلَى لَئْلِ مَسْمَى فَاتَّبِعُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ

١ تفسير القرآن العظيم ٥٠٤/١.

٢ هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليميني الصنعاني الشوكاني الحنيلي؛ فقيه مجتهد ولد سنة ١١٧٣هـ بهجرة شوكان (من بلاد خولان باليمن) ونشأ بصنعاء وولي قضاءها سنة ١٢٢٩هـ ومات حاكماً بها وكان يرى تحريم التقليد توفي سنة ١٢٥٠هـ له ١١٤ مؤلفاً منها "فتح القدير" في التفسير، خمسة مجلدات، و"نيل الأوطار من لمرار متقى الأخبار"، و"السير الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع". (انظر: الأعلام للزركلي ٢٩٧٨، وهدية المكارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لإسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي: ٧٧٥/١، عام ١٩٥١م، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعها البهية استانبول، أعيدت طبعه بالأوقاف دار إحياء التراث العربي بيروت، لبنان).

٣ فتح القليبي ٢٠٨/١.

٤ قواعد الترجيح عند المفسرين للعربي: ٥٦٧/١.

٥ انظر: المصدر نفسه، وقواعد التفسير للسبكي: ٤٧٥/١.

كَاتِبٌ بِالْعَمَلِ وَلَا يَلْبَسُ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ
 اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَخْشَ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ مَفِيضًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَحِلَّ
 هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلْيَهُ بِالْعَمَلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ
 وَامْرَأَتَانِ يَمْنُنَ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَلْبَسُ
 الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْلَمُوا أَنْ تَكْتُبُوا ضَعِيفًا أَوْ كَثِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكَمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ
 وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ بَجَلَّةٍ فَخَاصِرَةٌ تَذَرُوهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ
 أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَلَّلْتُمْ عَنْهُ فَشَوَّاهُ بِكُمْ وَأَتَّقُوا
 اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءًا عَلِيمٌ^١؛ هل الأمر بالإشهاد للوجوب عند المبايعة أم ندب
 هو؟ على قولين:

١) هو ندب.

٢) هو واجب.

ثم يقول: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن الإشهاد على كل مبيع ومُتَرَيٍّ، حق واجب
 وفرض لازم لما قد بينا من أن كل أمر لله فرضه إلا ما قامت حجة من الوجه الذي يجب
 التسليم له بأنه ندب وإرشاد".^٢

ومن هنا رجع الإمام الطبري القول الثاني وفقا للقاعدة؛ ولأن الأمر المجرد عن القرائن يقتضي
 الوجوب إلا أن يدل الدليل على أنه ندب وإرشاد، ولا دليل هنا على أن الأمر للندب والإرشاد
 هنا.

٢) منها: ما يتعلق بمرجع الضمير:

القاعدة الأولى: إذا أمكن حمل الضمير على غير الشأن فلا ينبغي الحمل عليه.

والعلمي: قد يختلف المفسرون في ضمير ما، فمنهم من يقول: هو ضمير الشأن والقصة، ومنهم
 من يقول: ليس هو ضمير الشأن والقصة. فأولى الأقوال بتفسير الآية حملها على غير ضمير

١ سورة البقرة، الآية ٢٨٢.

٢ انظر: جامع البيان: ٨٣/٨ - ٨٤.

٣ الصدر السليق: ٨٤/١ - ٨٥.

٤ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٥٨٥/٢.

الشأن، إذا كان له وجه صحيح في العربية وفي السياق ولا يحمل الآية على ضمير الشأن إلا إذا لم يجد للضمير حمل صحيح غير الشأن؛ لخالفته للقياس^١.

ومثل ذلك ما ذكر المفسرون قولين في "إنه" في قوله تعالى: "يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوَاءُ بِهِمَا إِنَّهُ يَرَاهُم هُوَ وَفِيْلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَمَعْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ"^٢;

(١) الضمير في "إنه" يكون للشيطان.

(٢) أو يكون للشأن.

القول الأول هو الراجح بناء على القاعدة؛ ولأنه إذا أمكن حمل تفسير الآية على غير الشأن فلا داعي لحملها عليه.

يقول أبو حيان الأندلسي: "وَالظَّاهِرُ أَنَّ الضَّمِيرَ فِي إِنَّهُ عَائِدٌ عَلَى الشَّيْطَانِ، وَقَالَ الرَّهْمَشِيُّ: وَالضَّمِيرُ فِي إِنَّهُ ضَمِيرُ الشَّأْنِ وَالْخَبِيرُ انْتَهَى، وَلَا ضَرُورَةَ تَدْهَوَ إِلَى هَذَا".

القاعدة الثانية: إعادة الضمير إلى مذكور أولى من إعادته إلى مقدر.

والعنى: إذا اختلف المفسرون في إعادة الضمير إلى مذكور أو إعادته إلى مقدر؛ واحتمل الضمير الأمرين لأجل السياق؛ فالأولى إعادته إلى المذكور من إعادته إلى مقدر؛ لأن إعادة الضمير إلى المقدر مع إمكان إعادته إلى المذكور فيه إخراج للآية عن نظمها دون موجب.

ومثل ذلك ما قاله الإمام الشنقيطي بعد إيراد الوجهين التاليين في عائد الضمير في "مَوْتِهِ" في قوله تعالى: "وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا"^٣.

١ انظر المصدر نفسه.

٢ سورة الأعراف: الآية ٢٧.

٣ انظر: الكشف للزمخشري: ٩٧٢، والبحر المحيط: ٣٣/٥، وتفسير الألوسي: ٣٤٤/٤.

٤ البحر المحيط: ٣٣/٥.

٥ قواعد الترجيح عند المفسرين للحريزي: ٥٩٣/٢.

٦ المصدر نفسه.

٧ سورة النساء: الآية ١٥٩.

(١) الضمير راجع إلى عيسى -عليه السلام- أي لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِ عِيسَى. على هذا القول مفسر الضمير المذكور مصرح في قوله تعالى: "وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ".

(٢) الضمير عائد إلى الكتابي أي لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ الْكِتَابِيُّ قَبْلَ مَوْتِ الْكِتَابِيِّ. على هذا القول مفسر الضمير مقدر، تقديره: ما من أهل الكتاب إلا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ. "فَإِنْ قِيلَ قَدْ ذَهَبَتْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ، مِنَ الصَّحَابَةِ فَمَنْ بَعْدَهُمْ إِلَى أَنَّ الضَّمِيرَ فِي قَوْلِهِ: (قَبْلَ مَوْتِهِ) رَاجِعٌ إِلَى الْكِتَابِيِّ، أَيْ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ الْكِتَابِيُّ قَبْلَ مَوْتِ الْكِتَابِيِّ، فَالْجَوَابُ أَنَّ يَكُونُ الضَّمِيرُ رَاجِعًا إِلَى عِيسَى، يَجِبُ الْمَصِيرُ إِلَيْهِ فَوْنِ الْقَوْلِ الْآخِرِ".

ثم بدأ بذكر مرجحات هذا القول فيقول: "مِنْ مَرْجَحَاتِ هَذَا الْقَوْلِ أَنَّهُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ الصَّحِيحُ، فَمَقْسَرُ الضَّمِيرِ مَلْفُوظٌ مُصَرَّحٌ بِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: "وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ". وَأَمَّا عَلَى الْقَوْلِ الْآخِرِ فَمَقْسَرُ الضَّمِيرِ لَيْسَ مَذْكُورًا فِي آيَةِ أَصْلِهِ بَلْ هُوَ مُقَدَّرٌ، تَقْدِيرُهُ: مَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَحَدٌ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ، أَيْ مَوْتِ أَحَدِ أَهْلِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّرِ. وَيَمَّا لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّ مَا لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَقْدِيرٍ أَرْجَحُ وَأَوَّلَى مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَى تَقْدِيرٍ".

وهكذا فالقول الأول هو الأول بالأخذ والاتباع من القول الثاني؛ وذلك لأن الضمير فيه راجع إلى المذكور، وأما القول الثاني فالضمير فيه راجع إلى المقدر.

القاعدة الثالثة: توحيد مرجع الضمير في السياق الواحد أولى من تفريقها.

والمعنى: إذا جاءت ضمائر متعددة في سياق قرآني واحد، واحتملت في رجوعها إلى مرجع واحد كما احتملت توزيعها على مراجع متعددة، فالأولى رجوعها إلى مرجع واحد، لانسجام النظم واتساق السياق وقوة الإعجاز؛ لأن في توزيعها على أكثر من مرجع تفكيكا للنظم.

١ سورة النساء الآية ١٥٧.

٢ لخصوا البيان: ١٢٩٧.

٣ المصدر السابق: ١٣٠/٧.

٤ قواعد الترجيح عند المفسرين المحرري: ٦١٣/١.

٥ انظر: المصدر نفسه، وفصول في أصول التفسير للطيار، ص ١١٩، وقواعد التفسير للسبتي: ٤١٤/٨.

المثال: اختلف المفسرون في عائد الضمائر الثلاثة في "تُعَزُّوهُ" و"تُوقِّرُوهُ" و"تُسَبِّحُوهُ" في قوله تعالى: "لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزُّوهُ وَتُوقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا"^١ كالآتي:

(١) هذه الضمائر كلها لله - سبحانه وتعالى.

(٢) الضمير في "تُعَزُّوهُ" و"تُوقِّرُوهُ" للأنبياء صلى الله عليه وسلم، وفي "تُسَبِّحُوهُ" لله - سبحانه وتعالى.^٢

فأولى القولين بمتفسير الآية القول الأول، وهو القول بتوحيد مرجع الضمائر؛ ولأن فيه رعاية للنظم والسلامة من تفكيكه.

يقول الزمخشري: "والضمائر لله عز وجل والمراد بتعزير الله: تعزير دينه ورسوله صلى الله عليه وسلم ومن فرق الضمائر فقد أبعده".^٣

ويقول أبو حيان الأندلسي: "وَالظَّاهِرُ أَنَّ الضَّمَائِرَ عَائِنَةٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى".^٤

ويقول العلامة الألوسي: "ولا يخفى أن الأولى كون الضميرين فيما تقدم لله تعالى أيضا لئلا يلزم فك الضمائر من غير ضرورة".^٥

القاعدة الرابعة: الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلافه.^٦

والمعنى: إذا اختلف المفسرون في عائد ضمير في القرآن الكريم، فالرجح الأقوال إعادة إلى أقرب مذكور من إعادته إلى البعيدة لأنه هو الأصل.^٧

ومثل ذلك ما اختلف المفسرون في عائد ضمير "حَبَّ" في قوله تعالى: "وَأَلَى الْمَالِ عَلَى حَبِّ" على عدة أقوال:

(١) إن الضمير راجع فيه إلى المال. أي: أخرج المال في حل محبته له.

^١ سورة الفتح الآية ٩.

^٢ انظر: تفسير ابن جزي: ٢٨٧/١، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٤٨٦/٩، وتفسير الألوسي: ٢٥١/١٣.

^٣ الكشف: ٣٣٥/٤.

^٤ البحر المحيط: ٤٨٦/٩.

^٥ روح المعاني: ٢٥١/١٣.

^٦ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ١٢٧/٢.

^٧ انظر: المصدر نفسه، وقصود في أصول التفسير، ص ٢١٨، وقواعد التفسير للسبت: ٤١٢/١.

^٨ سورة البقرة الآية ١٧٧.

(٢) الضمير فيه راجع إلى الله تعالى أي: أعطى المال لله تعالى (٣) المضمير فيه راجع إلى الإيتاء.
أولى الأقوال بتفسير الآية القول الأول؛ لرجوع المضمير فيه إلى أقرب مذكور، وهو المال، وهذا
ما ترجحه هذه القاعدة.

يقول أبو حيان الأندلسي: "وَالظَّاهِرُ أَنَّ الضَّمِيرَ فِي حَبِّهِ عَائِدٌ عَلَى الْمَالِ لِأَنَّهُ أَقْرَبُ مُذَكَّرٌ،
وَمِنْ قَوَاعِدِ الشُّحُوبِ أَنَّ الضَّمِيرَ لَا يَعُودُ عَلَى غَيْرِ الْأَقْرَبِ إِلَّا بِذَلِيلٍ".
وهذا هو رجحه ابن جزيه وابن كثير.

١ انظر: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ١٣٥/٢-١٣٦، وتفسير الشوكاني: ١٩٩/٨.

٢ البحر المحيط: ١٣٥/٢-١٣٦.

٣ انظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ١٠٨٨، وتفسير القرآن العظيم: ٤٨٦.

الباب الأول:

ترجيحات الشيخ أبي الأعلى المودودي في أم الكتاب، والزهراوين:

وليه ثلاثة فصول:

- الفصل الأول: ترجيحاته في أم الكتاب (الفاتحة).
- الفصل الثاني: ترجيحاته في سورة البقرة.
- الفصل الثالث: ترجيحاته في سورة آل عمران.



الفصل الأول

ترجيحات سورة الفاتحة

المسألة:

لماذا سميت سورة الفاتحة بهذا الاسم " الفاتحة "؟

قل الإمام المودودي - رحمه الله -: "سميت الفاتحة بهذا الاسم لغرضها، ففاتحة الشيء أوله وفاتحة الكتاب تعني بدايته، وبعبارة أخرى الفاتحة ضرب من الدليجة والاستهلال".^١

دراسة النص:

من خلال عرض كلام الإمام المودودي - رحمه الله - الأنف الذكر يتضح بجلاء أنه عرض في المسألة قولاً واحداً إلا أنني وجدت خلال تنجسي للتفسير تسعة أسباب وعلل أخرى للمفسرين في تسمية هذه السورة بهذا الاسم، أذكرها هنا باختصار على النحو التالي:

السبب الأول: لأن القراءة القرآنية تفتح بها نطقاً كما أن الكتابة أيضاً تفتح بها خطاً وبذلك كانت هي في بداية القرآن في الترتيب المعهود وتبوءت مقام الاستهلال والدليجة.

وعن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري،^٢ والشعلي،^٣ وابن عطية،^٤ وغيرهم.

١ تفهيم القرآن: ٤٢/١

٢ انظر: جامع البيان: ١٠٧/١

٣ انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ١٢٧/١، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، المراجعة والتعليق: الاستاذ نظير الساعدي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

والشعلي هو: أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق النيسابوري الشعلي، الإمام، الحافظ، العلامة، شيخ التفسير، كان عالماً بارعاً في العربية، وحافظاً موثقاً، كان أواخر زمانه في علم القرآن، من تصانيفه: تفسير القرآن، و"البرانس في قصص الأنبياء - عليهم السلام -"، و"ربيع الذاكرين". مات سنة سبع وعشرين وأربع مائة (انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٤٣٥/١٧ وما بعده، وطبقات المفسرين للمودودي: ٦٧/١ وما بعدها، وطبقات المفسرين للأدب: ١٠٦/١).

٤ انظر: المحرر الوجيز: ٦٥/١

٥ ينظر: زاد المسير لابن الجوزي: ١٧/١، والتفسير الكبير للرازي: ١٥٧/١، وتفسير القرطبي: ١١٧/١، ولباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشبلي أبي الحسن، المعروف بالخازن: ١٥/١، تصحيح: محمد علي شاهين، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، وتفسير ابن كثير: ١٠٧/١، والتفسير المظهر للفاقي محمد نزه الله المظهر: ٢/١، المحقق: غلام نبي النونسي، الطبعة: ١٤١٢هـ، مكتبة الرشيدية باكستان، وتفسير المشوكاني: ١٧/١، وتفسير الألوسي: ٣٧-٣٨، وتفسير المنار لمحمد رشيد رضا: ٢٨/١، والجدول في إعراب القرآن الكريم لمحمود بن عبد الرحيم صافي: ٣٠/١، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ، دار الرشيد دمشق، مؤسسة الإيمان، بيروت، وأم الكتاب لتفسير سورة الفاتحة، (بالأردنية)، لأبي

السبب الثاني: لأنها تفتح بها الصلوات.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، والثعلبي، والرازي، وغيرهم.

السبب الثالث: لأنها تفتح بها القراءة والتعليم لدى الناشئة.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الثعلبي، والرازي، والألوسي. ولقد رد العلامة أبو السعود على هذا السبب قائلا: "... لأن اعتبار المبدئية من حيث التعليم يستدعي مراعاة الترتيب في بقية أجزاء الكتاب من تلك الحثية ولا ريب في أن الترتيب التعليمي ليس على نسق الترتيب المعهود^١". والعلامة الألوسي أيضا رد على هذا السبب حيث يقول: "... لأن المبدئية من حيث التعليم تستدعي مراعاة الترتيب في بقية أجزاء الكتاب من تلك الحثية ولا ريب في أن الترتيب التعليمي ليس كالترتيب المعهود^٢".

الكلام آزاد ص: ١٥، يوليو ١٩٧٥م، إسلامي أكاديمي، اردو بازلر، لاهور، وتدير القرآن (بالأرومية)، أمين أحسن (إصلاح)، ٥٣/١، نوفمبر ٢٠٠٩م، ذي نمرة ١٤٣٠هـ، فاران فاؤندينشن، لاهور، باكستان، والتفسير الوسيط للقرآن الكريم محمد سيد طنطاوي: ١٢/٨، الطبعة الأولى، يناير ١٩٩٧، دار نهضة مصر، القاهرة، والتفسير المنير في العقيدة والشرعة والمنهج لوهبة بن مصطفى الزحيلي: ٥٤/١، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ، دار الفكر المعاصر، دمشق.

١ انظر: جامع البيان: ١٠٧/١.

٢ انظر: الكشف والبيان: ١٢٦/١.

٣ انظر: التفسير الكبير: ١٥٦/١.

٤ ينظر: تفسير القرطبي: ١١١/٨، وتفسير الخازن: ١٥/٨، وتفسير ابن كثير: ١٠٧/١، وتفسير الألوسي: ٣٧-٣٨، والتفسير الوسيط لطنطاوي: ١٢/٨، والتفسير المنير لوهبة الزحيلي: ٥٤/١.

٥ انظر على التوالي: الكشف والبيان: ١٢٦/٨، والتفسير الكبير: ١٥٦/١، وروح المعاني: ٣٧-٣٨.

٦ انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى: ٧٨، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ الطبع.

وأبو السعود هو: محمد بن محمد بن مصطفى العمادي المفسر، المفتي الشافعي، ولد سنة ست وتسعين وثمانمائة، من مصنفاته: "إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن العظيم" في التفسير، و"الحاشية على تفسير الكشاف" بلغها إلى آخر سورة الفتح، و"تحفة الطلاب" في المناظرة، وكانت وفاته سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة. (انظر: طبقات المفسرين للأدب: ٣٩٨-٣٩٩، والأعلام للزركلي: ٥٩/٧).

٧ انظر: المصدر السابق: ٨، بتصريف.

٨ انظر: روح المعاني: ٣٦-٣٧، بتصريف.

السبب الرابع: لأنها أول سورة نزلت.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: التلميذ، وإسماعيل حقي، والمراغي. وذكره الشوكاني^١ ومحمد صديق خان، والصابوني^٢ -رحمهم الله- و ردوا عليه، وذكره بصيغة

١ انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ١٢٧/١.

٢ انظر: روح البيان لإسماعيل حقي بن مصطفى الإسطنبولي الحنفي الحلوتي، المولى أبي الفداء: ١٠/١. دار الفكر، بيروت. بدون تاريخ الطبع.

وإسماعيل حقي هو: إسماعيل حقي بن مصطفى الإسلامبولي الحنفي الحلوتي، المولى أبو الفداء: متصوف مفسر تركي مستعرب. ولد في آيدوس (Aldos)، وسكن القسطنطينية وكان من أتباع الطريقة (الخلوتية) نفى إلى تكفور طاغ، وأوثي. مات سنة ١١٢٧هـ مصنفاته في العربية والتركية. فمن العربية "روح البيان في تفسير القرآن" أربعة أجزاء، يعرف بتفسير حقي، و"الرسالة الخليلية" في التفسير و"الأربعون حديثاً". (انظر: الأعلام للزركلي: ٣٦٢/١، وهدية العارفين: ١٦٩/١).

٣ انظر: تفسير المراغي لأحمد بن مصطفى المراغي: ٢٢/١، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

٤ انظر: فتح القدير: ١٧/١.

٥ انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي: ٢٧/١. عني بطبعه وقدم له وراجعته عبد الله بن إبراهيم الأنصاري. عام النشر: ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، للمكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت.

هو: محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي، أبو الطيب: عالم أمير، شارك في أنواع من العلوم، من رجل النهضة الإسلامية المجددين. ولد في قجرج (بافند) سنة ١٢٤٨هـ ونشأ فيها وتعلم في دهلبي وسافر إلى بهربك طلباً للمعيشة، فلما بقررة وافرة توفي سنة ١٣٠٧هـ له نيف وستون مصنفًا بالعربية والفارسية والهندية، منها بالعربية "فتح البيان في مقاصد القرآن" في عشرة أجزاء، في التفسير، و"حسن الأسوة في ما ثبت عن الله ورسوله في النسوة"، و"أنجد العلوم". (انظر: الأعلام للزركلي: ١٦٧/١ - ١٦٨، ومعجم المؤلفين لعمر بن رضا بن محمد واغب بن عبد الغني كحالة: ٩٠/١٠، المبعث: مكتبة المتنبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ الطبع).

٦ انظر: صفوة التفسير محمد علي الصابوني: ١٨/١، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، دار الصابوني، القاهرة. والصابوني هو: محمد علي الصابوني أحد أبرز علماء أهل السنة والجماعة في العصر الحديث، المتخصصين في علم التفسير، صاحب "صفوة التفسير". اختارته جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم ليكون شخصية العام الإسلامية لعام ٢٠٠٧م لجهوده في خدمة الإسلام من خلال العديد من الكتب وخاصة تفسير القرآن. ولد الشيخ في مدينة حلب (السورية) عام ١٩٣٠م، تلقى تعليمه المبكر على يد والده، حفظ القرآن، وتعلم علوم

التفسير: الرازي^١، وأبو حفص سراج الدين^٢، ونظام الدين النيسابوري^٣، وغيرهم^٤. ولقد رد العلامة أبو السعوه قائلا: "لأن اعتبار البدئية من حيث النزول يستدعي مراعاة الترتيب في بقية أجزاء الكتاب من تلك الحثيثة ولا ريب في أن الترتيب النزولي ليس على نسق الترتيب

اللغة العربية والفرائض وعلوم الدين. كما تلقى تعليمه الابتدائي في المدارس الثانوية في حلب. وأتم دراسة التخصص بمحصلته على شهادة العالمية في القضاء الشرعي عام ١٩٥٤م من الأزهر. بعد إنهاء الدراسة قام بمهنة التدريس في ثانويات حلب (سوريا) استلذاً لحالة الثقافة الإسلامية، وبكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة، وكلية التربية ثم عتبه جامعة أم القرى باحثاً علمياً في مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي. كما قام بعد ذلك بالعمل في رابطة العالم الإسلامي كمستشار في هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة من كتبه: "الموارد في الشريعة الإسلامية"، و"من كنوز السنة"، و"روائع البيان في تفسير آيات الأحكام". (انظر: موسوعة ويكيبيديا الحرة على الانترنت، والموقع الرسمي للمكتبة الشاملة على الانترنت).

١ انظر: التفسير الكبير: ١٥٦/١.

٢ انظر: اللباب في علوم الكتاب لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن علي الخنيلي الدمشقي النعماني: ١٦٠/٨، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ/١٩٩٧م، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.

وأبو حفص سراج الدين هو: عمر بن علي بن علي الخنيلي الدمشقي النعماني أبو حفص سراج الدين الإمام العالم الفاضل المفسر. من تصنيفات اللباب في علوم الكتاب في تفسير القرآن وهو من أحسن التفاسير في نحو عشرة مجلدات، كان مشهوراً مشحوناً بأنواع قواعد العربية والعلوم السائرة في التفسير، مات سنة ثمانين وثمان مائة. (انظر: طبقات المفسرين للأدنه وي: ١١٨/٨-٤١٩، والأعلام للزركلي: ٥/٥٧، ومعجم المؤلفين لبحالة: ٣٠٠/٧).

٣ انظر: غرائب القرآن ورفائب الفرقان لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري: ٨٢/٨، المحقق: الشيخ زكريا عميراته الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ دار الكتب العلمية بيروت. ونظام الدين النيسابوري هو: حسن بن محمد ابن القمي النيسابوري، نظام الدين وكان يعرف بنظام الأعرج: مفسراً له استنقل بالحكمة والرياضيات. أصله من بلدة (قم) ومنشأه وسكنه في نيسابور، توفي سنة ٥٥٠هـ من مصنفاته: "غرائب القرآن ورفائب الفرقان" في التفسير في ثلاثة مجلدات، يعرف بتفسير النيسابوري، و"لب التأويل" و"شرح الشافية" في الصرف، يعرف بشرح النظام. (طبقات المفسرين للأدنه وي: ٤٢٠/٨، والأعلام للزركلي: ٢١٦/٢).

٤ ينظر: تفسير أبي السعود: ٧/١، وتفسير الألوسي: ٣٧١-٣٧٢، وتفسير الطاهر بن عاشور: ١٣٦/٨-١٣٣.

المعهود"^١، والعلامة الألوسي أيضاً رد على هذا السبب فيقول: "لأن المبدئية من حيث الترتيب تستدعي مراعاة الترتيب في بقية أجزاء الكتاب من تلك الحيثية ولا ريب في أن الترتيب الترتيبي ليس كالترتيب المعهود"^٢، وذكره الإمام المفتي محمد شفيع^٣ -رحمه الله-، وقال: "إنها أول سورة نزلت كاملة ولعلها سميت لذلك يفلحة الكتاب"^٤.

السبب الخامس: لأن الحمد فالحة كل كلام، وذكره الإمام الرازي - رحمه الله - أيضاً، لكن بصيغة التبريق، وذكره الإمام إسماعيل حقي - رحمه الله - أيضاً.

السبب السادس: لأنها أول سورة كتبت في اللوح المحفوظ وقد ورد هذا السبب عند الإمام إسماعيل حقي، والعلامة الألوسي - رحمهما الله -، وعلق العلامة الألوسي - رحمه الله - عليه قائلاً: "ويحتاج إلى نقل وإن صححنا أن ترتيب القرآن الذي في مصلحنا كما في اللوح قارباً كتب التالي ثم كتب المطلوب وغلبة الظن أمر آخر"^٥.

١ انظر: إرشاد العقل السليم: ٨٨ بتصرف.

٢ انظر: روح المعاني: ٢٦٨ - ٢٧ بتصرف.

٣ هو: محمد شفيع بن ياسين الديوبندي الغساني الحنفي، ولد سنة ١٢٦٤هـ/١٨٨٦م، عالم مسلم، من أهل باكستان، تخرج في دار العلوم ديوبند سنة ١٣٣٥ هـ. أخذ عن أنور شاه الكشميري، وعزيز الرحمن الديوبندي، وشيخ أحمد عثمان، قرأ بعدها في دار العلوم ديوبند لمدة ٢٦ سنة، هاجر إلى باكستان بدعوة من الشيخ شير أحمد عثمان، وبعد ما هاجر إلى باكستان شارك في تفتيش الدستور الوطني، وعهد الطريق إلى تطبيق الشريعة الإسلامية في البلد، واستقر في كراتشي وأسس بها دار العلوم كراتشي، كما كان مقبلاً أيضاً من مؤلفاته العربية: "أحكام القرآن"، و"توزيع الثروة في الإسلام"، و"نفحات في فضل اللغة العربية"، و"هداية المهتدين في آية خاتم النبيين". توفي سنة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م. (انظر: محمد شفيع الديوبندي، موقع المعرفة www.marefa.org، وموسوعة ويكيبيديا الحرة على الانترنت بالعربية والأردنية).

٤ انظر: معارف القرآن (بالأردنية): ٧٧٨، اشاعت مكتبة، (٢٠٠٠م)، سروسز بلوچي ايج كيوب.

٥ انظر: التفسير الكبير: ١٥٦٨.

٦ انظر: روح البیان: ١٠٨.

٧ انظر: المصنف نفسه وروح المعاني: ٣٧٨ - ٣٧.

٨ روح المعاني: ٢٧٨.

السبب السابع: لأن بها يستفتح المبتدئ بعد ختمه القرآن. وهو مما ذكره الإمام مكّي بن أبي طالب - رحمه الله -^١.

السبب الثامن: لأنها فاتحة أبواب المقاصد في الدنيا وأبواب الجنان في الآخرة. وورد ذكر هذا السبب عند الإمام إسماعيل حقي - رحمه الله - في تفسيره لهذه السورة المباركة.

السبب التاسع: لأن انفتاح أبواب خزائن أسرار الكتاب بها. وهو أيضا مما انفرد بذكره الإمام إسماعيل حقي - رحمه الله -^٢.

التعليق: وهكذا يتضح من القراءة في السطور السابقة أن الشيخ المودودي - رحمه الله - اختار من بين عدة أسباب ذكرها المفسرون لتسمية الفاتحة بهذا الاسم سببا واحدا، ولم يورد الأسباب الأخرى اهتماما كبيرا بما يدل على أن السبب الذي ذكره راجع عنده على الأسباب الأخرى وهو أنها سميت بـ " الفاتحة " لأنها أول القرآن وبدايته (براعة استهلاله وديباجته)، فيقول: " سميت الفاتحة بهذا الاسم لغرضها ففاتحة الشيء أوله وفاتحة الكتاب تعني بدايته، وبعبارة أخرى الفاتحة ضرب من الديباجة والاستهلال "، وقد وافق بذلك مجموعة كبيرة من المفسرين الذين ذهبوا إلى اختيار السبب ذاته، كأمثل الأئمة المفسرين: الماوردي، والسمعاني، والبغوي، وغيرهم.^٣

١ انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجل من فنون علومه لأبي محمد مكّي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي: ٧٩١، الطبعة الأولى: ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨، جامعة الشارقة.

ومكّي بن أبي طالب هو: العلامة المقرئ، أبو محمد مكّي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني، ثم القرطبي، صاحب التصانيف ولد بالقيروان سنة خمس وخمسين وثلاث مائة. وهو من أهل النجف في القراءات والغريبة، حسن الفهم، والخلق، جيد الدين، والعقل، من تصانيفه: "الهداية إلى بلوغ النهاية"، و"التمهيد في القراءات"، و"الموجز في القراءات"، توفي في الحرم سنة سبع وثلاثين وأربع مائة. (انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٧/٥٩١-٥٩٢، وطبقات المفسرين للداودي: ٢/٣٦٦، طبقات المفسرين للأدنه وبي: ١١٤/١-١١٥).

٢ روح البیان: ١٠٨.

٣ المصدر نفسه.

٤ هو: الإمام الجليل العلامة أفضى القضاة أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماورقي الشافعي صاحب التصانيف. كان جافظا للمذهب عظيم القدر متقدما عند السلطان وولي القضاة ببلدان شتى كان

من وجوه الفقهاء الشافعيين، درس بالبصرة وبغداد سنين، له المصنفات الكثيرة في كل فن من الفقه والتفسير والاصول والأصايد من مصنفاته: "تفسير القرآن" سماه: "النكت"، و"أدب الدنيا والدين" و"الأحكام السلطانية" و"قانون الوزارة وسياسة الملك" و"الإقناع" مختصر في المذهب. مات سنة خمسين وأربع مائة. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٦٤/٨ وما بعدها، وطبقات الشافعية الكبرى للسيبكي: ٢٦٧/٥ وما بعدها، وطبقات المفسرين للأدنه وي: ١١٩١-١٢٠.

١ تفسير القرآن لأبي المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي: ٦٦/٨، المحقق: ياسر بن إبراهيم وخنيم بن عباس بن خنيم، الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، دار الوطن، الرياض، السعودية.

والسمعاني مؤيد الإمام الجليل المعلم الزاهد الورع العلامة مفتي خراسان شيخ الشافعية أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد التميمي السمعاني المروزي الحنفي كلاً، ثم الشافعي. ولد سنة ست وعشرين وأربع مائة، تفقه بأبيه الذي كان من أئمة الحنفية، وصار من فحول أهل النظر، وأخذ يطالع كتب الحديث، وحج روجع، ونحوه شافعية من مصنفاته: "تفسير القرآن"، و"القواطع" في أصول الفقه، و"البرهان" في الخلاف، و"الأمالي" في الحديث، تعصب لأهل الحديث والسنة والجماعة، كما كان شوكا في أعين المخالفين، توفي سنة سبع وثمانين وأربع مائة (سير أعلام النبلاء للذهبي: ١١٤/٩ وما بعدها، وطبقات الشافعية الكبرى للسيبكي: ٢٢٥/٥ وما بعدها).

٢ انظر: معالم التنزيل: ٧/٨.

٣ ينظر: تفسير ابن عطية: ٦٥/٨، وإيجاز البيان عن معاني القرآن لمحمود بن أبي الحسن بن الحسين التيايوي أبي القاسم، لمج الدين: ٦٢/٨، المحقق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، وزاد المسير لأبن الجوزي: ١٧/١، وتفسير القرآن لأبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي النمشقي، الملقب بسلطان العلماء: ٨٧/٨، المحقق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهي، الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، دار ابن حزم، بيروت، ومعتزك الأقران في إعجاز القرآن لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي: ٥٨/٨، الطبعة الأولى: ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، وأسرار ترتيب القرآن لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ص: ٧٣، دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا، الطبعة الثانية: ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، دار الاختصاص، وتناظر المدرس في تلخيص السور لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي: ٦١، دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا، الطبعة الأولى: ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، وتفسير أبي السعود: ٧/٨، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ٣/٨، وتفسير الشوكاني: ١٧/١، وتفسير الألويسي: ٣٧-٣٧، وفتح البيان محمد حديق خات: ٣٦/٨، ومجلس التأويل لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الخلاق القاسمي: ٣٣٣/٨، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ، وتفسير المنار لمحمد رشيد رضا: ٢٨/٨، وتفسير المراغي: ٣٣/٨، والجدول في أعوار القرآن الكريم لمحمود بن عبد الرحيم صافي: ٣٠/٨، وأم الكتاب لأبي

الأدلة: الإمام المودودي - رحمه الله - كان محققاً في ترجيحه هذا القول (والله تعالى أعلم).

وذلك بالاستناد إلى أسس علمية محكمة، لأن القول الذي رجحه :

(٢) وافق عليه جماعة كبيرة من المفسرين . يقول الإمام ابن جزي الكلبي أثناء كلامه عن وجوه الترجيح: "أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين؛ فإن كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه". ويقول الإمام محمد عزة دروزة: "وقد قل كثير من المفسرين إنها براعة استهلال رائعة للقرآن".

الكلام آزاد (بالأردنية)، ص ١٥، وتفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان لعبد الحميد الفراهي، ص ٨٥-٨٦، الطبعة الأولى: ٢٠٠٨م، المطبعة الحميدية، ودلائل النظام لعبد الحميد الفراهي، ص: ٩٣، الطبعة الأولى: ١٣٨٨هـ المطبعة الحميدية، والتفسير الواضح غمد محمود الحجازي: ٩١، الطبعة العاشرة: ١٤١٣ هـ دار الجبل الجديد ببيروت، وتفسير الظاهر بن عاشور: ١٣٦/١-١٣٢، ومعارف القرآن محمد إدريس كاتنهلوي (بالأردنية): ٤٨، الطبعة الثانية: ١٩٨٢، مكتبة عثمانية، بيت الحمد جامعة أشرفية، لاهور، وإعراب القرآن وبيانه محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش: ١٩٩، الطبعة الرابعة: ١٤١٥ هـ دار الإرشاد للشتون الجامعية، محض: سورية، (دار الجامعة، دمشق، بيروت، ودار ابن كثير، دمشق، بيروت، والتفسير الحديث لمرتب حسب ترتيب النزول)، محمد عزة دروزة: ٢٨٥/٨، ٢٨٧، الطبعة: ١٣٨٣ هـ دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، وتيسير القرآن لعبد الرحمن كيلاني (بالأردنية): ١٠/١، راجعه: عبد الرزاق علوي، إشراف: طه حبيب الرحمن كيلاني، الطبعة الثالثة، سبتمبر ٢٠٠٢م، مكتبة السلام، لاهور. وتبدير القرآن لأمين أحسن إصلاحي (بالأردنية): ٥٢/٨، وصفوة التفسير للصابوني: ١٧/١، وأيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لجابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبي بكر الجزائري: ٩/١، الطبعة الخامسة: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٢م، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، والتفسير الميسر لنخبة من أساتذة التفسير، بإشراف: صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، ١/١، الطبعة الثانية: ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية.

١ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩/١.

٢ هو: محمد عزة (وتنطق عَزَتْ) بن عبد الهادي دروزة (١٨٨٧-١٩٨٤م) مفكر وكاتب ومناضل قومي عربي فلسطيني ولد في نابلس (١١ من شوال ١٣١٥هـ/٢٧ من يونيو ١٨٨٧م) وتوفي في دمشق يوم الخميس (٢٧ من شوال ١٤٠٤هـ/٢٦ من يوليو ١٩٨٤م). إضافة إلى نشاطه السياسي، كان أديباً ومترجماً وصحفيًا ومترجماً ومفسراً للقرآن. ترك دروزة أكثر من خمسين كتاباً في علوم شتى تتعلق بالعروبة والإسلام والتاريخ العام، منها: "التفسير الحديث"، و"القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها"، و"الوحدة العربية"، و"الدستور القرآني والسنة النبوية في شؤون الحياة"، و"القرآن والمرأة". (انظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة على الإنترنت، والموقع الرسمي للمكتبة الشاملة).

٣ التفسير الحديث: ٢٨٥/١.

(٢) وهو تفسير قريب للغة والمعنى المتبادر إلى الفهم، يقول الإمام ابن جزري الكلبي أيضاً عن هذا الجانب: "أن يكون ذلك المعنى المتبادر إلى الفهم فإن ذلك دليل على ظهوره ورجحانه". ويقول الإمام ابن فارس: "الْفَاءُ وَالْثَاءُ وَالْحَاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الْإِغْلَاقِ. يُقَالُ: فَتَحْتُ الْبَابَ وَغَيْرُهُ فَتَحْتُ... وَقَوَائِحُ الْقُرْآنِ: أَوَائِلُ السُّورِ. وَتَبَيَّ فَتَحَ، أَيَّ وَاسِعٌ مَفْتُوحٌ".

ويقول الإمام الراغب الأصفهاني: الفتح: إزالة الإغلاق والإشكال، وذلك ضربان: أحدهما: يدرك بالبصر كفتح الباب ونحوه...

والثاني: يدرك بالبيصيرة كفتح الهمم وهو إزالة الغم، وذلك ضروري: أحدهما: في الأمور الدنيوية كغم يفرج، وفقير يزال بإعطائه المال ونحوه...

١ التسهيل للعلوم التنزيل: ١٩٨.

٢ هو: الإمام العلامة اللغوي المحدث، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب القزويني المعروف بالرازي الشافعي ثم المالكي اللغوي. صاحب كتاب "المجمل". وكان رأساً في الأدب بصيراً بفقه مالك، مناصراً على طريقة أهل الحق، ومذهبه في النحو على طريقة الكوفيين، جمع إتقان العلم إلى ظرف أهل الكتابة والشعر. أصله من قزوین، وأقام مدة في همدان، ثم انتقل إلى الري، فتوفي فيها سنة خمس وتسعين وثلاث مائة، وإليها نسبته من مصنفاته "مقاييس اللغة"، و"جامع التأويل" في تفسير القرآن، و"مختبر الألفاظ" و"ذم الخطأ في الشعر"، و"أوجز السير لخير البشر" في ٨ صفحات، وغير ذلك. وله شعر حسن. (سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٧/١٣٢ وما بعده. والأعلام للزركلي: ١٩٣/١، ومعجم المؤلفين لكحالة: ٤١/٢-٤١).

٣ معجم مقاييس اللغة لابن فارس: ٤٦٩/٤-٤٧٠ باختصار.

٤ هو: العلامة الماهر المحقق الباهر، أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل الأصبهاني (أو الأصفهاني)، الملقب بالراغب، صاحب التصانيف أدب من الحكمة العلماء، من أذكى المتكلمين من أهل (أصبهان)، سكن بغداد واشتهر، حتى كان يقرن بالإمام الغزالي، واختلف في سنة وفاته، وقد اللغوي لم أظفر له بوفاة ولا بترجمة، وقد الداودي كان في أوائل المائة الخامسة. وفي الأعلام للزركلي ذكرت وفاته في سنة ٥٠٢ هـ، له تصنيفات تدل على تحقيقه وسعة دائرته في العلوم وتمكنه منها، أذكر بعضها منها: "المفردات في غريب القرآن"، و"أفانين البلاغة"، و"الدريعة إلى مكارم الشريعة"، وغير ذلك. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٢٠/٨٨-١٢١، والوافي بالوفيات للصفدي: ٢٩/١٣، وطبقات المفسرين للناوحي: ٣٢٧٢، والأعلام للزركلي: ٢٥٥/٢.

والثاني: فتح المستغلق من العلوم، نحو قولك: فلان فتح من العلم بابا مغلقا... وفاتحة
كل شيء مبدؤه الذي يفتح به ما بعده، وبه تمّ فاتحة الكتاب.
ويؤيد هذا القول القاعدة الترجيحية التالية:
"يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشك والضعف
والمنكر".^٢

٢ المفردات في غريب القرآن: ٦٢٧/١ باختصار.

٢ قواعد الترجيح عند المفسرين للحريز: ٣٦٩/٢.

مسألة

هل سورة الفاتحة مكية أم مدنية؟ وهل هي أول سورة نزلت كاملة؟ وما رقم نزولها؟

قل الإمام المودودي -رحمه الله-: "الفاتحة من بين أول ما أنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم ونخبرنا عدد من الأحاديث الصحيحة أنها أول سورة كاملة نزلت على النبي -عليه الصلاة والسلام- وكانت قد نزلت عليه من قبل بضعة آيات من أجزاء من سورة العلق والمزمل والمدثر".^١

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي -رحمه الله- الأنف الذكر يتضح أنه يشير في هذا النص إلى الثلاث مسائل التالية:

الأولى: إن سورة الفاتحة مكية. وما يتضح من كلامه أنه عرض في المسألة قولاً واحداً، إلا أن المتبع في التفسير والكتب المصنفة في علوم القرآن يجد أربعة أقوال للمفسرين في نزول هذه السورة. وهي بالاختصار على النحو التالي:

القول الأول: إن سورة الفاتحة مكية بل هي من أوائل ما أنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم وهو المروي عن علي بن أبي طالب، وابن عباس، وقتادة، وأبي العالية، وعدد من الصحابة.^٢

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن تيمية، وابن عطية، وابن الجوزي، وغيرهم.^٣

١ تفهيم القرآن: ٤٢/١.

٢ انظر: بحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي: ٩٥/١، وتفسير الشعبي: ٨٩٩-٩٠، والهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب: ٨٧/١، وتفسير ابن كثير: ١٠١/٨، وتفسير الألبوسي: ٣٥/٨.

٣ انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية المخراتية: ١٩٠/٨٧-١٩١، جمع وغريب: عبد الرحمن بن قاسم، وساعده ابنه محمد، طبع بأمر لطلاب الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود عجم الملك فهد، للمدينة المنورة تحت إشراف وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، عام ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٤ انظر: المحرر الوجيز: ٦٥/١.

٥ انظر: زاد المسير: ١٧/١.

القول الثاني: إن سورة الفاتحة سورة مدنية وهو المروي عن مجاهد.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن الجوزي، والرازي، والقرطبي، وغيرهم. ولقد ذكر بعض المفسرين أمثال: مكّي بن أبي طالب، وابن عطية، والنسفي، وغيرهم هذا القول بصيغة التمرّض.

وابن الجوزي هو: جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرطبي التيمي البكري البغدادي الحنيلي الإمام العلامة حافظ المعرف وواعظ الأفاق صاحب التصانيف المشهورة في العلوم المختلفة من التفسير والحديث والفقه والرّعة والتاريخ والطب وغيره. ولد سنة ٥٠٩هـ أو ٥١٠هـ وتوفي سنة ٥٩٧هـ من مؤلفاته: "زاد المسير"، و"تليس إبليس"، و"صيد الخواطر"، و"الموسوعات". (انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣١/٣١٥ وما بعده والروافى بالوفيات للصفدي: ١٠٩/٨ وما بعدها وطبقات المفسرين للداري: ٢٧٥/٨ وما بعدها).

١ ينظر: التفسير الكبير للرازي: ١٥٩/١-١٦٠، وتفسير القرطبي: ١١٥/٨-١١٦، وتفسير البضاوي: ٢٥/٨، وتفسير ابن جزّي: ٤٤/٨، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٢٩/٨، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ٢/٨، وتفسير الشوكاني: ١٧/٨، وتفسير الألوسي: ٣٥/٨، وتدير القرآن لأمين أحسن إصلاحي (بالأردنية): ٥٥/٨.

٢ انظر: بحر العلوم للسميرقاني: ١٥/٨، والتفسير التعلّقي: ٩٠/٨، والهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب: ٧٧/٨، وتفسير الألوسي: ٣٥/٨.

٣ انظر: زاد المسير: ١٧/٨.

٤ انظر: التفسير الكبير: ١٥٩/٨-١٦٠.

٥ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١١٥/٨-١١٦.

٦ ينظر: تفسير ابن جزّي: ٤٤/٨، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٢٩/٨، وتفسير الشوكاني: ١٧/٨، وتفسير الألوسي: ٣٥/٨.

٧ الهداية إلى بلوغ النهاية: ٧٨/٨-٧٩.

٨ انظر: المحرر الوجيز: ٦٥/٨.

٩ انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين المصطفي: ٢٥/٨، حققه وخرّج لطيف: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستور، الطبعة الأولى: ١٤٩٩م/١٩٩٨م، دار الكلم الطيب بيروت.

والنسفي هو: عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين، أبو البركات، النسفي، فقيه حنفي، مفسر، توفي في سنة ٧١١هـ من مصنفاته: "مدارك التنزيل" في تفسير القرآن، و"كنز الدقائق" في الفقه، و"النار" في أصول الفقه (انظر: طبقات المفسرين للأدنه وي: ٦٢/٨، والأعلام للزركلي: ٦٧/٤).

إلا أن عددا من المفسرين ردّ على هذا القول كامثال: ابن تيمية، والشعلبي، وأبو حفص سراج الدين، وغيرهم.^١

يقول الإمام ابن تيمية بعد ما رجح القول الأول بأدلته: "وكذلك قول من قال: الفاتحة لم تنزل إلا بالمدينة غلط بلا ريب، ولو لم تكن معنا أدلة صحيحة تدلنا على ذلك لكان من قال: إنها مكية معه زيادة علم".^٢

ويقول الإمام الشعلبي: "وقال الحسن بن الفضل: لكل عالم هفوة، وهذه منكبة من مجاهد لأنه تفرد بها، والعلماء على خلافه".^٣

ويقول الإمام أبو حفص سراج الدين: "قال الحسين بن الفضل: لكل عالم هفوة، وهذه هفوة مجاهد لأن العلماء على خلافه".^٤

القول الثالث: إن سورة الفاتحة مكية مدنية، أي نزلت مرتين، مرة بمكة حين فرضت الصلاة، ومرة بالمدينة حين تحوّلت القبلة.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الرازي،^٥ والبيضاوي،^٦ والشوكاني.^٧

١ ينظر: تفسير الخازن: ١٥/٨، وتفسير ابن كثير: ١٠١/٨، وتفسير النيسابوري: ٥٩/٨، والخواهر الحسان في تفسير القرآن لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي: ١٦٦/٨، المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ علل أحمد عبد الموجود، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ دار إحياء التراث العربي، بيروت، وفتح البيان لمحمد صديق خان: ٣٦/٨، والتفسير الحديث لمحمد عزة فويزة ٢٥٧/٨-٢٨٨، والموسوعة القرآنية لإبراهيم بن إسحاق الأبياري: ٤٥/٩، عام ١٤٠٥هـ مؤسسة سجل العرب، والتفسير الوسيط لطنطاوي: ١٧/١.

٢ ينظر: تفسير الألوسي: ٣٥/٨، وتفسير المنار لمحمد رشيد رضا: ٢٩/١، ومعارف القرآن لمحمد يونس كانداهلوي: ٢/٨.

٣ مجموع فتاوى لابن تيمية: ١٩١/٨٧.

٤ تفسير الشعلبي: ٨٩/٨.

٥ اللباب: ١٣٧/٨.

٦ انظر: التفسير الكبير: ١٥٩/٨-١٦٠.

٧ انظر: أنوار التنزيل: ٢٥/٨.

٨ هو: الشيخ الإمام العالم العلامة المحقق المدقق عبد الله بن عمر بن محمد بن علي أبو الخير القاضي تاجر الدين البيضاوي الشيرازي، صاحب التصانيف البليغة المشهورة منها: "مختصر الكشاف" في التفسير المسمى بأنوار التنزيل وأسرار التأويل، و"الغاية القصوى" في دراية الفتوى، و"شرح مختصر ابن الحاجب".

ولقد ذكر بعض المفسرين أمثال: الصمعيّ، والبخويّ، والزنجشيريّ، وآخرون هذا القول بصيغة القمريّ.

كما رد عليه الآخرون أمثال: محمد رشيد رضا وأبو زهرة، ومحمد عزة دروزة، يقول الإمام محمد رشيد رضا: "وقل بعضهم: إنها نزلت مرتين، مرة بمكة عند فرضية الصلاة، وأخرى بالمدينة حين حوت القبلة، وكان صاحب هذا القول أراد الجمع بين القولين وليس بشيء".^١

ويقول الإمام أبو زهرة: "...ولا يحسب ثمة حاجة للتكرار فإنها متى نزلت كانت واجبة التلاوة على أنها جزء من القرآن ولا حاجة إلى تكرار نزولها".^٢ ويقول الإمام محمد عزة دروزة: "...أما رواية نزولها مرتين مرة في مكة وأخرى في المدينة، فنحن نتوقف فيها لأننا لم نر حكمة ظاهرة لذلك".^٣

(أقول: "إن نزول الفاتحة مرتين يحتاج إلى دليل. ولا دليل عليه - فيما أعلم -").

القول الرابع: إن نصف هذه السورة نزلت بمكة ونصفها نزلت بالمدينة.

في الأصول، وكتب "المنهاج" في أصول الفقه، وشرحه أيضاً وكتاب "الإيضاح" في أصول الدين، و"شرح الكافية" في النحو، و"شرح المطالع" في المنطق. كان إماماً صريحاً نظراً صالحاً متعبداً زاهداً، رلي فضله القضية بشيراز. توفي بتبريز سنة خمس وثمانين وستمائة. (انظر: الوافي بالوفيات للمصنف: ٢٠٦/١٧، وطبقات الشافعية الكبرى للسيكي: ١٥٧/٨-١٥٨، وطبقات المفسرين للأدنه وي: ٢٥٤/٨-٢٥٥).

^١ انظر: فتح القدير: ١٧٨.

^٢ انظر: تفسير القرآن: ٣٦/١.

^٣ انظر: معالم التنزيل: ٨٠/٨.

٤ انظر: الكشف: ٧٨.

٥ ينظر: تفسير القرطبي: ١١٥/١-١١٦، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٢٩/٨، وتفسير ابن كثير: ٢٠٦/٨.

وتفسير أبي المصعود: ٨/٨، وتفسير الألوسي: ٣٥/٨، وفتح البيان لمحمد صديق خان: ٣٦/٨، وزهرة التفاسير لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بابي زهرة: ٤٨/٨، دار الفكر العربي، بدون تاريخ الطبع، والتفسير الوسيط لطناوي: ١١/٨.

٦ تفسير النار: ٢٩٨.

٧ زهرة التفاسير: ٤٨٨.

٨ التفسير الحديث: ٢٨٨٨.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الألوسي^١.

ولقد ذكر بعض المفسرين أمثال: القرطبي، وابن كثير، وإبراهيم بن إسماعيل الأبياري - رحمهم الله^٢ - هذا القول بصيغة التمریض.

كما رد عليه الآخرون أمثال: ابن كثير والألوسي، وخالد بن عثمان السبتي، يقول الإمام ابن كثير: "وحكى أبو الليث السمرقندي أن نصفها نزل بمكة ونصفها الآخر نزل بالمدينة، وهو غريب جداً، نقله القرطبي عنه"^٣.

ويقول العلامة الألوسي: "وقيل بعضها مكّي وبعضها مدني ولا يخفى ضعفه"^٤. ويقول خالد بن عثمان السبتي: "زعم بعضهم أن نصف سورة الفاتحة نزل بالمدينة لوجود (غير المقصوب عليهم ولا الضالين) وهذه دعوى ساقطة لا تستحق الرد"^٥. (أقول: "إن هذا القول القائل بنزول نصفها بمكة ونصفها الآخر بالمدينة لا دليل عليه - فيما أعلم -").

التعليق: وهكذا يتضح من القراءة في السطور السابقة أن الشيخ المؤدّي - رحمه الله - اختار من بين عدة أقوال ذكرها المفسرون لنزول الفاتحة بمكة، ولم يول الأسلوب الأخرى اهتماماً كبيراً مما يدل على أن القول الذي ذكره راجح عنده على الأقوال الأخرى، وهو: "أنها نزلت بمكة".

١ انظر: روح المعاني: ٣٥/١.

٢ هو: إبراهيم بن إسماعيل الأبياري: مؤرخ، محقق، باحث من أجل طنطا، ولد بطنطا وتخرج بدار العلوم. اشتغل بدار الكتب المصرية، وعين مديراً لإدارة إحياء التراث فمراقباً علماً لشؤون مجلس النواب والشيخوخة. عمل مدرّساً للعربية بمعهد الدراسات الإسلامية بمدينته ثم كان مستشاراً للمؤسسة الثقافية بوزارة الثقافة المصرية ألفت "الموسوعة القرآنية المبصرة" و"تاريخ القرآن"، و"رسالة الشاعر"، وغير ذلك (انظر: الموقع الرسمي للمكتبة الشاملة، ويكيبيديا الموسوعة الحرة على الإنترنت).

٣ انظر على التوالي: المجموع لأحكام القرآن: ١١٥/١-١١٦، وتفسير القرآن العظيم: ١٠٦/١، والموسوعة القرآنية: ٤٥/٩.

٤ تفسير القرآن العظيم: ١٠٦/١.

٥ روح المعاني: ٣٥/١.

٦ قواعد التفسير: ٧٩/١.

وقد وافق على ذلك مجموعة كبيرة من المفسرين الذين ذهبوا إلى اختيار القول نفسه، كأمثال الأئمة المفسرين: ابن تيمية^١، والثعلبي^٢، والبغوي^٣، وغيرهم^٤.

^١ انظر: مجموع فتاوى: ١٩٠/٧-١٩١.

^٢ انظر: الكتف والبيان: ٨٩/١.

^٣ انظر: معالم التنزيل: ٧٠/٨.

^٤ ينظر: الكشف للزخشري: ١/٨، وتفسير ابن عطية: ٦٥/٨، والتفسير الكبير للرازي: ١٥٩/٨-١٦٠، وتفسير القرطبي: ١١٥/٨-١١٦، وتفسير الجصاصي: ٢٥/٨، وتفسير الحازن: ١٥/٨، والبحر المحيط لأبي حنيفة الأندلسي: ٢٩/٨، وتفسير ابن كثير: ١٠١/٨، واللباب لأبي حفص سراج الدين: ١٦٥/٨-١٦٧، وتفسير النيسابوري: ٥٩/٨، وتفسير الثعالبي: ١٦١/٨، والفرد المشهور في التفسير بالأنوار لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي: ١٠/٨-١١، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ الطبع. وتفسير الجلالين لجلال الدين محمد بن أحمد المحلي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: ٢/٨، الطبعة الأولى، دار الحديث، القاهرة، بدون تاريخ الطبع. وقطف الأثر في كشف الأسرار لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ص ١٠٨، تحقيق ودعوة د/أحمد بن محمد الحمادي، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر. وتفسير أبي السمود: ٨/٨، والبحر المنيد في تفسير القرآن المجيد لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأحمري، الفاسي الصوفي: ٥٦/٨، المحقق: أحمد عبد الله الفرشي، رسالة، عام ١٤١٩هـ، الناشر: الدكتور حسن عيسى زكي، القاهرة، وتفسير روح البين لإسماعيل حقي: ٢٧/٨، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ٢/٨، وتفسير الألوسي: ٣٥/٨، ونجيب الدين محمد صديق خان: ٣٦/٨، ومراجع ليده لكشف معنى القرآن المجيد لمحمد بن عمر نووي الجاوي البستي، إقليد التلوي، بلدان: ٨/٨، المحقق: محمد أمين الصناري، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، وتفسير القاسمي: ٢٢٤/٨، ودلائل النظام للقراهي، ص ٩٢، وتفسير المنار لمحمد رشيد رضا: ٢٧/٨، وتفسير الراغب: ٢٤/٨، وتفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السبيعي: ٣٩/٨، المحقق: عبد الرحمن بن مغلل اللويحي، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، مؤسسة الرسالة، ولي ظلال القرآن للسيد قطب: ٢١/٨، الطبعة السابعة عشر، ١٤١٢هـ، دار الشروق، القاهرة، والتفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم يونس الخطيب: ١٧/٨، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ الطبع، والتفسير الواضح لمحمد محمود الخطاطي: ٩/٨، وتفسير الظاهر بن عاشور: ١٣٥/٨، وزهرة التفاسير لمحمد أبي زهرة: ٤٥/٨، ومعارف القرآن للسفطي محمد شفيح: ٧٢/٨، وبيان المعاني لعبد القادر بن ملا حويش السيد محمود آل غازي الثاني: ١١٤/٨، الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ/١٩٦٥م، مطبعة الرقي، دمشق، ومعارف القرآن لمحمد إدريس كاندهلوي: ٢/٨، وإعراب القرآن وبيانه لحي الدين درويش: ١٩/٨، والتفسير الحديث لمحمد عزة درويش: ٢٨٧/٨-٢٨٨، والموسوعة القرآنية لإبراهيم بن إسماعيل الأبهري: ٤٥/٩، وتفسير القرآن لعبد الرحمن كبلاني: ١٢/٨، وتفسير

الأدلة (على أن سورة الفاتحة مكية):

هو المروي عن علي، وابن عباس، وقتادة، وأبي العالية وأكثر الصحابة.

يقول العلامة الألوسي: "وهي مكية لتصح العلماء والرواية عن ابن عباس، ولما حكم المرفوع... ثم يقول: والأقوى الاستدلال بالنقل عن الصحابة الذين شاهدوا الوحي والتزيل..."

ما ورد في سورة الحجر من قوله تعالى "وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي"، والمراد به "السبع المثاني": "الفاتحة"، كما ورد في الأحاديث. وسورة الحجر مكية بإجماع العلماء، والله سبحانه وتعالى - من فيها على حبيبه - صلى الله عليه وسلم - بأن منحه السبع المثاني؛ "الفاتحة"، ولا يمكن أن يتم ذكر هذا المن على الرسول إلا بعد وجوده، ونزوله المسبق على سورة الحجر نفسها خاصة وأن السور السبع الطوال نزلت بعد سورة الحجر بزمن، فلم يبق للمراد به (السبع المثاني) إلا احتمال واحد وهو أن يكون سورة الفاتحة.

القرآن لأمين أحسن إصلاحي (بالأدوية): ٥٥/٨، والتفسير الرسيط لطنطاري: ١١/٨، وصنوة التفسير للصابوني: ١٨/٨، وأيسر التفسير لأبي بكر الجزائري: ٩١، والتفسير المختار لوهبة الزحيلي: ٥٢/٨. ١ انظر: بحر العلوم للسمرقندي: ١٥/٨، وتفسير الثعلبي: ٨٩٨-٩٠، والهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب: ٨٨/٨، وتفسير ابن كثير: ١٠٧/٨، وتفسير الألوسي: ٣٥/٨.

٢ روح المعاني: ٣٥/٨.

٣ سورة الحجر، الآية ٨٧.

٤ منها ما رواه البخاري عن أبي سعيد بن العلى، قال: مر بي النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أصلي فطعنني فلم آبه حتى صليت ثم أتته فقال: "ما منعك أن تلتني؟" فقلت: كنت أصلي، فقال: "ألم يقل الله: (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم) (الأنفال: ٢٤) ثم قال: "ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج من المسجد؟" فقال: "أبشركم بالذي أوتيته". (صحيح البخاري: ٨٧/٨، برقم: ٤٧٠٣)، كتاب تفسير القرآن، باب قوله "وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي". وما رواه أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم" (صحيح البخاري: ٨٧/٨، برقم: ٤٧٠٤)، كتاب تفسير القرآن، باب قوله "وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ". وما صححه الإمام الترمذي عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الحمد لله أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني" (سنن الترمذي: ٣٩٧/٥، برقم: ٣٦٢٤)، باب "ومن سورة الحجر"، وقال الإمام الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح".

يقول الإمام الشوكاني: "وَمَا يُقَوِّي كَوْنَ السَّبْحِ الْمُتَّانِي هِيَ الْفَاتِحَةُ أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ مَكِّيَّةٌ وَأَكْثَرُ السَّبْحِ الطُّوَالَ مَدَنِيَّةٌ، وَكَذَلِكَ أَكْثَرُ الْقُرْآنِ وَأَكْثَرُ أَهْلِهِ، وَظَاهِرُ قَوْلِهِ: وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَتَانِي أَنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَ إِيَّاهُ السَّبْحُ عَلَى نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ".

١- ولا خلاف في أن فرض الصلاة كان بمكة، ولم يثبت أنها كانت قط في الإسلام صلاة بغير الحمد لله رب العالمين^٢. يدل على هذا قوله عليه السلام: (لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ)^٣. وهذا خبر عن الحكم، لا عن الابتداء، والله أعلم. وبحال أن تفرض الصلوات، ولا ينزل ما هو تمامها وبه قوامها. كما روى الإمام مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأَمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ" (ثلاثاً) غير تمام^٤. والخدج النقص، فغير جائز أن تفرض علينا الصلوات، ولا ينزل ما يزيل عنها النقص^٥.

٢- ويدل على مكيتها وأنها من أوائل ما أنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم ما ورد في الحديث الذي رواه ابن إسحاق والبيهقي يستند عن أبي ميسرة عمرو بن شعيب عن أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال إني إذا خلوت وحلي سمعت يداؤه وقد والله خبيث أن يكون هذا آخرها فقالت معاذ الله ما كان الله ليفعل بك فوالله إنك لتؤتي الأمانة وتصل الرحم، وتصلق الخليل، فلما دخل أبو بكر وكيس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم ذكرت خديجة حبيبته له وقالت يا عتيق الذهب مع محمد إلى ورقه فلما دخل رسول

١٧٠-١٧١: فتح القطيف

٢ انظر: تفسير الشعلي، ٩٧/١، وتفسير ابن عطية، ٦٥/١، وتفسير البغوي، ٧٠/١، وتفسير البيضاوي، ٢٥/١.

٣ فقد روى الشيخان عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَا صَلَاةَ بِسِوَى لَمْ يُقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ" (صحيح البخاري: ١٥٧١-١٥٢، برقم: ٧٥٦)، مَنَاسِبُ الْأَذَانِ، بَابُ وَجُوبِ الْقِرَاءَةِ لِلْإِمَامِ وَالْمَأْمُومِ فِي الصَّلَاةِ كُلِّهَا فِي الْحَضَرِ وَالسُّكُوتِ، وَمَا يُجْهَرُ فِيهَا وَمَا يُخَفَّفُ، وصحيح مسلم: ٢٩٥/١، برقم: ٣٩٤)، كتابُ الصَّلَاةِ، بَابُ وَجُوبِ قِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، وَإِنَّهُ إِذَا لَمْ يُحْسِنِ الْقِرَاءَةَ وَلَمْ أَمْكُنْهُ تَعَلُّمَهَا قَرَأَ مَا تيسَّرَ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا).

٤ تفسير القرطبي: ١١٥/١.

٥ انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب: ٧٨.

٦ صحيح مسلم: ٢٩٧/١، برقم: (٣٩٥)، كتاب الصلاة، بلب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، وإثباته إذا لم يحسن الفاتحة، ولما أمكنه تعلمها قرأ ما تيسر له من غيرها.

٧ انظر المصدر السابق: ٧٨-٧٧.

الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَحَدًا أَبُو بَكْرٍ يَبِيْهِ، فَقَالَ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَى وَرَقَةَ، فَقَالَ: وَمَنْ أَخْبَرَكَ؟
 قَالَ: خَدِيجَةُ، فَأَنْطَلَقْنَا إِلَيْهِ، فَقَصَا عَلَيْهِ، فَقَالَ إِذَا خَلَوْتُ وَخَدِيجِي سَمِعْتُ نِدَاءَ خَلْقِي: يَا مُحَمَّدُ يَا
 مُحَمَّدُ، فَأَنْطَلِقْ هَارِبًا فِي الْأَرْضِ، فَقَالَ: لَا تَفْعَلْ فَإِذَا أَتَاكَ فَاتَّبِعْ حَتَّى تَسْمَعَ مَا يَقُولُ ثُمَّ اتَّبِعْنِي
 فَخَصِرْتَنِي، فَلَمَّا خَلَا نَادَاهُ يَا مُحَمَّدُ قُلْ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَتَّى
 بَلَغَ "وَلَا الضَّالِّينَ". قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَأَتَى وَرَقَةَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ أَبْشِرْ، ثُمَّ أَبْشِرْ
 فَإِنَّا أَشْهَدُ أَنَّكَ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ ابْنُ مَرْيَمَ، وَأَنَّكَ عَلَى مِثْلِ نَاسِ بْنِ مُوسَى، وَأَنَّكَ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ،
 وَأَنَّكَ سَوْفَ تُؤَمِّرُ بِالْجِهَادِ بَعْدَ يَوْمِكَ هَذَا وَلَنْ أَفْرَقَنِي ذَلِكَ لِلْجَاهِدِ مَعَكَ، فَلَمَّا تُوْفِيَ وَرَقَةُ،
 قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: لَقَدْ رَأَيْتُ الْبُرسَ فِي الْجَنَّةِ عَلَيْهِ ثِيَابُ الْحَرِيرِ، لِأَنَّهُ
 آمَنَ بِي وَصَدَّقَنِي - يَعْنِي وَرَقَةَ !

يقول الإمام البيهقي: فهذا منقطع، فإن كان مخفوطاً فيحتمل أن يكون خبراً عن نزولها بعد ما
 نزلت عليه، اقرأ باسم ربك، وبها أيها المذنب، والله أعلم !

٣- هو قول جمهور المفسرين. لقد وافق الإمام اللوديني بهذا الترجيح جماعة كبيرة من
 المفسرين (الصحابة والتابعين ومن بعدهم). يقول الإمام ابن جزى الكلبي أثناء كلامه عن
 وجوه الترجيح في مقدمة تفسيره فقال: "أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين؛ فإن
 كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه" ٥. ويقول الإمام البغوي: هي مكية على قول الأكثرين ١.

١ سيرة ابن إسحاق محمد بن إسحاق بن يسار المطلي بالولاء المدني: ص ١٣٣-١٣٢، تحقيق: سهيل زكار،
 الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ / ١٩٧٧م، دار الفكر، بيروت، ودلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة لأحمد بن
 الحسين بن علي بن موسى الحنبري الخراساني، أبو بكر البيهقي: ١٥٨٦-١٥٩٠، باب أول سورة نزلت
 من القرآن، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢ واللفظ للبيهقي.

٣ دلائل النبوة للبيهقي: ١٥٩٢.

٤ وقد أورد ابن كثير في "البداية والنهاية": ٣/ ١٤-١٥ عن طريق البيهقي، وقال: "وهو مرسل، وفيه غرابة
 وهو كون الفاتحة أول ما نزل". (الحقق: علي شيري، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، دار إحياء التراث العربي،
 قام بفهرسته: عبد الرحمن الشامي). ويقول الإمام السيوطي: "هذا مرسلٌ بحالته يُقَالُ". (الإنقان في علوم
 القرآن لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي: ٩٤٨، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، عام
 ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م، الهيئة المصرية العامة للكتاب).

٥ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩/١.

ويقول الإمام ابن جزري: "أن يكون القول قول من يقتضي به من الصحابة كالحلفاء الأربعة، وعبد الله ابن عباس رضي الله عنهما^٣. الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو له بقوله: "اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمَهُ التَّوْلِيدَ"^٤ ٣٤. يضاف إلى ذلك أنه هو المروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه حيث قلنا: " نَزَلَتْ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ بِمَكَّةَ مِنْ كَنْزٍ نَحْتُ الْعَرَضِ"^٥. وله حكم المرفوع.

٤- إنها مكة معه زيادة علم^٦.

ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

إنما يعرف الحكمي والمدني بنقل من شاهدوا التنزيل^٧.

تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ.

القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك^٨.

الثانية: إن سورة الفاتحة أول سورة نزلت كاملة. ويشير الإمام المودودي إلى أن رأيه مبني على الأحاديث الصحيحة فيتضح من كلامه أنه عرض في المسألة قولاً واحداً، إلا أنني وجدت خلال تنجلي للتفسير وكتب علوم القرآن أربعة أقوال أخرى للمفسرين في أول ما نزل من القرآن. أذكرها هنا باختصار على النحر التالي:

١ معلم التنزيل: ٧٠/٨ (وانظر: فتح الباري لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي: ١٥٩/٨، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، علق عليه العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩).

٢ وقول الصحابة في سبب التنزيل له حكم المرفوع كما نبه على هذا الإمام الحاشم (انظر: معرفة علوم الحديث: ٢٠/٨، تحقيق: السيد معظم حسون، الطبعة الثانية، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، دار الكتب العلمية، بيروت).

٣ سبق تخريجه.

٤ السهيل لعلوم التنزيل: ١٩/٨.

٥ أخرجه أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي في أسباب نزول القرآن لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، ص ٢٢، تحقيق ودراسة: كامل بسيوني، زغلول، الطبعة الأولى ١٤١١هـ/ ١٩٩١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٦ سبق شيخ الإسلام الإمام ابن نعمة بهذا الاستدلال من بين المفسرين -كما أعلم-.

٧ قواعد التفسير للسبت، ص ٧٧.

٨ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ص ٢٨٨.

٩ المصدر السلوك، ص ٣٦٢.

القول الأول: أول ما نزل من القرآن الآيت الخمس الأولى من سورة "اقرأ".

وعن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري^١، والقاضي أبي بكر البقلائي^٢، والواحدي^٣، وغيرهم^٤.

القول الثاني: أول ما نزل من القرآن سورة "المدر".

وعن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري^٥، والقاضي أبي بكر البقلائي^٦، والواحدي^٧، وغيرهم^٨.

ولقد رد الإمام الخازن^٩ هذا القول قائلا: "وقول من قل إن سورة المدر أول ما نزل من القرآن على الإطلاق ضعيف لا يعتد به". ورد عليه الإمام عبد القادر بن ملا حويش فيقول: "ومن

١ انظر: جامع البيان: ٥١٩/٢٤.

٢ انظر: الانتصار للقرآن: ٢٤٠/١، تحقيق: د. محمد عصام القضاة، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، دار الفتح.

عمال، دار ابن حزم، بيروت.

٣ انظر: أسباب النزول، ص ١٢.

٤ ينظر: تفسير ابن عطية: ٣٩٢/٥، وزاد المسير لابن الجوزي: ٤٦٧/٤، والتفسير الكبير للرازي: ٢١٥/٣٢، وتفسير القرطبي: ١١٥/١، وتفسير ابن جزى: ١٢/١، ٤٩٦/٢، والبرهان في علوم القرآن لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بشار الزركشي: ٢٠٦/٨، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى: ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ثم صوّرت دار الخزعة، بيروت، لبنان، وبطبع ترقيم المصححات)، وتفسير ابن كثير: ١٠٣/٨، ٤٣٧/٨، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي: ٩٧/١، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ٣٠٠/١٠، وتفسير الشوكاني: ٥٧٠/٥، وتفسير الألوسي: ٤٠٦/٥، والمندخل لدراسة القرآن الكريم لمحمد بن محمد بن سويلم أبي شهبة: ١١٠/١، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، مكتبة السنة، القاهرة، وعلوم القرآن لجوهري: ١٢٧-١٢٩.

٥ انظر: جامع البيان: ٨٧/٣٣.

٦ انظر: الانتصار للقرآن: ٢٣٩/١.

٧ انظر: أسباب النزول، ص ١٤.

٨ ينظر: تفسير ابن عطية: ٣٩٢/٥، وزاد المسير لابن الجوزي: ١٢/٨، والتفسير الكبير للرازي: ٢٩٦/٣٠، وتفسير القرطبي: ١١٥/٨، والبرهان في علوم القرآن للزركشي: ٢٠٦/٨، وتفسير ابن كثير: ٢٠٦/٨، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي: ٩٢/٨، وتفسير الشوكاني: ٢٨٧/٥، والمندخل لدراسة القرآن الكريم لمحمد بن محمد أبي شهبة: ١١٢/٨.

قل إن المدثر أول سورة نزلت أراد أنه بعد فترة الوحي أولية إضافية لا مطلقة، ومن أراد الأولية المطلقة فلا برهان له بها، وقد صرح الزهري بضعفه وعدم الاعتداد به^٢، وذكره بصيغة التبريض: الإمام الزمخشري، والإمام البيضاوي، والإمام ابن جزى^٣.

القول الثالث: أول ما نزل من القرآن "الفاتحة".

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: القاضي أبي بكر الباقلائي^٤، والواحدي^٥، والرازي^٦ وغيرهم^٧.

ولقد رد العلامة الألوسي على هذا القول حيث يقول: "وأما قول من قل من المفسرين: أول ما نزل الفاتحة فبطلانه أظهر من أن يذكر"^٨. ورد عليه العلامة الطاهر بن عاشور^٩ قائلا: "وَيَقِيلُ

* والخازن هو: علي بن محمد بن إبراهيم علاء الدين البغدادى المعروف بالخازن، عالم بالتفسير والحديث من فقهاء الشافعية. ولد ببغداد سنة ٦٧٨هـ/١٢٨٠م وتوفي بحلب سنة ٧٤٦هـ/١٢٤٦م. له تصانيف منها "لباب التأويل في معاني التنزيل" في التفسير يعرف بتفسير الخازن، و"علة الأنهم في شرح عمدة الأحكام" في فروع الشافعية، و"مقبول المقبول" الجزء السابع منه وهو في عشر مجلدات، في الحديث. (طبقات المفسرين للأدبني: ٢٦٧/١-٢٦٨، والأعلام للزركلي: ١٥/٥).

٢ لباب التأويل في معاني التنزيل: ٣١١/٤-٣٦٣.

٣ بيان المعاني: ١٠٢/١.

٤ انظر على التوالي: الكشاف: ٦٤٤/٤، وأنوار التنزيل: ٢٥٤/٥، والتسهيل لعلوم التنزيل: ١٢/١.

٥ انظر: الإنصار للقرآن: ٢٤١/٨.

٦ انظر: أسباب النزول، ص ١٤.

٧ انظر: التفسير الكبير: ٢١٥/٣٢.

٨ ينظر: تفسير القرطبي: ١١٥/٨، وتفسير ابن جزى: ١٢/٨، والبرهان في علوم القرآن للزركشي: ٢٠٧/٨، وتفسير ابن كثير: ١٠٣/٨، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي: ٩٤/١، وللنحل لدعاة القرآن الكريم محمد بن محمد أبي شهبة: ١١٥/٨.

٩ تفسير الألوسي: ٤٠١/٨٥.

١٠ والطاهر بن عاشور هو: محمد الطاهر بن عاشور (١٢٩٧ - ١٣٩٣هـ/١٨٧٩ - ١٩٧٣م): رئيس المقتنين المالكيين بفرنس وشيخ جامع الزيتونة، ومن أعضائه الجمعيتين العربيتين في دمشق والقاهرة. من أشهر مصنفاته: "التحرير والتوير" في تفسير القرآن ومقاصد الشريعة الإسلامية، و"أصول النظم الاجتماعي في الإسلام". (انظر: الأعلام للزركلي: ١٧٤/٦).

لِأَنَّهَا أَوَّلُ مَا نَزَلَ وَهُوَ ضَعِيفٌ لِمَا ثَبَتَ فِي "الصَّحِيحِ"، وَاسْتَفْهَمَ أَنَّ أَوَّلَ مَا أُنْزِلَ سُورَةُ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ، وَهَذَا مِمَّا لَا يَتَّبَعِي أَنْ يَتَرَدَّدَ فِيهِ".

القول الرابع: أول ما نزل من القرآن "بسم الله الرحمن الرحيم".

وعن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن الجوزي، والسيوطي، والألوسي، ومحمد بن محمد أبو شهبه.

يقول الإمام السيوطي: "وعندي أن هذا لا يعدّ قولاً برأسه فإنه من ضرورة نزول السورة نزول البسملة معها فهي أول آية نزلت على الإطلاق".

التعليق: إن أكثر المفسرين سلفاً وخلفاً يرجحون القول الأول لحديث عائشة، غير أن الزحخشري، ومحمد رشيد رضا يرجحان القول الثالث.

١ سورة العلق، الآية ١.

٢ التحرير والتنوير: ١٣٢/٨.

٣ انظر على التوالي: زاد المسير: ١٣/٨، والإتقان في علوم القرآن: ٩٥/١، وروح المعاني: ٤٠٠/١٥، والمدخل لدراسة القرآن: ١١٧/٨.

٤ الإتقان في علوم القرآن: ٩٥/٨.

٥ ينظر: تفسير الطبري: ٥١٩/٢٤، وبحر العلوم للسرقي: ٥٩٧/٣، وتفسير الشعبي: ٢٤٦/١٠، وتفسير السمعاني: ٢٥٥/٦، وتفسير البقوي: ٢٧٩/٥، وتفسير ابن عطية: ٣٩٢/٥، وزاد المسير لابن الجوزي: ٤٢٧/٤، وتفسير ابن جزي: ١٢/٨، ٩٧٢/٤، وتفسير الخازن: ٣٦٧/٤-٣٦٢، و٤٤٦، والبرهان في علوم القرآن للزركشي: ٢٠٦/٨، وتفسير ابن كثير: ١٠٣/٨، ٤٣٧/٨، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور لإبراهيم بن عمر بن حسن الربط بن علي بن أبي بكر البقاعي: ١٥٣/٢٢، دار الكتاب الإسلامي القاهرة يتوفى تاريخ الطبع، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي: ٩١/٨، وتفسير أبي العزقة: ٥٤/٨، والتفسير المظهري لآله الله المظهري: ٣٠٠/٨، وتفسير الشوكاني: ٥٧٠/٥، وتفسير الألوسي: ٤٠٠/١٥، وفي ظلال القرآن للسيد قطب: ٣٩٣/٦، والتفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب: ١٦٣٢/١٦، وتفسير الطاهر بن عاشور: ١٣٥/٨، وزهرة التفاسير محمد أبي زهرة: ٥٥/٨، والتفسير الواضح لمحمد محمود الحجازي: ٨٨٣/٣، ومعارف القرآن للمفتي محمد توفيق (بالأردنية): ٧٢/٨، ومعارف القرآن لمحمد إدريس كاندهلوي (بالأردنية): ٢/٨، والمدخل لدراسة القرآن الكريم لمحمد بن محمد أبي شهبه: ١١٠/٨، والتفسير الحديث: محمد عزة دروزة: ١٧٩٨، وأعراب القرآن وبيانه لمحي الدين درويش: ٢٠/٨، وعلوم القرآن لجواهر رحمن (بالأردنية): ١٢٧-١٢٩، والتفسير الوسيط لطباطبائي: ٤٥٢/٨، والتفسير المنير لوهبة الزحيلي: ٥٣/٨.

١. وهو حديث طويل رواه البخاري بسنده عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: أول ما بيئني به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبَّ إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنَّت فيه - وهو الضُّد - الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزوّد لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزوّد لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قل: «ما أنا بقارئ»، قل: «فأخذني فغطّني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطّني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطّني الثالثة، ثم أرسلني، فقال: (اقرأ باسم ربك الذي خلق، الإنسان خلق، الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم) [العلق: ١-٤]» فراجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجع فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، فقالت: «فمئولني ومئولني»، فمئولوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: «لقد غشيته على نفسي»، فقالت خديجة: «كلا والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق»، فأنطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة وكان أمياً تنصّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: «يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك»، فقال له ورقة: «يا ابن أخي ماذا ترى؟» فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى، فقال له ورقة: «هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذع، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك»، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أومض»، قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عوفي، وإن يدركني يومك المصير، نصراً مؤزناً، ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي (صحيح البخاري: ٧/١، برقم: ٣)، يلعب به

ومسلم يستند عن عائشة أنها قالت: كَانَ أَرَأَى مَا يُدْعَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا
الصَّلَوةَ فِيهِ النَّوْمُ، فَكَأَنَّهُ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلْي الصَّبِيحِ، ثُمَّ حَبَّ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، فَكَأَنَّهُ يَخْلُو بِثَمَرِ حِرَاءٍ
يَتَحَنَّنُ فِيهِ - وَهُوَ الثَّعْبُدُ - الْيَلْيَالِي أُرْلَيْتِ الْعَنْدَ، قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَتَقَرُّدُ لِيْلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى
خَاصِيَّةٍ فَيَقَرُّدُ لِيْلَيْهَا، حَتَّى فِجْهَ الْحَقِّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَيَجْعَلُهُ الْمَلِكُ، فَقَالَ: أَقْرَأْ، قَالَتْ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، قَالَ:
فَاتْلُؤْنِي، فَمُطْلُئِي حَتَّى يَلْغَ مِنِّي الْجَهْدُ، ثُمَّ أُرْسَلْنِي، فَقَالَ: أَقْرَأْ، قَالَتْ: قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَاتْلُؤْنِي، فَمُطْلُئِي الثَّالِثَةَ حَتَّى يَلْغَ
مِنِّي الْجَهْدُ، ثُمَّ أُرْسَلْنِي، فَقَالَ: {أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ} أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي
عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ [العلق: ٢] فَوَجَّعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرْجُفَ بَوَابِهِ،
حَتَّى فَخَّلَ عَلَى خَدِيجَةَ فَقَالَ: "زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي"، فَزَمِّلُوهُ حَتَّى دَغَبَ عَنْهُ الرُّوحُ، ثُمَّ قَالَ لِيَحْيِيَّةَ: "إِنِّي خَدِيجَةٌ"
مَا لِي" وَأَخْبَرَهَا الْخَبْرَ، قَالَ: لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي، قَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: كَلَّا أَبْنِي، فَوَاللَّهِ لَا يُخْبِرُكَ اللَّهُ أَبَدًا.
وَاللَّهُ بِإِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِيمَ، وَتَصْنَعُ الْحَيَاتِ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتُكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى
كُلِّ ذِي الْحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِوَ خَدِيجَةَ حَتَّى أَتَتْ بِوَ وَرَقَةَ بْنِ ثَوَّلٍ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزْزِ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ

يقول الإمام الزمخشري: "عن ابن عباس ومجاهد: هي أول سورة نزلت. وأكثر المفسرين على أن الفاتحة أول ما نزل ثم سورة القلم".

ويقول الإمام رشيد رضا: "وأما الاستدلال الإمام فقد رجح أنها أول ما نزل على الإطلاق. ولم يستثن قوله تعالى: " (اقرأ باسم ربك) " ونزع في الاستدلال على ذلك منزعا غريبا في حكمه القرآن وفيه الذين قلنا ما مثاله. ومن آية ذلك: أن السنة الإلهية في هذا الكون - سواء أكان كون إيجاد أو كون تشريع - أن يظهر سبحانه الشيء مجملا ثم يتبعه التفصيل بعد ذلك تدرجاً. وما مثل الهدايا الإلهية إلا مثل البذرة والشجرة العظيمة، فهي في بدايتها مائة حبة تحتوي على جميع أصولها ثم تنمو بالتدرج حتى تبتق قرونها بعد أن تعظم قوتها ثم تجود عليك بثمرها. والفاتحة مشتملة على مجمل ما في القرآن. وكل ما فيه تفصيل للأصول التي وضعت فيها".

والمفسرون القائلون بالقول الثاني يستدلون برواية جابر بن عبد الله رضى الله عنه.

لحي أيقه. وكان امرأ تنصر في الجاهلية. وكان يكتب الكتاب العربي. ويكتب من الإنجيل بالعريب ما شاء الله أن يكتبه. وكان شيخا كبيرا فذ عمو. فقلت له خذ لي من أي علم اسمع من ابن أخيك. قل ورقة بن نوفل: يا ابن أخيه ماذا ترى؟ فالتجبر رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رآه فقال له ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى صلى الله عليه وسلم. يا لحي فيها جذعه يا لحي أكون حيا حين يخرجك قومك. قل رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أرأيتني هم؟" قل ورقة: نعم لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي. وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرا" (صحيح مسلم: ١٣٩٩-١٤١١، رقم: ١٦٠)، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

١ قل ابن خنجر: "والذي ثقب أكثر الأئمة إليه هو الأول وأما الذي نسبته إلى الأكثر فلم يقل به إلا عند أقل من القليل بالنسبة إلى من قلنا بالآول". (فتح الباري لابن حجر: ٧١٤/٨).

٢ الكشف: ٣٧٥/١.

٣ تفسير المنار: ٣٩٨-٣٩٠.

٤ رواه البخاري بسنده عن أبي سلمة قل: سألت جابر بن عبد الله أي القرآن أنزل أول؟ فقال: (يا أيها المدثر) [المدهر: ١] فقلت: أتثبت أنه (اقرأ باسم ربك الذي خلق) [العلق: ١] قل: لا أنصرك إلا بما قل رسول الله صلى الله عليه وسلم. قل رسول الله صلى الله عليه وسلم: "جاءت في جوارحه فلما قضيت جوابي مبطنة فاستبطنت الوحي فتوديت فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن يساري فإذا هو جالس على كرسي بين السماء والأرض، فأتيت خديجة فقلت: فادعوني، وصبروا علي ما يدره وأنزل علي: (يا أيها

والمفسرون القائلون بالقول الثالث يستدلون برواية الإمام البيهقي^١.

الْمَذْكُورُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبُّكَ فَكَبِّرُ [المائدة: ٢] " (صحيح البخاري: ١٦٦/١، برقم: ٤٩٢٤)، كتاب تفسير القرآن، باب تفسير سورة المائدة).

ومسلم بسنده عن أبي سلمة قال: سألت جابر بن عبد الله أي القرآن أنزل قبل؟ قال: يا أيها المذنب، فقلت: أو اقرأ؟ قال جابر: أخذتكم ما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "جاءت بجراد شهزاد فلما قضيت جواردي نزلت فاستبطنت بطن الوادي، فذويت فنظرت أعمى وخلقي، وعن يميني، وعن شمالي، فلم أر أحدا، ثم نويت فنظرت فلم أر أحدا، ثم نويت لرفعت رأسي، فإذا هو على العرش في الهواء - يحيى جبريل عليه السلام - فلقد نيت رجفة شديدة فأتيت خبيثة فقلت: ذروني، فذروني، فصبوا علي ماء فأنزل الله عز وجل: يَا أَيُّهَا الْمَذْكُورُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبُّكَ فَكَبِّرُ وَتِلْكَ لَظُهُرُ [المائدة: ٢] (صحيح مسلم: ١٤٤٨، برقم: ١٦٦)، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم).

١ روى البيهقي بسنده عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لِيُخْبِرَنِي إِيَّاهُ إِذَا غَلَبَتْ رَحِيي سَمِعْتُ نِدَاءَ وَقَدْ وَاللَّهِ خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ هَذَا أَمْرًا فَقَالَتْ مَعَاذَ اللَّهِ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَفْعَلَ بِكَ فَوَ اللَّهِ إِنَّكَ لَتَوَدِّي الْأَمَانَةَ أَوْ تَصِلَ الرَّحِمَ، وَتَصْنُقَ الْحَدِيثَ، فَلَمَّا كَمَلَ أَبُو بَكْرٍ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ ذَكَرْتُ خَبِيرَةَ حَكِيمَةَ لَهُ وَقَالَتْ يَا غَيُّيْ أَذْهَبَ مَعَ مُحَمَّدٍ إِلَى وَرَقَةَ، فَلَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ أَبُو بَكْرٍ يَدَيْهِ فَقَالَ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَى وَرَقَةَ، فَقَالَ: وَمَنْ أَشِيرُكَ؟ قَالَ: خَبِيرَةَ، فَاذْطَلَمْنَا إِلَيْهِ فَقَالَ إِذَا غَلَبَتْ رَحِيي سَمِعْتُ نِدَاءَ خَلْفِي: يَا مُحَمَّدُ، يَا مُحَمَّدُ، فَانْطَلِقْ هَارِبًا فِي الْأَرْضِ، فَقَالَ: لَا تَفْعَلْ فَإِذَا أَتَاكَ فَأَتَيْتُ حَتَّى تَسْمَعَ مَا يَقُولُ ثُمَّ انْتَبِهِي فَخَبِّرِي، فَلَمَّا خَلَا تَفَاوًى يَا مُحَمَّدُ قُلْ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَتَّى يُلْغِي وَكَانَ الضَّالِّينَ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَأَتَى وَرَقَةَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ أَبْشِرْ، ثُمَّ أَمْسِرْ، فَإِنَّا أَشْهَدُ أَنَّكَ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ ابْنُ مَرْيَمَ، وَأَنَّكَ عَلَى مِثْلِ مُوسَى وَأَنَّكَ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَأَنَّكَ سَوْفَ تُؤَمَّرُ بِالْجِهَادِ بَعْدَ يَوْمِكَ هَذَا وَلَكِنْ أَتَوَكَّلِي ذَلِكَ لِلْجَاهِلِينَ مَعَكَ فَلَمَّا تَوَكَّلِي وَرَقَةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: لَقَدْ رَأَيْتُ الْمَوْسَى فِي الْجَنَّةِ عَلَيْهِ ثِيَابُ الْخَبِيرِ، لِأَنَّهُ آمَنَ بِي وَصَدَّقَنِي - يَعْنِي وَرَقَةَ، (دلائل النبوة: ١٥٨٨-١٥٩). يقول الإمام البيهقي: فهذه متقطعة، فَإِنْ كَانَ مَحْفُوظًا فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ خَيْرًا عَنْ نَزُولِهَا بَعْدَ مَا جَزَتْ عَلَيْهِ أَفْرَأُ بِسْمِ رَبِّكَ، وَيَا أَيُّهَا الْمَذْكُورُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ (المصدر السابق: ١٥٩/٢). وقد أورده ابن كثير في "البداية والنهاية": ١٤-١٥ عن طريق البيهقي. وقال: "وهو مرسل، وفيه غرابة وهو كونه الفاتحة أول ما نزل".

ويقول محمد بن محمد أبو شهبة: "ويجب عن هذا القول بأنه حديث مرسل، وإن كان رجاله ثقات فلا يعارض حديث عائشة المرفوع، فالراجح هو الأول". (المدخل لدراسة القرآن: ١٦٥٨). ثم يقول: "وليس فيه التصريح على أن الفاتحة أول ما نزلت، فيجوز على فرض صحة هذا المرسل أن تكون من أوائل ما نزل، وإلى هذا ذهب البيهقي قال: وإن كان - أي المرسل - محفوظا فيحتمل أن يكون خيرا عن نزولها بعد ما نزلت

ومن جمع بين القولين الأولين الواحدية، والحازية، والتركيبية، وغيرهم.^١
هؤلاء يفرقون بين القولين الأولين في أول ما نزل من القرآن. فيقولون: إن أول ما نزل من
القرآن على الإطلاق الآيات الخمس الأولى من سورة "اقرأ" لحديث عائشة الأنثى الذكر. وإن
أول ما نزل بعد فترة الوحي "يا أيها المدثر" لحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.^٢

عليه "اقرأ" و "المدثر". والظاهر أن الفلحة من أوائل السور نزولا كما يفهم ذلك من صحيح الموتين
للسور، على حسب نزولها. (المصدر السابق: ١١٥/١-١١٦).

١ انظر: أسباب النزول، ص ١٥.

٢ انظر: معالم التنزيل: ٣٦٦/٤-٣٦٢، ٤٤٩.

٣ انظر: البرهان في علوم القرآن: ٢٠٧/١.

٤ ينظر: تفسير ابن كثير: ٢٢٦/٨، ونفع الباري لابن حجر: ٢٧٧/٨، وتفسير الألوسي: ٤٠٩/٨٥، وتفسير الطاهر
بن عاشور: ٥٨/٢٩، وبيان المعاني لعبد القادر ملا حوش: ١٠٣/١، والمدخل للدراسة القرآن محمد بن محمد أبي
شبهة: ١١٣/٨، وعلوم القرآن للشيخ جوهر رحن (بالأروية): ١٢٩/١-١٣٣، وصنوة التفسير للصابوني: ٤٤٩/٣.

٥ حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه (رواه البخاري عن سلمة بن عبد الرحمن، أن جابر بن عبد الله
الأصمري، قال: وهو يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه: "بينما أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء،
فرفعت بصري، فإذا الملك الذي جلاني بجراؤه جالساً على كرسي بين السماء والأرض، فرجعت منه، فرجعت
فقلت: زملوني زملوني" فأمر الله تعالى: {يا أيها المدثر: ٢} ثم فأنزل: {يا أيها المدثر: ٢} إلى {س: ٨} قوله {والرجز
فأنزل: ٥}. فحجى الوحي وكتبه. (صحيح البخاري: ٧/٨، برقم: ٤٤٩). باب بدء الوحي إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم. ورواه مسلم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، أن جابر بن عبد الله الأصمري، وكان
من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحدثه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
يحدث عن فترة الوحي - قال في حديثه -: "بينما أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء، فرجعت زملني، فإذا
الملك الذي جلاني بجراؤه جالساً على كرسي بين السماء والأرض"، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
"فبرئت منه فرقا، فرجعت، فقلت: زملوني زملوني، فأنزلني، فأنزل الله تعالى: {يا أيها المدثر: ٢} ثم فأنزل:
{والرجز فأنزل: ٥} فأنزل: {س: ٨} وهي الأوقال - قال: ثم فأنزل:
الوحي" (صحيح مسلم: ١٤٣/٨، برقم: ١٦١). كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم.

٦ يقول الشيخ جوهر رحن بعد ما رجع القول الأول: يظهر عن الحديث الذي يرويه الشيخان أن أول ما
نزل هو الآيات الخمس الأولى من "سورة المدثر"، ولكن ورد ذكر نزولها بعد الفترة في الأسانيد والطرق
الأخرى لهذا الحديث، ولم يرد فيها ذكر ابتداء البعثة قبل الفترة، ويوضح بجلاء من الحديث التالي الذي رواه
الشيخان أن أول ما نزل هو الآيات الخمس الأولى من "سورة المدثر":

الحديث رواه البخاري بسنده عن أبي سلمة قال: سألت جابر بن عبد الله أي القرآن أنزل أول؟ فقال: [يا أيها المدثر] [المدثر: ١] فقلت: أثبت أنه: {اقرأ باسم ربك الذي خلق} [العلق: ١] فقال: لا تُعبرك إلا بما قل رسول الله صلى الله عليه وسلم قل رسول الله صلى الله عليه وسلم: "جاوزت في حراء فلما قضيت جواربي قبطت فاستبطنت الوادي فتوديت فتظرت أملي وخلفي وعن يميني وعن شمالي فإذا هو جالس على كرسي بين السماء والأرض فأتيت خديجة فقلت: دُرُونِي وَصَبُوا عَلَيَّ مَاءَ بَرَدِهِ وَأَنْزِلْ عَلَيَّ [يا أيها المدثر] قُمْ فَأَنْزِلْ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ] [المدثر: ٢] ". (صحيح البخاري ١٦٢/١، برقمه ٤٩٢٤)، كتاب تفسير القرآن، باب تفسير سورة المدثر).

وسلم بسنده عن أبي سلمة قال: سألت جابر بن عبد الله أي القرآن أنزل قبل؟ قال: يا أيها المدثر، فقلت: أو اقرأ؟ قال جابر: أخذتكم ما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "جاوزت بحراء شهراً فلما قضيت جواربي نزلت فاستبطنت بطن الوادي فتوديت فتظرت أملي وخلفي وعن يميني وعن شمالي فلم أر أحداً ثم توديت فتظرت فلم أر أحداً، ثم توديت فرفعت رأسي فإذا هو على العرش في الهواء - يعني جبريل عليه السلام - فأنزلني رجفة شديدة فأتيت خديجة فقلت: دُرُونِي فَصَبُوا عَلَيَّ مَاءَ بَرَدِهِ فَأَنْزِلْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ [يا أيها المدثر] قُمْ فَأَنْزِلْ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ وَرَبِّكَ فَطَهِّرْ] [المدثر: ٢] ". (صحيح مسلم ١٤١/١، برقمه ٦٦١)، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

في هذا الحديث الذي يرويه أبو سلمة بن عبد الرحمن قال جابر في جوابه بصورة واضحة إن أول ما نزل من القرآن "المدثر". وحين رد عليه أبو سلمة بقوله: "اقرأ باسم ربك"، فلجابه جابر بن عبد الله أي أني أخبرك بما أخبرنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الحديث.

ومن هنا يظهر بين رواية عائشة المذكورة ورواية جابر هذه تعارض في الظاهر يحتاج إلى أن يُرفع. ومن المسلم به عند المحدثين في قضية رفع التعارض أو التوفيق بين الروايات أن يُبحث عن الروايات الأخرى المتعلقة بالموضوع ثم يُرفع الإبهام والتعارض في ضوء (شرح الحديث بالحديث)، وأن يُستخرج النطابن لدر الإمكان بين الروايات. وفي ضوء هذا الأصل حين تنبعت طرق روايات جابر وأصحابها ومتونها وجاراتها في البخاري وحده توصلت أنها رويت بشعانية أسانيد وقد ورد في البخاري ذكر فترة الوحي في ستة طرق ولم يرد ذكرها في طريقتين ورويت رواية جابر بن عبد الله التي يرويها مسلم في كتاب الإيمان باب بدء الإيمان بخمسة أسانيد ثلاثة منها في نزول سورة المدثر بعد الفترة، واثنان منها في ذكر نزولها بعد الفترة.

في الروايات الثلاثة عشرة ورويت الصراحة في تسعة منها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تحدث أمام جابر بن عبد الله عن بدء نزول الوحي بعد الفترة يتضح منها قرينة تبيّن أن الرواية بقي منهم ذكر (الفترة) في الروايات الأربعة المتبقية، لأن الرواية التي يرويها تسعة من الرواة بلفظ لا يرويها أربعة آخرون منهم، فإن هنا الأمر يُحمّل إما على الاختصار أو الوهم والنسيان لذلك ينبغي أن نُفهم هذه الروايات الأربعة بنفس الفهم الذي ورد في الروايات التسعة السابقة وذلك استناداً لأصل (شرح الحديث بالحديث)، بمعنى أن الوحي بدأ من جليله بعد فترته بالآيات الخمس الأولى من سورة "المدثر". (بأيها المدثر). وأما ما

وكما نقل عليه ألفاظ حديث جابر رضي الله عنه: " وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فِتْرَةِ الْوَحْيِ إِلَى أَنْ نَزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: "يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ" فَبَيْنَ أَنْ ذَلِكَ بَعْدَ فِتْرَةِ الْوَحْيِ، وَ" فَلِذَا الْمَلِكُ الَّذِي جَلَّيَ بِجِرَاءِ ثُمَّ قَالَ وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: "يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ"، يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْقِصَّةَ مُتَلَخَّرَةٌ عَنْ قِصَّةِ حِرَاءِ الَّتِي نَزَلَ فِيهَا: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ.

والإمام المودودي رجح القول الأول، كما حاول الجمع بين القولين الأولين، وبين الأقوال الثلاثة الأولى أيضاً (كما يظهر من عباراته).

ومن جمع بين الأقوال الثلاثة الأولى: ثناء الله المظهري، والطاهر بن عاشور، ومحمد أبو زهرة، وغيرهم.

يتعلق بما قاله جابر بن عبد الله في جواب أبي سلمة، فإنه لا يتكرر أولية "سورة اقرأ" في النزول، وإنما يتحدث عن بدء نزول الوحى بعد انقطاع الوحى بسورة "المدثر". والروايات الأخرى لهذا الحديث أيضاً تُصَرِّحُ على هذا. وليس فيها بيانُ خلالة غار حراء؛ لذلك المراد بأولوية "المدثر" هو بعد الفترة (انقطاع الوحى)، وأما المراد بأولوية "اقرأ باسم ربك"، فإنها أولية حقيقية أى بدء نزول الوحى لأول مرة على حقيقة. لما ورد في رواية جابر بن عبد الله من ذكر قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم في غار حراء فلما ابن حجر أوله (وجهه) بإقامة رسول الله صلى الله عليه وسلم في غار حراء حتى في زمن الفترة وانقطاع الوحى. (قلت - القائل هو الشيخ جوهر رحمن - وهذا لا يتعارض مع الروايات التي تُصَرِّحُ على أولية "اقرأ باسم ربك" على الحقيقة). (علوم القرآن: ١٢٩/ وما بعدها).

١ انظر: تفسير الخازن: ٣١٧/٤ - ٣١٢، والمجلد لدراسة القرآن لمحمد بن محمد أبي شهبه: ١٧٣/١ - ١٧٤.

٢ انظر: تفهيم القرآن: ٣٢٩٢/١.

٣ المصدر السابق: ١٢٨/١.

٤ نفس المصدر السابق: ٤٢/٨.

٥ انظر: التفسير المظهري: ٣٠١/٢٠.

وثناء الله المظهري هو: محمد ثناء الله الهندي الفاني في النقشبندي الختفي المظهري، المتوفى سنة ١٢١٦هـ من أئمة "التفسير المظهري". (انظر: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لإسماعيل بن محمد الأمين بن مير سليم اليباني البغدادي: ٢٥٢/٢ - ٣٥٤، عام ١٩٥١م). طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول، أعلنت طبعه بالأوقست: دار إحياء التراث العربي ببيروت، لبنان، ومعجم المؤلفين لعمر بن رضا بن محمد راجب بن عبد النبي كحالة: ١٤٤/٩، الدمشقي مكتبة المتى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ الطبع).

٦ انظر: التحرير والتوير: ١٣٥/٨.

وقد وافق الإمام المودودي في رأيه عددا من المفسرين منهم: ثناء الله المظهري^١، ومحمد أبو زهرة^٢، ومحمد محمود الحجازي^٣، وغيرهم^٤. وهو "إن سورة الفاتحة هي أول سورة نزلت كاملة". وهؤلاء يوفقون بين الأقوال الثلاثة الأولى في أول ما نزل من القرآن. فيقولون: إن أول ما نزل من القرآن على الإطلاق الآيات الخمس الأولى من سورة "اقرأ" لحديث عائشة. وأول ما نزل بعد فترة الوحي "يا أيها المدثر" لحديث جابر بن عبد الله. وأول سورة نزلت بأكملها "الفاتحة" لحديث البيهقي. فأولية الآيات الخمس الأولى من "اقرأ" محمولة على الإطلاق، وبقيّة السورة نزلت بعد ذلك، وأولية "سورة المدثر" أولية إضافية أي محمولة على أنها أول ما نزل بعد فترة الوحي، وأولية "سورة الفاتحة" أولية إضافية أيضا أي محمولة على أنه أول سورة نزلت كاملة (دفعه واحدة)^٥.

١ انظر: زهرة التفاسير: ٥٥/١.

٢ ينظر: التفسير الواضح لمحمد محمود الحجازي: ٨٣/٣، ومعارف القرآن للمفتي محمد شفيح (بالأردنية): ٧٢/١، ومعارف القرآن لمحمد إدريس كاندهلوي (بالأردنية): ٣/١-٤، والتفسير الحديث لمحمد عزة دروزة: ٣٨٥/١، وإعراب القرآن وبيانه لمحي الدين درويش: ٢٠/١، وتيسير القرآن لعبد الرحمن كيلاني (بالأردنية): ١٢/١، والتفسير الوسيط لطنطاوي: ٤٥٣/١٥.

٣ انظر: التفسير المظهر: ٣٠١/٢٠.

٤ انظر: زهرة التفاسير: ٥٥/١.

٥ انظر: التفسير الواضح: ٨٣/٣.

٦ ينظر: معارف القرآن للمفتي محمد شفيح (بالأردنية): ٧٢/١، ومعارف القرآن لمحمد إدريس كاندهلوي (بالأردنية): ٣/١-٤، والتفسير الحديث لمحمد عزة دروزة: ٣٨٥/١، وإعراب القرآن وبيانه لمحي الدين درويش: ٢٠/١، وتيسير القرآن لعبد الرحمن كيلاني (بالأردنية): ١٢/١، والتفسير الوسيط لطنطاوي: ٤٥٣/١٥.

٧ وهناك قول شاذ ذكره السيوطي (الإتقان في علوم القرآن: ٩٣/١)، ورجحه وذكره الألوسي (٤٠٠/١٥) أيضا وهو: أن سورة المدثر هي أول سورة نزلت كاملة. ولقد ذكر السيوطي هذا الجواب بين الأجوبة التي أجاب بها القائلون بالأول عن حديث جابر رضي الله عنه (الإتقان في علوم القرآن: ٩٣/١-٩٤). ويقول محمد بن محمد أبي شهبة بعد نقل جواب الإمام السيوطي في الإتقان في علوم القرآن: "أقول هذا الجواب غير مسلم. فقد ذكرت آنفا رواية الصحيحين عن جابر، وفيها "فأنزل الله يا أيها المدثر (١) إلى والرُّجُزُ فَاهْجُرْ (٥)". (المدخل للدراسة القرآن: ١١٤/١). ثم يقول: "تكيف يدعي مدح، أو يقول قائل: إن المدثر أول سورة نزلت بتمامها! فالحق أنه لا يصلح أن يكون جوابا، ولذلك لا تعرض الحافظ ابن حجر في "الفتح" للتوفيق بين

التعليق: أرى ما يراه جمهور المفسرين من أن سورة "الفاتحة" من أوائل القرآن نزولاً، ولا يختلفون في كونها نزلت كاملة وغير منجمة.

الأدلة:

١. رواية البيهقي السابقة^١. وهذا هو رأي الإمام المودودي كما هو ظاهر.
 ٢. هو قول جمهور المفسرين. يقول الإمام الواحدي: "نفعت الأكثرين هي مكية من أوائل ما نزل من القرآن". ويقول الإمام ابن جزى الكلبي أنه كلامه عن وجوه الترجيح في مقدمة تفسيره: "أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين؛ فإن كثرة القائلين بالقوله يقتضي ترجيحه"^٢.
- ويؤيد هذا القول القاعدة الترجيحية التالية:
- تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ.

الثالثة: بما يظهر من الرابعة في الترتيب النزولي عند الإمام المودودي (والله أعلم) أي "وكانت قد نزلت عليه من قبل بضع آيات من أجزاء من سورة العلق والمزمل والمدثر". ومن خلال عرض كلامه يتضح أنه عرض في المسألة قولاً واحداً، وهو أن الفاتحة في الترتيب النزولي تأتي في المركز الرابع إلا أنني وجدت خلال تبحي للتفسير والكتب المصنفة في علوم القرآن خمسة أقوال أخرى للمفسرين في رقم نزول هذه السورة، أذكرها هنا باختصار على النحو التالي:

القول الأول: هي السورة الأولى في النزول.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: القاضي أبي بكر البقلائي، والواحدي، والرازي، وغيرهم.

الحديثين - حديث عائشة، وحديث جابر - لم يذكر هذا الوجه، وإنما ذكره صاحب الإتيان^٣ (المصدر السابق: ١١٤/١).

١ انظر: (ص ١٤٣-١٤٤)، فإني ناقشت هذا الأمر بالتفصيل في مكانه.

٢ أسباب النزول، ص ٢١.

٣ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩٨.

٤ قواعد الترجيح عند المفسرين للحريري: ص ٢٨٨.

٥ انظر: الإتصار للقرآن: ٢٤٧١.

ولقد رد العلامة الألوسي على هذا القول حيث يقول: "وأما قول من قل من المفسرين: أن أول ما نزل الفاتحة، فيطلانه أظهر من أن يذكر". وكما رد عليه الطاهر بن عاشور قائلا: "وقيل لأنها أول ما نزل وهو ضعيف لما ثبت في "الصحيح" واستفاض أن أول ما أنزل سورة اقرأ باسم ربك [العلق: ١]، وهذا مما لنا ينبغي أن نتردد فيه".^١

إن الزحسري، ومحمد رشيد رضا يرجحان هذا القول الأول.^٢

القول الثاني: هي السورة الثانية في النزول.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين ورجحه: محمد إدريس الكاندهلوي.^٣ فإنه يستل برواية البيهقي.

القول الثالث: هي السورة الثالثة في النزول.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين ورجحه: ثناء الله المظهري،^٤ والطاهر بن عاشور،^٥ ومحمد بن محمد أبي شهبة.^٦

القول الرابع: هي السورة الرابعة في النزول.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين ورجحه: المقي محمد شقيع.^٧ وهذا هو ما رجحه الإمام المودودي كما يظهر من عبارته.

١ انظر: أسباب النزول: ص ١٤.

٢ انظر: التفسير الكبير: ٢١٥/٣.

٣ ينظر: تفسير القرطبي: ١١٥/٨، وتفسير ابن جزى: ١١٨، والبرهان في علوم القرآن للزركشي: ٢١٥/٨، وتفسير ابن كثير: ١٠٣/٨، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي: ٩٤/٨، والمدخل لدراسة القرآن الكريم محمد بن محمد أبي شهبة: ١١٥/٨.

٤ روح المعاني: ٤٠٠/١٥.

٥ التحرير والتوير: ١٣٢/٨.

٦ انظر: الكشاف: ٧٨٥/٤، وتفسير المنار: ٢٩٨-٣٠.

٧ انظر: معارف القرآن: ٢٨-٤.

٨ انظر: التفسير المظهر: ٣٠٠/٨-٣٠٩.

٩ انظر: التحرير والتوير: ١٣٥/٨.

١٠ انظر: المدخل لدراسة القرآن: ١١٥/٨.

١١ انظر: معارف القرآن: ٧٢/٨.

القول الخامس: هي السورة الخامسة في النزول.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين ورجحه الشوكاني^١، ومحمد عزة دروزة^٢، وعبد القادر بن ملا حويش^٣، وغيرهم^٤. ويستدلون برواية جابر بن عبد الله عن ترتيب نزول السور القرآنية. فإن الفاتحة تأتي الخامسة في ترتيب النزول عنده^٥.



١ انظر: فتح القدير: ٣١٧/٥.

٢ انظر: التفسير الحديث: ١٧/١.

٣ انظر: بيان المعاني: ١١٤/١.

٤ ينظر: تفسير القرآن لعبد الرحمن كبلاني (بالأردنية): ١٢/١. والتفسير المثير لبوابة الزخيلي: ٥٣/١.

٥ يقول الإمام السيوطي بعد ذكر ترتيب نزول السور عند جابر بن عبد الله: "قُلْتُ: هَذَا سَيَأْتِي غَرِيبٌ وَفِي هَذَا التَّرْتِيبِ نَظَرٌ وَجَابِرُ بْنُ زَيْدٍ مِنْ عُلَمَاءِ التَّابِعِينَ بِالْمُقَرَّبِ وَقَدْ اعْتَمَدَ الْبُرْهَانُ الْجَعْفَرِيُّ عَلَى هَذَا النَّظَرِ فِي قَصِيدَتِهِ الَّتِي سَمَعْنَا تَقْرِيبَهُ الْمَأْمُولَ فِي تَرْتِيبِ الْمُتَزَوِّلِ". (الإيمان في علوم القرآن: ٩٦٨-٩٧).

ما موضوع سورة الفاتحة، وما مدى علاقتها بالقرآن؟

قال الإمام المودودي - رحمه الله -: "هذه السورة في حقيقة الأمر تضرع ودعاء إلى الله - سبحانه وتعالى - يُعلمه رب العللين لمن أراد أن يتدبر كتابه. وقد وضعت في أول الكتاب لتقول للقارئ: إنك إن كنت تريد أن تستفيد من القرآن فعليك أن تقدم هذا الدعاء بين يدي الله..." ثم يقول: "وإذا نظرنا إلى موضوع الفاتحة وفكرتها بلان لنا... أن العلاقة بينهما هي علاقة الدعاء بالاستجابة، فالفاتحة ضراعة من العبد والقرآن استجابة من المولى لضراعة العبد. العبد يتوسل إلى ربه أن يهديه، والرب يضع أمام عبده القرآن كله استجابة لدعائه وكأنه تعالى يقول له: "هذه هي الهداية التي سألتني إياها".^١

دراسة النص:

من خلال عرض كلام الإمام المودودي - رحمه الله - الآنف الذكر يتضح أنه ركز في المسألة على القول المذكور، إلا أن استعراض التفسير القرآني والكتب المصنفة في علوم القرآن الكريم أثبت لي أن مؤلفيها ذكروا في هذه المسألة قولين، أذكرهما فيما يلي باختصار:

القول الأول: أسلوب هذه السورة أسلوب دعائي، والعلاقة بينها وبين القرآن علاقة الدعاء بالاستجابة، حيث لما سأل عباده المخلصون في الفاتحة الهداية إلى الصراط المستقيم، فأرشدهم إلى أن الصراط الذي سألتهم الهداية إليه هو في هذا الكتاب.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين بتعابير مختلفة وأساليب متنوعة: الزجاج^٢، وابن أبي زمنين^٣، وابن عطية^٤، وغيرهم^٥.

١ تفهيم القرآن للإمام المودودي، الجزء الأول من الفاتحة إلى آل عمران بتصرف يسير، تعريب: أحمد إبراهيم، ص ٣٣، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ/١٩٧٧م، دار القلم، الكويت.

٢ المصدر نفسه، بتصرف يسير.

٣ انظر: معاني القرآن وإعرابه لإبراهيم بن السري بن سهل، أبي إسحاق الزجاج: ٥٤/١، اخفق: عبد الجليل عبيد شامي، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، عالم الكتب، بيروت.

والزجاج هو: الإمام، نحوي وباني، إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج، البغلي، مصنف كتب "معاني القرآن"، كان يخرط الزجاج، ثم عد إلى النحو، فلهزم الميرد فكان يعطيه من عمل الزجاج كل يوم درهم، فتصحح وعلمه، وكان من أهل القفيل والدين وحبل الذهب والاعتقاد من

القول الثاني: العلاقة بينها وبين القرآن علاقة الإجمال والتفصيل، حيث اشتملت سورة الفاتحة على مقاصد القرآن الكريم إجمالاً، وسائر القرآن الكريم ورد تفصيلاً لهذه المقاصد (المطالب).

وعن ذكر هذا القول من المفسرين: الرازي^١، والقرطبي^٢، والبيضاوي^٣، وغيرهم^٤.

تصانيف: "الإنسان وأعضاؤه"، و"الفوس"، و"المروض"، و"الاشتقاق"، و"فعلت وألعلت"، و"ما يتصرف وما لا يتصرف"، وغير ذلك ما بين بغداد في جملي الأخيرة سنة إحدى عشرة وثلاثمائة، ومثل عن سنة عند الوفة فعقد سبعين. (انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣٦٠/١٤، وطبقات المفسرين للداودي: ٩١ وما بعده وطبقات المفسرين للأدنه وي: ٥٢٨).

١ انظر: تفسير القرآن العزيز لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري الإلييري المعروف بلين أبي زمين المالكي: ١١٩/١، المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنتي، الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، الفاروق الحديثة، القاهرة، مصر.

٢ انظر: المحرر الوجيز: ٨٩/١.

٣ ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني: ٦٩/١، تحقيق ودراسة: د/محمد عبد العزيز بسيوني، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، كلية الآداب، جامعة طنطا، والتفسير الكبير للرازي: ١٥٩/١، وتفسير البيضاوي: ٢٥/١، وتفسير القرآن الكريم لـ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية: ٢٧/١ - ٢٨، المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ دار مكتبة الهلال، بيروت، وتفسير الإمام ابن عرفة محمد بن محمد ابن عرفة الورع في التفسير المالكي، أبي عبد الله: ١٠٢/١، المحقق: د. حسن المناعي، الطبعة الأولى: ١٩٨٦م، مركز البحوث بالكلية الزيتونية، تونس، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي: ١٩/١، وتفسير الألوسي: ٤٠/١، وفي ظلال القرآن للسيد قطب: ٢٦/١، وتذير القرآن لأمين الإصلاحي (بالأردنية): ٥٢/١، ٧٠، وتفسير الشعراوي (الخواطر) محمد متولي الشعراوي: ٩٠/١، ليس على الكتاب الأصل (المطبوع) أي بيانات عن رقم الطبعة أو غيره، غير أن رقم الإيداع يوضح أنه نشر عام ١٩٩٧م، مطابع تجبلر اليوم.

٤ انظر: التفسير الكبير: ١٥٦/١.

٥ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١١٢/١ - ١١٣.

٦ انظر: أنوار التنزيل: ٢٥/١.

٧ ينظر: البرهان في ترتيب سور القرآن لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي: ١٨٧، دراسة وتحقيق: محمد شعبان، عام ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المملكة المغربية، وتفسير ابن جزري: ٤٧/١، وتفسير ابن كثير: ١٠٢/١، والبرهان في علوم القرآن للزركشي: ١٧/١، وتنظيم الدور للبقاعي: ٣٦/١، ومعتزك الأقران للسيوطي: ٥٨/١، وأمرار ترتيب القرآن للسيوطي: ص ٧٣، وتنسيق الدور للسيوطي: ص ٦١.

ولقد جمع الإمام المفتي محمد شفيع، والإمام أمين أحسن إصلاحي -رحمهما الله- بين القولين.

يقول الإمام المفتي محمد شفيع: "سورة الفاتحة هي بمثابة المتن، وسائر القرآن شرح له، والدليل على ذلك ما ورد في الروايات الصحيحة من أسماء هذه السورة، كـ "أم القرآن"، و"أم الكتاب"، و"القرآن العظيم"، كما أن هذه السورة دعه جيء به في مفتتح القرآن الكريم، وذكر سائر القرآن جوابا واستجابة له، ومن ثم عقيبتها سورة البقرة التي تشتمل على كلمات "ذلك الكتاب" لتكون هي والسور التي بعدها في القرآن كله جوابا على الدعاء الذي قدّم بين يدي رب العالمين".^١

ويقول الإمام أمين أحسن إصلاحي: "أسلوب هذه السورة أسلوب دعائي".^٢ ثم يقول: "اعتبرت هذه السورة مقدمة للقرآن الكريم لأسباب ثلاثة:
أولاً: هذه السورة عنوان مبده الشريعة والدين.

ثانياً: لو استقرت مطالب القرآن الكريم لاحتضرت واجتمعت في ثلاثة موضوعات رئيسية: التوحيد والمرسالة، والآخرة، والفاتحة تحتوي عليها إجمالاً، وذكر تفصيلها في سائر القرآن الكريم.

ثالثاً: اشتملت السورة على الدعاء الذي بواسطته انتقلت الأمة من ظلمات الجهل إلى نور القرآن".^٣

(أقول: "والدعاء لا يكون إلا في مفتتح الكلام ومستهلّه").

التعليق: وما يظهر من القراءة في الدراسة المذكورة أن "الإمام المفتي شفيع"، و"الإمام أمين أحسن إصلاحي" -رحمهما الله- في تفسيريهما يتفقان في إيراد الرأيين وذكر القولين إلا

وتطف الأذهان للسيوطي ص ٩٠٩، وتفسير نظام القرآن للفراهمي ص ٨٥-٨٦، ودلائل النظام للفراهمي ص ٩٣، وأم الكتاب لأبي الكلام آزاد (بالأردنية)، ص ١٧، وفي ظلال القرآن للسيد قطيب: ٢٧٨، وتفسير القرآن لأمين أحسن إصلاحي (بالأردنية): ٧٨/١.

١ انظر: معارف القرآن: ٧٣/٨-٧٣.

٢ انظر: تدبر القرآنة ١٣/١.

٣ انظر: المصدر السابق: ٢٩٨-٧٠.

أن ألفاظهما اختلفت وعبارتهما تنوعت غير أنها في آخر المطاف ترمي نحو مرمى واحد
وهدف متحد وهو الجمع بين القولين.

وعن جمع بين القولين من المفسرين: الثعلبي^١، والرازي^٢، والبيضاوي^٣، وغيرهم^٤.
كما يظهر أيضا أن المفسرين اختلفوا في ذكر أسباب سورة الفاتحة وكونها في مستهل
القرآن، فنظر بعضهم كأمثل للمفسرين: الإمام المفتي محمد شفيع، والإمام المودودي، والإمام أمين
أحسن إصلاحي إلى صياغة آياتها وانتظام كلماتها وظاهر أسلوبها فوجدوا أنها دعاء خالص
يبتدئ بذكر الحمد والثناء على البارئ سبحانه ليعقبه تضرع وطلب يقدمه عبدا لله العاجزون
بين يدي معبودهم القادر على كل شيء، ولما ورد في الروايات الصحيحة من الأسماء التي تدل
على هذا الجانب كمسورة الدعاء والسؤال، وتعليم المسألة. وهو دعاء يحتوي على طلب مطالب
الخير الدنية والدنيوية، فنظروا لهذا الجانب ذهب هؤلاء المفسرون إلى أن هذه السورة دعاء
ومائل القرآن الكريم جواب واستجابة له.

ونظر الآخرون إلى محتوى هذه السورة ومضمونها وما تشتمل عليه من المطالب المهمة
فوجدوها في هذه السورة المذكورة بإجمال كالإيمان، والرسالة، والآخرة مثلا، فلم يربطوا إلى القول
بأن هذه السورة إجمال للمطالب القرآنية، أما سائر القرآن فإنه تفسير له وشرح عليه، وتفصيل
لما فيه من الإجمال.

يُضاف إلى ذلك ما وجدوه مما يؤيد هذا القول من أسماء هذه السورة في الروايات
الصحيحة كأم القرآن، وأم الكتاب والقرآن العظيم، فقد روى البخاري^٥ في صحيحه عن أبي

^١ انظر: الكشف والبيان: ١٢٩/١.

^٢ انظر: التفسير الكبير: ١٥٩/١.

^٣ انظر: أنوار التنزيل: ٢٥/١.

^٤ ينظر: تفسير النيسابوري: ٨٣/١، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي: ١٩٧/١، و ١٣٩/٤، وتفسير أبي السعود
٨/١، وتفسير روح البيان لإسماعيل حقي: ١٠٦/١، والبحر المنيد لابن عجيبة: ٥٢/١، وتفسير الألوسي: ٤٠٦/١، وفي
ظلال القرآن للسيد قطب: ٢٦٨، والتفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم يونيس الخطيب: ٢٠/١، ومعارف
القرآن للمفتي محمد شفيع: ٧٨/١ - ٧٣. والتفسير الحديث محمد عزة دروزة: ٢٩٠/١، وتبهر القرآن لأمين أحر
إصلاحي: ٥٣/١، و ٧٠، والتفسير المنير لروحة الزحيلي: ٥٢/١.

سَعِيدُ بْنُ الْمُعَلَّى: قَالَ: مَرَّ بِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَصَلِّي، فَدَعَا بِي فَلَمْ آتِهِ حَتَّى صَلَّيْتُ ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَقَالَ: "مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِيَنِي؟" فَقُلْتُ: كُنْتُ أَصَلِّي، فَقَالَ: "أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ} [الأنفال: ٢٤] ثُمَّ قَالَ: "أَلَا أَعْلَمُكُمْ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ أَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ" فَذَهَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُخْرِجَ مِنَ الْمَسْجِدِ فَذَكَرْتُهُ، فَقَالَ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيَتْهُ، وَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الَّذِي رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ أُمُّ الْقُرْآنِ وَأُمُّ الْكِتَابِ وَالسَّبْعُ الْمَثَانِي".

١ هو: شيخ الإسلام، إمام الحفاظ، حبر الإسلام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بركة بن الجعفري مولاهم البخاري صاحب "الجامع الصحيح" المعروف بصحيح البخاري، ولد في بخارى شمال سنة أربع وتسعين ومائة وكان رأساً في الذكاء والعلم، والورع، والعلية صنف وحديث وما في وجهه شعرة وقد قام برحلة طويلة في طلب الحديث، فزار خراسان والعراق ومصر والشام، وسمع من نحو ألف شيخ، وجمع نحو ست مائة ألف حديث، اختار منها في صحيحه ما وثق برواته، وهو أول من وضع في الإسلام كتاباً على هذا النحو. وكتابه في الحديث أوثق الكتب الستة المولود عليها قل ابن خزيمة: "ما تحت أديم السماء أعلم بالحديث من البخاري". توفي ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين. من مؤلفاته: "الضعفاء" في رجال الحديث و"خلق أفعال العباد"، و"الأدب المفرد"، (انظر: طبقات علماء الحديث للإمام محمد بن أحمد بن عبد الهادي: ٢٤٢/٢ وما بعدها الطبعة الثانية: ١٤٢٧هـ/١٩٩٧م، مؤسسة الرسالة، بيروت، وتذكرها الحفاظ لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قليماز الذهبي: ١٠٤/٢-١٠٥، الطبعة الأولى: ١٤١٩م-١٩٩٧م، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، والأعلام للزركلي: ٣٣/١-٣٤).

٢ هو: أبو سعيد بن المعلى الأنصاري، اختلف في اسمه، وأصبح ما قيل - والله أعلم في اسمه - الحارث بن قطيع بن المعلى بن لوذان بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بن يحيى بن زريق الأنصاري الزورقي، أمه أبيعة بنت قريط بن خنيسله من بني سلمة. له صحبة، يعد في أهل الحجاز. روى عنه حفص بن غصن، وعبيد بن حنيفة، وفاته سنة أربع وسبعين، وقيل سنة ثلاث، قالوا: وعاش أربعاً وستين سنة. (انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر النمري الفرطبي: ١٦٦٩/٤-١٦٧٠، وأسد الغاية لابن الأثير: ١٤٢/٥، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر: ١٤٧/٧).

٣ صحيح البخاري: ٨١/١ برقم: (٤٧٠٣)، كتاب تفسير القرآن، باب قوله "ولقد آتيناك سبعاً من المثاني".

٤ هو: أبو هريرة الدوسي، عبد الرحمن بن صخر، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم. اختلف في اسمه اختلافاً كثيراً، والأصح عبد الرحمن بن صخر. وقد غلبت عليه كنيته (وهو المشهور بكنيته)، أسلم عام خيبر، فقدم المدينة، وسكن الصفة، ولازم النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن توفي. وكان أحفظ من روى الحديث في

ومن ثم لا يعتبر هذا الاختلاف اختلاف تضاد وإنما هو اختلاف تنوع يُثري الفهم
ويفتح آفاقاً مختلفة لأفهام بشرية متنوعة جبلها الله عليها.
ويؤيد هذا القول القاعدة الترجيحية التالية:
"إذا احتمل اللفظ معانٍ عدة، ولم يمتنع لإرادة الجميع حمل عليها".^٢

عصره وقد أجمع أهل الحديث على أنه أكثر الصحابة حديثاً، توفي سنة سبع وخمسين، وقيل غير ذلك. (انظر:
الاستيعاب لأبن عبد البر: ١٦٧/٤ وما بعدها، وأسد الغابة لأبن الأثير: ٣/٣٥٧، والإصابة لأبن حجر: ٣٤٧٧
وما بعدها).

١. سنن أبي داود لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي
السجستاني: ٥٨٧/٢، برقم: (١٤٥٧)، باب "فائحة الكتاب"، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد كامل قره بللي،
الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ/٢٠٠٩م دار الرسالة العالمية، بقوله: شعيب الأرنؤوط، ومحمد كامل قره بللي: "إسناده
صحيح"، ومنن الترمذي لأبي غيسى الترمذي: ٢٩٧/٥، برقم: (٣٦٢٤)، باب "ومن سورة الحجج"، وقد الإمام
الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح".

٢ قواعد التفسير للمصنف: ٨٠٧/٢.

الآية:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢)

مسألة

ما نوع "ال" في قوله تعالى "الْحَمْدُ لِلَّهِ"؟

قال الإمام المودودي -رحمه الله-: "ليس الأمر أن الحمد لله، بل حقيقة الأمر أن الحمد لله فقط، دون غيره ممن سواه، وقد قطع بهذا المعنى دابر عبادة المخلوقات، وكشف الغطاء عنها فما من حمن وجمال بلى شكل كان إلا وكان مصدره ذات الله تعالى. وما صفات الحسن والكمال في مخلوقات الله من الإنسان، والملائكة، والمعبودات، والنجوم، إلا هبة ربانية، وليست مهارات مكتسبة. فالذي يستحق أن نعبد ونشكره، ونحمله ولا نستغني عنه فهو خالق المحاسن؛ وليس المتصف بها".

دراسة النص:

من خلال عرض كلام الإمام المودودي -رحمه الله- يتضح أن "ال" في "الْحَمْدُ" في قوله تعالى: "الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" يفيد معنى الحصر، وقصر الحمد في ذات الله سبحانه وتعالى دون سواه، فهو يرى أن معنى الآية هو أن من يستحق الحمد على وجه اليقين هو الله سبحانه وتعالى فقط دون غيره، وأن كل معاني الحمد والمدح مهما كانت أسبابها والوسائل إليها فهي في نهاية المطاف ثابتة لله وحده دون غيره في مخلوقاته؛ لأنه هو مصدر كل محملة، ومنبع كل ممدحة. وهذا هو المراد الذي رجحه الإمام المودودي -رحمه الله-، ووقع عليه اختياره، إلا أنني وجدت خلال تتبعي للتفسير أقوال متعددة للمفسرين في "ال" الداخلة على "حمد"، أذكرها هنا باختصار على النحو التالي:

القول الأول: أن التعريف فيها يفيد الاستغراق أي أن جميع أجناس المحامد في الحقيقة كلها لله تعالى فهو المستحق لجميع المحامد والكمالات؛ إذ له الأسماء الحسنى والصفات العظمى، وله الحمد في السموات والأرض، وله الحمد في الأولى والآخرة، وأن حمد غيره لا اعتداد به، لأن الخالق

والمنعم هو الله سبحانه وتعالى وهو الذي وفقهم لذلك وأعانهم عليه، ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية^١، والرازي^٢، والقرطبي^٣، وغيرهم^٤.

ولقد رد بعض المفسرين على هذا القول من أمثلة الزحشري، والألوسي^٥، والطاهر بن عاشور^٦. يقول الإمام الزحشري: "والاستغراق الذي يتوهمه كثير من الناس وهم منهم".

القول الثاني: أنه يفيد العهد أي ما يعرفه كل أحد من أن الحمد ما هو؟ وعن ذكر هذا القول من المفسرين: الزحشري^٧، والبيضاوي^٨، وأبو حيان الأندلسي^٩، وغيرهم^{١٠}.

ولقد رد العلامة النسفي على هذا القول الثاني قائلاً: "والألف واللام فيه للاستغراق عندنا خلافاً للمعتزلة ولذا قرن بسم الله لأنه اسم ذات فيستجمع صفات الكمال وهو بناء على مسألة خلق لأفعل^{١١}".

القول الثالث: أن "أل" التعريف قام بأداء معنى الماهية للحمد، أي أن ماهية الحمد حق الله تعالى، وعن ذكر هذا القول من المفسرين: الرازي^{١٢}، وأبو حيان الأندلسي^{١٣}.

١ انظر: الخرد الوجيز: ٦٦٨.

٢ انظر: التفسير الكبير: ١٩٢/٨.

٣ انظر: الجملع لأحكام القرآن: ١٣٣/٨.

٤ ينظر: تفسير البيضاوي: ٢٧/٨، وتفسير النسخي: ٢٩/٨، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٣٤/٨، وتفسير ابن كثير: ١٣٦/٨، وتفسير الشوكاني: ٣٢/٨، وأضواء البيان للشنقيطي: ٥/٨، ومعارف القرآن للمفتي محمد شفيع: ٧٧٨-٨٠.

٥ هو نقل قول الزحشري انظر: روح المعاني: ٧٤/٨.

٦ هو نقل قول الزحشري أيضاً انظر: التحرير والتنوير: ٨٢٠/٨.

٧ الكشاف: ١٠/٨.

٨ انظر: المصدر السابق: ٩٨-١٠.

٩ انظر: أنوار التنزيل: ٣٧/٨.

١٠ انظر: البحر المحيط: ٣٤/٨.

١١ ينظر: تفسير أبي السعود: ١٢/٨، وتفسير الألوسي: ٨٤/٨، وتفسير الطاهر بن عاشور: ١٥٩/٨، ومعارف القرآن، محمد إسماعيل كاندهلوي: ١٠/٨.

١٢ مدارك التنزيل: ٢٩٨-٣٠.

١٣ انظر: التفسير الكبير: ١٩٢/٨.

القول الرابع: يذكر بعض المفسرين أن "ال" في "الحمد" يفيد معنى الحصر، وقصر الحمد في ذات الله سبحانه وتعالى، ومن ذكر هذا القول من المفسرين: محمد صديق خان، وطنطاوي^٣.

التعليق: يلاحظ بعد استقراء آراء المفسرين في تفسيرهم في مسألة "ال" الداخلة على "الحمد" أن كل رأي من تلك الآراء ذهب ملها يتفق مع ما يراه صاحبه من المعنى المنسوب في الآية الكريمة؛ ولذا فمثلاً: أراد القائلون بالاستغراق أن يلموا شتات الحمد وأجزائه بحيث لا تبقى صفة من صفات الحمد إلا وهي يجب أن تكون داخلة في تعريفهم وثابتة لله تعالى. وهكذا كان للقائلين بالعهد هدف يهدفون إليه، وكذا هو موقف الفريق الثالث أيضاً؛ إلا أن المعنى الذي وقع عليه اختيار الإمام المودودي من الحصر والقصر فكان أجمع للمعاني الأخرى التي اختارها أصحاب التفسير المختلفة، كما أنه كان أشمل لكل تلك المعاني من الاستغراق والعهد والمالية التي تخدم في آخر الأمر معنى القصر الذي يقصر الحمد بكل أنواعه على الله تعالى والذي تنقوى دلالة بلام الجارة الداخلة على اسم الجلالة في قوله: "الله". والله تعالى أعلم.

فيقول: "ليس الأمر أن الحمد لله، بل حقيقة الأمر أن الحمد لله فقط؛ دون غيره ممن سواه، وقد قطع بهذا المعنى دابر عبادة المخلوقات، وكشف الغطاء عنها؛ فما من حسن وجمال بأي شكل كان إلا وكان مصدره ذات الله تعالى. وما صفات الحسن والكمال في مخلوقات الله من الإنسان، والملائكة، والمعبودات، والنجوم، إلا هبة ربانية، وليست مهارات مكتسبة. فالذي يستحق أن نعبده ونشكره، ونحفظه، ولا نستغني عنه فهو خالق المحاسن؛ وليس المتصف بها".

١ انظر: البحر المحيط: ٣٤٨.

٢ انظر: فتح البيان: ٤٢/١، والوسيط: ١٧٨.

٣ طنطاوي هو: الشيخ الدكتور محمد سيد طنطاوي، ولد في سوهاج (مصر) عام ١٩٢٨م، تعلم وحفظ القرآن الكريم في الإسكندرية، عمل عميداً لكلية الدراسات الإسلامية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ثم غير سفياً للديار المصرية، وبعدها عين شيخاً للأزهر، توفي في عام ٢٠١٠م من مؤلفاته: "التفسير الوسيط للقرآن الكريم"، و "بنو إسرائيل في القرآن والسنة"، و "معاملات البنوك وأحكامها للشرعية". (انظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة على الانترنت، والموقع الرسمي للشاملة على الانترنت، ووفه سيد طنطاوي - شيخ الأزهر - الجزيرة، نت).

الآية:

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (٧)

مسألة

ما موقع "غير" الإعرابي في الآية الكريمة ؟

قال الإمام المودودي -رحمه الله-: "ولا نقصد بالذين أنعمت عليهم من يتنعم بنعمك في الحياة الدنيا، وهو في حقيقة الأمر مستحق لغضبك وضلّ عن طريق الفلاح والسعادة، وإنما نقصد بهم من نل شرف الإنعام الحقيقي المتحصل الذي لا يتأتى إلا عن طريق الهداية والرضوان، والمختلف تماما عن ذلك الإنعام العرضي الذي وهب قديما لأمثال قرعون، وقحرون، وقارون، ومنح حديثا للظالمين، والعصاة، والضالين".

دراسة النص:

من خلال عرض كلام الإمام المودودي -رحمه الله- يتضح أن "غير" في قوله تعالى "صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ" صفة لـ "الذين"، فهو يرى أن معنى الآية هو أننا نسلك الهداية إلى صراط الذين نالوا شرف الإنعام الحقيقي بسبب الهداية، غير مستحق لغضبك وضلّ عن طريق الهداية، ولا يسلك صراط الذين وهبوا الإنعام العرضي في الحياة الدنيا قديما وحديثا، واستحقوا غضبك وضلّوا عن طريق الهداية، أي أننا صراط الذين جمعوا بين التعمتين: نعمة الإيمان، ونعمة السلامة من الغضب، والضلال، وهذا هو البرأي الذي رجحه الإمام المودودي -رحمه الله- ووقع عليه اختياره، إلا أنني وجدت خلال تتبعي للتفسير أن المفسرين ذكروا قولين في "غير" في الآية المذكورة، أذكرهما هنا باختصار على النحو التالي:

القول الأول: قراءة الحفص في "غير"، وهي على ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: إن "غير" هنا صفة لا بدل. والمعنى: أنهم جمعوا بين التعمتين: نعمة الإيمان، ونعمة السلامة من الغضب والضلال.

ومن ذكر هذا الوجه من المفسرين: الفرّاء النحوي^١، والطبري^٢، وأبو جعفر النحاس^٣، وغيرهم،
ولقد رد الإمام محمود بن أبي الحسن النيسابوري^٤، والإمام ابن جزّي^٥ على هذا القول
فهم يقولون: إن يكون كلمة "غير" نعتاً من "الذين" يبعد لأن كلمة "الذين" معرفة، وكلمة
"غير" نكرة، لا يتعرّف وإن أضيفت إلى المعارف، فكيف يصح أن توصف معرفة بالنكرة؟
أجاب المفسرون عن هذا الاعتراض بجوابين:

(١) لم يقصد بـ "الذين" قوم بأعيانهم بل أريد بهم الجنس، ولم يقصد بـ "غير" معين أيضاً،
وهي في الكلام بمنزلة قولك: "لا أمر بالصالح غير الكاذب". كأنك تريد لا أمر إلا بمن يصدق
ولا يكذب.

(٢) تعرّف "غير" بـ الإضافة إذ وقعت بين الضدين، فالغضوب عليهم والضالّين خلاف
المنعم عليهم، فليس في "غير" الإبهام الذي يأبى عليه أن يتعرّف. كقولك: "الحى غير الميت"،
و"الساكن غير المتحرك".

١ انظر: معاني القرآن: ١/٧٨، المحقق: أحمد يوسف التجاني / محمد علي النجار / عيد الفتاح إسماعيل السليبي.
الطبعة الأولى: دار المصرية، مصر، بدون تاريخ الطبع.
٢ انظر: جامع البيان: ١/٨٨.

٣ انظر: إعراب القرآن: ٢/١، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، الطبعة الأولى: ١٤٢١ هـ.
منشورات محمد علي يعضون، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤ ينظر: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية لثقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحكيم بن
عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي: ٣/٧٥-٣٠٧، المحقق:
محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى: ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، والكشاف
للزحشرى: ١/٦٨، وتفسير ابن عطية: ٧/١، وتفسير القرطبي: ١٥/١-١٥١، وتفسير البيضاوي: ٣/١، والبحر
المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٥/١، وتفسير ابن كثير: ١٤/١، وتفسير أبي السعود: ١٨٨-١٩، وتفسير
الشوكاني: ٢٩٨، وتفسير الطاهر بن عاشور: ١/٩٥.

٥ انظر: إيجاز البيان عن معاني القرآن: ١/٦٨.

٦ انظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ٦/٦٨.

٧ يرجع للمزيد من التفصيل: معاني القرآن للقرّاء النحوي: ٨/١، وتفسير الطبري: ١٨٠/١-١٨١، والكشاف
للزحشرى: ١٦٨-١٧، وتفسير القرطبي: ١٥١/١، وتفسير البيضاوي: ٣/١، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي:
٥/٨.

الوجه الثاني: إن "غير" هنا بدل من "الذين" لا صفة، والمعنى: "المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال".

وعن ذكر هذا الوجه من المفسرين: أبو جعفر النحاس^١، والزمخشري^٢، وعمود بن أبي الحسن النيسابوري^٣، وغيرهم^٤.

لقد رد الإمام أبو حيان الأندلسي على هذا الوجه بقوله: "فلجأ على البدل من "الذين"، أو من الضمير في "عليهم"، وكلاهما ضعيف، لأن غيرا أصل وضعه الوصف، والبدل بالوصف ضعيف"^٥.

ورد عليه العلامة أبو السعود أيضاً بعد ما رجع الوجه الأول، حيث يقول: "وبهذا تبين أن لا سبيل إلى جعل غير المتغضوب عليهم بدلاً من الموصول لما عرفت من أن شأن البدل أن يفيد متبوعه مزيد تأكيد وتقرير وفضل إيضاح وتفسير ولا ريب في أن قصارى أمر ما نحن فيه إن يكتسب بما أضيف إليه نوع تعرف مصحح لوقوعه صفة للموصول وأما استحقاق أن يكون مقصوداً بالنسبة مفيداً لما ذكر من الفوائد فكل"^٦.

الوجه الثالث: أو بدل من الهاء والميم في "عليهم"، والمعنى: "المنعم عليهم سلموا من الغضب والضلال".

وعن ذكر هذا الوجه من المفسرين: أبو البقاء العكبري^٧، والقرطبي^٨، وأبو حيان الأندلسي^٩، وغيرهم^{١٠}.

١ انظر: إعراب القرآن: ٢٧٨.

٢ انظر: الكشف: ١٧٨.

٣ انظر: إيجاز البيان عن معاني القرآن: ٢٧٨.

٤ انظر: تفسير القرطبي: ١٥٠/٨، وتفسير البيضاوي: ٢٦/٨، وتفسير ابن جزي: ١٦٦/٨، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٥٠/٨، وتفسير أبي السعود: ١٩/٨، وتفسير الشوكاني: ٢٩/٨، وتفسير الطاهر بن عاشور: ١٩٥/٨.

٥ البحر المحيط: ٥٠/٨.

٦ إرشاد العقل السليم: ١٩/٨.

٧ انظر: البيان في إعراب القرآن لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري: ٩/٨، المحقق: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، (جزءان في ترميم مسلسل واحد)، بدون تاريخ الطبع.

٨ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٥/٨.

ومن رد على هذا الوجه: الألوسي، ووهبة الزحيلي.^١
 يقول العلامة الألوسي: "وقيل من ضمير "عليهم" ولا يخلو من الركاة بحسب المعنى وأما
 أنه يلزم عليه خلو الصلة عن الضمير فلا لأن المبطل منه ليس في نية الطرح حقيقة".^٢
 ويقول العلامة ووهبة الزحيلي: "و "غير" مجرور على البطل من ضمير "عليهم". وهذا
 ضعيف".^٣

القول الثاني: قراءة النصب في "غير" على أوجه، منها: الاستثناء من "الذين" أو من
 "الضمير" في "عليهم". كقولك: "إلا المغضوب عليهم"، أو الحذف من "الذين" أو من
 "الضمير" في "عليهم"، كقولك: "صراط الذين أنعمت عليهم، لا مغضوباً عليهم"، أو
 بإضمار أعني، كقولك: "أعني غير المغضوب عليهم".
 وعن ذكر هذا القول من المفسرين: أبو إسحاق الزجاج النحوي، وأبو البقاء الحكيري،
 والقرطبي، وغيرهم.^٤

١ انظر: البحر المحيط: ٥٠/٨.

٢ ينظر: تفسير الألوسي: ٩٧/٨. وإعراب القرآن. وبيانه لحجى الدين درويش: ١٥/٨. والتفسير المنير لوهبة
 الزحيلي: ٥٥/٨.

٣ ووهبة الزحيلي هو: ووهبة بن مصطفى الزحيلي (١٩٣٢م/٢٠١٠م) كان أحد أبرز علمه أهل السنة
 والجماعة من سوريا في العصر الحديث. عضو تحرير في مجمع الفقه الإسلامي في مكة وجدة
 ولندن وأمريكا والسودان. رئيس قسم الفقه الإسلامي ومذاهبه بجامعة دمشق، كلية الشريعة. حصل على
 جائزة أفضل شخصية إسلامية. من مؤلفاته: "التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج"، و"الفقه
 الإسلامي وأدلة"، و"أصول الإيمان والإسلام". (انظر: الموقع الرسمي للمكتبة الشاملة، وويكيبيديا الموسوعة
 الحرة على الإنترنت).

٤ روح المعاني: ٩٧/٨.

٥ التفسير المنير: ٥٥/٨.

٦ انظر: معاني القرآن وإعرابه: ٥٢/٨.

٧ انظر: التبيان في إعراب القرآن: ١٠/٨.

٨ انظر: الجامع الأحكام القرآن: ١٥١/٨.

٩ ينظر: تفسير البضاوي: ٣٦/٨. وتفسير ابن جزي: ١٦/٨. والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٥١-٥٢/٨.
 وتفسير الألوسي: ٩٧-٩٨/٨.

وهذا القول أيضا كان موضع النقد والرد عليه من قبل الأئمة ابن تيمية وأبي حيان الأندلسي والألوسي.

يقول الإمام ابن تيمية: وقوله تعالى: "غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ" صفة لا استثناء، لأنه خفض "غَيْرَ" كما تقول العرب: إني لأمر بالصدق غير الكاذب. فللمغضوب عليهم والمضالون لم يدخلوا في المنعم عليهم حتى يخرجوا، بل بين أن هؤلاء مغايرون لأولئك كمغايرة الصادق للكاذب.

ويقول الإمام أبو حيان الأندلسي: "والتَّصْبِ عَلَى الْحَلِ مِنَ الصَّيْرِ فِي "عَلَيْهِمْ"، أَوْ مِنَ "الَّذِينَ" خَطَأً، لِأَنَّ الْحَالَ مِنَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ الْبَيِّنُ لَا مَوْضِعَ لَهُ لَا يَجُوزُ، أَوْ عَلَى الْمُسْتَبَاحِ، وَهُوَ اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ، إِذْ لَمْ يَتَنَاوَلْهُ اللَّفْظُ السَّابِقُ، وَمَنْعَهُ الْقِرَاءَةُ مِنْ أَيْجَلٍ لَا فِي قَوْلِهِ وَلِأَنَّ الْمَضَالِينَ، وَلَمْ يُسْرَعْ فِي التَّصْبِ غَيْرَ الْحَلِ، لِأَنَّ لَهُ لَا تَزَادُ إِلَّا إِذَا تَقَدَّمَ النَّقْيُ...".^١
ويقول العلامة الألوسي: "إن "غير" بالنصب شاذ عن ابن كثير".^٢

وكما تقول الأئمة: ابن كثير، وأبو حيان الأندلسي، والطاهر بن عاشور: "إن "غير" بلخفض قراءة الجمهور".^٣

التعليق: بعد الاستقراء في آراء المفسرين ثبت أن هناك قولين في إعراب كلمة "غير"، فالوجهان في القول الأول من أهم الأقوال في المسألة وذكرهما أكثر المفسرين. أما الوجه الثالث (الأخير) من القول الأول فضعفه والقول الثاني أيضا ضعيف والنقد عليه أكثر. أما الوجه الثاني في القول الأول فضعيف وهو: أن المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال، والراجع هو الوجه الأول في القول الأول، وهو: أن تكون "غير" صفة لا بدلا.

١ منهج السنة النبوية: ٣٠٦/٥-٣٠٧.

٢ البحر المحيط: ٥٠/٨-٥١، باعتصام.

٣ انظر: روح المعاني: ٩٧/٨.

٤ ينظر: تفسير ابن كثير: ١٤٠/٨، والبحر المحيط: ٥٠/٨، وتفسير الطاهر بن عاشور: ١٩٥/٨.

١. هو قول الجمهور: يقول الإمام ابن جزي: "قرأ الجمهور: 'غير بالجر على النعت'".

ويقول الإمام ابن جزي أثناء كلامه عن وجوه الترجيح قائلا: "أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين؛ فإن كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه".

٢. لأن إعرابها صفة أنسب للمقام وأوفى بالمعنى المراد بحيث يجمع هذا التفسير بين الإنعام الذي تفضل به على عباده، وبين السلامة من الوقوع في الضلال والغضب. أما تفسيرها بالبدل فإنه لا يتميز بهذا المعنى الجامع بين الصفتين، لأن البدل والبدل منه يؤديان معنى واحدا ولا يحتاجان إلى التغاير فيه؛ لذلك كان تفسيرها بالوصفية أولى وأدق من تفسيرها بالبدل. وهذا هو ما رجحه الإمام المودودي - رحمه الله - بتفسيره للآية الكريمة ٣، حيث قال: "ولا نقصد بالذين أنعمت عليهم من يتنعم بنعمك في حياة الدنيا، ولكنه في حقيقة الأمر مستحق لغضبك وضل عن طريق الفلاح والسعادة وإنما نقصد بهم من نال شرف الإنعام الحقيقي المتأصل الذي يتأتي عن طريق الهداية والرضوان، وهو يختلف تماما عن ذلك الإنعام العرضي الذي وهب قديما لأمثال فرعون، وقمرو، وقارون، ومنح حديثا للظالمين والعصاة والضالين". - والله أعلم -.

ويقول الإمام ابن جزي في مقدمة تفسيره أثناء الكلام عن وجوه الترجيح: "أن يشهد بصحة القول ويدل عليه ما قبله أو ما بعده".

ويؤيد هذا القول القاعدة الترجيحية التالية:

"إشغال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهم إلا بدليل يجب التمسك له".

١ تفسير القرآن العظيم: ١٤٠/٨.

٢ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩٨.

٣ وهذا هو ما رجحه الأئمة المفسرون: أشبال الفراء النحوي، والطبري، وابن تيمية، وابن عطية، وابن كثير، وأبو السعود (انظر على التوالي: معاني القرآن: ٨/٨، وجمع البيان: ١٨٤/٨، ومنهاج السنة النبوية: ٣٠٧-٣٠٨، والحرر الوجيز: ٢٧٨، وتفسير القرآن العظيم: ١٤٠/٨، وإرشاد العقل السليم: ١٩٨).

٤ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩٨.

٥ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ١٢٥/٨.

الفصل الثاني: **ترجيحات سورة البقرة**

الآية:

﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (٢)

مسألة

ما معنى "لا رَيْبَ فِيهِ" في الآية؟

قال الإمام المودودي -رحمه الله-: "معناها البسيط المباشر: "لا شك أن هذا كتاب الله". لكنها قد تعني أيضا: "هذا هو الكتاب الذي لا شك فيه". فكل الكتب التي تتحدث عن أمور ما بعد الطبيعة وحقائق ما وراء الإدراك فإنها مبنية على التخمين والحدس، ولذلك لا يخلو مصنفوها من الشك فيما صنفوه، وإن أظهروا اليقين الكامل بما فيها. أما القرآن الكريم فإنه كتاب مبني بصورة شاملة وكلية على علم الحقيقة".^١

دراسة النص:

من خلال عرض كلام الإمام المودودي -رحمه الله- يتضح أنه ذكر قولاً واحداً في أن معنى "لا رَيْبَ فِيهِ" في قوله تعالى "ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ"، ووقع عليه اختياره، إلا أنني وجدت خلال تنبهي للتفاسير ستة أقوال أخرى للمفسرين في معنى "لا رَيْبَ فِيهِ" في الآية المذكورة، أذكرها هنا بلمعة على النحو التالي:

القول الأول: لا ريب ولا شك في كونه منزلاً من الله ولا ريب (الشك) فيه (في ذاته)، بمعنى أنه الحق والصديق في ذاته، وصفة من صفاته، غير مخلوق ولا محدث وإن ارتاب فيه الكفار، هذا القول هو المنقول عن ابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد وعده من الصحابة والتابعين.^٢

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، وابن عطية، وابن الجوزي، وغيرهم.^٣

١ تفهيم القرآن: ٢٩٨.

٢ انظر: تفسير ابن كثير: ١٦٢/٨.

٣ من هؤلاء: أبو الدرداء وسعيد بن جبير وأبو مالك ونافع مولى ابن عمر وعطاء وأبو العالية والربيع بن أنس ومقاتل بن حبان والسدي وقتبة وإسماعيل بن أبي خالد. (انظر: تفسير ابن كثير: ١٦٢/٨).

٤ انظر: جامع البزاة: ٢٢٨/٨.

٥ انظر: الطبري التبريزي: ٨٣/٨.

القول الثاني: إن النفي هنا بمعنى النهي أي لا تترتبوا فيه ومثله قوله تعالى: "قُلَّا رَفَعْتُمْ وَلَا فُسُوقٌ وَلَا جِدَالٌ فِي الْحَجِّ".

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية، وابن الجوزي وابن كثير^١.
ولقد ذكر هذا القول القاضي ابن عطية بـ "وقل قوم"^٢، كما ذكره الحافظ ابن كثير بـ "وقل بعضهم"^٣، وذكره الأئمة: السمعاني^٤، والبغوي^٥، والقرطبي^٦، وغيرهم^٧ بصيغة التعميم.

القول الثالث: لا ريب فيه أنه هنيئ للمؤمنين.

اتفرد بذكر هذا القول: الإمام ابن الجوزي^٨.

القول الرابع: هو عموم يراد به لخصوص أي لا ريب فيه عند المؤمنين/المؤمنين.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية، والبيضاوي، وأبو حيان الأندلسي، والألويسي^٩.

ولقد رد القاضي ابن عطية على هذا القول بقوله: "وهذا ضعيف"^{١٠}، والعلامة أبو حيان الأندلسي بقوله: "هذه المقادير لا يحتاج إليها"^{١١}.

^١ انظر: زاد المسير: ٢٧/١.

^٢ ينظر: تفسير البيضاوي: ٣٦/١، وتفسير القرطبي: ١٥٩/١، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٦٣/١، وتفسير ابن كثير: ١٦٢/١، وتفسير الألويسي: ١٠٩/١، وتفسير القرآن لأمين إصلاحي (بالأردنية): ٨٧/١.

^٣ سورة البقرة، الآية ١٩٧.

^٤ انظر على التوالي: المحرر الوجيز: ٨٣/١، و زاد المسير: ٢٧/١، وتفسير القرآن العظيم: ١٦٢/١.

^٥ المحرر الوجيز: ٨٣/١.

^٦ تفسير القرآن العظيم: ١٦٢/١.

^٧ انظر: تفسير القرآن: ٤٢/١/٨.

^٨ انظر: معالم التنزيل: ٨٨.

^٩ انظر: الجلس لأحكام القرآن: ١٥٩/١.

^{١٠} ينظر: تفسير الخازن: ٣٣/١، وتفسير الألويسي: ١٠٩/١.

^{١١} زاد المسير: ٢٧/١.

^{١٢} انظر على التوالي: المحرر الوجيز: ٨٣/١، وأنوار التنزيل: ٣٧/١، والبحر المحوط: ٦٣/١، وروح المعاني: ١٠٩/١.

^{١٣} المحرر الوجيز: ٨٣/١.

كما ذكره القاضي البيضاوي، والعلامة الألوسي بصيغة الشرطية^١.

القول الخامس: لا ريب فيه عند المتكلم.

انفرد بذكره العلامة أبو حيان الأندلسي^٢.

القول السادس: على جعل حذف المضافه أي لا سبب ريب فيه لوضوح آياته وإحكام

معانيه وصلح أخباره.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: أبو حيان الأندلسي^٣، والألوسي^٤.

التعليق: يشين من القراءة في السطور السابقة أن هناك أقوالاً متعلقة في معنى "لَا رَيْبَ

فِيهِ" في قوله تعالى: "ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ"، والقول الأول هو الراجح لقوة

أدلته ولعدم تعرضه للنقد والرد ولكونه من اختيارات جبهة المفسرين الكبار حيث رجحه

عدد من المفسرين أمثال: الطبري^٥، والسمعاني^٦، والبغوي^٧، وغيرهم^٨، وهو: "أن هذا الكتاب لا

شك في كونه منزلاً من الله تعالى"، وهذا هو ما رجحه الإمام المودودي رحمه الله استناداً إلى

أن هذا الكتاب لا شك فيه لأنه مبني بصورة شاملة على الحقيقة، فهو مختلف تماماً عن الكتب

التي تتحدث عن أمور ما بعد الطبيعة لأنها مبنية على التخمين، فيقول: "معناها البسيط

المباشر: "لا شك أن هذا كتاب الله"، لكنها قد تعني أيضاً: "هذا هو الكتاب الذي لا شك

فيه". فكل الكتب التي تتحدث عن أمور ما بعد الطبيعة وحقائق ما وراء الإدراك فإنها مبنية

١ البحر المحیط: ٦٣/٨.

٢ انظر: أنوار التنزيل: ٣٧/١، وروح المعاني: ١٠٩/١.

٣ انظر: البحر المحیط: ٦٣/٨.

٤ انظر: المصباح نفسه.

٥ انظر: روح المعاني: ١١٠/٨.

٦ انظر: جامع البيان: ٢٢٨/٨.

٧ انظر: تفسير القرآن: ٤٢٨/٨.

٨ انظر: معالم التنزيل: ٨/١.

٩ ينظر: تفسير ابن عطية: ٨٣/٨، وتفسير القرطبي: ١٥٩/٨، وتفسير البيضاوي: ٣٧/٨، وتفسير الخازن: ٢٣/٨.

والبحر المحیط لأبي حيان الأندلسي: ٦٣/٨، وتفسير ابن كثير: ١٦٢/٨، وتفسير الألوسي: ١٠٩/٨، وتفسير القرآن

لأمير المؤمنين إصلاحي: ٨٧/٨.

على التخمين والحدس، ولذلك لا يخلو مصنفوها من الشك فيما صدقوه، وإن أظهروا اليقين الكامل بما فيها أما القرآن الكريم فإنه كتاب مبني بصورة شاملة وكلية على علم الحقيقة".

الأدلة:

(١) القرآن: يقول الله تعالى: "تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ"، ويقول أيضاً: "تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ".

يقول الإمام ابن جزري عن هذا الجانب: "تفسير بعض القرآن يعطى فإذا كان موضع من القرآن على المراد بموضع آخر حملناه عليه ورجحنا القول بذلك على غيره من الأقوال".^٢

(٢) هو المنقول عن أكثر الصحابة والتابعين.

يقول الحافظ ابن كثير: والزَيْبُ الشُّكُّ ثم ساق الأخبار واستدل بها.^٣

ويقول الإمام ابن جزري أثناء كلامه عن وجوه الترجيح: "أن يكون القول قول من

يقتدي به من الصحابة كالخلفاء الأربعة وعبد الله بن عيسى رضي الله عنهما - لدعاه الرسول الله صلى الله عليه وسلم - له: "اللَّهُمَّ فَقِّهْ فِي الْمَدِينِ وَعَلِّمَهُ التَّائِيلَ".^٤

(٣) وأن القول الأول لا يحتاج فيه إلى الزيادة، ولا إلى التخصيص في النص.

١ سورة السجدة الآية ٢.

٢ سورة الفاطر، الآية ٢.

٣ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩٨.

٤ تفسير القرآن العظيم: ١١٢/١.

* قال الحافظ ابن كثير: "قال السُّنِّي عَنْ أَبِي مَالِكٍ وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَعَنْ مَرْءٍ الْمُهَلَّبِيِّ عَنْ ابْنِ مَسْرُوقٍ وَعَنْ أَنَسٍ بْنِ أَحْمَدَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {لَا رَيْبَ فِيهِ} لَا شَكَّ فِيهِ. وَقَالَ أَبُو الْبَرَاءِ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَأَبُو مَالِكٍ وَنَافِعُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَأَبُو الْعَالِيَةِ وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ وَمُقَاتِلُ بْنُ حَبِيبٍ وَالسُّنِّي وَتَفَّاهُ وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ". ثم قال: "وقال ابن أبي حاتم: لا أعلم في هذا خلافاً". (تفسير القرآن العظيم: ١١٢/١).

٦ سبق تخريجه.

٧ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩٨.

ويقول الإمام ابن جزى في مقدمة تفسيره "تقديم الاستقلال على الاضمار إلا أن يدلّ
فليل على الاضمار"^١.

٤) قوة أدلته وعدم تعرضه للنقد والرد.

ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

"القول الذي تؤيد آياته قرآنية مقدم على ما عليم ذلك"^٢.

"تفسير السلف وفهمهم لنصوص الرحي حجة على من بعدهم"^٣.

"القول بالاستقلال مقدم على القول بالإضمار"^٤.

١ المصدر نفسه

٢ قواعد الترجيح عند المفسرين للحريز: ٣٢٨.

٣ المصدر السابق: ٢٧٨.

٤ نفس المصدر السابق: ٤٢٦/٣.

الآية:

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (٢)

في الآية مسالتان:

المسألة ١

ما معنى "الغيب" في الآية؟

قال الإمام المودودي رحمه الله: "إن المراد بـ "الغيب" هو تلك الحقائق الخفية المختفية عن حواس الإنسان، والتي لا تظهر له بالصورة المباشرة عن طريق التجربة والمشاهدة، مثلاً: ذات الله وصفاته، والملائكة، والوحي، والجنة، وجهنم، فقبول هذه الحقائق بدون رؤيتها اعتماداً على إخبار النبي -صلى الله عليه وسلم- هو الإيمان بالغيب، ومعنى الآية أن من يؤمن بهذه الحقائق غير المحسوسة هو وحده يستفيد من هداية القرآن وإرشاده. أما من يشترط للإيمان بها الرؤية، والمذاق، والشه، ومن يقول إنه لا يؤمن إلا بما يُقاس، ويكدر فليس له من هداية القرآن حظ".

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي رحمه الله - يتضح أنه ذكر قولاً واحداً في المراد بـ "الغيب" في قوله تعالى "الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ" مما يدل على أن الرأي الذي ذكره هو الراجح عنده ووقع عليه اختياره، إلا أنني وجدت خلال تتبعي للتفسيرات ثلاثة معانٍ للمفسرين في المراد بـ "الغيب" في الآية المذكورة، أذكرها هنا باختصار على النحو التالي:

القول الأول: الخفي الذي لا يدركه الحس، ولا تقتضيه بدهة العقل، بما أخبر به الرسول

-صلى الله عليه وسلم-، والمر بالإيمان به، والذي قلَّ عليه دليل بأن يفكروا ويستدلوا فيؤمنوا به، مثل: ذات الله وصفاته، والملائكة، والشیاطين، والنبوات وما يتعلق بها، وأشراف الساعة، ويوم الآخرة وأحواله، وغير ذلك.

ويتلوه على هذا القول "بالغيب" يتعلق به "يؤمنون"، والباء للتمعية.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الرمخشري، وابن عطية، وابن الجوزي، وغيرهم.

١ تفهيم القرآن: ٥٠/٨.

٢ انظر: الكشاف: ٣٨١.

وهذا هو ما رجحه الإمام المودودي -رحمه الله- كما ذكر آنفاً. وذهب إليه معظم المفسرين.

القول الثاني: عدم الحضور، أي: إنهم يؤمنون إيماناً جازماً حتى في حالة غيابهم (ظاهراً وباطناً)، وعدم حضورهم مجالس الإيمان. وبذلك يختلفون عن المنافقين الذين يؤمنون حاضرين، ويكفرون غائبين.

وبناء على هذا القول "بالغيب" في موضع الحال، واليه للمصاحبة. وعن ذكر هذا القول من المفسرين: الزحشي^١، وابن عطية^٢، والرازي^٣، وغيرهم^٤.

القول الثالث: القلب لأنه مستور، أي: يؤمنون بقلوبهم، وبذلك يختلفون عما يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم.

وبناء على هذا القول "البدن" للآلة، أي: بواسطة قلوبهم. وعن ذكر هذا القول من المفسرين: الزحشي^٥، كما ذكره الأئمة: البضاوي، والقرطبي، والألوسي بصيغة التمريض^٦.

التعليق: يتبين من القراءة في هذه المعاني المختلفة أن المعنى الذي اختاره معظم المفسرين، ورجحه الإمام المودودي -رحمه الله- هو القول الأول؛ وذلك استناداً إلى السياق الذي

١ انظر: المحرر الموجز: ٨٤/١

٢ انظر: زاد المسير: ٢٨٨.

٣ ينظر: التفسير الكبير للرازي: ٢٧٢/٢، وتفسير القرطبي: ١٦٣/١، وتفسير البضاوي: ٣٨/١، ومجموع فتاوى لابن تيمية: ٤٧١٤-٤٣، وتفسير ابن جزى: ٦٩٨، وتفسير ابن كثير: ١٦٥/١-١٦٦، وتفسير أبي السعود: ٣٧/١، وتفسير الألوسي: ١١٧/١، وتفسير الطاهر بن عاشور: ٣٢٩/١، وتفسير بيان القرآن لحكيم الأمة وبهجة الملة العلامة أشرف علي التهانوي، ص ٣، مكتبة الحسن، لاهر.

٤ انظر: الكشاف: ٣٨/١.

٥ انظر: المحرر الموجز: ٨٤/١.

٦ انظر: التفسير الكبير: ٢٧٢/٢.

٧ ينظر: تفسير القرطبي: ١٦٣/١، وتفسير البضاوي: ٣٨/١، وتفسير ابن جزى: ٦٩٨، وتفسير الألوسي: ١١٧/١.

٨ انظر: الكشاف: ٣٨/١.

٩ انظر على التوالي: أنوار التنزيل: ٣٨/١، والجامع لأحكام القرآن: ١٦٤/١، وروح المعاني: ١١٧/١.

وردت فيها الآية المباركة، وهو: "أَنَّ الْمَرَادَ بِـ"الْغَيْبِ" فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ الْحَقَائِقُ الْخَفِيَّةُ عَنْ حَوَاسِ الْإِنْسَانِ مِثْلُ ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ، وَالْمَلَائِكَةُ، وَالْوَحْيُ، وَالْجَنَّةُ وَجَهَنَّمُ"، فيقول: "إِنَّ الْمَرَادَ بِـ"الْغَيْبِ" هُوَ تِلْكَ الْحَقَائِقُ الْخَفِيَّةُ الْمَخْتَفِيَّةُ عَنْ حَوَاسِ الْإِنْسَانِ، وَالَّتِي لَا تَظْهَرُ لَهُ بِالصُّورَةِ الْمُبَاشِرَةِ عَنْ طَرِيقِ التَّجَرُّبَةِ وَالْمُشَاهَدَةِ، مِثْلًا: ذَاتُ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ، وَالْمَلَائِكَةُ، وَالْوَحْيُ، وَالْجَنَّةُ وَجَهَنَّمُ، فَيَقُولُ هَذِهِ الْحَقَائِقُ بِدُونِ رُؤْيَاهَا، اعْتِمَادًا عَلَى إِنْخِبَارِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هُوَ الْإِيمَانُ بِالْغَيْبِ".

وهذا هو المعنى الذي اجتمعت عليه كلمة المحققين من المفسرين، أمثال: البهوي، وابن الجوزي، والرازي، وغيرهم.

الأدلة:

(١) هو تفسير السلف، إذ لم ينقل عنهم في التفاسير غير هذا القول، وهو قول جمهور المفسرين كذلك.

يقول الإمام الرازي هذا الإجماع بقوله: "وَهُوَ قَوْلُ جُمْهُورِ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ الْمَغْيِبَ هُوَ الَّذِي يَكُونُ غَائِبًا عَنِ الْعَامَّةِ ثُمَّ هَذَا الْمَغْيِبُ يَنْقَسِمُ إِلَى مَا عَلَيْهِ دَلِيلٌ، وَإِلَى مَا لَيْسَ عَلَيْهِ دَلِيلٌ، فَالْمَرَادُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ مَذْهَبُ الْمُتَّقِينَ بِأَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِالْمَغْيِبِ الَّذِي كُلُّ عَلَيْهِ دَلِيلٌ بِأَنَّهُ يَتَفَكَّرُوا وَيَسْتَدِلُّوا بِقُوَّتِهِ بِهِ، وَعَلَى هَذَا يَدْخُلُ فِيهِ الْعِلْمُ بِاللَّهِ تَعَالَى وَبِصِفَاتِهِ وَالْعِلْمُ بِالنَّجْوَةِ وَالْعِلْمُ بِالنُّبُوَّةِ وَالْعِلْمُ بِالْحُكْمِ وَبِالشَّرَائِعِ؛ فَإِنَّ فِي تَحْصِيلِ هَذِهِ الْعُلُومِ بِالسُّبُلِ الْمَشَقَّةَ فَضِلَّحُ أَنَّ يَكُونَ سَبَبًا لِامْتِحَانِ التَّلَوِّ الْعَظِيمِ".

ويقول العلامة الألوسي: "وفسره جمع هنا بما لا يقع تحت الحواس ولا تقتضيه بدهة العقل، فمنه ما لم ينصب عليه دليل وتفرّد بعلمه اللطيف الخبير سبحانه وتعالى كعلم القدر مثلاً، ومنه

١ انظر: معالم التنزيل: ٨٤/١

٢ انظر: زاد المسير: ٢٧/١.

٣ انظر: التفسير الكبير: ٢٧٣/٢.

٤ ينظر: تفسير البضاوي: ٢٧/١، ومجموع فتاوى لابن تيمية: ٥١/١٤-٥٣، وتفسير الخازن: ٢٥/١، وتفسير ابن كثير: ١٦٥/١-١٦٦، وتفسير أبي السعود: ٣٠/١، وتفسير الألوسي: ١١٧/١، وتفسير الطاهر بن عاشور: ٢٢٩/١، وليسر التفسير للجزائري: ٣٠/١، وبيان القرآن لأشرف علي التهانوي، ص ٣.

٥ التفسير الكبير: ٢٧٣/١.

ما نصيب عليه دليل كالخلق تعالى وصفاته العلا فإنه غيب يعلمه من أعطاه الله تعالى نوراً على حسب ذلك النور".^١

ومن المعروف أن كلمة المحققين من العلماء والمفسرين لا تجتمع إلا على القول الأقرب لمراد النص القرآني، وهم في ذلك يبدلون قصارى جهدهم، وذلك للوصول إلى القول المبين والحق المتيقن.

يتكلم ابن جزري في مقدمة تفسيره عن هذا الجانب: "أن يكون القول قول من يقتدي به من الصحابة كالخلفاء الأربعة، وعبد الله ابن عباس رضي الله عنهما".^٢ الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو له بقوله: "اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ".^٣ ويقول أيضاً: "أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين؛ فإن كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه".^٤

٢) الإيمان المطلوب شرعاً هو الإيمان بالغيبيات المذكورة في حديث جبريل الطويل، وهو قوله - عليه الصلاة والسلام -: "أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ".^٥ وَهِيَ كُلُّهَا مِنْ عَوَالِمِ الْغَيْبِ".^٦

يقول العلامة الألوسي: "والذي يعيل إليه القلب أنه - ما أخبر به - الرسول - صلى الله تعالى عليه وسلم - في حديث جبريل - عليه السلام - وهو الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله

١ روح المعاني: ١١٧/١.

٢ وقول الصحابة في سبب النزول له حكم المزعوم كما تبين على هذا الإمام الحاكم. (انظر: معرفة علوم الحديث: ٣٠/١، المحقق: السيد معظم حسين، الطبعة الثانية: ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، دار الكتب العلمية، بيروت).

٣ سبق تخريجه.

٤ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩/١.

٥ المصدر نفسه.

٦ رواه من علم في صحيحة: ٣٧/١ بطوله، برقم: (٨)، كتب الإيمان، بهاب معرفة الإيمان، والإسلام، والمقرب، وعلامة الساعة.

٧ التحرير والتنوير: ٢٢٩/١.

واليوم الآخر والمقدر خيره وشره، لأن الإيمان المطلوب شرعا هو ذلك لا سيما وقد انضم إليه الوصفان بعنه وكون ذلك مسئلا لإطلاق الغيب عليه سبحانه ضمنا".

ويقول العلامة الطاهر بن عاشور: "وَأَنَّ فَصْرَ الْغَيْبِ بِالْإِسْمِ وَهُوَ مَا غَابَ عَنِ الْحِسِّ مِنَ الْعَوَالِمِ الْعُلُويَّةِ وَالْأَخْرُويَّةِ، كَأَنَّ الْبَلَاءَ مُتَعَلِّقَةً بِمُؤْمِنُونَ، قَالَمَعْنَى حِينَئِذٍ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أَخْبَرَ الرَّسُولُ مِنْ غَيْرِ عَالَمِ الشَّهَادَةِ كَالْإِيمَانِ بِالْمَلَائِكَةِ وَالْبَعْثِ وَالرُّوحِ وَنَحْوِ ذَلِكَ".

فالإيمان بالغيب في الآية الكريمة ذكر مجمل، فجاء هذا الحديث النبوي الشريف ليفصل هذا الإجمال بصورة واضحة حتى يتضح المراد من الإيمان المطلوب في الآية الكريمة، وبما يقوي هذا القول أن هذا المعنى هو المعنى الاصطلاحي والشرعي للإيمان؛ لكونه قائما على الأسس التي أرسى الله سبحانه وتعالى - دعائمها، وأقام عليها خيمته الكبيرة التي تمثل فروع الإيمان وأجزاؤه المعتددة من الإيمان بالله والملائكة و... وأعمدة هذه الخيمة العملاقة، والصرح الإيماني الشامخ.

٣) الأصل في الاعتقاد هو الإيمان بما غاب عن الحاسة، ولتحريم به الرسول - صلى الله عليه وسلم - لذلك خصه بالذكر.

يقول العلامة الطاهر بن عاشور: "وُحْصِيَ بِالذِّكْرِ الْإِيمَانُ بِالْغَيْبِ دُونَ غَيْرِهِ مِنْ مُتَعَلِّقَاتِ الْإِيمَانِ لِأَنَّ الْإِيمَانَ بِالْغَيْبِ أَيْ مَا غَابَ عَنِ الْحِسِّ هُوَ الْأَصْلُ فِي اعْتِقَادِ امْكَانٍ مَا تُخَيَّرُ بِهِ الرَّسُولُ عَنْ وَجُودِ اللَّهِ وَالْعَالَمِ الْعُلُويِّ، فَإِذَا آمَنَ بِهِ الْمَرْءُ تَصَدَّى لِسَمَاعِ دَعْوَةِ الرَّسُولِ وَلِلنَّظَرِ فِيَمَا يُبَلِّغُهُ عَنْ اللَّهِ تَعَالَى فَسَهَّلَ عَلَيْهِ إِفْرَاقَ الدُّلِيلِ، وَأَمَّا مَنْ يَمْتَقِدُ أَنْ لَيْسَ وَرَاءَ عَالَمِ الْمَلَكِيَّاتِ عَالَمٌ آخَرُ وَهُوَ مَا وَرَاءَ الطَّبِيعَةِ فَقَدْ رَاحَ نَفْسَهُ عَلَى الْإِعْرَاضِ عَنِ الدَّعْوَةِ إِلَى الْإِيمَانِ بِوُجُودِ اللَّهِ وَعَالَمِ الْخَيْرَةِ كَمَا كَانَ حَلُّ الْمَلَكِيَّاتِ وَهُمْ الْمُسَمَّوْنَ بِالذَّهْرِيِّينَ الَّذِينَ قَالُوا: مَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَقَرِيبٌ مِنْ اعْتِقَادِهِمْ اعْتِقَادُ الْمُشْرِكِينَ وَلِذَلِكَ عَذَّبُوا الْأَصْنَامَ الْمَجَسَّمَةَ وَمُعَظَّمُ الْعَرَبِ كَانُوا يَقْتُولُونَ مِنَ الْغَيْبِ وَجُودَ الْخَالِقِ وَيَنْعُضُهُمْ يَتَبَتُّ الْمَلَائِكَةُ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِسِوَى ذَلِكَ".

١ روح المعاني: ١١٧/١.

٢ التحرير والظهير: ٢٢٤/١.

٣ سورة الجاثية الآية ٢٤.

٤ المصدر السابق: ٢٣٠/١.

ومن هنا كان الإيمان بالغيب ركنا ركيناً وأصلاً متيناً في عقيدة المؤمن الحقيقي، ومن مبادئ المسلم الخفيف الذي لا تزعزع إيمانه مقولات الماديين، ولا خرافات الدهريين، كما لا تغيره أحداث الأمور التي تستجد في حياة الناس اليومية.

٥- استعمل "الغيب" (المصدر) مقام الوصف (غائب) للمبالغة، شائع في القرآن الكريم، كما استعمل "الشهادة" (المصدر) مقام الوصف (شاهد) في قوله تعالى: "عالم الغيب والشهادة" ١، وكالصَّوْمُ يَمَعْنِي الصَّائِمُ، وَالزُّوْرُ يَمَعْنِي الزَّائِرُ ٢. وذلك - والله أعلم - بالمراد - ليدل على معاني الثبوت والدوام والاستمرارية التي لا تقبل التغيرات والتقلبات المتنوعة.

ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

"تفسير السلف ولهمهم لنصوص الرحي حجة على من بعدهم" ٣.

"تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ" ٤.

"حمل معاني كلام الله على الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله أول من الخروج به عن ذلك" ٥.

١ انظر: الكشف للزحشي: ٣٨٨، وتفسير البيضاوي: ٣٨/١، ومجموع فتاوى لابن تيمية: ٥٢/١٤.

٢ انظر: تفسير البيضاوي: ٣٨/١، والتفسير الكبير للرازي: ٢٧٣، ومجموع فتاوى لابن تيمية: ٥٢/١٤، وتفسير الألويسي: ١٧٨/١.

٣ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٢٧٧/١.

٤ المصدر السابق: ٢٨٨/١.

٥ نفس المصدر السابق: ١٧٢/١.

المسألة ٢

ما معنى "يُنْفِقُونَ" في الآية؟

قال الإمام المودودي رحمه الله: "والشرط الرابع للاستفادة من الهداية القرآنية هو أن لا يكون الرجل مجنونا، ولا مغلول اليد إلى عنقه، وأن يكون مستعدا لأداء ما عليه من حقوق الله وعياله، وأن ينفق من ماله في سبيل الله من أجل ما آمن به".^١

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي - رحمه الله - الأنف الذكر يبدو أنه ذكر قولا واحدا في المراد بـ "الإنفاق المذكور" في قوله تعالى "الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ" مما يدل على أنه هو الراجح لديه ووقع عليه اختياره، إلا أن التفسير القرآني ذكرت عددا آخر من المعاني في المراد بـ "الإنفاق المذكور" في الآية، أذكرها هنا باختصار على النحو التالي:

القول الأول: الإنفاق المالي.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية^٢، وابن الجوزي^٣، والرازي^٤ وغيرهم.

القول الثاني: التعليم.

ومن انفرد بذكر هذا القول الإمام ابن تيمية، والإمام القرطبي^٥.

القول الثالث: الإنفاق العام الذي يشمل جميع النعم الظاهرة والباطنة المالية وغيرها.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: البيضاوي، وأبو السعود والألوسي^٦.

١ تفهيم القرآن: ٥١٨.

٢ انظر: انحرار الوجيز: ٨٥٨.

٣ انظر: زاد المسير: ٢٨٨.

٤ انظر: التفسير الكبير: ٢٧٢/٢.

٥ ينظر: تفسير البيضاوي: ٣٩٨، وتفسير ابن جزي: ٧٠٨، وتفسير ابن كثير: ١٦٧٨، وتفسير الألوسي: ١٢٧٨.

ويبين القرآن لأشرف علي التهانوي، ص ٤.

٦ انظر: مجموع فتاوى لابن تيمية: ٢١٢/١٤ - ٢١٣.

٧ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٧٩٨.

٨ انظر علي التواتري: أنوار التنزيل: ٣٩٨، وإرشاد العقل السليم: ٣٢٨، وروح المعاني: ١٢٧٨.

التعليق: ويبدو والله أعلم أن الشيخ يرجح المعنى الأول الذي يدل على الإنفاق المالي الذي يشمل صوره المتعددة كالإنفاق المفروض، وإنفاق التطوع، وإنفاق الرجل على أهله، والإنفاق في الجهاد فيقول: "والشرط الرابع للاستفادة من الهداية القرآنية هو أن لا يكون الرجل مجتلاً، ولا مقلول اليد إلى عنقه، وأن يكون مستعداً لأداء ما عليه من حقوق الله، وعياله، وأن يتفق من ماله في سبيل الله من أجل ما آمن به". وهذا ما ذهب إليه معظم المفسرين، أمثال ابن عطية، وابن الجوزي، والبرازي، وغيرهم، يضاف إلى ذلك أن القرآن الكريم فأب على استخدام هذا المعنى في الآيات التي تتحدث عن نعمة الرزق على المؤمنين.

الأدلة:

(١) هو قول جمهور المفسرين. يقول الإمام ابن جزي في مقدمة تفسيره "أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين؛ فإن كثرة الفائلين بالقول يقتضي ترجيحه".

(٢) لا يتبني معنى الإنفاق إلا معنى واحداً، وهو الإنفاق المالي، وذلك بعد ما فكرت الآية الكريمة مطلق الإيمان من الأعمال القلبية كـ "الإيمان بالغيب"، والأعمال البدنية كـ "الصلاة"، فما بقي إلا أن يراد بالإنفاق هنا هو المعنى الاصطلاحي له وهو إخراج المال وإنفاقه في مصارفه الشرعية المتنوعة.

يقول الإمام ابن الجوزي: "واعلم أن الحكمة في الجمع بين الإيمان بالغيب وهو عقد القلب، وبين الصلاة وهي فعل البدن، وبين الصدقة وهو تكليف يتعلق بالمال، أنه ليس في التكليف قسم رابع، إذ ما عدا هذه الأقسام فهو ممتزج بين اثنين منهما كالحج والصوم ونحوهما".

١ انظر: المحرر الوجيز: ٨٥/١

٢ انظر: زاد المسير: ٢٨٨/١

٣ انظر: التفسير الكبير: ٢٧٧/١

٤ ينظر: تفسير الباقوري: ٣٩٨/١، وتفسير التفسير: ٤٢/١، وتفسير ابن جزي: ٧٠/١، وتفسير الخازن: ٣٥٨/١

وتفسير ابن كثير: ١٦٨٨/١، وتفسير أبي السعود: ٣٢/١، وأسر التفسير للجزائري: ٣١٨/١

٥ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩٨/١

(٣) أسلوب القرآن ومعهود استعماله: يدل على رجحان هذا القول، وذلك أن القرآن يستعمل "الإنفاق" في "الإنفاق المالي" كثيرا.

يقول الإمام الرازي: "يَدْخُلُ فِي الْإِنْفَاقِ الْمَذْكُورِ فِي آيَةِ الْوَاجِبِ الْإِنْفَاقِ وَالْمَنْدُوبِ وَالْمَنْدُوبِ الْوَاجِبِ أَقْسَامُ أَحَدُهَا الزَّكَاةُ وَهِيَ قَوْلُهُ فِي آيَةِ الْكَفَرِ وَلَا يَتَّقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَاتِلُوا الْإِنْفَاقَ عَلَى النَّفْسِ وَعَلَى مَنْ تَحِبُّ عَلَيْهِ نَفَقَتَهُ وَقَاتِلُوا الْإِنْفَاقَ فِي الْجِهَادِ وَأَمَّا الْإِنْفَاقُ الْمَنْدُوبُ فَهُوَ أَيْضًا إِنْفَاقٌ لِقَوْلِهِ: وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ وَكَرَّاهِيهِ الصَّدَقَةُ لِقَوْلِهِ بَعْدَهُ: فَاصْطِقْ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ سورة المنافقون، فَكُلُّ هَذِهِ الْإِنْفَاقَاتِ دَاخِلَةٌ تَحْتَ آيَةِ الْوَاجِبِ يَكُنْ ذَلِكَ سَبَبًا لِمُتَحَقِّقِ الْمَدْحِ".

(٤) الاحتجاج اللغوي: وذلك أن القرآن استعمل كلمة "رَزَقْنَاهُمْ"، ولم يستعمل كلمة "أَعْطَيْنَاهُمْ"، والقرآن نزل بلسان عربي مبين، يضح كل كلمة في مكانها الأنسب والآلي، فكلمة "الرزق" في اللغة العربية عموما والاستخدام القرآني لها في النصوص المتنوعة خصوصا تدل على المال فقط.

ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

"تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ".

"حمل معاني كلام الله على الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله أولى من الخروج به عن ذلك".

٢ زاد المسير: ٢٨٨.

٣ سورة النوبة، الآية ٣٤.

٤ الآية ١٠.

٥ التفسير الكبير: ٢٧٧/٢-٢٧٧.

٦ المصدر السابق: ٢٨٨.

الآية:

﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ (١٠)

مسألة:

ما معنى "مَرَضٌ" في الآية؟

قال الإمام المودودي رحمه الله: "المقصود بالمرض هو النفاق".^١

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي رحمه الله - يتضح أنه ذكر قولاً واحداً في المراد بـ "مَرَضٌ" في قوله تعالى "فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ" مما يدل على أن الرأي الذي ذكره الإمام المودودي رحمه الله هو المراجع عنده من بين الآراء المختلفة ووقع عليه اختياره، إلا أنني وجدت خلال تتبعي للتفسير قولين لدى المفسرين، في المراد بـ "مَرَضٌ" في الآية المذكورة، أذكرهما هنا على وجه الإجمال:

القول الأول: يراد بـ "مَرَضٌ" المعنى الجلي، والذي يُراد به المرض في الدين والاعتقاد (النفاق)، وهو الفساد في عقائد المنافقين من شك وتردد في أمر الرسول - صلى الله عليه وسلم -، وجحد وتكذيب له، وعداوة النبي - صلى الله عليه وسلم - المؤدية إلى الهلاك الروحاني، والخبائث وغير ذلك من فنون الكفر من سوء الاعتقاد التي أوصلتهم إلى اللربك الأسفل من النار، ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري^٢، وأبو منصور الماتريدي^٣، وابن عطية^٤، وغيرهم.

١ نفس المصدر السابق: ١٧٢/١.

٢ تفهيم القرآن: ٥٢/١.

٣ انظر: جامع البيان: ٢٧٨/١.

٤ انظر: تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) محمد بن محمد بن محمود أبي منصور الماتريدي: ٣٨٣/١. المحقق: د/عبدي ياسلوم، الطبعة الأولى: ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٥ انظر: المحرر الوجيز: ٩٢/٨.

٦ ينظر: زاد السير لابن الجوزي: ٣٦/١، والتفسير الكبير للرازي: ٢٧٧/٢، وتفسير القرطبي: ١٩٧/٨، وتفسير

البيضاوي: ٤٥/٨، وتفسير النسفي: ٤٩/٨، وتفسير ابن جزي: ١٧٧/١، وتفسير الحازن: ٢٧/١، وتفسير ابن كثير:

١٧٨/١، وتفسير الألوسي: ١٥٦/٨، وبيان القرآن لأشرف علي التهانوي، ص ٧.

القول الثاني: يُراد بـ "مَرَضٌ" المعنى الحقيقي، أي: الظلمة، أو الغم والألم، وامتلاء صدورهم بالاكْتئاب النفسي. بظهور أمر الرميول - صلى الله عليه وسلم -، وتقوية شوكة الإسلام بين العرب والمعجم.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية، والمرآزي، والبيضاوي، وغيرهم.^١
التعليق: كلمة "مَرَضٌ" ليست على حقيقتها في هذا الباب لأن الحديث الذي تشتمل عليه الآيات هو حديث عن المنافقين، وهي لا تتحدث عن أمراض القلوب الحقيقية التي يبحث عنها علم الطب بِنقطة العلاج المناسبة. ومن المعلوم أن النص القرآني يجب أن يفهم في سيقه الذي ورد فيه، والسيق هنا عندنا هو الحديث عن القسم الثالث من أهل المدينة وهم المنافقون، فالأجدر أن يراد بـ "مَرَضٌ" المعنى المجازي الذي عبر عنه القرآن الكريم في كثير من المواضع بـ "مرض النفاق". وهو ما رجحه الإمام المودودي - رحمه الله - في تفسيره استناداً إلى الجوّ العام الذي وردت فيه الآيات الكريمة، فيقول: "المقصود بالمرض هو النفاق"، وذهب إليه معظم المفسرين: أمثال: الطبري، وأبو منصور الماتريدي، والنحلي، وغيرهم.^٢

١ انظر: المحرر الوجيز: ٩٢/٨.

٢ انظر: التفسير الكبير: ٢٧٧/٢.

٣ انظر: أنوار التنزيل: ٤٥/١.

٤ ينظر: تفسير ابن جزي: ٧٧/١، وتفسير الألويسي: ١٥١/٨.

٥ مما يلاحظ أن كلمة "مرض" صريحة في بابها، لا ينطبق عليها معنى الكتابة، لأن "الكتابة" لفظ يُطلق ويُراد به لازم معناه، وهذا المعنى لا ينطبق - والله أعلم - على كلمة "مرض".

٦ انظر: جامع البيان: ٢٧٨/١.

٧ انظر: تفسير الماتريدي: ٣٨٣/١.

٨ انظر: الكشاف والبيان: ١٥٤/٨.

٩ ينظر: تفسير السمعاني: ٤٨/١، وزاد المسير لابن الجوزي: ٣٢/٨، والتفسير الكبير للمرآزي: ٢٧٧/٢، وتفسير القرطبي: ١٩٧/١، وتفسير النسفي: ٤٩/١، وتفسير الخازن: ٢٧/١، وتفسير ابن كثير: ١٧٨/١، وتفسير أبي السعود: ٤٧/١، وتفسير الألويسي: ١٥١/٨، وتفسير القاسمي: ٢٥٠/١، وتفسير الطاهر بن عاشور: ٢٧٩/١، والتفسير المنير لوجه الزحيلي: ٨٠/١، وبيان القرآن لأشرف علي التهانوي: ص ٧.

(١) هو قول جمهور المفسرين. يقول الإمام ابن جزي في مقدمة تفسيره أثناء كلامه عن وجوه الترجيح: "أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين: فإن كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه".^١

يقول الإمام السمعاني: "أَرَادَ بِالْمَرَضِ الشَّكَّ وَالنَّفَقَ، يَجْمَعُ الْمُفْسِّرُونَ. وَيُوصَفُ الْقَلْبُ وَالذِّينُ بِالْمَرَضِ وَالصَّحَّةُ كَمَا يُوصَفُ الْبَدَنُ بِهِ".^٢

(٢) حمل "مرض" في الآية على المعنى المجازي أولى رواية ودراية.

لقد ذهب العلامة الألوسي - رحمه الله - بعد أن عرض لجواز احتمال المعنى الحقيقي (الحقيقي والمجازي) إلى ترجيح المعنى المجازي مستندا في ذلك إلى عدد من الأدلة المستمدة من علمي الرواية والدراية. فقد استدل بحديث من أحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - الذي يرويه البخاري ومسلم: "...أَنَا وَإِنِّي فِي الْجَسَدِ مُضَغَّةٌ إِذَا صَلَحْتُ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدْتُ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ".^٣ وهو ينصُّ على المعنى المجازي (على صلاح القلب وفساده)، ولا شك أن معاني الصلاح والفساد المستخدمة للقلب مجازية في هذا الحديث. يُضاف إلى ذلك ما ذهب إليه جمع من الصحابة إلى حمل المرض في الآية على المعنى المجازي. أما من علم الدراية فقد استند إلى ما ذكره الأطباء من أن القلب إذا أصابه مرض حقيقي فإنه يعجز عن الموت لصاحبه، ويُضعف جسمه ويُضعف قواه، أما منافق المدينة فكانوا أصحابا شجاعا، يفرحون ويحزنون ولا تظهر عليهم آثار مرض في الأجسام والأشكال.

(٣) السبق: حمل "مرض" في الآية على المعنى المجازي لأعماله، لأن السبق يتطلب ذلك إضافة إلى أنها صفة متصلة تنصف به المناقون، وهو المقصود من منتهى فلر حمل المرض على معنى غير مجازي لما بقيت المناسبة بين الآيات السابقة واللاحقة.

١ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩٨.

٢ تفسير القرطبي: ٤٨٨.

٣ صحيح البخاري: ٢٠/١، برقم: (٥٢)، كتاب الإيمان باب فضل من استبأ كفيه - ومسلم: ١٢١٩٨، برقم: (١٥٩٨)، كتاب المساقاة باب أخذ الحلال وترك الشبهات.

٤ انظر: روح المعاني: ١٥١/١.

يقول العلامة الطاهر بن عاشور: "وَالْمَرَادُ بِالْمَرَضِ فِي هَاتِهِ الْآيَةِ هُوَ مَعْنَاهُ الْمَجَازِيُّ لَا مَحَالَةَ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي اتَّصَفَ بِهِ الْمُتَأَفِّقُونَ وَهُوَ الْمَقْصُودُ مِنْ مُتَلَمِّهِمْ وَيَبْينُ مَنَاشِئاً مُسَاوِي أَعْمَالِهِمْ".^١ ولذلك كله كان وقوع اختيار الإمام المودودي على هذا المعنى المجازي الذي يصل الآيات ويحافظ على المناسبة بين الآيات في سبقي قرآني واحد.

ويقول الإمام ابن جزري في مقدمة تفسيره: "أَن يَشْهَدُ بِصَحَّةِ الْقَوْلِ وَبِدَلِّ عَلَيْهِ مَا قَبْلَهُ أَوْ مَا بَعْدَهُ".^٢

ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

"تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ".^٣

"إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه".^٤

"إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما، إلا بدليل يجب التسليم له".^٥

١ التحرير والتنوير: ٣٧٩/٩.

٢ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩٨.

٣ قواعد الترجيح عند المفسرين للجرجانية: ٢٨٨.

٤ المصدر السابق: ٢٠٧/٨.

٥ نفس المصدر السابق: ١٢٥/٨.

الآية:

﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ (١٤)

مسألة

ما المراد بـ "شَيَاطِينِهِمْ" في الآية؟

قال الإمام المودودي -رحمه الله-: "الشیطان في العرمة يطلق على كل عاتق، متمرد، مجنون، ويستعمل للإنسان كما يستعمل للجن. وإن كان القرآن قد أكثر من استعماله لشیاطین الجن، فإنه أحيانا يستعمله للبشر الذين يرتضون الصفات الشیطانية، ومن خلال الأسلوب والسيلق القرآن يعرف في كل موطن من الذي يعنيه القرآن؛ شیاطین الإنس أو شیاطین الجن. وهنا تعني "الشیاطین" سادة القوم ورؤسائهم الذين كانوا يحملون راية المعاداة للدين الخفيف".^١

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي -رحمه الله- يتضح أنه ذكر معنيين في المراد بكلمة "الشیطان" في "شَيَاطِينِهِمْ" في قوله تعالى: "وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ" حيث رجح معنى منهما، ووجدت أن المفسرين ذكروا هذين القولين في معنى "شیاطین" الوارد في الآية المذكورة المذكورهما هنا على وجه الإجمال:

القول الأول: المراد بـ "شیاطین" هنا شیاطین الإنس، والمعروف أن الشیاطین من الإنس والجن معا، كقوله تعالى: "وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْقَرُونَ".^٢

أي عتاتهم، ورؤسائهم، وساداتهم، ومردتهم وأهل الشر والخبيث والفساد وأصحاب الأمر والتدبير (المنافقين) من اليهود، والمشركون، المشبهين بـ "الشیاطین" في تمردهم وصلتهم عن سبيل الحق.

ومن ذكر هذا الوجه من المفسرين: الطبري، وابن عطية، وابن الجوزي، وغيرهم.^٣

١ تفهيم القرآن: ٥٤/١.

٢ سورة الأنعام الآية ١١٢.

٣ انظر: جامع البيان: ٢٩٧/١.

٤ انظر: انحرار الوجيز: ٩٧/١.

٥ انظر: زاد المسير: ٣٤/١.

أو إخوانهم من المشركين المتحرفين والمعاندين المشبهين بالشیاطین فی التمرد والعناد.
وعن ذكر هذا الوجه من المفسرين: ابن الجوزي^١، والبيضاوي^٢، وأبو السعود^٣، وغيرهم.
أو قرناؤهم الشیاطین من الكهنة كثير في عهد النبي صلى الله عليه وسلم. وسوا بذلك
لتمردهم.

وعن ذكر هذا الوجه من المفسرين: ابن عطية، وابن الجوزي، والقوطي، والألوسي^٤.
القول الثاني: المراد بـ "شیاطین" هنا شیاطین الجن.

وعن ذكر هذا القول من المفسرين ورد عليه: ابن عطية، وابن جزي، والألوسي.
يقول الإمام ابن عطية: "وقد ابن الكلبي وغيره: "هم شیاطین لجن"، قال القاضي أبو محمد-
القائل هو ابن عطية-: وهذا في الموضع بعيد"^٥.
ويقول الإمام ابن جزي: "وقيل: شیاطین الجن، وهو بعيد".

ويقول العلامة الألوسي: "وجمله على شیاطین لجن - كما قاله الكلبي - مما لا يخلج بقلبي".
التعليق: يتبين من القراءة في السطور السابقة أن الإمام المودودي - رحمه الله - يرى أن المراد بـ
"شیاطین" هنا هم الرؤساء والسادة في الكفر والتفك من شیاطین الإنس من اليهود
والمشركين الذين كانت قلوبهم تمتلأ حقدا ونفاقا فيقول: "وهنا تعني "الشیاطین" سادة القوم
ورؤسائهم الذين كانوا يحملون راية العداوة للدين الحنيف". وإن كان بعض المفسرين أمثال:

١ ينظر: التفسير الكبير للرازي: ٣٠٩٢، وتفسير البيضاوي: ٤٧/١، وتفسير القوطي: ٢٠٧/١، وتفسير ابن جزي: ٧٢/٨، وتفسير ابن كثير: ١٨٢/٨، وتفسير الألوسي: ١٥٩/٨.

٢ انظر: زاد السير: ٣٤/٨.

٣ انظر: أنوار التنزيل: ٤٧٨.

٤ انظر: إرشاد العفل السليم: ٤٦/٨.

٥ ينظر: تفسير القاسمي: ٢٥٣/٨، والتفسير الواضح لمحمد حمود الجبلي: ١٧/٨.

٦ انظر على التوالي: المحرر الوجيز: ٩٦/٨، وزاد السير: ٣٤/٨، والجامع لأحكام القرآن: ٢٠٧/٨، وروح المعاني: ١٥٩/٨.

٧ انظر على التوالي: المحرر الوجيز: ٩٦/٨، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٧٢/٨، وروح المعاني: ١٥٩/٨.

٨ المحرر الوجيز: ٩٦/٨.

٩ التسهيل لعلوم التنزيل: ٧٢/٨.

١٠ روح المعاني: ١٥٩/٨.

ابن عطية، وابن الجوزي، والألوسي، ذكروا أن المراد بـ "شياطين" شياطين الجن، والإمام المودودي - رحمه الله - رجح شياطين الإنس على شياطين الجن، لأنه يتناسب مع أسلوب القرآن وسياقه، فهو يتحدث عن المنافقين وصفاتهم بصورة عامة، فيذكر منها أنهم كلما احتلوا إلى أصحابهم الشياطين صرحوا لهم بسرهم الذي كانوا يكتنونه في صدورهم، ومن المعروف تاريخياً أن المنافقين لم تكن لهم صلة بشياطين الجن والأبالسة مثل ما كانت للمشركين من أهل مكة الذين كان إبليس نفسه يشاركهم ندواتهم التي كانوا يتآمرون فيها على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ودينه الخفيف الذي أبطل أدبانهم كلها. يضاف إلى أن اللغة العربية الفصيحة خير شاهد على هذا المعنى الذي رجحه الإمام المودودي - رحمه الله - ومن أجل ذلك كله اختاره جمهور المفسرين أمثال: الطبري، والماوردي، والسمحاني، وغيرهم.

الأدلة:

- (١) **هو قول الجمهور:** يقول الإمام ابن جزري عن أهمية هذا الجانب قائلاً: "أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين: فإن كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه".
- (٢) **القرآن:** لقد استعمل القرآن كلمة "الشياطين" لـ "شياطين الإنس"، و"شياطين الجن" معاً، كما في قوله تعالى: "وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ"

١ ومن الجدير بالذكر أنه هؤلاء ردوا على هذا القول (انظر على التوالي: المحرر الوجيز: ٩٧٨، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٧٢٨، وروح المعاني: ١٥٩٨).

٢ انظر: جامع البيان: ٢٩٦٨.

٣ انظر: النكت والعيون: ٧٧١.

٤ انظر: تفسير القرآن: ١٥٥.

٥ ينظر: تفسير البقوي: ٨٩٨، وتفسير ابن عطية: ٩٧١، وزاد المسير لابن الجوزي: ٣٤٨، والتفسير الكبير للرازي: ٣٠٩٢، وتفسير الفيضاري: ٤٧٨، وتفسير القرطبي: ٢٠٧٨، وتفسير السفي: ٥٢٨، وتفسير ابن جزري: ٧٢٨، وتفسير الخازن: ٢٨٨، وتفسير ابن كثير: ١٨٢٨، وتفسير الجلالين: ٨٨، وتفسير أبي السعود: ٤٢٨، وتفسير الألوسي: ١٥٩٨، وتفسير القاسمي: ٢٥٣٨، وتفسير المراغي: ٥٥٨، والتفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب: ٣٥٨، والتفسير الواضح لمحمود الحجازي: ١٧٨، وتفسير الطاهر بن عاشور: ٢٩٠٨، والوسيط لططاوي: ١٦٨، والتفسير المبين لنخبة من أساتذة التفسير: ٢٨، وأيسر التفاسير للجزائري: ٢٧٨.

٦ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩٨.

يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ قَدْ زُهِمَ وَمَا
يَقْتَرُونَ^١ .

٣) **السياق:** هذا المعنى يتناسب مع أسلوب القرآن وسياقه لأن الحديث هنا عن المنافقين
وصفاتهم بصورة عامة، فمما تنسم به نفوسهم أنهم يتصارعون بأسرارهم فيما بينهم،
وذلك حين ينفرد بعضهم ببعض من دون المؤمنين.
يقول الإمام ابن جزري في مقدمة تفسيره: "أن يشهد بصحة القول ويدل عليه ما قبله أو ما
بعده"^٢.

٤) **اللغة العربية:** يطلق الشيطان على المفسد ومثير الشر، تقول العرب فلان من الشياطين
ومن شياطين العرب وذلك استعارة وأصله البعد أن شياطين كل شيء مردته، الشيطان
كل بعيد عن الخير قريب من الشر يفسد ولا يصلح من إنسان أو جان.
ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

"تفسير جمهور المؤلف مقدم على كل تفسير سلا"^٣.
"إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما، إلا بدليل يجب التسليم
له"^٤.

١ سورة الأنعام الآية ١١٢.

٢ يراجع للمزيد من التفصيل: تفسير الطبري: ٢٩٧/١، وتفسير القاسمي: ٢٥٢/١، وتفسير المزماني: ٥٥/١.

٣ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩/١.

٤ يراجع للمزيد من التفصيل: تفسير الطبري: ٢٩٧/١، وتفسير الخازن: ٢٨/١، وتفسير الطاهر بن عاشور:
٢٩٠/١، وأيسر التفاسير للجزائري: ٢٧/١.

٥ قواعد الترجيح عند المفسرين للحريزي: ٢٨٧/١.

٦ المصدر السابق: ١٢٥/١.

الآية:

﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (٢٤)

مسألة:

ما معنى "الحجارة" في الآية؟

قال الإمام المودودي -رحمه الله-: "وتحتوي هذه الآية على نكتة لطيفة تُخاطب أهل النار قائلة: لستم أنتم وحدكم وقود النار، وإنما تشارككم آلهتكم التي كنتم تعبدونها، واليوم تُدركون حقيقتها".^١

دراسة النص: من خلال عرض هذا الكلام للإمام المودودي -رحمه الله- يتضح أنه ذكر قولاً واحداً في المراد بـ "الحجارة" في قوله تعالى: "فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ"، مما يدل على أنه ملأ إليه وقع عليه اختياره، إلا أن المفسرين تناولوا كلمة "الحجارة" في هذه الآية الكريمة بثلاثة أنواع من التفسير والتأويلات، نذكرها هنا على وجه الإجمال:

الأول: أنها حجارة مخصوصة (حجارة الكبريت) خلقها الله وقوداً لجهنم، وتدل على ذلك مواضع أخرى من القرآن الكريم، مثل قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ".^٢

هذا القول صرح عن ابن عباس، وابن مسعود، وعبد من الصحابة، وذكره السلف كالطبري، وابن عطية، وابن الجوزي، وغيرهم.^٣

١ تفهيم القرآن: ٥٧/١.

٢ سورة الحجر: الآية ٦.

٣ انظر: تفسير ابن كثير: ٢٠٧/١-٢٠٢.

٤ انظر: جامع البيان: ٣٨٧/١.

٥ انظر: المحرر الوجيز: ١٠٧/١.

٦ انظر: زاد المسير: ٤٥/١.

الثاني: أنها عبارة عن الأصنام والأوثان التي كان المشركون يعبدونها في الدنيا فيحويها ربنا - سبحانه - إلى وقود النار في شكل الأحجار. ويشهد له قوله تعالى: "إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ".

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن الجوزي، والرازي، والبيضاوي، وغيرهم.

ومن ذكر هذا القول بصيغة التعمير: القرطبي، وابن جزي، والخازن، وغيرهم.

ولقد رد الإمام الحافظ ابن كثير على هذا القول قائلا: "وقيل: المراد بهذه حجارة الأصنام والأنداد التي كانت تُعبد من دُونِ اللَّهِ كما قال: (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ)"، حكاه القرطبي وفخر الدين ورجحه على الكل؛ قال: لأن أخذ النار في حجارة الكبريت ليس بمعكر فجعلها عليه الحجارة أولى، وهذا الذي قاله ليس يقوي؛ وذلك أن النار إذا أضرمت بحجارة الكبريت كان ذلك أشد لحرها وأقوى لسييرها ولما سيحها على ما ذكره السلف من أنها حجارة من كبريت معدة لذلك ثم إن أخذ النار في هذه الحجارة - أيضا - مشاهد. وهذا الحيص يكون أحجارا فتعمل فيه بالنار حتى يصير كذلك. وكذلك سائر الحجارة.

١ ينظر: التفسير الكبير للرازي: ٢٥٢/٢، وتفسير القرطبي: ٢٣٥/١، وتفسير البيضاوي: ٥٨/١، وتفسير ابن جزي: ٧٧/١، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ١٧٥/١، وتفسير ابن كثير: ٢٠٧/١-٢٠٢، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ٣٨/١، وتفسير الشوكاني: ٦٣/١، وتفسير الألوسي: ٣٠٠/١.

٢ سورة الأنبياء، الآية ٩٨.

٣ انظر: زاد المسير: ٤٥/١.

٤ انظر: التفسير الكبير: ٣٥٢/١-٣٥٣.

٥ انظر: أنوار التنزيل: ٥٨/١-٥٩.

٦ ينظر: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ١٧٥/١، وتفسير الشوكاني: ٦٣/١.

٧ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٣٥/١.

٨ انظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ٧٧/١.

٩ انظر: لباب التأويل: ٣٧/١.

١٠ ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٢٠١/١-٢٠٦، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ٣٨/١، وروح المعاني: ٢٠٠/١.

١١ سورة الأنبياء، الآية ٩٨.

تَفْخَرُهَا النَّارُ وَتَحْرِقُهَا. وَإِنَّمَا سَبَقَ هَذَا فِي حَرْ هَذِهِ النَّارِ الَّتِي وَعِدُوا بِهَا، وَشِدَّةَ ضَرَامِهَا وَقُوَّةَ لَهَبِهَا كَمَا قَالَ: (كَلَّمَا خَبِتَ زِدْنَاهُمْ سَمِيرًا) ١.

الثالث: أنها جميع الأحجار

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: السمعاني والبغوي وابن جزي، والحازن.

التعليق: الإمام المودودي رجح المعنى الثاني وهو: "أنها عبارة عن الأصنام والأوثان" خلال تفسيره لهذه الآية الكريمة، حيث مال إلى هذا المعنى الثاني من خلال تأويله لمعنى الحجارة في ضوء السبق الذي وردت فيه فاعتبر أن وقود النار في الحقيقة ليست الناس وحدهم، بل إنه يشمل الأصنام والأوثان والمعبودات الأخرى التي تتخذ في الدنيا ألوانا مختلفة عند المشركين وذلك إبلاغا وزينة وتشديدا في تحريمهم وإيلاهم، حيث رأوا تقيض ما كانوا يتوقعون في الدنيا لأنهم كانوا يعبدونها اعتقادا، وطمعا في شفاعتهم، جعلها الله عذابا لهم، وهذا يتضح من عبارته التي تقول: "...واليوم تدركون حقيقتها"، - والله أعلم -، لكنني أرجح المعنى الأول وهو: "أن المراد بـ "الحجارة" حجارة الكبريت"، لأن هذا هو ما ذهب إليه جمهرة من المفسرين أمثلة: الطبري، والسمرقندي، والبغوي، وغيرهم.

الأدلة: ما صح عن ابن عباس، وابن مسعود، وله حكم المرفوع، وذكره السلف، ويقول الإمام ابن جزي في مقدمة تفسيره: "أن يكون القول قول من يقتدي به من الصحابة كالخلفاء

١ سورة الإسراء، الآية ٩٧.

٢ تفسير القرآن العظيم: ٢٠٢/١.

٣ انظر: على التوالي: تفسير القرآن: ٥٩/١، ومعالم التنزيل: ٩٤/١، والتسهيل في علوم التنزيل: ٧٧/١، ولب لب

التأويل في معاني التنزيل: ٢٧/١.

٤ انظر: جامع البيان: ٢٨٧/١.

٥ انظر: تفسير بحر العلوم: ٣٥/١.

٦ انظر: معالم التنزيل: ٩٤/١.

٧ ينظر: تفسير ابن عطية: ١٠٧/١، وتفسير الفرطلي: ٢٢٥/١، وتفسير ابن جزي: ٧٧/١، وتفسير الحازن: ٢٧/١، وتفسير ابن كثير: ٢٠٢-٢٠٧/١، والتفسير الظهري لثناء الله: ٢٧/١، وتفسير الألوسي: ٢٠٥/١.

٨ أخرج ابن جرير عن عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَعَنْ مَرْثَةَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَعَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (اتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) أَمَا الْحِجَارَةُ فَهِيَ الْحِجَارَةُ فِي النَّارِ مِنْ كَثِيرَتِهَا أَسَدٌ يُقَالُونَ بِهِ مَعَ النَّارِ. (جامع البيان: ٢٨٢/١).

الأربعة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما- لدعاء الرسول الله صلى الله عليه وسلم- له:
"اللَّهُمَّ قَقِّهْ فِي الدِّينِ وَعَلِّمَهُ التَّوْبِيلَ"^٢.

يقول العلامة الألوسي: "والمراد بها على ما صح عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله تعالى
عنهما، ومثل ذلك حكم الرفح حجارة الكبريت، وفيها- من شدة الحر وكثرة الالتهاب وسرعة
الإيقاد ومزيد الالتصاق بالأبدان، وإعداد أهل النار أن يكونوا حطباً مع نثر ریح وكثرة دخان
ووقور كثافة- ما نعوذ بالله منه، وفي ذلك تهويل لشأن النار وتنفير عما يجر إليها بما هو معلوم
في الشاهد، وإن كان الأمر وراء ذلك فالعالم وراء هذا العالم وعيلم قدرة الجبار سبحانه وتعالى
بضمحل فيه هذا المعلم"^٣.

(١) هو قول جمهور المفسرين. يقول الإمام ابن جرير في مقدمة تفسيره أثناء كلامه عن وجوه
الترجيح: "أنه يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين: فإن كثرة القائلين بالقول
يقتضي ترجيحه"^٤.

قال البغوي: "قال ابن عباس وأكثر المفسرين: يعني حجارة الكبريت لأنها أكثر الجباب"^٥.
ونقل القاضي ثناء الله المظهري عن: "عبد الرزاق- وسعيد بن منصور- وابن جرير-
وابن المنذر- والحاكم وصححه والبيهقي وغيرهم عن ابن مسعود وابن جرير عن ابن

١ أخرج ابن جرير عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى: {وَقَوِّمُوا النَّاسَ وَالْجِبَالَ} قُلْ: هِيَ حِجَارَةٌ مِنْ
كِبْرَيْتٍ، خَلَقَهَا اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي السَّاءِ الدُّنْيَا، يُطْلَعُ لِلْكَافِرِينَ. (اجمع البيان: ٢٨٧/١)،
وأخرج أيضاً عن عبد الله بن مسعود قُلْ: حِجَارَةٌ مِنَ الْكِبْرَيْتِ خَلَقَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ كَيْفَ شَاءَ وَكَمَا شَاءَ (المصدر
الساكن: ٢٨٢/١). (هذا الخبر رواه الحاكم في مستدركه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: "إنَّ
الحِجَارَةَ الَّتِي سَمَّى اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ وَقَوِّمُوا النَّاسَ وَالْجِبَالَ حِجَارَةً مِنْ كِبْرَيْتٍ، خَلَقَهَا اللَّهُ تَعَالَى عِنْدَهُ
كَيْفَ شَاءَ أَوْ كَمَا شَاءَ". وقلنا هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجه ووافقه الذهبي،
(المستدرك للحاكم: ٢٨٧/١، برقم: ٣٠٣٤).

٢ سبق تخريجه.

٣ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٣٨.

٤ روح المعاني: ٢٠١٨-٢٠٢.

٥ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩٨.

٦ معالم التنزيل: ٩٤/٨.

عباس وأخرج مثله ابن أبي حاتم عن مجاهد وأبي جعفر ولم يحك خلافا في الصدر الأول -
أنها حجارة الكبريت الأسود-".^١

ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

"تفسير السلف وفهمهم لخصوص الوحي حجة على من بعدهم".^٢

"تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير مثلاً".^٣

١ التفسير المظهرية: ٢٧١.

٢ قواعد الترجيح عند المفسرين المحرمية: ٢٧١.

٣ المصدر السابق: ٢٨٧.

الآية:

﴿ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٢٧)

مسألة:

ما معنى "عَهْد" في الآية الكريمة؟

قال الإمام المودودي -رحمه الله-: "العهد في اللغة العربية يطلق على ما يُصْطَرِّه الملك من أوامر لرعاياه الملزمين باتباعها. وقد استخدم هنا بهذا المعنى نفسه. والمراد بعهد الله هو ذلك القرار الإلهي الذي بموجبه تأتمر البشرية وتنقاد له مُعلنة طاعته المطلقة. والمراد بـ " مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ " إشارة إلى أن الله -معتز وجل- قد أخذ ميثاقاً من البشر كلهم على هذا الأمر يوم أن خلق آدم. وقد ورد ذكر هذا في آيات سورة الأعراف بصورة مفصلة".^١

دراسة النص: ومن هنا يتضح أن الإمام المودودي -رحمه الله- ذكر قولاً واحداً في المراد بـ "عَهْد" في قوله تعالى: "الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ" ورجحه وذكر الأدلة على ترجيحه، إلا أنني وجدت أن المفسرين اختلفت آراءهم في معنى "العهد" الوارد في الآية الكريمة على عدة أقوال، أذكرها هنا على وجه الإجمال:

الأول: أنه عهد أهل الكتاب الذي عهد إليهم في كتبهم من الإقرار بوحدةانيته، والشكر لنعمه، والتصديق بأنبيائه، ومحمد -صلى الله عليه وسلم- واتباعه، وأن يبينوا له نبوته (هفته)، ولا يكتموا أمره، وما جاء في قوله: "وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَيَّسَ مَا يَشْتَرُونَ".^٢ فنفضوا ذلك بححد نبوته صلى الله عليه وسلم، وصفته، وتبديل وصفه -صلى الله عليه وسلم- في كتبهم، فالآية على هذا في كفار أهل الكتاب.

وعن ذكر هذا القول من المفسرين: الماوري،^٣ وابن عطية، وابن الجوزي.

١ فهم القرآن: ٦٠/٨.

٢ سورة آل عمران الآية ١٨٧.

٣ انظر: الفتك والعيون: ٨٩/١.

إلا أن ابن عطية - رحمه الله - أضاف قائلا: "وظاهر ما قبل وما بعد أنه في جميع الكفار".

الثاني: أن المراد به هو عهد الله إلى أهل الكتاب في القرآن، وكان من مستلزماته أن يقرّوا لكنهم كالعلة كفروا به ونقضوه، ومن انفرد بفكره الإمام ابن الجوزي^١.

الثالث: هو عهد الله الذي عُهد إلى اليهود وأخبرهم في التوراة أن يعملوا بما فيها، ويؤمنوا بمحمد - صلى الله عليه وسلم -، ويصدقوه، ويتبعوه، ويؤمنوا ببعثه، لكنهم نقضوا ذلك العهد فالآية على هذا في اليهود.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: البهري، والخلّازي، وابن جزى، وابن كثير^٢، إلا أن البهري ذكر هذا القول بصيغة التمریض.

الرابع: المراد به العهد الذي أخذه الله على بني إسرائيل أن يقيموا الدين، ويؤيدوا الرسل، وأن لا يسفكوا دماءهم، ولا يخرجوا أنفسهم من ديارهم، ولا يظلم بعضهم بعضا، وقد ذكرهم القرآن بعهود الله تعالى ونقضهم إياها في كثير من الآيات، فنقضوه بعودهم إلى ما نهوا عنه، ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الإمام أبو حيان الأندلسي^٣، والطاهر بن عاشور^٤، ورجحه وذكره بصيغة التمریض: الزخشري^٥.

الخامس: المراد به العهد الذي أخذه الله على سائر الأنبياء وسائر الأمم على السنة رسولهم أنه إذا بعث إليهم رسول مصدق لما معهم بالمعجزات ليؤمنن به، ولنصرته، ولا يكتفوا أمره، ولا يخالفوا حكمه، فنقضوا ذلك بإنكار تبوّته، وتغيير صقته، فنقضوا ذلك حيث نبّئوا كل ذلك ورآه ظهورهم، وبدلوا تبديلا، وإليه أشار بقوله: "وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ

١ انظر: الخرج الوجيز: ١١٣/٨.

٢ انظر: زاد المسير: ٤٨/٨.

٣ الخرج الوجيز: ١١٣/٨.

٤ انظر: زاد المسير: ٤٨/٨.

٥ انظر على التوالي: معالم التنزيل: ١٠٠/٨، واللبّ الأوّل في معاني التنزيل: ٣٢/٨، والتسهيل لعلوم التنزيل:

١٧٨/٨، وتفسير القرآن العظيم: ٢١٠/٨.

٦ انظر: البحر المحیط: ٢٠٥/٨.

٧ انظر: التحرير والتنوير: ٣٧٠/٨ - ٣٧١/٨.

٨ انظر: الكشف: ١٢٠/٨.

كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَلِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ^١.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: القرطبي^٢، والبيضاوي^٣، وأبو حيان الأندلسي^٤، وغيرهم^٥، وذكره: السمعاني، والبنفوي، والطاهر بن عاشور بصيغة التمرين^٦.

ورد عليه الإمام القرطبي، والعلامة الطاهر بن عاشور.

يقول الإمام القرطبي: "قلت: وظاهر ما قبل وما بعد يدلُّ على أنها في الكفار"^٧.

ويقول العلامة الطاهر بن عاشور: "...في تفاسير أخرى بعينها"^٨.

السادس: هو عهد الله الذي أخذه من ذرية آدم حين أخرجهم من صلب آدم يوم الميثاق المعروف عند المفسرين بـ (عهد الست) الذي أقرت فيه البشرية على توحيد الله ومعبوديته وحده لا شريك له، ولكن بعضهم قد رموا ريق هذه العبودية من أعتاقهم فصاروا من الناقضين لهذا العهد الوارث في هذه الآية الكريمة، وهو معنى قوله تعالى: "وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمُ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ"^٩.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية^{١٠}، وابن الجوزي^{١١}، والرازي^{١٢}، وغيرهم^{١٣}.

١ سورة آل عمران، الآية ٨١

٢ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٤٧١.

٣ انظر: أنوار التنزيل: ٦٤/١.

٤ انظر: البحر المحيط: ٢٠٥/١.

٥ ينظر: إرشاد العقل السليم: ٧٧١، وروح المعاني: ٢١٣/١.

٦ انظر: تفسير القرآن: ٦٢/١، ومعلل التنزيل: ١٠٠/١، والتحرير والتنوير: ٣٧٠/٨.

٧ الجامع لأحكام القرآن: ٢٤٧١.

٨ التحرير والتنوير: ٣٧٠/٨.

٩ سورة الأعراف، الآية ١٧٢.

١٠ انظر: المحرر الوجيز: ١١٣/١.

١١ انظر: زاد المسير: ٤٨/١.

١٢ انظر: التفسير الكبير: ٣٧٤/١.

١٣ ينظر: تفسير القرطبي: ٢٤٧١، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٢٠٥/٨، وتفسير ابن كثير: ٢١٠/٨.

السابع: هو عهد الله بنصب الأدلة (بجعل الحجية في عقولهم) على توحيده، ووجوب وجوده، وصدق رسله بالمعجزات الدالة على صدقهم، ونقضهم هو تركهم النظر في ذلك. فكان ذلك عهداً وميثاقاً بالتعسك على التوحيد، فالآية على هذا في جميع أهل الكفر والشرك والتفكي. وعن ذكر هذا القول من المفسرين: الماوردي^١، وابن عطية^٢، والرازي^٣.

الثامن: هو وصية الله إلى خلقه، وأمره لهم بطاعته، ونهيه لهم عن معصيته في كتبه، وعلى السنة رسله، ونقضهم ذلك هو تركهم العمل به.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: القرطبي، وأبو حيان الأندلسي، وابن كثير^٤.

التاسع: هو عهد الله الذي أخذه الله وأمره (أحكامه) على بني آدم بواسطة رسله أن لا يعبدوا غيره، وبإتزال ما في كتابه من الآيات الدالة على توحيده: "أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ"^٥، فنقضوا ذلك العهد بارتكاب الشرك. وقد وصف الله المشركين بنقض العهد في قوله: "وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ يَقُطِّعُوهَا عَنْ أَمْرِ اللَّهِ بِهَ أَنْ يُوَصَّلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ"^٦.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية، والحازن، والظاهر بن عاشور^٧.

العاشر: هو عهد الله الذي عهد به إلى الناس من الإيمان به، والتصديق برسله، والطاعة له، ولرسوله - صلى الله عليه وسلم -، والعمل بالشرائع، ونقضه هو الكفر بعد الإيمان. ومن ذكر هذا القول من المفسرين: أبو حيان الأندلسي، وأبو بكر الجزائري^٨، ومحمد علي الصابوني^٩.

١ انظر: النكت والعيون: ٨٩/١.

٢ انظر: المحرر الوجيز: ١١٢/١.

٣ انظر: التفسير الكبير: ٣٧٤/٢.

٤ انظر: على التوالي: الجامع لأحكام القرآن: ٢٤٦/١، والبحر المحیط: ٢٠٥/١، وتفسير القرآن العظيم: ٢١٠/١.

٥ سورة يس، الآية ٦٠.

٦ سورة الرعد، الآية ٦٥.

٧ انظر على التوالي: المحرر الوجيز: ١١٢/١، واللباب التأويل في معاني التنزيل: ٣٣/١، والتحرير والتنوير: ٣٧٠/١.

٨ وأبو بكر الجزائري هو: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، ولد في قرية ليوا في ولاية بسكرة بالجزائر سنة ١٩٢١م، تلقى العلوم الابتدائية في بلدته، ثم انتقل إلى بسكرة وعمرس على مشائخها العلوم العقلية والتقليدية، ثم ارتحل مع أسرته إلى المدينة المنورة، وقد بدأ الجلوس في حلقات العلم والمشاغخ

الحادي عشر: المراد به الأمانة التي عُرضت على السموات والأرض، فأبين أن يحملتها وحملها الإنسان، ثم نقضها بتركهم القيام بحقوقها. وعن ذكره من المفسرين: أبو حيان الأندلسي، و ذكره بصيغة التمريض: الألوسي.^٢

الثاني عشر: يقول الرزخسري: "وقيل: عهد الله إلى خلقه ثلاثة عهود: العهد الأول الذي أنجده على جميع ذرية آدم، الإقرار بربوبيته وهو قوله تعالى: "وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ" وعهد خاص به النبيين أن يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه، وهو قوله تعالى: "وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ" وعهد خاص به العلماء وهو قوله: "وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ"^٣.

الثالث عشر: هو مطلق في اليهود.

ومن انفرد بذكر هذا القول الإمام ابن جزي.^٤

التعليق: يتبين من القراءة في السطور السابقة أن هناك أقوالا عديدة في المسألة، منها ما ينك على العموم، حيث يخاطب بها كل ناقض للعهد، ومنها ينك على الخصوص، حيث يخاطب بها قوم مخصوص، وهذا الاختلاف في الأقوال مبني على الاختلاف في سبب النزول، والظاهر

في المسجد النبوي الشريف إلى أن حصل على إجازة من رئاسة القضاة بمكة المكرمة للتدريس، فأصبحت له حلقة لتدريس القرآن الكريم والحديث الشريف وغير ذلك، عمل متوسا في بعض مداوس وزارة الأوقاف وفي دار الحديث بالمدينة المنورة، وكان من أوائل أساتذة الجامعة الإسلامية له جهود الدعوية في البلاد التي زارها من مؤلفاته: "آيسر التفاسير"، و"منهاج السلم"، و"رسائل الجزائري"، (الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ أبي بكر جابر الجزائري، وويكيبيديا الموسوعة الحرة على الإنترنت).

١ انظر على التوالي: البحر المحيط: ٢٠٥/١، وآيسر التفاسير: ٣٧/١، وصغوة التفاسير: ٣٨/١.

٢ انظر: البحر المحيط: ٢٠٥/١.

٣ انظر: روح المعاني: ٣١٣/١.

٤ سورة الأعراف: الآية ٧١.

٥ سورة الأحزاب: الآية ٧.

٦ سورة آل عمران: الآية ١٨٧.

٧ الكشف: ١٢٠/١، والفسير الكبير: ٣٧٤/١ نقلا عن الكشاف واللفظ للكشاف.

٨ انظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ٧٨/١.

العموم، لأنَّ العبارة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالذم يتناول كل ناقض للعهد من مسلم، وكافر، ومنافق، أو مشرك، أو كتابي^١.

ومن الجدير بالذكر أن الأقوال (٧-١٠) لم تذكر بصيغة التعميم، ولم تردَّ عليها إضافة إلى أنَّ هناك يمكن الجمع بين الأقوال (٦-١٠)؛ لأن جميعها تتحدث عن طاعة الله المطلقة، وتُخاطب جميع العباد.

أما الأقوال الأخرى فذكرها المغسرون بصيغة التعميم، أو ردوا عليها بالردود. والإمام المودودي رحمه الله رجح المعنى السادس الذي هو عهد طاعة الله المطلقة الذي أخذ من كربة آدم المعروف عند المفسرين بـ (عهد الست) الذي أقرت فيه البشرية على توحيد الله ومعبوديته وحده لا شريك له وطاعتها له، ولكن بعضهم قد رموا ريش هذه العبودية من أحنافهم فصاروا من الناقضين لهذا العهد الواردة في هذه الآية الكريمة استناداً إلى وروده في آية ١٧٢ من "سورة الأعراف" الصريحة في هذا الباب. واستناداً أيضاً إلى كلمة "الميثاق" الواردة في هذه الآية "من بعد ميثاقه" التي يُراد منها التأكيد والتثبيت بالقوة، وذلك كما هو معروف تاريخياً لم يكن إلا في (عهد الست) الوارد بالصراحة في "سورة الأعراف".

ولا يخفى ما في هذا من المنهج الواضح الذي اتبعه الإمام المودودي رحمه الله في تفسير القرآن بالمأثور (تفسير القرآن بالقرآن). وهذا المعنى هو المعنى العام الشامل لكل من نقض عهد طاعة الله المطلقة. وهذا هو ما ذهب إليه الأئمة المفسرون: السمعاني^٢، واليغوي^٣، وابن عطية^٤ وغيرهم.

١ انظر: البحر المحيط: ٢٠٥/٨-٢٠٦، وتفسير الألوسي: ٢١٣/٨.

٢ والآية هي: وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ بُنَيِّ آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَتَّخِذْنَاهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلْسِنَةً يُرْيِيكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ.

٣ تفسير القرآن: ٦٨/٨.

٤ معالم التنزيل: ١٠٠/٨.

٥ انظر: المحرر الوجيز: ١١٣/٨.

٦ انظر: تفسير القرطبي: ٢٧٧/٨، والبحر المحيط لأبي حيان الأنطلي: ٢٠٥/٨-٢٠٦، وتفسير الألوسي: ٢١٣/٨، والتفسير القرآني للقرآن لعبد المحريم الخطيب: ٤٥/٨.

(١) العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب:

يقول الإمام أبو حيان الأندلسي بعد ذكر الأقوال في المسألة: "وَحَذِيَ الْقَوْلُ التَّسْعَةُ مِنْهَا مَا يَدُلُّ عَلَى الْعُمُومِ فِي كُلِّ نَاقِضٍ لِلْعَهْدِ وَمِنْهَا مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُخَاطَبَ قَوْمٌ مَخْصُوصُونَ، وَهَذَا الْإِخْتِلَافُ مَبْنِيٌّ عَلَى الْإِخْتِلَافِ الَّذِي وَقَعَ فِي سَبَبِ النُّزُولِ وَالْعُمُومُ هُوَ الظَّاهِرُ فَكُلُّ مَنْ نَقَضَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ مُسْلِمٍ وَكَافِرٍ وَمُتَأَفِّقٍ أَوْ مُشْرِكٍ أَوْ كِتَابِيٍّ تَنَاوَلَهُ هَذَا الذَّمُّ". ويقول العلامة الألوسي عقب ذكر الأقوال: "إلى غير ذلك من الأقوال وهي مبنية على الاختلاف في سبب النزول والظاهر العموم".^١

(٢) السيلقي: يقول القاضي ابن عطية: "وظاهر ما قبل وما بعد أنه في جميع الكفار".

ويقول الإمام القرطبي: "قلت: "وظاهر ما قبل وما بعد يدل على أنها في الكفار".

ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

"العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب".

"إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما إلا بدليل يجب التسليم له".^٢

١ البحر المحيط: ٢٠٥/١-٢٠٦.

٢ روح المعاني: ٣١٣/١.

٣ المحرر الوجيز: ١١٣/١.

٤ الجوامع الأحكام القرآن: ٢٤٦/١.

٥ قواعد الترجيح عند المفسرين للحريزي: ٥٤٥/٢.

٦ المصدر السابق: ٢٢٥/١.

الآية:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ اِنِّىْ جَاعِلٌ فِى الْاَرْضِ خَلِیْفَةً قَالُوْۤا اَتَجْعَلُ فِیْهَا مَنْ یُّفْسِدُ فِیْهَا
وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ اِنِّىْۤ اَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ ﴿30﴾

في الآية مسألتان:

المسألة ١:

ما المراد بـ "خليفة" في الآية؟

قال الإمام المودودي رحمه الله:- "الخليفة هو من يتوب صاحب الشيء في إجراء ما فوض إليه المالك من الصلاحيات. فالخليفة ليس هو المالك نفسه وإنما يتوب عن المالك فيما وكله من الصلاحيات. وهو لا يملك من عند نفسه أية صلاحيات وإنما كل ما يملكه هو ما وكله إليه المالك من الاختيارات والصلاحيات ولا يحق له التصرف في الأمور على ما يريد وإنما واجبه أن يقوم بما وكله إليه المالك. ولا شك بأنه يعد خائناً أو طاعناً إن اعتبر نفسه مالكا وتصرف في الملك حسب رغبته وحسب هواه أو أنه أنكر المالك الحقيقي وخضع لأوامر شخص آخر واعتبر مالكا وأخذ يطبق أوامره ويتصرف حسب رغبته".

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام يتضح أنه ذكر قولاً واحداً في المراد بـ "خليفة" في الآية، مما يدل على أنه هو الراجح عنده، إلا أنني وجدت قولين في المراد بـ "خليفة" في الآية، أذكرهما باختصار على النحو التالي:

القول الأول: يراد به هنا: آدم عليه السلام؛ لأن الله تعالى استخلفه في الأرض بين المكلفين من خلقه لإقامة حدوده وإمضاء أحكامه بين عباده، وكذلك كل نبي بعده خليفة الله تعالى في الأرض. قال تعالى: "يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِى الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ

الْهَوَىٰ قِيْلَكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا
يَوْمَ الْحِسَابِ^١، واقتصر على آدم -عليه السلام-؛ لأنه أبو الخلائف.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الرازي، والقرطبي، وابن جزري، وغيرهم.

القول الثاني: يراد به هنا: ولد آدم -عليه السلام- وذريته لأن بعضهم يخلف بعضه قرنا بعد
قرن وجيلا بعد جيل في عمارة الأرض، إذا هلكت أمة خلفتها أخرى، فيكون مفرد أريد به
الجميع أي: خلائف. كما قل تعالى: "وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ
بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ"^٢، وقوله تعالى:
"أَمَّنْ يَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ قَلِيلًا مَّا
تَذْكُرُونَ"^٣، وقوله: "فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ
عَذَابًا"^٤، ونحوها من الآيات.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الرازي، وأبو حيان الأندلسي، وابن كثير، وغيرهم.

ومن الجدير بالذكر أن الإمام ابن جزري والشيخ طنطاوي ذكرا هذا القول بصيغة التعميم.

١ سورة ص، الآية ٣٦.

٢ انظر: التفسير الكبير: ٣٨٧/٢.

٣ انظر: الجلالين لأحكام القرآن: ٢٦٣/١.

٤ انظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ٧٩/١.

٥ ينظر: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٢٢٧/١، وتفسير ابن كثير: ٢١٦/١، وتفسير الألوسي: ٢٢٢/١، وأضواء

البيان للشنقيطي: ٢٠/١، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ٤٩/١.

٦ سورة الأنعام الآية ١٦٥.

٧ سورة النمل، الآية ٦٢.

٨ سورة مريم، الآية ٥٩.

٩ انظر: التفسير الكبير: ٣٨٧/٢.

١٠ انظر: البحر المحيط: ٢٢٧/١.

١١ انظر: تفسير القرآن العظيم: ٢١٦/١.

١٢ ينظر: تفسير الألوسي: ٢٢٢/١، وأضواء البيان للشنقيطي: ٢٠/١، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ٤٩/١.

التعليق: يتضح من القراءة في الأسطر السابقة أن هناك قولين في المسألة والإمام المودودي اقتصر بذكر القول الأول منهما، مما يدل على أنه هو الراجح عنده ووقع عليه اختياره، وهو أن المراد بـ "خليفة" من ينوب صاحب الشيء في إجراء ما فوض إليه من الاختيارات والصلاحيات، فيقول: "الخليفة هو من ينوب صاحب الشيء في إجراء ما فوض إليه المالك من الصلاحيات. فلخليفة ليس هو المالك نفسه، وإنما ينوب عن المالك فيما وكله من الصلاحيات. وهو لا يملك من عند نفسه أية صلاحيات. وإنما كل ما يملكه هو ما وكله إليه المالك من الاختيارات والصلاحيات، ولا يحق له التصرف في الأمور على ما يريد، وإنما واجبه أن يقوم بما وكله إليه المالك".^١ ولا يخفى أن الشيخ اعتمد في هذا الأمر على الاحتجاج اللغوي، واحتكم فيه إلى أصل اللغة العربية ومدلول الكلمة فيها كما أنه استند إلى أن ما يميز الإنسان عن سائر المخلوقات هو مسؤوليته الأخلاقية، وأمانته في الصلاحيات التي فوض إليه أمرها من قبل رب العالمين وليس نطقه، ولا كونه اجتماعياً، وإليه ذهب معظم المفسرين أمثال: السمعاني^٢، والبهوي^٣، والقرطبي^٤، وغيرهم^٥.

١ انظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ٧٩/٨، والتفسير الوسيط: ٩٢/٨.

٢ انظر: الخاتم ١٠ من سورة الأعراف في تفسير الشيخ "تفهيم القرآن".

٣ انظر: تفسير القرآن: ٦٢/٨.

٤ انظر: معالم التنزيل: ١٠٢/٨.

٥ انظر: الجلعق لأحكام القرآن: ٢٢٣/٨.

٦ ينظر: تفسير ابن جزي: ٧٧/٨، وتفسير الخازن: ٣٥/٨، وتفسير الجلالين: ٨٨/٨، وتفسير الألوسي: ٢٢٢/٨.

والتفسير الواضح لمحمد محمود الحجازي: ٣٠/٨، وتفسير الطاهر بن عسكرو: ٣٩٩/٨، وأصواء البيان للشيخ الطهطاوي: ٢٠/٨، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ٤٩/٨، والتفسير الوسيط للطهطاوي: ٩٢/٨، وصقوة التفسير

للمصاوي: ٤٠/٨، وأسر التفسير للجزائري: ٤٠/٨، والتفسير المنير لوجهة الزحيلي: ١٢٤/٨.

(١) القرآن؛ يراد به آدم -عليه السلام- هنا لأن الله تعالى جعله مستخلفاً عن نفسه في إجراء أحكامه وتنفيذ أوامره، ويعضده ويشهد له قوله تعالى: "يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ".

(٢) السياق؛ كون المراد به آدم -عليه السلام- هنا الظاهر المتبادر من سياق الآية.

(٣) مطابقة اللفظ لدلولها؛ وردت كلمة "خليفة" هنا مفردة من أجل ذلك يراد بها آدم -عليه السلام- بغيره لا يشركه فيها غيره من ذريته.

ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

"القول الذي يؤيد آيات قرآنية مقدم على ما عديم ذلك".

"إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما، إلا بدليل يجب التسليم له".

"القول الذي يؤيد تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها أولى بتفسير الآية".

١ صورة ص: الآية ٣٦.

٢ انظر: التفسير الكبير للرازي: ٢٨٩٢، وصفوة التفسير للصابوني: ٤٠/٨.

٣ انظر: تفسير الألوسي: ٢٢٢/٨، وأضواء البيان للشيخ الطهطاوي: ٢٠/٨.

٤ انظر: تفسير الألوسي: ٢٢٢/٨.

٥ قواعد الترجيح عند المفسرين للخزرجي: ٣٦٢/٨.

٦ المصدر السابق: ١٢٥/٨.

٧ نفس المصدر السابق: ٥١٧/٢.

ما نوع "الهمزة" في قوله تعالى: "قَالُوا أَتَجْعَلُ...؟"

قال الإمام المردودي -رحمه الله-: "لم يعترض الملائكة على مشيئة الله -عز وجل-، وإنما أرادوا أن يستفسروا. وأتى للملائكة أن يعترضوا على ما يريد الله عز وجل؟! فللملائكة فهموا من لفظ "الخليفة" أن هذا المخلوق الجديد سيتولى بعض الصلاحيات على وجه الأرض، لكنها لم تستوعب؛ كيف يمكن أن يتحمل نظام الكون واستقراره مخلوق يتمتع بالإرادة، وكيف ينجز نظام الكون في الجزء الذي تتم فيه عملية تفويض الصلاحيات من الخراب والدمار للملائكة كانوا يستفسرون عن هذا".^١

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام يتضح أنه ذكر قولاً واحداً في المسألة، إلا أنه وردت في كتب التفسير لـ "همزة" في "أَتَجْعَلُ" قولان:

القول الأول: الهمزة على وجه الاستفهام الحقيقي المحض، لرفع الجهل لا الاعتراض، لأنهم مغرورون عنه، أي: أنهم قالوه استفهاماً واستخباراً حين قال الله لهم: "إني جاعل في الأرض خليفة". فقالوا: يا ربنا أعلمنا لئلا نأخذ أنت في الأرض من يفسد فيها ويسفك الدماء؟ وعن ذكره من المفسرين: الماوردي، والقرطبي وابن جوي.

أو الاستفهام على جهة استطلاع واستعلام وجه الحكمة من هذا الأمر ليس على وجه الاعتراض، وإنما على وجه العلم والتثبت. أي قالوا: يا ربنا أؤشدنا إلى الحكمة في خلق هؤلاء، مع أن منهم من يفسد في الأرض، ويسفك الدماء؟ وعن ذكره من المفسرين: ابن كثير، ومؤلفوا التفسير الميسر وطنطاوي.^٢

أو الاستفهام على وجه التعجب، أي أنهم تعجبوا من استخلاف الله من يعصيه. وعن ذكره من المفسرين: القرطبي وأبو حيان الأندلسي.^٣

^١ تفهيم القرآن: ٦٢/٨ - ٧٣.

^٢ انظر على التوالي: التكت والعيون: ٩٧/٨، والجامع لأحكام القرآن: ٢٧٤/٨، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٧٩/٨.

^٣ انظر على التوالي: تفسير القرآن العظيم: ٢١٦/٨، والتفسير الميسر: ٧/٨، والتفسير الوسيط: ٨٣/٨.

^٤ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٧٤/٨، والبحر المحيط: ٢٢٨/٨ - ٢٢٩.

أو الاستفهام على وجه الاستعظام والإكبار للاستخلافه والعصيان. وعن ذكره من المفسرين: القرطبي، وأبو حيان الأندلسي^١.

أو الاستفهام على وجه التعجب واستطلاع واستعلام الحكمة. أي: أنهم تعجبوا من أن يستخلف لعمارة الأرض وإصلاحها من يفسد فيها، واستعلام واستكشاف عن الحكمة، وإزاحة الشبهة في ذلك كسؤال المتعلم معلمه عما احتلج في صدره، وليس باعتراض على الله، ولا طعن في بني آدم فإنهم أعلى من أن يظن بهم ذلك؛ لقوله تعالى: "وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِندَ مُكْرِمِيهِ لَا يَشْفَعُونَ بِالْقَوْلِ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ". وعن ذكره من المفسرين: ابن الجوزي^٢، والقرطبي^٣، والمبضاوي^٤، وغيرهم^٥.

القول الثاني: الحمزة على وجه الاستفهام التقريري (الإيجابي)، أي: أنها للتقرير دخلت على الفعل ليفيد العلم على وجه التحقيق ومعناه الإيجاب وليس الاستفهام، فكانت الملائكة قالت: «ستجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء». وعن ذكره من المفسرين: ابن الجوزي، وأبو حيان الأندلسي^٦.

أو على وجه التعجب، أي: أنهم قالوه تعجباً من استخلاف مكان أهل الطاعة أهل المعصية وهو الحكيم الذي لا يجهل. أي: تستخلفهم في الأرض، وقد علمت أنهم يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء. وعن ذكره من المفسرين: الماوردي، والزخشري، وابن الجوزي، والتسني^٧.
أو على وجه الاستعظام، أي: أنهم قالوه استعظماً لفعلهم، أي: كيف يفسدون فيها ويسفكون الدماء، وقد أنعمت عليهم واستخلفتهم فيها. وعن ذكره من المفسرين: الماوردي^٨.

١ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٧٤/١، والبحر المحيط: ٢٢٩/١.

٢ سورة الأنبياء الآية ٢٦-٢٧.

٣ انظر: زاد المسير: ٥٠/١.

٤ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٧٤/١.

٥ انظر: أنوار التنزيل: ٦٧/١.

٦ ينظر: تفسير أبي السعود: ٥٧٢/١ وتفسير القاسمي: ٢٨٥/١، وصفوة التفاسير للصابوني: ٤٧/١.

٧ انظر: زاد المسير: ٥٠/١، والبحر المحيط: ٢٢٨/١.

٨ انظر على التوالي: النكت والعيون: ٩٣/١، والكشاف: ١٢٤/١، وزاد المسير: ٥٠/١، ومدارك التنزيل: ٧٧/١.

٩ انظر: النكت والعيون: ٩٦/١.

التعليق: يبين من القراءة في السطور المختصة لتفسير قوله تعالى: " قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ " أن الإمام المودودي - رحمه الله - رأى أن الهمزة استخدمت في هذه الآية للاستفهام الحقيقي على سبيل استطلاع الحكمة الكامنة في هذا العمل الرباني، والحالفة عليهم، وليس فيها معنى الاستنكار والاعتراض من قِبَل الملائكة على هذا الأمر الرباني الجليل. فيقول: "لم يعترض الملائكة على مشيئة الله - عز وجل -، وإنما أرادوا أن أين يستفسروا. وأنى للملائكة أن يعترضوا على ما يريد الله - عز وجل -؟"، وإن كان بعض المفسرين أمثلة: الماوردي، والزحشري، وابن الجوزي، وغيرهم، ذكروا أن الاستفهام في هذه الآية للتقرير والإيجاب، فكان الملائكة قالت كذا: (أجعل فيها من يفسد فيها)، ولكن يتضح من استعراض أقوال المفسرين المختلفة أن الإمام المودودي رجح معنى الاستفهام الحقيقي وفضله على المعنى التقريري (الإيجابي)، وذلك لأنه يتناسب مع مقام الملائكة في خطابهم الخالق الكائنات وربها، ويتطابق مع الموقف الذي دار فيه الحديث بين الملائكة المخلوقين وبين ربهم الخالق رب العالمين، حيث لا يليق بمخلوق أن يستنكر أمراً أرادته الخالق. ولا يتناسب مع شأن الملائكة المخلصين للعبادة أن يعترضوا على أمر الله سبحانه وتعالى، فإنهم مخلوق مجبول على الطاعة ليس لهم اختيار يبعثهم على التردد في الأوامر الإلهية كما قل تعالى: "لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ"، وقوله تعالى: "وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ" (٤٩) يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ" ^١، وإليه ذهب جمهور المفسرين أمثلة: البياضوي، وابن جزي، وابن كثير، وغيرهم.

^١ انظر: المصدر نفسه.

^٢ انظر: الكتاب: ١٢٤/٨.

^٣ انظر: زاد السير: ٥٠/٨.

^٤ ينظر: مدارك التنزيل: ٧٨/٨، والبحر المحيط: ٢٢٧/٨.

^٥ سورة التحريم، الآية ٦.

^٦ سورة النحل، الآية ٤٩-٥٠.

^٧ انظر: المفيض ٤٨ من سورة الكهف في تفسير الشيخ "تفهيم القرآن".

^٨ انظر: أنوار التنزيل: ٢٧٨.

^٩ انظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ٧٩/٨.

^{١٠} انظر: تفهيم القرآن العظيم: ٢١٧/٨.

- (١) هو قول أكثر المفسرين. يقول الإمام ابن جزى في مقدمة تفسيره: "أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين: فإن كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه".^١
- (٢) كون هذا التفسير يتناسب مع شأن الملائكة المخلصين المعصومين. إن جمهور علماء الدين اتفقوا على عصمة جميع الملائكة وتنزيههم عن جميع الذنوب، وقد وصفهم الله في القرآن بأوصاف كثيرة منها:
- (١) اجتنباهم المعاصي، مع قيامهم بامتثال جميع الأوامر الإلهية، كقوله تعالى: "لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ".^٢
- (٢) قيامهم بامتثال جميع الأوامر الإلهية، مع تركهم للمنهيئات: كقوله تعالى: "يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ".^٣
- (٣) عدم علمهم بالغيب، وبراءتهم من المعاصي لتوقفهم في جميع الأمور إلا بمقتضى أمر الله عز وجل: كقوله تعالى: بَلْ حَيَادٌ كُفَرُوا لَا يَسْقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ يَكْمُرُ يَعْمَلُونَ.^٤
- (٤) تسبيحهم بالليل والنهار بأكمل وجه: كقوله تعالى: يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ. وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ امْتَنَعَ صُدُورُ الْمَعْصِيَةِ مِنْهُ.^٥
- (٥) طعنهم في البشر بالمعصية من الإفساد وسفك الدماء: كقوله تعالى: أَلَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ. يَلَا عَلَى أَنَّهُمْ طَعَنُوا فِي الْبَشَرِ بِالْمَعْصِيَةِ وَلَوْ كَانُوا مِنَ الْعَصَا لَمَا خَمَنَ مِنْهُمْ ذَلِكَ الطَّعْنُ.^٦

^١ ينظر: تفسير أبي السعود: ٨٢/٨، وتفسير القاسمي: ٤٨٥/١، والتفسير الواضح محمد محمود الحجازي: ٣٧١، والتفسير المبسوط لنجدة من أساتذة التفسير: ٧٨، والتفسير الوسيط لطنطاوي: ٩٢/١، وصفوة التفاسير للصابوني: ٤١٨.

^٢ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩٩.

^٣ سورة التوحيد، الآية ٦.

^٤ سورة النحل، الآية ٥٠.

^٥ سورة الأنبياء، الآية ٢٦-٢٧.

^٦ سورة الأنبياء، الآية ٢٠.

^٧ التفسير الكبير للرازي: ٣٨٩٢.

٦) كونهم رسل الله عز وجل: أرسلهم الله بأوامره من الوحي وغيره.^٢

ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

"تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شلاً".^٣

"القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عُدِم ذلك".^٤

١ سورة البقرة، الآية ٣٠.

٢ المصدر نفسه.

٣ يراجع للحريز من التفصيل: التفسير الكبير للرازي ٢/٢٨٩، وتفسير القرطبي ١/٢٧٤، وتفسير البيضاوي:

٧٨، وتفسير ابن جزي ٧٩٨، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ١/٢٢٨.

٤ قواعد الترجيح عند المفسرين للحريز ١/٢٨٨.

٥ المصدر السابق ١/٣٦٢.

الآية:

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٢١)

صَدَقِينَ ﴿ (٢١)

مسألة

هل عَلَّمَ آدم -عليه السلام- أسماء جميع الأشياء أم أسماء بعض الأشياء؟
قال الإمام المودودي -رحمه الله-: "يمكن تصوّر حقيقة العلم الإنساني في أنّه يستطيع حفظ علم الأشياء في ذاكرته، ومن ثم فهمهما عن طريق تسميتهما. ومن هنا نجد أنّ كلّ العلوم الإنسانية تشتمل في واقعها على أسماء الأشياء. وكان تعليم آدم الأسماء كلها يعني تزويده بعلم الأشياء كلها".^١

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام يتبين أنّه ذكر قولاً واحداً في المسألة، ولم يلتفت إلى الأقوال الأخرى، مما يدلّ دلالة واضحة على أنّ القول المذكور هو المرجح عنده، إلا أنّ استقراء آراء المفسرين أثبت لي أنّ هناك أقوالاً متعددة في المسألة إذكرها هنا على وجه الإجمال فيما يلي:

القول الأول: علّمه أسماء جميع الأشياء التي خلقها الله تعالى دقيقتها وجليلها، والتي يتعارف بها الناس من إنسان وداّبة وأرض، وسهل وبحر وجبل، وقصعة وقصيدة ومغرفة، ونحو ذلك.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري^٢، وابن عطية^٣، وابن الجوزي^٤، وغيرهم.

القول الثاني: علّمه اسم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: أبو حيان الأندلسي، وثناء الله المظهري، والآلوسي.

^١ تفهيم القرآن: ٦٣/١.

^٢ انظر: جامع البيان: ٤٨٢/١.

^٣ انظر: المحرر الوجيز: ١١٩/١.

^٤ انظر: زاد المسير: ٥٢/١.

^٥ ينظر: تفسير القرطبي: ٢٨٢/١، وتفسير ابن جزّي: ٧٧/١، والبحر المحييط لأبي حيان الأندلسي: ٢٣٥/١، والتفسير

المظهري لثناء الله المظهري: ١/٥٥، وتفسير الشوكاني: ١/٧٧.

^٦ انظر على التوالي: البحر المحيطة: ٢٣٥/١، والتفسير المظهر: ٥١-٥٠/١، وروح المعاني: ٢٢٧/١.

ومن الجدير بالذكر أنَّ القاضي ثناء الله المظهري، والعلامة الألوسي ذكرا هذا القول بصيغة التمريض.

القول الثالث: علّمه أسماء الملائكة فقط.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، وابن عطية، وابن الجوزي، وغيرهم.^١ وذكره الإمام الحازن، والعلامة الألوسي بصيغة التمريض.^٢

القول الرابع: علّمه أسماء ذريّته فقط.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، وابن عطية، وابن الجوزي، وغيرهم.^٣ وذكره الإمام الحازن بصيغة التمريض.^٤

القول الخامس: علّمه أسماء النجوم فقط.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية، وأبو حيان الأندلسي.^٥ وذكره الألوسي بصيغة التمريض.^٦

^١ انظر: جامع البيان: ٤٨٥/١.

^٢ انظر: المحرر الوجيز: ١١٩/١.

^٣ انظر: زاد المسير: ٥٣٨.

^٤ ينظر: تفسير القرطبي: ٢٨٢/١، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٢٣٥/١، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ٥٧/١، وتفسير الشوكاني: ٧٧/١.

^٥ انظر: لباب التأويل: ٣٧/١، وروح المعاني: ٢٣٧/١.

^٦ انظر: جامع البيان: ٤٨٥/١.

^٧ انظر: المحرر الوجيز: ١٢٠/١.

^٨ انظر: زاد المسير: ٥٣٨/١.

^٩ ينظر: تفسير القرطبي: ٢٨٢/١، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٢٣٥/١، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ٥٧/١.

^{١٠} انظر: لباب التأويل: ٣٧/١.

^{١١} انظر على التوالي: المحرر الوجيز: ١٢٩/١، والبحر المحيط: ٢٣٥/١.

^{١٢} انظر: روح المعاني: ٢٣٧/١.

القول السادس: علّمه أسماء ما خلق في الأرض. وعن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن الجوزي، والقرطبي، وأبو حيان الأندلسي، وثناء الله المظهري.^١

القول السابع: علّمه جميع اللغات.

وعن ذكر هذا القول من المفسرين: البغوي، وأبو حيان الأندلسي، وثناء الله المظهري.^٢ وذكره بصيغة التخريض: العلامة الخازن، والعلامة الألوسي.^٣

القول الثامن: علّمه أسماء تعالى.

وعن ذكر هذا القول: العلامة أبو حيان الأندلسي، والقاضي ثناء الله المظهري، والعلامة الألوسي.^٤

القول التاسع: علّمه أسماء ذريته وأسماء الملائكة دون سائر أجناس الخلق.

وعن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، والقرطبي، وأبو حيان الأندلسي، والمؤكاني.^٥

ومن الجدير بالذكر أن الإمام الشوكاني رد على هذا القول.

يقول الإمام الشوكاني: "وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: إِنَّهَا أَسْمَاءُ الْمَلَائِكَةِ وَأَسْمَاءُ قُوَّةٍ آتَاهُ ثُمَّ رَجَعَ عَنْ هَذَا وَهُوَ غَيْرُ رَاجِعٍ".^٦

القول العاشر: علّمه صنعة كل شيء.

وعن انفراد بذكر هذا القول: العلامة البغوي.^٧

١ انظر على التوالي: زاد المسيرة: ٥٢/٨، والجامع لأحكام القرآن: ٢٨٢/٨، والبحر المحيط: ٢٣٥/٨، والتفسير المظهري: ٥٠/٨.

٢ انظر على التوالي: معالم التنزيل: ١٠٢/٨، والبحر المحيط: ٢٣٥/٨، والتفسير المظهري: ٥٧/٨.

٣ انظر على التوالي: لب لباب التأويل: ٥٦٨، وروح المعاني: ٢٢٦/٨.

٤ انظر على التوالي: البحر المحيط: ٢٣٥/٨، التفسير المظهري: ٥٧/٨، وروح المعاني: ٢٢٦/٨.

٥ انظر: على التوالي: جامع البيان: ٤٨٥/٨، والجامع لأحكام القرآن: ٨٢/٨، والبحر المحيط: ٢٣٥/٨، وفتح القدير: ٧٧/٨.

٦ فتح القدير: ٧٧/٨.

٧ انظر: معالم التنزيل: ١٠٢/٨.

القول الحادي عشر: علّمه أسماء جميع ما خلق الله من أجناس المحدثات من جميع اللغات المختلفة التي يتكلم بها ولد آدم اليوم.
 ومن انفرد بذكر هذا القول: الإمام الرازي^١.
القول الثاني عشر: علّمه أسماء الأجناس كلها.
 ومن انفرد بذكر هذا القول: العلامة أبو بكر الجزائري^٢.
القول الثالث عشر: علّمه أسماء الأجناس والأنواع.
 ومن انفرد بذكر هذا القول: الإمام القرطبي^٣. ومن الجليل بالذكر أنّه ذكره بصيغة التمهيد.
القول الرابع عشر: علّمه أسماء الأجناس دون أنواعها.
 ومن انفرد بذكر هذا القول: الإمام ابن الجوزي^٤.
القول الخامس عشر: علّمه أسماء الأجناس وما يتعلق بها من المناقب.
 ومن انفرد بذكر هذا القول: الإمام القرطبي، والإمام أبو حيان الأندلسي^٥.
القول السادس عشر: علّمه صفات جميع الأشياء ونعوتها وخواصّها.
 وعن ذكره من المفسرين: الرازي، والألوسي^٦. وذكره بصيغة التمهيد: القاضي ثناء الله المظهري^٧.
القول السابع عشر: علّمه التسميات. ومن ذكره من المفسرين: أبو حيان الأندلسي، وإبراهيم بن إسماعيل الأبياري، ووهبة الزحيلي^٨.

١ انظر: التفسير الكبير: ٣٩٧/٢.

٢ انظر: أسير الظنير: ٤٢/٨.

٣ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٨٢/٨.

٤ انظر: زاد المسير: ٥٢/٨.

٥ انظر على التوالي: الجامع لأحكام القرآن: ٢٨٢/٨، والبحر المحيط: ٢٣٥/٨.

٦ انظر على التوالي: التفسير الكبير: ٣٩٧/٢، وروح المعاني: ٢٢٥/٨.

٧ انظر: التفسير المظهري: ٥١/٨.

٨ انظر على التوالي: البحر المحيط: ٢٣٥/٨، والموسوعة القرآنية: ٧٠/٩، والتفسير المنير: ١٢٤/٩.

القول الثامن عشر: علمه جميع أسمائه المخزونة.

ومن انفرد بذكر هذا القول: الإمام أبو حيان الأندلسي^١.

القول التاسع عشر: علمه الأسماء بلغة ثم وقع الاصطلاح من ذريته في سواها.

ومن انفرد بذكر هذا القول: الإمام أبو حيان الأندلسي^٢.

التعليق: يتبين من القراءة في السطور السابقة أن هناك تسعة عشر قولاً في المسألة، ومن الجدير بالذكر أن القول الثاني هو قريب من القول الأول الأول^٣، ووقع اختيار الإمام على القول الأول، حيث اكتفى بذكره خلال تفسيره للآية، مما يدل على أنه هو المرجح عنده بين سائر الأقوال، وهو: "أنه علمه أسماء جميع الأشياء"، فيقول: "...وكان تعليم الأدم الأسماء كلها يعني تزويده بعلم الأشياء كلها"، ولا يخفى ما في هذا الأمر من الاستناد إلى أصل اللغة ودلالة التعبير فيها على المدلول المتعارف عليه، وإليه ذهب المفسرين الكبار، أمثال: السمعاني^٤، والقرطبي^٥، وابن جزى^٦، وغيرهم.

الأدلة:

(١) **الحديث المرفوع:** ويؤيد هذا المعنى الحديث المرفوع الذي رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "يَجْتَمِعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقْرَأُونَ:

١ انظر: البحر المحيط، ٢٣٥/١.

٢ المصدر نفسه.

٣ المصدر نفسه.

٤ انظر: تفسير القرآن، ٦٥/١.

٥ انظر: الجامع لأحكام القرآن، ٢٨٢/١.

٦ انظر: تفسير ابن جزى، ٧٩/١.

٧ ينظر: تفسير ابن جزى، ٧٩/١، وتفسير الخازن، ٣٧/١، وتفسير الشوكاني، ٧٧/١، وتفسير القاسمي، ٢٨٧/١.

وصنوة التفاسير للصابوني، ٤٦/١، وتفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن للشيخ العلامة

عبد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الحريري القفصاني، ٢٩٩/١، إشراف ومراجعة الدكتور هاشم محمد علي

بن حسين مهدي، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان.

فَوِ اسْتَشْفَعْنَا إِلَىٰ رَبِّنَا فَيَأْتُونِ آدَمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ أَبُو النَّاسِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِإِيدِهِ وَأَسْجَدَ
لَكَ مَلَائِكَتَهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ.^١

(٢) **الاحتجاج اللغوي:** قافترانه وتأكيده بلفظ "كُلِّهَا" يقتضي أنه علّمه جميع الأسماء.

ولم يخرج عن هذا شيء؛ لأنه هو اسم موضوع للإحاطة والعموم.^٢

ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

"إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه".^٣

"القول الذي تزيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه".^٤

١ صحيح البخاري: ١٧/٦، برقم (٤٤٧٦)، كتاب التفسير، يَلِي قَوْلَ الْمَلَأَ {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا} [البقرة: ٣١].

٢ انظر: تفسير القرطبي: ٢٨٢/١، وتفسير التنوخي: ٧٧١، وحلائق الروح والريحان لمحمد أمين المرزوقي: ٢٩٩/١.

٣ قواعد الترجيح عند المفسرين للحريري: ٢٠٦٨.

٤ المصدر السابق: ٢٩٩/١.

الآية:

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ (٢٤)

في الآية ثلاث مسائل:

المسألة ١

هل جميع الملائكة مأمورون بالسجود لآدم أو بعضهم ؟

قال الإمام المردودي -رحمه الله-: لبي أن الله عز وجل أمر جميع الملائكة الذين يعملون على الأرض وعلى الكون الذي يتعلق بالأرض أن يسخروا أنفسهم لطاعة الإنسان. فقد كان الإنسان يعد ليكون الخليفة على هذه البقعة من الكون، فصدر الأمر الإلهي بأن يطيع كل من الملائكة في الدائرة التي سُخِّرَ لها في كل ما يريد الإنسان أن يوظف ما نعطيه من الإراقة والصلاحات سواء في الخير أو في الشر، ونحن بإرادتنا نسمح له بأن يتصرف حسب إرادته...^١

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام يتضح أنه ذكر قولاً واحداً في المسألة وركز عليه، مما يدل على أنه هو الراجح عنده، إلا أنني وجدت أن للمفسرين قولين في المسألة أذكرهما هنا على النحو التالي:

القول الأول: إن الملائكة المأمورين بالسجود لآدم -عليه السلام- هم جميع الملائكة على هذا كان الخطاب لجميع الملائكة.

وعن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري^٢، وابن عطية^٣، وابن الجوزي^٤، وغيرهم.

القول الثاني: إن الملائكة المأمورين بالسجود لآدم -عليه السلام- هم بعض الملائكة، والذين هم ملائكة الأرض، وعلى هذا كان الخطاب لبعض الملائكة.

١ تفهيم القرآن: ٦٤٨-٦٥.

٢ انظر: جامع البيان: ٣٢٨/٢١.

٣ انظر: غرر الوجيز: ١٢٢/١.

٤ انظر: زاد السير: ٥٤/١.

٥ ينظر: التفسير الكبير للرازي: ٤٤٨/٢، وتفسير البضاوي: ٢١٠/٢، ومجموع فتاوى لابن تيمية: ٣٤٥/١، والتفسير المظهري لثناء الله المظهرية: ٣٠٩/٥، وتفسير المشوكاتي: ٥١٠/٤، وتفسير الألوسي: ٢٨٩٧.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: السمعاني^١، والبغوي^٢، وابن الجوزي^٣، وغيرهم^٤.
 وذكره ورد عليه شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية قائلا: "فمن قل: إنه لم يسجد له جميع
 الملائكة، بل ملائكة الأرض، فقد رد القرآن بالكذب والبهتان، وهذا القول ونحوه ليس
 من أقوال المسلمين واليهود والنصارى..."^٥.
 وذكره الإمام الخازن بصيغة التمريض^٦.

التعليق: يتضح من القراءة في المسألة السابقة أن المفسرين ذكروا قولين فيها، وركز
 الإمام المودودي على واحد منهما (وهو القول الثاني)، حيث ذكره أثناء تفسيره للآية
 الكريمة السابقة، مما يدل على أنه هو الراجح عنده، وهو: أن الملائكة المأمورين بالسجود
 لأدم -عليه السلام- هم بعض الملائكة، وهم ملائكة الأرض، فيقول: "أي أن الله عز
 وجل أمر جميع الملائكة الذين يعملون على الأرض وعلى الكون الذي يتعلق بالأرض
 أن يسخروا أنفسهم لطاعة الإنسان"^٧، إلا أنني أرى أن القول الأول هو الأولى بالأخذ
 والاتباع، وذلك لأنه رأي أكثر المفسرين أمثال: الطبري^٨، والسمعاني^٩، والبغوي^{١٠}،
 وغيرهم^{١١}.

١ انظر: تفسير القرآن: ٣٧٨.

٢ انظر: معالم التنزيل: ١٠٤/٨.

٣ انظر: زاد المسير: ٥٤٨.

٤ ينظر: التفسير الكبير للرازي: ٤٤٨/٢، وتفسير القاسمي: ٩٩٠/٨، وتفسير حقائق الروح والريحان لمحمد أمين
 المرري: ٣٠٧/٨.

٥ مجموع فتاوى: ٣٤٧/٤.

٦ انظر: لباب التأويل: ٣٧/٨.

٧ انظر: جامع البيان: ٣٣٨/٢١.

٨ انظر: تفسير القرآن: ٣٧٨.

٩ انظر: معالم التنزيل: ١٠٤/٨.

١٠ ينظر: الكشف للزخشري: ١٠٥/٤، وتفسير ابن عطية: ١٢٣/٨، وزاد المسير لابن الجوزي: ٥٤/٨، والتفسير
 الكبير للرازي: ٤٤٨/٢، وتفسير البهلولي: ٢١٠/٣، وتفسير النفي: ٨٧/٢، ومجموع فتاوى لابن تيمية: ٣٤٥/٤.
 وتفسير الخازن: ٣٧/٨، وتفسير أبي السعود: ٣٣٧/٧، والتفسير المظهري لشيخ الله المظهري: ٣٠٦/٥، وتفسير

الأدلة:

القرآن: إن الملائكة المأمورين بالسجود هم جميع الملائكة، هذا هو الأصح؛ لأنه هو الظاهر من قوله تعالى: "فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ"؛ ففي هذه الآية ثلاث صيغ مقررّة للعموم وللإستغراق، فإن لفظ "الْمَلَائِكَةُ" صيغة الجمع والتي تقتضي العموم (جميع الملائكة)، ثم "كُلُّهُمْ" من أبلغ العموم، وتوكيد معنوي لـ "الْمَلَائِكَةُ"، ثم "أَجْمَعُونَ" توكيد ثان للعموم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية أثناء رده على سؤال في هذا الصدد: "هل أسجد له جميع الملائكة كما نطق بذلك القرآن في قوله تعالى: "فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ"، فهذه ثلاث صيغ مقررّة للعموم وللإستغراق، فإن قوله: "الْمَلَائِكَةُ" يقتضي جميع الملائكة، فإن اسم الجمع المعرف بالآلف واللام يقتضي العموم كقوله: (رب الملائكة والروح) فهو رب جميع الملائكة الثاني: "كُلُّهُمْ"، وفي هذا من أبلغ العموم. الثالث: قوله: "أَجْمَعُونَ" وهذا توكيد للعموم".^١

وأضاف الإمام الرازي قائلا: "الثاني: هُوَ أَنَّهُ تَعَالَى اسْتَشْنَى إِبْلِيسَ مِنْهُمْ وَاسْتَشْنَى الشَّخْصَ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَنْ عَدَا ذَلِكَ الشَّخْصَ كَانَ دَاخِلًا فِي ذَلِكَ الْحُكْمِ".^٢

الشوكاني: ٥١٠/٢، وتفسير الألوسي: ٢٨٩٧، وتفسير السعدي: ٤٣٠/٨، وتفسير القاسمي: ٢٩٠/٨، وصفة التفسير للصاوي: ١٠١/٢، وتفسير حدائق الروح والريحان ل محمد أمين الهريزي: ٣٧٨، والتفسير الميسر للنخبة من أسئلة التفسير: ٢٣٣/٨.

١ سورة الحجر، الآية ٣٠.

٢ انظر للمزيد من التفصيل: تفسير السمعاني: ٢٧٨، وتفسير البخوي: ١٠٤/٨، والتفسير الكبير للرازي: ٤٤٨٢، وتفسير البضاوي: ٢٦٠/٣، مجموع فتاوى لابن تيمية: ٣٤٥/٤، والجداول في الإعراب لمخوّد بن عبد الرحيم: ٢٢٧/٤، وتفسير حدائق الروح والريحان ل محمد أمين الهريزي: ٣٧٨.

٣ سورة الحجر، الآية ٣٠.

٤ مجموع فتاوى: ٣٤٥/٤.

٥ التفسير الكبير: ٤٤٨٢.

يقول الإمام ابن جزي أثناء كلامه عن قواعد الترجيح في مقدمة تفسيره: "تفسير بعض القرآن ببعض فإذا دلّ موضع من القرآن على المراد بموضع آخر حملناه عليه ورجعنا القول بذلك على غيره من الأقوال".^١
ويؤيد هذا القول القاعدة الترجيحية التالية:
"القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عديم ذلك".^٢

١ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩٨.

٢ قواعد الترجيح عند المفسرين للحريزي: ٣٦٢/٨.

ما معنى "السجود" في الآية: "وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ؟"

قال الإمام المودودي رحمه الله: "...أي يمكن أن الآيات عبّرت عن تسخير الله للملائكة لآدم بالسجود ولا يمنع هذا من أن الله عز وجل لإبراز هذا الانقياد التام والطاعة المطلقة أمرهم بفعل ظاهري محسوس كذلك - أي السجود - وهذا فيما يبدو هو الأصح".^١

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي رحمه الله - يتضح أنه ذكر قولين في معنى "السجود" في قوله تعالى: "وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ":

القول الأول: أن المراد به "السجود" هنا الخضوع والتذلل والانقياد ولم يكن هذا السجود المعتاد اليوم الذي هو وضع الجبهة على الأرض على وجه الحقيقة أي: انخضعوا لآدم وأقرّوا له بالفضل، كقوله تعالى: "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمَشُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ". وهذا هو الجانب اللغوي للسجود. ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية، الرازي، القرطبي، وغيرهم. ومن الجدير بالذكر أن الإمام الرازي ردّ على هذا القول فيقول: "وَأَمَّا الْقَوْلُ الثَّالِثُ فَضَعِيفٌ أَيْضًا

١ المصدر السابق: ٢٥/٢.

٢ سورة النجم الآية ١٨.

٣ انظر: اخبر الوجيز: ١٢٤/٨.

٤ انظر: التفسير الكبير: ٤٢٧/٢.

٥ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٩٣/٨.

٦ ينظر: تفسير البضاوي: ٧/٨، وتفسير الشوكاني: ٧/٨، وتفسير الراغب: ١٤٧/٨، وتفسير الألوسي: ٢٣٠/٨.

٧ وهو الإنقياد والخضوع.

لِأَنَّ السُّجُودَ لَمْ يَكُنْ فِي عُرْفِ الشَّرْعِ عِبَادَةً عَنْ وَضْعِ الْجَبْهَةِ عَلَى الْأَرْضِ فَوَجِبَ أَنْ يَكُونَ
فِي أَصْلِ الْمَلْعَةِ كَذَلِكَ لِأَنَّ الْأَصْلَ عَدَمُ التَّغْيِيرِ^١.

القول الثاني: أن المراد بـ "السجود" هنا وضع الجبهة على الأرض على وجه الحقيقة
كالسجود المعتاد في الصلاة، وعلى هذا هو سجود تحية وتكرمة لآدم وطاعة لله لا سجود عبادة
وهذا هو المعنى الاصطلاحي والشرعي للسجود، كقوله تعالى: "فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ
رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ"^٢. وعن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري^٣، وابن الجوزي^٤،
والرازي^٥، وغيرهم.

ومن لتجدير بالذكر أن القاضي ابن عطية، والعلامة الخازن ردا عليه.

يقول القاضي ابن عطية: "ولا تدفع الآية أن يكونوا بلغوا غاية السجود"^٦.

ويقول العلامة الخازن: "ولم يكن فيه وضع الجبهة على الأرض"^٧.

ومناك قول ثالث ذكره الإمام ابن العربي والإمام ابن الجوزي وهو: أن المراد بـ "السجود" هنا
الانحناء والميل السلوي للركوع^٨.

^١ التفسير الكبير: ٤٢٨/٢.

^٢ سورة ص، الآية ٧٢.

^٣ انظر: جامع البيان: ٥١٢/١.

^٤ انظر: زاد المسير: ٥٤/١.

^٥ انظر: التفسير الكبير: ٤٣٧/٢.

^٦ ينظر: تفسير البيضاوي: ٧٨/١، وتفسير القرطبي: ٢٩٣/١، والبحر المحیط لأبي حيان الأندلسي: ٢٤٧/١، وتفسير

ابن كثير: ١٦٧/٥، وتفسير الشوكاني: ٧٧/١، وتفسير الألوسي: ٢٣٠/١.

^٧ انظر: المحرر الوجيز: ١٢٤/١.

^٨ انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل: ٣٧/١.

^٩ انظر: أحكام القرآن: ٢٧/١، وزاد المسير لابن الجوزي: ٥٤/١.

التعليق:

يتوصل من القراءة في موضوع سجود الملائكة لأدم أن المفسرين فيه ذهبوا إلى ثلاث آراء:

الأول: أن المراد بهذا السجود هو الخضوع والتذلل. وقد اعتمدوا في ذلك على الجانب اللغوي للسجود.

الثاني: هو وضع الجبهة على الأرض على وجه الحقيقة تكرامة ونحية لأدم، وطاعة لله لا سجود عبادة. وأصحاب هذا الرأي اعتمدوا على المعنى الاصطلاحي الشرعي للسجود وهذا هو رأي جمهور المفسرين أمثال: الطبري، والماوردي، والسمعاني، وغيرهم. وعليه وقع اختيار الإمام المودودي - رحمه الله - فرجحه على الرأي الأول مستندا في ذلك إلى رأي جمهور المفسرين في هذه المسألة، حيث يقول: "... أن الله عز وجل لإبراز هذا الانقياد التام والطاعة المطلقة أمرهم بفعل ظاهري محسوس كذلك - أي السجود - وهذا فيما يبدو هو الأصح". ولا شك أن بين المعنيين علاقة وصل، فإن كلان الجانب اللغوي يدل على الخضوع والتذلل الذي يُعتبر بدايات حقيقية للسجود الاصطلاحي الشرعي، فإن المعنى الثاني الاصطلاحي والشرعي الذي يعني وضع الجبهة على الأرض هو يُعتبر نهاية هذا الخضوع وغايته التي تتجلى فيه جميع المعاني الدالة على الخضوع والتذلل.

القول الثالث: الاحتناء والميل المساوي للرغبة. ولا دليل على هذا القول.

١ انظر: جامع البیان: ٥١٢/١.

٢ انظر: النكت والعيون: ١٠٧/١.

٣ انظر: تفسير القرآن: ٦٧/١.

٤ ينظر: الكشف للزخشري: ١٢٧/١، وزاد المسير لابن الجوزي: ٥٤/١، والتفسير الكبير للرازي: ٤٢٧/٢، وتفسير القرطبي: ٢٩٣/١، وتفسير النسفي: ٨٩/١، والبحر المحیط لأبي حيان الأندلسي: ٢٤٧/١، وتفسير ابن كثير: ٦٢٧/٥. وتفسير أبي السعود: ٨٧/١، وتفسير الشوكاني: ٧٨/١، والتفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب: ٤٨/١، وتفسير الطاهر بن عاشور: ٤٢٢/١، وأوضح التفسير لمحمد عبد اللطيف الخطيب: ٨/١ وصفوة التفسير للصابوني: ٤٢/١، والتفسير المنير لروح الزحيلي: ١٣٢/١.

٥ تفهيم القرآن: ٦٥/١.

(١) القرآن: وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ. فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ^{١ ٢}.

(٢) هو قول جمهور المفسرين: والجمهور على أن السجود كان بوضع الجبهة على الأرض على وجه الحقيقة تكملة ونحية لأدم، وطاعة لله لا سجود عبادة. ولأن وضع الجبهة على الأرض هو الظاهر من السجود في العرف والشرع^٣.

وفيما يلي عرض موجز لأقوال بعض المفسرين:

يقول الإمام القرطبي: "وَلتَحْتَلَفَ النَّاسُ فِي كَيْفِيَّةِ سُجُودِ الْمَلَائِكَةِ لِأَدَمَ بَعْدَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ سُجُودَ عِبَادَةٍ فَقَالَ الْجُمْهُورُ: كَانَ هَذَا أَمْرًا لِلْمَلَائِكَةِ بِوَضْعِ الْجَبْهِ عَلَى الْأَرْضِ كَالسُّجُودِ الْمُعْتَادِ فِي الصَّلَاةِ، لِأَنَّهُ الظَّاهِرُ مِنَ السُّجُودِ فِي الْعُرْفِ وَالشَّرْعِ، وَعَلَى هَذَا قِيلَ: كَانَ ذَلِكَ السُّجُودُ تَكْرِيمًا لِأَدَمَ وَإِظْهَارًا لِفَضْلِهِ، وَطَاعَةً لِلَّهِ تَعَالَى، وَكَانَ أَدَمُ كَالْقَبُولِ لَنَا".

ويقول الإمام النسفي: "والجمهور على أن المأمور به وضع الوجه على الأرض وكان السجود تحية لأدم عليه السلام في الصحيح إذ لو كان لله تعالى لما امتنع عنه إبليس".

ويقول الإمام الشوكاني: "وَمَعْنَى السُّجُودِ هُنَا هُوَ وَضْعُ الْجَبْهِ عَلَى الْأَرْضِ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ الْجُمْهُورُ".

ويؤيده القواعد الترجيحية التالية:

١ سورة الحجر، الآية ٢٨-٢٩.

٢ يراجع للمزيد من التفصيل: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٢٤٧/١، وتفسير ابن كثير: ١٢٧/٥.

٣ يراجع للمزيد من التفصيل: التفسير الكبير للرازي: ٤٢٧/٢، وتفسير القرطبي: ٢٩٣/١، وتفسير النسفي: ٨٨/١، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٢٤٧/١، وتفسير الشوكاني: ٧٨/١.

٤ الجامع لأحكام القرآن: ٢٩٣/١.

٥ مدارك التنزيل: ٨٠/١.

٦ فتح القلوس: ٧٨/١.

"تفسير جمهور السلف مقدّم على كلّ تفسير شاذّ"^١.

"إذا اختلفت الحقيقة الشرعية والحقيقة اللغوية في تفسير كلام الله تعالى قُبِحت الحقيقة
الشرعية"^٢.

١ قواعد الترجيح عند المفسرين للحريزي: ٢٨٨.

٢ المصدر السابق: ٨٠٧.

المسألة ٢:

(هل إبليس من الجن أو من الملائكة؟)

قال الإمام المودودي -رحمه الله-: "ولا ينبغي أن يفهم خطأ فيزعم أنه كان من الملائكة. فقد صرح القرآن الكريم - في الآيات التي سوف تأتي - أنه كان من الجن، وهم خلق آخر من مخلوقات الله عز وجل غير الملائكة".^١

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي -رحمه الله- يتضح أن إبليس كان من الجن وليس من الملائكة. فذكر قولين؛ حيث رجح قولاً ورد على قول آخر، ووجدت من خلال تبني للتفسير أن المفسرين ذكروا هذين القولين، أذكرهما على الصورة التالية:

القول الأول: إن إبليس كان من جنس الملائكة. وبناء على هذا القول الاستثناء يكون متصلاً. وهذا القول منسوب إلى الجمهور، وهو اختيار الطبري.^٢

ومن ذكر هذا القول من المفسرين أيضاً: ابن عطية، وابن الجوزي، والبيضاوي، وغيرهم.^٣ يرد الإمام ابن كثير على هذا القول قائلاً: "وقد روي في هذا آثار كثيرة عن السلف وعاليها من الإسرائيليات التي تنقل لينظر فيها، والله أعلم بحال كثير منها، ومنها ما قد يقطع بكذبه لمخالفتها للحق الذي بآيائنا، وفي القرآن غنية عن كل ما عداه من الأخبار المتقدمة، لأنها لا تكاد تخلو من تبديل وزيادة ونقصان، وقد وضح فيها أشياء كثيرة، وليس لهم من الحفاظ المتقين الذين ينقون عنها تحريف الغالين وانتحال المبطلين، كما لهذه الأمة من الأئمة والعلماء والسادة الأثقياء والأزهار والنجوم من الجهابذة الثقات والحفاظ الحياء الذين ذرّوا

١ تفهيم القرآن: ٦٥/٨ - ٦٦.

٢ انظر: جامع البيان: ٥٠٩/٨.

٣ انظر: المحرر الوجيز: ١٢٤/٨.

٤ انظر: زاد المسير: ٥٤/٨.

٥ انظر: أنوار التنزيل: ٧٧/٨.

٦ ينظر: تفسير القرطبي: ٢٩٤/٨، وتفسير ابن جزي: ٧٩/٨، والبحر المحيط لأبي حنيفة الأندلسي: ٢٤٧/٨، وتفسير

الشوكاني: ٧٨/٨.

الْحَدِيثَ وَخَرَّوْهُ، وَيَتَّبِعُوا صَحِيحَتَهُ مَنْ حَسَنَهُ، مِنْ ضَعِيفِهِ، مِنْ مَنَكَّرِهِ، وَمَوْضُوعِهِ، وَمَتْرُوكِهِ وَمَكْذُوبِهِ، وَعَرَفُوا الْوَضَّاعِينَ وَالْمَكْذِبِينَ وَالْمَجْهُولِينَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَصْنَافِ الرُّجَالِ^١."

القول الثاني: إن إبليس ليس من جنس الملائكة قط، بل كان من الجن بالنص، فهو أبو الجن كما إن آدم أبو البشر. وينتج على هذا القول يكون الاستثناء منقطعاً.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية، وابن الجوزي، والقرطبي، وغيرهم.

التعليق: يتبين من القراءة في تفسير هذه الآية أن المفسرين هم فيها قولان: أحدهما أن الاستثناء في هذه الآية متصل بِنَصِّ على أن إبليس من جنس الملائكة، والآخر: أن الاستثناء ليس مفصلاً في الآية، وإنما هو استثناء منقطع بِنَصِّ على أن إبليس ليس من جنس الملائكة، وإنما هو من جنس الجن، ذلك المخلوق الخاص الذي خلقه الله سبحانه وتعالى - من النار. وهذا هو الرأي الذي ذهب الإمام المودودي إلى اختياره ووقع عليه ترجيحه، وذلك استلزاماً إلى مجموعة من الأدلة المستنبطة من الآيات القرآنية التي تشبه هذه الآية وتحدث عن إبليس وأصله. فمثلاً يذكر الإمام المودودي أن إبليس لا يمكن أن يكون من الملائكة بدليل أنه كان مخلوقاً مختاراً، له الاختيار في الملك الذي يحدده لنفسه، ولذلك اختار العصيان والخروج عن طاعة الرحمن حين أمره ربه بالسجود لآدم - عليه السلام - أما الملائكة فإنهم مخلوقون مجبولون على الطاعة ليس له اختيار يعيئهم على التردد في الأوامر الإلهية كما قال تعالى: "لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ"^٢. وقوله تعالى: "وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ" (٤٩) يخالفون ويؤيئهم وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ"^٣، ولذلك كان منهم السجود قورا لآدم - عليه السلام - بعد ما أمروا به.

١ تفسير القرآن العظيم: ١٦٧/٥ - ١٦٩.

٢ انظر: التحرر الوجيز: ١٢٤/١.

٣ انظر: زاد المسير: ٥٤/١.

٤ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٩٤/١.

٥ ينظر: تفسير ابن جزري: ٧٩/١، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٢٤٨/١، وتفسير ابن كثير: ١٦٧/٥، وتفسير الشوكاني: ٧٨/١.

٦ سورة التحريم، الآية ٦.

٧ سورة التحل، الآية ٤٩ - ٥٠.

كما استند الإمام المودودي في هذه المسألة إلى دليل آخر وهو أصل ملأه الخلقة التي خلق منها إبليس فهو خلق من النار التي وصفت في القرآن بصفة كَلْهَا تَكَ عَلَى النَارِ الْمَشْتَعِلَةِ الْمُتَنَهِيَةِ الَّتِي لَا تَخَانُ لَهَا، فهو في هذه الصفة أيضا يختلف عن الملائكة التي خلقهم الله - عز وجل - من النور. وأما ذكر إبليس في الآية الكريمة في شكل الاستئثار عن الملائكة السجدة لآدم فهو كان من باب الشمول والعموم حتى تشمل الآية المخلوقات الأخرى غير الملائكة التي شملتهم هذه الآية فكان ذكر إبليس فيها من باب هذا الشمول والعموم الذي كان المراد منه أن تندرج تلك المخلوقات الأخرى تحت الطاعة البشرية المتمثلة في قيادتها الأولى في شكل آدم - عليه السلام -^١ وإلى ذهب الأئمة المفسرين: ابن كثير^٢ وعبد الكريم الخطيب^٣، والظاهر بن عاشور^٤ وغيرهم.

الأدلة:

- (١) القرآن: إِنَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ كَمَا قُلْتَ تَعَالَى "كَانَ مِنَ الْجِنِّ"^٥، والجن خلق من نَارٍ، كما قلْتَ تَعَالَى "أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ"^٦.

^١ انظر: المواضع: ١٨ من سورة الحجر، و ٤٨ من سورة الكهف، و ٥٢ من سورة الفاروق، و ١٥ من سورة الرحمن، في تفسير الشيخ "تفهيم القرآن".

^٢ انظر: تفسير القرآن العظيم: ١٣٠/٨، و ١٣٧/٥.

^٣ انظر: التفسير القرآني للقرآن: ٥٦/١.

وعبد الكريم الخطيب هو: عبد الكريم محمود يونس الخطيب، مجاهد ورجل مقاومة وتحرير ضد الاستعمار الفرنسي للمغرب، ولد بمدينة الجديدة المغربية في سنة ١٩٢١، وتوفي بالرباط سنة ٢٠٠٨ م، تقلد العديد من الوظائف بعد الاستقلال منها: وزير الشؤون الإفريقية، ووزير التشغيل والشؤون الاجتماعية، كما شغل أيضا منصب وزير الصحة، وكان أول رئيس لأول برلمان في المغرب، وهو أول طبيب جراح في المغرب، أسس حزب العدالة والتنمية ثم أسندت إليه رئاسته إلى وفاته. (انظر: الدكتور عبد الكريم الخطيب وتفسيره - ملحق أهل التفسير -، ويكيبيديا الموسوعة الحرة على الإنترنت).

^٤ انظر: التحرير والتأويل: ٤٣/٨.

^٥ ينظر: أوضح التفاسير لعبد اللطيف الخطيب: ٨٨، والتفسير المنير لوجه الزحيلي: ١٣٢/٨.

^٦ سورة الكهف، الآية ٥٠.

^٧ سورة الأعراف، الآية ١٣.

ويقول الإمام ابن جزى في مقدمة تفسيره: "تفسير بعض القرآن ببعض فإذا دلّ موضع من القرآن على المراد بموضع آخر حملناه عليه ورجحنا القول بذلك على غيره من الأقوال".^١

(٢) الحديث: خلقت الملائكة من نور، وخلق إبليس من نار، كما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن عائشة - رضي الله عنها -، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَرْجٍ مِنْ نَارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِنْ مِمَّا وَصِفَتْ لَكُمْ".^٢

(3) هو مروي عن التابعي الجليل الإمام الحسن البصري^٣ بإسناد صحيح، وأما القول الأول فغالب رواياتها من الإسرائيلية، منها ما يقطع بكذبه، ولا تخلو من تبديل وزيادة ونقصان وفي القرآن غنية عنها.

يقول الإمام ابن كثير: "قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: مَا كَانَ إِبْلِيسُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ طَرَفَةً عَيْنٍ قَطُّ، وَإِنَّهُ لَأَصْلُ الْيَمِينِ، كَمَا أَنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَصْلُ الْبَشَرِ". رواه ابن جرير بإسناد صحيح.^٤
ويقول أيضا عن القول الأول: "وَقَدْ رُوِيَ فِي هَذَا آثَرٌ كَثِيرَةٌ عَنِ السَّلَفِ وَغَالِبُهَا مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ الَّتِي تُنْقَلُ لِيَنْظَرَ فِيهَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِحَالِ كَثِيرٍ مِنْهَا. وَمِنْهَا مَا قَدْ يُقْطَعُ بِكَذِبِهِو لِمُخَالَفَتِهِ لِلْحَقِّ الَّذِي يَأْتِيهِ، وَفِي الْقُرْآنِ غِنًى عَنْ كُلِّ مَا عَدَّاهُ مِنَ الْخَبَرِ الْمُتَقَدِّمَةِ بِأَنَّهَا لَا تَكُنُّ تَخْلُو مِنْ تَبْدِيلٍ وَزِيَادَةٍ وَنَقْصَانٍ، وَقَدْ وَضِعَ فِيهَا أَشْيَاءُ كَثِيرَةٌ".^٥

١ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩٨.

٢ صحيح مسلم: ٢٢٩٤/٤، برقم: (٢٩٩٦)، كتاب الزهد والرفائق، باب في أخلايق متفرقة.

٣ والحسن البصري هو: الحسن بن أبي الحسن يشار إليه سعيد مولى زيد بن ثابت الأنصاري البصري الفقيه القارئ الزاهد العابد إمام عصره، ولد بالمدينة سنة ٢٦هـ في خلافة عمر رضي الله عنه، وكان رأسا في العلم والعمل والقرآن وتفسيره، والحديث، والوعظ، والحلم، والمعبدة، والزهد، والصدق، والفصاحة، والبلاغة، والأيد والشجاعة، مات في سنة ١٢٠هـ له: "التفسير" رواه عنه جماعة، و"كتابته إلى عبد الملك بن مروان في الرد على القدرية". (انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٥١٣/٤ وما بعدهم) والنوافي بالونيات للصقدي: ١٩٠/١٢-١٩١، وطبقات المفسرين للداودي: ١٥٠/١-١٥١).

٤ تفسير القرآن العظيم: ١٦٧/٥، وقد الشيخ أحمد شاكر في هامش تفسير الطبري: "وهذا إسناد صحيح عن الحسن". (جامع البيان: ٥٠٧/٨).

٥ المصدر السابق: ١٦٧/٥.

(٤) دخل إبليس في خطابهم وإن لم يكن من عنصروهم؛ لأنه قد تشبه بالملائكة، ونوهم بأنهم.

يقول الحافظ ابن كثير: "وَالْفَرَضُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ بِالسُّجُودِ لِلْقَمِ دَخَلَ إِبْلِيسُ فِي خُطَابِهِمْ؛ لِأَنَّهُ - وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ عُنْصَرِهِمْ - إِلَّا أَنَّهُ كَانَ قَدْ تَشَبَّهَ بِهِمْ وَتَوَسَّمَ بِأَفْعَالِهِمْ؛ فَلِهَذَا دَخَلَ فِي الْخُطَابِ لَهُمْ وَدَّمَ فِي مُخَالَفَةِ الْفَرِ".^١

ويقول عبد الكريم الخطيب: "وننظر من جهة أخرى فنجد القرآن الكريم يتحدث عن "إبليس" بأنه كان من الجن ففسق عن أمر ربه. كما جاء ذلك في الآية الواردة في سورة الكهف: "فإبليس - على هذا - من عالم الجن، وأنه وحده الذي خرج عن أمر ربه، وأعلن هذا العصيان الوقاح!"^٢

ويقول الطاهر بن عاشور: "وَأَسْئَلُهُ إِبْلِيسَ مِنْ ضَمِيرِ الْمَلَائِكَةِ فِي فَسْجَدُوا اسْتِثْنَاءً مُنْفَعِلًا لِكُنْ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنْ حَيْثُ الْمَلَائِكَةُ قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْكَهْفِ: إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ وَكَانَ لِلَّهِ جَعَلَ أَمْثَالَهُ لَكَوَالٍ الثُّغُوسِ الْمَلَكِيَّةِ بِتَرْفِيْقٍ غَلَبَ عَلَى حِيلَتِهِ لِيَتَأْتِيَ مُعَاشَرَتَهُ بِهِمْ وَمُتَبِعُهُ عَلَى سِرِّيَّتِهِمْ فَسَاغَ اسْتِثْنَاءَ حَالِهِ مِنْ أَمْثَالِهِمْ فِي مَقْنُونِهِ أَنْ يَكُونَ مُمَازِلًا لِمَنْ هُوَ فِيهِمْ".^٣

ومؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

"القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عُدِمَ ذلك".^٤

"إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح على ما خالفه".^٥

١ نفس المصدر السابق: ٢٣٠/٨.

٢ الآية ٥٠.

٣ التفسير القرآني للقرآن: ٥٦٨.

٤ الآية ٥٠.

٥ التحرير والتوير: ٤٢٢/٨.

٦ قواعد الترجيح عند المفسرين: ٣٦٢/٨.

٧ المصدر السابق: ٢٠٦/٨.

الآية:

﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ ۝

وَمَتَّعُ إِلَىٰ حِينٍ ۝ (٢٦) ﴾

مسألة

ما المراد بـ "بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ" في الآية؟

قال الإمام المودودي - رحمه الله -: "أي: الإنسان عدو للشيطان، والشيطان عدو للإنسان. فعداوة الشيطان للإنسان واضحة؛ فهو يسعى دوماً أن يجرّسه على التمرد على أحكام الله - عز وجل -، وأن يزيغه عن طريق الطاعة ويرميه في مهاوي الدعار والهلاك. لكن ماذا تعني عداوة الإنسان للشيطان، تقتضي الإنسانية في حقيقتها عداوة الشيطان، فهي تعبر آخر عن هذه العداوة. لكن قد تظني الشهوات، وينخدع الإنسان بوساوس العدو اللدود فيتخذ لنفسه صديقاً ولا شك أن هذه الصداقة لا تعني بأن العداوة قد انتهت وأصبح العدو صديقاً، وإنما تعني أن أحد الأعداء غلب الآخر، وأن المهزوم وقع في فخ المنتصر".^١

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام يتضح أنه ذكر قولاً واحداً في المراد بـ "بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ" في قوله تعالى: " فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَّعُ إِلَىٰ حِينٍ"، مما يدل على أنه هو الراجح عنده، ووقع عليه اختياره، إلا أنني وجدت ستة أقوال أخرى للمفسرين في المراد بـ "بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ" في الآية المذكورة، أذكرها فيما يلي باختصار:

القول الأول: يعني ذمية آدم أعداء للذرية إبليس، إذ العداوة بين الإنس والجن.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن الجوزي، والرازي، والقرطبي، وغيرهم.

^١ تفهيم القرآن: ٦٧/١.

^٢ انظر: زاد المسير: ٥٥/١.

^٣ انظر: التفسير الكبير: ٤٦٢/٣.

^٤ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٣٦٩/١.

القول الثاني: يعني بعض ذرية آدم أعداء لبعض.

وعن ذكر هذا القول من المفسرين: البيضاوي^١، والنسفي^٢، وأبو حيان الأندلسي^٣، وغيرهم.
وذكره بصيغة التمريض: الشيخ طنطاوي^٤.

ورد عليه الإمام الرازي قائلا: "وَمَعْنَى: بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ مِنَ الشَّعَائِي وَالْتِبَاطُضِ وَتَضْلِيلِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ ضَعِيفٌ لِأَنَّ الثَّرِيَّةَ مَا كَانُوا مَوْجُودِينَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ فَكَيْفَ يَتَنَاقَلُهُمُ الْخِطَابُ؟ أَمَا مَنْ رَعِمَ أَنَّ أَقْلَ الْجَمْعِ اثْنَانِ قَالُوا: رَأَيْتُ عَلَى قَوْلِهِ"^٥.

القول الثالث: يعني نفس الإنسان عدو له وجوارحه.

وعن انفراد يذكره ورده من المفسرين: القرطبي^٦ وأبو حيان الأندلسي^٧.
ومن الجدير بالذكر أن الإمام أباحيان الأندلسي ذكر هذا القول بصيغة التمريض.
يقول الإمام القرطبي: "قُلْتُ: وَقَدْ حَمَلَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ قَوْلَهُ تَعَالَى: "بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ"^٨
عَلَى الْإِنْسَانِ نَفْسِهِ، وَفِيهِ بَعْدٌ وَإِنْ كَانَ صَحِيحًا مَعْنَى"^٩.
ويقول الإمام أبو حيان الأندلسي: "وَقِيلَ مَعْنَاهُ: عَدَاوَةُ نَفْسِ الْإِنْسَانِ لَهُ وَجَوَارِحُهُ، وَهَذَا فِيهِ بَعْدٌ"^{١٠}.

^١ ينظر: تفسير السعدي: ٤٩٨، وفي ظلال القرآن للسيد قطب: ٥٨٨، وأوضح التفاسير محمد عبد اللطيف الخطيب: ٨٨، وصفوة التفاسير للصليبي: ٤٤٨، والتفسير المنير لوجه الزحيلي: ١٣٧٨، وتفسير حقائق الروح والريحان محمد أمين الهروي: ٣٢٠٨.

^٢ انظر: أنوار التنزيل: ٨٣٨.

^٣ انظر: مدارك التنزيل: ٨٢٨.

^٤ انظر: البحر المحيط: ٢٦٤٨.

^٥ ينظر: تفسير الجلالين: ٩٨، وأوضح التفاسير محمد عبد اللطيف الخطيب: ٨٨.

^٦ انظر: الوسيط: ١٠١٨.

^٧ التفسير الكبير: ٤٦٤/٣.

^٨ سورة البقرة، الآية ٣٦.

^٩ الجامع لأحكام القرآن: ٣٢٠٨.

^{١٠} البحر المحيط: ٢٦٤٨.

القول الرابع: يعني آدم وحواء وإبليس (الموسوس) بعضهم لبعض عدو.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: المازدي^١، وابن الجوزي^٢، والقرطبي^٣، وغيرهم^٤.

القول الخامس: يعني آدم وحواء وإبليس والحية بعضهم لبعض عدو.

ومن اتفرد بذكر هذا القول من المفسرين: المازدي والقرطبي^٥.

القول السادس: يعني آدم وحواء والحية بعضهم لبعض عدو.

ومن اتفرد بذكر هذا القول من المفسرين: الرازي، وأبو حيان الأندلسي^٦.

ومن الجدير بالذكر أن الإمام الرازي رد على هذا القول قائلا: "الْوَجْهُ الثَّانِي: أَنَّ الْمَرَادَ أَدَمَ وَحَوَاءَ وَالْحَيَّةَ وَهَذَا ضَعِيفٌ لِأَنَّهُ ثَبُتَ بِالْإِجْمَاعِ أَنَّ الْمُكَتَلِّفِينَ هُمُ الْمَلَائِكَةُ وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ"^٧.

التعليق: يتبين من القراءة في الدراسة السابقة أن المفسرين ذكروا ستة أقوال في المسألة والإمام المودودي - رحمه الله - اختار القول الأول منها، وهو: أن ذرية آدم أعداء لذرية إبليس، فالعداوة الحقيقية هي بين الإنسان والشیطان واستند الإمام في رأيه إلى أن عداوة الشيطان للإنسان واضحة في وظيفته الأساسية المتمثلة في تحريض الإنسان على التمرد والعصيان، وأما عداوة الإنسان للشیطان فهو أن الإنسانية تقتضي في حقيقتها عداوته، إضافة إلى أنه قد ينخدع بومأوسه؛ لكن هذا لا يعني أنه صار صديقا له، بل معناه أن لمحذ الأعداء غلب على الآخر، فيقول: "أي: الإنسان عدو للشیطان، والشیطان عدو للإنسان"، وإليه ذهب المفسرين أمثال: السعدي^٨، والسيد قطب^٩، والصابوني^{١٠}، وغيرهم^{١١}.

١ انظر: التكت والعيون: ١٠٧/١.

٢ انظر: زاد السير: ٥٧/١.

٣ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٣٦٩/١.

٤ ينظر: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٢٦٤/١، والتفسير الميسر كنخبة من أسئلة التفسير: ٧/١.

٥ انظر: التكت والعيون: ١٠٧/١، والجامع لأحكام القرآن: ٣٦٩/١.

٦ انظر: التفسير الكبير: ٤٦٣/٣، والبحر المحيط: ٢٦٤/١.

٧ التفسير الكبير: ٤٦٣/٣.

٨ انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ٤٩٨.

والسعدي هو: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله الشنقيطي النجدي، مفسر، محدث، فقيه، أصولي، متكلم واعظ. ولد في عتيزة (نجد) سنة ١٣٠٧هـ/١٨٨٩م، وهو أول من أنشأ مكتبة فيها توفي في عتيزة

القرآن: يقول تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ

أَصْحَابِ السَّعِيرِ ١﴾. فمعركة العداوة بين الإنسان والشیطان مستمرة إلى آخر الزمان،

فإبليس عدو لآدم وحوا وذريتهما وهم له أعداء.

ويقول السيد قطب في هذه الآية: "وكان هذا إيذاناً بانطلاق المعركة في مجالها المقدر لها بين

الشیطان والإنسان. إلى آخر الزمان".^٢

ويؤيد هذا القول القاعدة الترجيحية التالية:

"القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عديم ذلك".^٣

سنة ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م، من مؤلفاته الكثيرة: "تفسير الكريم المنان في تفسير القرآن" في ثماني مجلدات، و"طريق الوصول إلى العلم المأمول من الأصول"، و"الأدلة القواطع والمبراهين في بطلان أصول الملحنيين". (انظر: الأعلام للنور هادي: ٣/٣٤٠، ومعجم المؤلفين لكحالة: ٣/٣٩٧-٣٩٧).

١ انظر: في ظلال القرآن: ٥٨٧.

٢ صفوة التفاسير: ٤٤٨.

٣ ينظر: التفسير النور لوهبة الزحيلي: ١٣٧/١، وتفسير حدائق الروح والريحان لمحمد أمين القوري: ٣٢٠/١.

٤ سورة فاطر، الآية ٦.

٥ في ظلال القرآن: ٥٨٧.

٦ قواعد الترجيح عند المفسرين: ٣٦٨.

الآية:

﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٥٥﴾﴾

مسألة:

ما هو مرجع الضمير في "إنها" في الآية؟

قال الإمام المودودي -رحمه الله-: "يصعب على من لا يطيع أوامر الله عز وجل -، ولا يؤمن بالآخرة أن يلتزم بالصلاة، بل إنه يرى فيها معاناة ومشقة لا توصف. أما الذي يضع لأوامر مولاه سبحانه برغبة وشوق منه، ويؤمن بأن الموت يطارده كل حين ليأخذه للمشول بين يديه ربه فيصعب عليه ترك الصلاة، ويرى فيه مشقة ومعاناة لا تقل عن معاناة الآخر".^١

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام يتضح أنه ذكر قولاً واحداً في مرجع ضمير "إنها" في قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٥٥﴾﴾، ولم يذكر أقوالاً أخرى، مما يدل على أنه هو الراجح عنده، ووقع عليه اختياره، إلا أن الدراسة أثبتت لي أن هناك تسعة أقوال للمفسرين في عائد "إنها" في الآية المذكورة، أذكرها هنا على وجه الإجمال كالتالي:

القول الأول: يعود الضمير إلى الصلاة.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الظهري^٢، وابن عطية^٣، وابن الجوزي^٤، وغيرهم^٥.

القول الثاني: يعود الضمير إلى الصبر وهو الاستعانة.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: عطية^٦، وابن الجوزي^٧، والرازي^٨، وغيرهم^٩.

^١ تفهيم القرآن: ٧٤/٨.

^٢ انظر: جامع البيان: ١٥/١.

^٣ انظر: المحرر الوجيز: ١٣٧/١.

^٤ انظر: زاد المسير: ٦٧/١.

^٥ ينظر: التفسير الكبير للرازي: ٤٩٠/٣، وتفسير القرطبي: ٢٧٣/١، وتفسير البيضاوي: ٧٨/١، وتفسير ابن جزي:

٨٢/٨، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٢٩٩/١، وتفسير ابن كثير: ٢٥٣/١، والتفسير المظهر: ٦٥/١، وتفسير

الألوسي: ٢٥٠/١.

^٦ انظر: المحرر الوجيز: ١٣٧/١.

^٧ انظر: زاد المسير: ٦٧/١.

^٨ انظر: التفسير الكبير: ٤٩٠/٣.

وذكره الإمام أبو حيان الأندلسي بصيغة التمريض^١.

القول الثالث: يعود الضمير إلى العبادة التي تضمنتها الصبر والصلاة.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية، والقرطبي، وابن جزي^٢.

وذكره الإمام أبو حيان الأندلسي بصيغة التمريض^٣.

القول الرابع: يعود الضمير إلى إجابة محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأن الصبر والصلاة يدعوا إليه.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الماوردي، والقرطبي، والألوسي^٤.

وذكره الإمام أبو حيان الأندلسي بصيغة التمريض^٥.

وذكره ورد عليه الإمام الطبري، والقاضي ابن عطية.

يقول الإمام الطبري: "وقد قل بعضهم: إن قوله (وإنها) بمعنى: إن إجابة محمد صلى الله عليه وسلم، ولم يجر لذلك بلفظ الإجابة ذكر فتجعل "أهل والألف" كناية عنه، وغير جائز ترك الظاهر المفهوم من الكلام إلى باطن لا دلالة على صحته".

ويقوله القاضي ابن عطية: "وقالت فرقة: على إجابة محمد صلى الله عليه وسلم.

قل القاضي أبو محمد رحمه الله -القائل هو ابن عطية-: "وفي هذا ضعف، لأنه لا دليل له من الآية عليه"^٦.

القول الخامس: يعود الضمير إلى الكعبة والقبلة؛ لأن الأمر بالصلاة إليها.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن الجوزي، والقرطبي^٧.

^١ ينظر: تفسير القرطبي: ٢٧٢/١، وتفسير البيضاوي: ٧٨/١، وتفسير ابن جزي: ٨٢/١، والتفسير المظهري: ١٥١/١، وتفسير الألوسي: ٢٥١/١.

^٢ انظر: البحر المحيط: ٢٩٩/١.

^٣ انظر على التوالي: المحرر الوجيز: ١٢٧/١، والجامع لأحكام القرآن: ٢٧٢/١، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٨٢/١.

^٤ انظر: البحر المحيط: ٢٩٩/١.

^٥ انظر على التوالي: التكت والعيون: ١٢٥/١، والجامع لأحكام القرآن: ٢٧٢/١، وروح المعاني: ٢٥١/١.

^٦ انظر: البحر المحيط: ٢٩٩/١.

^٧ جامع البيان: ١٥/١.

^٨ المحرر الوجيز: ١٢٧/١.

وذكره الإمام أبو حيان الأندلسي بصيغة التمريض^١.

وذكره ورد عليه القاضي ابن عطية والعلامة الألويسي.

يقول القاضي ابن عطية: "وقيل: يعود الضمير على الكعبة لأن الأمر بالصلاة إنما هو إليها قل القاضي أبو محمد رحمه الله يريد به ابن عطية -: وهذا أضعف من الذي قبله".

ويقول العلامة الألويسي: "والبعيد بل الأبعد عوده إلى الكعبة المفهومة من ذكر الصلاة".

القول السادس: يعود الضمير إلى كل واحد من الخصلتين (الصبر والصلاة)، فالمعنى على التثنية، واكتفى بعودة الضمير على أغلبهما وهو الصلاة.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: القرطبي، وثناء الله المظهري، والألويسي.

وذكره بصيغة التمريض: إبراهيم بن إسماعيل الأبياري.

القول السابع: يعود الضمير إلى كل واحد منهما (الصبر والصلاة)؛ لكن حذف أحدهما اختصاراً، أي: استعينوا بالصبر وإنه لكبير، وبالصلاة وإنها لكبيرة.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: البغوي، والقرطبي، والمظهري.

القول الثامن: يعود الضمير إلى المذكورات المتقدمة المأمور بها والمنهي عنها من قوله: ﴿يَتَّبِعْ إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ الَّتِي أَنْهَتْ عَنْكُمُ الْوُفُؤَ يَهْدِي أُولَئِكَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٢٠) وَأَمَّا بَنِي إِسْرَءِيلَ فَأَنْزَلْنَاهُمْ مِصْرَافًا لِيَمَّا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَئِكَ الَّذِينَ هُمْ يُرْسِلُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكُونُوا الْفَاسِقِينَ (٢١) وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ (٢٢)

١ انظر على التوالي: زاد السير: ٦٧/٨، والجامع لأحكام القرآن: ٣٧٣/٨.

٢ انظر: البحر المحيط: ٢٩٩/٨.

٣ انظر: الوجيز: ١٣٧/١.

٤ روح المعاني: ٢٥١/١.

٥ انظر على التوالي: الجامع لأحكام القرآن: ٣٧٣/٨، والتفسير المظهر: ٦٥/١، وروح المعاني: ٢٥١/٨.

٦ انظر: الموسوعة القرآنية: ٧/٩.

٧ انظر على التوالي: معالم التنزيل: ١١٢/٨، والجامع لأحكام القرآن: ٣٧٣/٨، والتفسير المظهر: ٦٥/٨.

الرَّكِبِينَ ﴿١٤﴾ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٥﴾ ۞ إِنْ قُلْتُمْ

قوله ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالْقَاسِرِ وَالضَّالِّينَ﴾ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿١٥﴾ ۞^١ وعن ذكر هذا القول من المفسرين: البيضاوي^٢، وثناه الله المظهري^٣، والألوسي^٤ وذكره بصيغة التمريض: العلامة أبو حيان الأندلسي^٥.

القول التاسع: يعود الضمير إلى الصلاة وحدها لكون الصبر داخل فيها، فهو من أسلوب قوله تعالى: ﴿يُطِيعُونَ اللَّهَ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٢٢﴾ ۞، ولم يقل يرضوهما لأن رضا الرسول صلى الله عليه وسلم داخل في رضا الله - عز وجل -.

وعن ذكر هذا القول من المفسرين: البغوي، والقرطبي، والألوسي^٦.

التعليق: يتضح من القراءة في الأسطر السابقة أن هناك تسعة أقوال في مرجع ضمير "إنها" في الآية، والتي ذكرها المفسرون، والإمام المودودي - رحمه الله - اختار القول الأول منها، حيث اقتصر بذكره، وهو: "أن الضمير عائد إلى الصلاة"، استلذا في رآيه إلى السياق الذي وردت فيه الآية الكريمة، فيقول: "يصعب على من لا يطيع أوامر الله - عز وجل -، ولا يؤمن بالآخرة أن يلتزم بالصلاة، بل إنه يرى فيها معاناة ومشقة لا توصف..."، وإليه ذهب المفسرون أمثال: الطبري^٧، وأبو حيان الأندلسي^٨، وابن كثير^٩، وغيرهم.

١ سورة البقرة، الآيات ٤٠-٤٥.

٢ انظر: أنوار التنزيل: ٧٨/١.

٣ انظر: التفسير المظهري: ٦٩/١.

٤ انظر: روح المعاني: ٢٥٠/١.

٥ انظر: البحر المحيط: ٢٩٩/١.

٦ سورة التوبة، الآية ٢٢.

٧ انظر على التوالي: معالم التنزيل: ١١٢/١، والجامع لأحكام القرآن: ٢٧٣/١، وروح المعاني: ٢٥٠/١.

٨ انظر: جامع البيان: ١٥/١.

٩ انظر: البحر المحيط: ٢٩٩/١.

١٠ انظر: تفسير القرآن العظيم: ٢٥٢/١.

- ١) هو قول التابعي الجليل الإمام مجاهد.
 - ٢) كون عودة الضمير إلى الصلاة هو ظاهر الكلام. ولا يجوز العدول عن الظاهر المفهوم من الكلام إلى غيره الذي لا دلالة على صحته. وضمير الغائب لا يعود على غير الأقرب إلا بدليل.
 - ٣) خصصت الصلاة برد الضمير إليها لعظم شأنها واستجماعها ضروريا من الصبر.
- ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:
- "تفسير السلف وقهمهم لنصوص الراجح حجة على من بعدهم".
 - "لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه".
 - "الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلافه".

١ ينظر: تفسير الجلالين: ١١/١، وتفسير الألوسي: ٢٥٠/١، وتفسير السعدي: ٥٢/١، والتفسير القرآن للقرآن لعبد الكريم الخطيب: ٨٠/١، والواضح لمحمد محمود الحجازي: ٣٦/١، والموسوعة القرآنية لإبراهيم بن إسماعيل الأبياري: ٧٧/٩، والوسيط لطهطاوي: ١١٢/١، وصفوة التفسير للصابوني: ٤٨/١، وحقائق الروح والمريحان لمحمد أمين المرري: ٣٢٧/١.

٢ انظر: تفسير ابن كثير: ٢٥٢/١.

٣ انظر: تفسير الطبري: ١٥/١، والمحرر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٢٩٩/١، وتفسير الألوسي: ٢٥٠/١.

٤ انظر: تفسير المطري: ١٥/١.

٥ البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٢٩٩/١.

٦ انظر: تفسير البقاعي: ٧٧/١، وتفسير الألوسي: ٢٥٠/١.

٧ قواعد الترجيح عند المفسرين للحريري: ٢٧١/١.

٨ المصدر السابق: ٢٣٧/١.

٩ نفس المصدر السابق: ٢٣١/٢.

الآية:

﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (١٧)

مسألة:

ما المراد بـ "العالمين" في الآية؟

قال الإمام المودودي -رحمه الله-: " هذه إشارة إلى تلك الفترة التي كان بنو إسرائيل هم الذين يحملون الرسالة السماوية والدعوة الصادقة دون غيرهم من أقوام البشر، فقد كانوا أئمة وهداة للعالمين. وقد وكل الله -عز وجل- إليهم مسؤولية دعوة الناس إلى دين الله وتطبيق أحكامه وقوانينه".^١

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام يتضح أنه ذكر قولاً واحداً في المراد بـ "العالمين" في قوله تعالى: ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (١٧). واقتصر ذكره على قول واحد يدل على أنه هو الراجح لديه ووقع اختياره عليه، إلا أنني وجدت خلال تتبعي للتفسير ثلاثة أقوال للمفسرين في الآية المذكورة، أذكرها هنا باختصار على النحو التالي:

القول الأول: فضلكم على عالمي زمانكم بإرسال الرسل وإنزال الكتب ومنح الملك والسيادة ما لم يؤت أحداً من العالمين، وهذه النعم تشير إليها في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ: يَتَّقُوا اللَّهَ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مِمَّا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٠). ولا يلزم من الآية تفضيلهم على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم - وعلى أمته.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري^٢، وابن الجوزي^٣، والرازي^٤، وغيرهم.

١ تفهيم القرآن: ٧٤/١.

٢ سورة المائدة، الآية ٢٠.

٣ انظر: جامع البيان: ٢٤/١.

٤ انظر: زاد المسير: ٢٧١.

القول الثاني: فضلكم على جميع العالمين بوجه ما من التفضيل بما جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا واتاكم ما لم يأت أحدا من العالمين، وهذا لا يقتضي تفضيلهم على جميع العالمين في جميع الأمور.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الرازي، وأبو حيان الأندلسي، والشوكاني^١.

ذكره بصيغة التمريض من المفسرين: القرطبي، وابن جزري، وابن كثير^٢.

ورد عليه الإمام ابن كثير قائلا: "وقيل: المراد تفضيل يتوعد ما من الفضل على سائر الناس ولا يلزم تفضيلهم مطلقا حكاة فخر الدين الرازي وفيه نظر. وقيل: إنهم فضلوا على سائر الأمم لاشتمال أميهم على الأنبياء منهم، حكاة القرطبي في تفسيره، وفيه نظر، لأن {العالمين} عام يشتمل من قبلهم ومن بعدهم من الأنبياء، إبراهيم الخليل قبلهم وهو أفضل من سائر أنبيائهم، ومحمد بعدهم وهو أفضل من جميع الخلق وسيد ولد آدم في الدنيا والآخرة".

القول الثالث: فضلكم على الجحيم الخفير من الناس، وعلى هذا يراد به الكثير لا الكل.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: أبو حيان الأندلسي، وشاء الله المظهر، والشوكاني^٣.

ورد عليه الإمام الرازي قائلا: "قل قوم: العالم عبارة عن الجميع الكثير من الناس كقولك: رأيت عالما من الناس، والمراد منه الكثير لا الكل، وهذا ضعيف لأن لفظ العالم مشتق من العلم وهو الدليل، فكل ما كان دليلا على الله تعالى كان عالما، فكان من العالم، وهذا

١ انظر: التفسير الكبير: ٤٩٣/٣.

٢ ينظر: تفسير القرطبي: ٢٧٨، وتفسير البضاوي: ٧٨/١، وتفسير ابن جزري: ٨٢/١ والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٣٠٦/١، وتفسير ابن كثير: ٢٥٥/١، والتفسير المظهر: ٦٧/١، وتفسير الألوسي: ٢٥٢/١.

٣ انظر على التوالي: التفسير الكبير: ٤٩٣/٣، والبحر المحيط: ٣٠٦/١، وفتح القدير: ٩٦/١.

٤ انظر على التوالي: تفسير القرطبي: ٢٧٨، وتفسير ابن جزري: ٨٢/١، وتفسير ابن كثير: ٢٥٥/١.

٥ تفسير القرآن العظيم: ٢٥٥/١.

٦ انظر على التوالي: البحر المحيط: ٣٠٦/١، والتفسير المظهر: ٦٧/١، وفتح القدير: ٩٦/١.

تَحْقِيقُ قَوْلِ الْمُتَكَلِّمِينَ: الْعَالَمُ كُلُّهُ مَوْجُودٌ سِوَى اللَّهِ، وَعَلَى هَذَا لَا يُمْكِنُ تَخْصِيسُ لَفْظِ الْعَالَمِ
بِبَعْضِ الْمَحْدَثَاتِ^١.

التعليق: يتبين من القراءة في السطور السابقة أن هناك ثلاثة آراء في المسألة، ووقع اختيار الإسماعيليين
المودودي على الأول منها، وهو: "أن المراد به تفضيلهم على غيرهم في تلك الفترة التي كانوا
يحملون فيها الرسالة السماوية والدعوة الربانية، وكانوا أئمة وهداة"، فيقول: "هذه إشارة إلى
تلك الفترة التي كان بنو إسرائيل هم الذين يحملون الرسالة السماوية والدعوة الصادقة دون
غيرهم من أقوام البشر، فقد كانوا أئمة وهداة للعالمين، وقد وكل الله - عز وجل - إليهم
مسؤولية دعوة الناس إلى دين الله وتطبيق أحكامه وقوانينه"، وإليه ذهب جمهور المفسرين سلفاً
وخلفاً من أمثال: الطبري^٢، والسمعاني^٣، والبغوي^٤، وغيرهم.

الأدلة:

١ القرآن: فضلكم على عالمي زمانكم بما منحكم من الملك والرسول والكتب ما لم
يؤت أحداً من العالمين، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَتَقَوَّمُوا أَدْخُرُوا يَوْمَهُ

١ التفسير الكبير: ٤٩٢/٣ - ٤٩٣.

٢ انظر: جامع البيان: ٢٤/١.

٣ انظر: تفسير القرآن: ٣٥/٩.

٤ انظر: معالم التنزيل: ١١٢/٨.

٥ ينظر: زاد المسير لابن الجوزي: ٣٦/٨، وتفسير البيضاوي: ٧٧/١، وتفسير الخازن: ٤٢/١، وتفسير ابن جزي:
٨٢/٨، وتفسير ابن كثير: ٢٥٥/٨، وتفسير الجلالين للمحلي والسيوطي: ١٧/١، وتفسير أبي السمر: ٩٧/١،
وتفسير الألوسي: ٢٥٢/١، والتفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب: ٨٢/٨، والتفسير الواضح لعماد
عُمُود: الحجازي: ٦٧/١، والموسوعة القرآنية لإبراهيم بن إسماعيل الأبياري: ٧٧/٩، وصفوة التفسير للصابري:
٤٨/٨، وأيسر التفاسير للجزائري: ٥٢/١، والتفسير المنير لوهبة الزحيلي: ١٥٤/١، والتفسير البسيط لفتح من
أسئلة التفسير: ٧/٨، وحدائق المروج والريحان لمحمد أمين المروري: ٣٦٩/٨، والمختصر في تفسير القرآن الكريم
لجماعة من علماء التفسير: ٧/٨، إضافة مركز تفسير للدراسات القرآنية، الطبعة الثالثة ١٤٣٦هـ.

اللَّهُ عَلَيْكُمْ إِذَا جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مَائِمَةً يَوْتُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ

﴿١٠﴾

يقول الحافظ ابن كثير بعد سرد القول الأول: "ويجب الحمل على هذا؛ لأن هذه الأمة أفضل منهن؛ لقوله تعالى خطاباً لهذه الأمة: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾".^١

(٢) الحديث: فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم - أن بني إسرائيل لم يكونوا مفضلين على أمة محمد صلى الله عليه وسلم - ففي سنن الترمذي عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾^٢ قال: "أَنْتُمْ تَأْمُرُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ"^٣.

(٣) هذا القول مروى عن عدد من العلماء والتابعين، وقال به جمهور المفسرين أيضاً. ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:
"القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عديم ذلك".^٤

١ سورة المائدة، الآية ٢٠.

٢ سورة آل عمران، الآية ١١٠.

٣ تفسير القرآن العظيم: ٢٥٥/١.

٤ سورة آل عمران، الآية ١١٠.

٥ يقول الإمام الترمذي: "هذا حديث حسن، وقد روى غير واحد هذا الحديث عن بهز بن حكيم نحوه هذا، ولم يذكرُوا فيه ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، سنن الترمذي: ٢٢٦/٥، برقم (٣٠٠١)، باب: ومن سؤروا آل عمران.

٦ هذا الحديث ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره وقال عقيماً: "وهو حديث مشهور، وقد حسنه الترمذي (تفسير القرآن العظيم: ٩٤/٢). ثم قال: "وَالْحَدِيثُ فِي هَذَا كَثِيرٌ". (المصدر السابق: ٢٥٥/١).

٧ من هؤلاء: أبو العالية ومجاهد، والربيع بن أنس، وقتادة وإسماعيل بن أبي خالد (انظر: تفسير ابن كثير: ٢٥٥/١).

"إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه".^١
 "تفسير السلف وفهمهم لتصريح الوحي حجة على من بعدهم".^٢
 "تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ".^٣

□

١ قواعد الترجيح عند المفسرين للخريزي: ٢٦٢/١.

٢ المصدر السابق: ٢٠٦/١.

٣ نفس المصدر السابق: ٢٧١/١.

٤ المصدر السابق: ٢٨٨/١.

الآية:

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَاكُمْ مِّنْ مَّالٍ فِرْعَوْنَ يَسُومُوكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَذْبَحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ١١ ﴾

مسألة:

ما المراد بـ "بَلَاءٌ" في الآية؟

قال الإمام المودودي -رحمه الله-: "فقد كان هذا ابتلاء لكم واختبارا لمعادنكم؛ هل ستخرجون من قاره ذهباً صافياً أم أن لظاه سيحرقكم وتصبحون فحماً أسوداً. والمعجزة كذلك كانت لكم اختباراً؛ هل تصبحون عبيداً شاكرين لله -عز وجل- الذي نجاكم من كيد فرعون وبطشه بهذه المعجزة القوية أم أنكم تمصونه وتجدون فضله".

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام يتضح أنه ذكر قولاً واحداً في المراد بـ "بَلَاءٌ" في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَاكُمْ مِّنْ مَّالٍ فِرْعَوْنَ يَسُومُوكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَذْبَحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ١١ ﴾، إلا أنني وجدت ثلاثة آراء في المسألة، أذكرها هنا باختصار على النحو التالي:

القول الأول: النعمة والمصيبة والمعنى: وفي سومهم سوء العذاب من التذريح والإستحياء نعمة من ربكم عظيم.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية، وابن الجوزي، والرازي، وغيرهم؛ **القول الثاني:** النعمة والإحسان والمعنى: وفي إلهاءكم من آل فرعون نعمة من ربكم عظيم.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، وابن عطية، وابن الجوزي، وغيرهم؛

١ انظر: المهر الوجيز: ١٤٦/١.

٢ انظر: زاد المسير: ٦٣/١.

٣ انظر: التفسير الكبير: ٥٠٧/٣.

٤ ينظر: تفسير القرطبي: ٣٨٧/١، وتفسير البضاوي: ٧٩/١، وتفسير ابن كثير: ٢٥٩/١، والتفسير المظهري لثناء.

الله المظهري: ٦٧/١، وتفسير الألوسي: ٢٥٥/١، وتفسير الشوكاني: ٩٧/١، وتفسير الطاهر بن عاشور: ٤٩٣/١.

وذكره بصيغة التمريض ورد عليه من المفسرين: الطاهر بن عاشور.
يقول الطاهر بن عاشور: "وَقِيلَ أَرَادَ بِهِ الْإِنْجِلَةَ وَالْإِلَهَةَ بِمَعْنَى اخْتِيَارِ الشُّكْرِ وَهُوَ
بَعِيدٌ هُنَا".

القول الثالث: النعمة والنعمة، والمعنى: وفي جملة الأمر من نعمة العذاب ونعمة
الإجابة إعتبار صبركم وشكركم من ربكم عظيم.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: القرطبي، والبيضاوي، والألوسي^١.

التعليق: يتوصل من القراءة في السطور السابقة أن هناك ثلاثة آراء في المسألة،
والإمام المودودي رجح الرأي الثالث منها مما يبين من عبارته، وهو: أن "بَلَاءُ"
استخدم هنا بمعنى: لأن "البلاء" هو الاختبار والامتحان، والاختبار قد يكون
بالنعمة ليختبر به شكر العبد وقد يكون بالنقمة ليختبر به صبره، كما قلنا تعالى:

﴿وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَمْثًا فَبِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^٢، وقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ
وَبَلَوْنَاهُم بِالْأَسْرِ وَالْفَقْرِ فَسَنَّا وَابْنَا نُرْجِعُونَ﴾^٣، وهو صحيح من ناحية اللغة
كما ذكره المفسرون، أي: "أن في صنيع ال فرعون من سومهم سوء العذاب اختبار
وابتلاء صبركم وفي إحقاقكم من ال فرعون اختبار وابتلاء شكركم"، فيقول: "فقد

١ انظر: جامع البيان: ٤٨٢.

٢ انظر: المحرر الوجيز: ١٤١/٨.

٣ انظر: زاد المسير: ٢٢/٨.

٤ ينظر: التفسير الكبير للرازي: ٥٠٧/٣، وتفسير القرطبي: ٣٨٧/٨، وتفسير البيضاوي: ٧٩/١، وتفسير ابن كثير:

٢٥٩/١، والتفسير المظهري لشبه الله المظهري: ٢٧/٨، وتفسير الألوسي: ٢٥٥/٨، وتفسير الشوكاني: ٩/١.

٥ التحرير والتوير: ٤٩٣/٨.

٦ انظر على التوالي: الجامع لأحكام القرآن: ٣٨٧/٨، وأنوار التنزيل: ٧٩/١، وروح المعاني: ٢٥٥/٨.

٧ سورة الأعراف، الآية ١٦٨.

٨ سورة الأنبياء، الآية ٣٥.

٩ انظر على سبيل المثال: تفسير الطبري: ٤٩/١، وتفسير القرطبي: ٣٨٧/٨، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي:

٣٠٥/٨.

كان هذا ابتلاء لكم واختباراً لمعادنكم: هل ستخرجون من ناره فعباد صافيا أم أن لظله سيحرقكم وتصبحون فحما أسودا. والمعجزة كذلك كانت لكم اختباراً هل تصبحون عبيدا شاكرين لله - عز وجل - الذي يحاكم من كيد فرعون وبطشه بهذه المعجزة الفريدة أم أنكم تعصونه وتحدون فضله". إلا أنني أرجح الرأي الأول لأدلة لأذكرها فيما يلي، وإلى هذا الرأي الأول ذهب المفسرون أمثلة: الطاهر بن عاشور، ومحمد عبد اللطيف الخطيب^١، وأبو بكر الجزائري^٢.

الأدلة:

(١) نسب المفسرون أمثلة ابن عطية، والقرطبي، والشوكاني هذا القول إلى الجمهور^٣.

يقول الإمام ابن عطية: "وقال جمهور الناس: الإشارة إلى الذبح ونحوه، والبلاء هنا في الشر، والمعنى وفي الذبح مكرهه وامتحان"^٤.

وتابعه في ذلك الإمام القرطبي قائلا: "وَقَالَ الْجُمْهُورُ: الْإِشَارَةُ إِلَى الذَّبْحِ وَنَحْوِهِ وَالْبَلَاءُ هُنَا فِي الشَّرِّ وَالْمَعْنَى: وَلَمَّا الذَّبْحُ مَكْرُوهٌ وَامْتِحَانٌ"^٥.

ويقول الإمام الشوكاني: "فَرَجَّحَ الْجُمْهُورُ الْأَوَّلَ"^٦.

(٢) هو المعنى المتبادر إلى الذهن.

^١ ومحمد عبد اللطيف الخطيب هو: محمد محمد عبد اللطيف الخطيب، ولد في القاهرة سنة ١٣٢٨هـ/١٩٠٠م، وتوفي فيها سنة ١٤٠٢هـ/١٩٨١م، عاش في مصر ولبنان والسعودية، تخرج من مدرسة الحسين للأصحح واحدا من علماء عصره في التفسير وعلوم القرآن الكريم والعلوم الإسلامية الأخرى، وعمل منذ صغره في مطبعة والده (المطبعة المصرية) التي تخصصت في طباعة القرآن الكريم، كان عضوا في الجمعيات والتقايات المختلفة، منها: نقابة الأشراف وجماعة القرآن الكريم، وجماعة الإخوان المسلمين، من مؤلفاته: "أوضح التفاسير"، و"الفرقان في جمع وتدوين القرآن"، و"هذا هو الحق". (انظر: الموقع الرسمي للمكتبة الشاملة على الإنترنت).

^٢ انظر على التوالي: التحرير والتنوير: ٤٩٣/١، وأوضح التفاسير: ١٦/١، وأيسر التفاسير: ٥٤/١.

^٣ انظر على التوالي: انظر الوجيز: ١٤٦/١، والجامع لأحكام القرآن: ٣٨٧/١، وفتح القدير: ٩٧/١.

^٤ انظر الوجيز: ١٤٦/١.

^٥ الجامع لأحكام القرآن: ٣٨٧/١.

^٦ فتح القدير: ٩٧/١.

يقول العلامة الألوسي بعد إيراد الأقوال المختلفة في معنى "بَلَّة": "ويرجح الأول التبادر".

(٣) القرينة في السياق يراد به "بَلَّة" هنا المصنى الأول بدليل قوله "عَظِيمٌ".

يقول الشيخ الطاهر بن عاشور: "وَأَشْهَرُ اسْتِعْمَالِهِ إِذَا أُطْلِقَ أَنْ يَكُونَ لِلشَّيْءِ قِيْدًا أَرَادُوا بِهِ الْخَيْرَ احْتِجَاجًا إِلَى قُرْبَةٍ أَوْ تَصَرُّحٍ، فَيُطْلَقُ غَالِبًا عَلَى الْمُصِيبَةِ الَّتِي تُحِلُّ بِالْعَبْدِ لَدَى رَبِّهَا يُخْتَبَرُ بِقَدَارِ الصَّبْرِ وَالْثَنَةِ وَالْمُرَادُ هُنَا الْمُصِيبَةُ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ عَظِيمٌ".

ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

"تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ".

"لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يحجب الرجوع إليه".

"القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه".

١ روح المعاني: ٢٥٩/١.

٢ التحرير والتنوير: ٤٩٣/١.

٣ قواعد الترجيح عند المفسرين للحريز: ٢٨٨/١.

٤ المصدر السابق: ١٣٧/١.

٥ المصدر السابق: ٢٩٩/١.

الآية

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يُقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَثَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ٥٥﴾

مسألة:

من المأمور بقتل نفسه في الآية؟

قال الإمام المودودي رحمه الله: - "أي: اقتلوا من بينكم كل من اتخذ العجل إلها من دون الله وعبدته".^١

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي رحمه الله - أنه ذكر قولاً واحداً في المأمور بقتل نفسه في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يُقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَثَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ٥٥﴾، وهذا هو الراجح عنده، إلا أنني وجدت أن المفسرين ذكروا الأقوال الثلاثة التالية في هذه المسألة:

القول الأول: المأمور بقتل نفسه الجميع، أي: ليقتل بعضهم بعضاً.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن الجوزي، والقرطبي، والبيضاوي، وأبو حيان الأندلسي.^٢

ورد عليه القاسمي قائلاً: "أمر لمن لم يعبد العجل، أعني اللاتيين، أن يقتلوا العبدية لا كما فهمه بعضهم من قتل بعضهم بعضاً مطلقاً".^٣

القول الثاني: المأمور بقتل نفسه العابدين من عبدة العجل فحسب،

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن الجوزي.^٤

١ تفهيم القرآن: ٢٧٨.

٢ انظر: على التوالي: زاد المسير: ٦٧٨، والجامع لأحكام القرآن: ٥٠٧٨، وأنوار التنزيل: ٨٧٨، والبحر المحيط: ٣٣٥/٨.

٣ محاسن التأويل: ٣٠٧/١.

٤ انظر: زاد المسير: ٦٧٨.

القول الثالث: المأمور يقتل نفسه هم العابدون فقط، أي: ليقتل غير العابدين الأبرياء العابدين المجرمين من إخوانكم ومن أهلكم.

وعن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن الجوزي، والقرطبي، والبيضاوي، وغيرهم. **التعليق:** يتبين من القراءة في الأسطر السابقة أن هناك ثلاثة أقوال للمفسرين والإمام المودودي رحمه الله - رجح القول الثالث حيث ذكره أثناء تفسيره للآية الكريمة، وهو: "أن الله عز وجل أمر أن يقتل غير العابدين (الأبرياء) العابدين للعجل (المجرمين)"، فيقول: "أي: اقتلوا من بينكم كل من اتخذ العجل إلهًا من دون الله وعبدته"، وإليه ذهب أكثر المفسرين أمثال: البغوي، والخازن، وثناء الله المظهري، وغيرهم.

الأدلة:

(١) هو قول جمهور المفسرين.

(٢) **أسلوب القرآن ومعهود استعماله:** استخدام القرآن الكريم كلمة: "نفس"

بمعنى الأخوة والأهل. قلنحو الرجل كأنه نفسه وأهل الرجل كأنه نفسه

كقوله: ﴿وَلَا تَلْجُزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾، وكقوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ

أَنْفُسِكُمْ﴾.

١ انظر: زاد المسير: ٦٧٨.

٢ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٤٠٧٨.

٣ انظر: أنوار التنزيل: ٨٧٨.

٤ ينظر: البحر المحيط لأبي حنيفة الأنطليبي: ٣٣٥/١، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ٧٧/١.

٥ انظر: معالم التنزيل: ١٦٧/١.

٦ انظر: لباب التأويل: ٤٧١/١.

٧ انظر: التفسير المظهري: ٧٨/١.

٨ ينظر: تفسير القاسمي: ٣٠٧/١، وتفسير المراغي: ١٢٠/٨، وأوضح التفاسير محمد عبد اللطيف الخطيب: ٥٠/١.

وصفوة التفاسير للصابوني: ٥٠/٨، والتفسير المنير لوهبة الزحيلي: ١٦٠/١، وأيسر التفاسير للجزائري: ٥٧/١.

٩ سورة الحجرات، الآية ١١.

١٠ سورة التوبة، الآية ١٢٨.

ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

"تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ".

"حمل معاني كلام الله على الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استحتماله أولى من الخروج به عن ذلك".

١ انظر: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٣٣٥/١، وتفسير المراغي: ١/١٢٥.

٢ قواعد الترجيح عند المفسرين للحرشي: ٢٨٧/١.

٣ المصطلح السابق: ١٧٣/١.

الآية:

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِيَيْنَ ﴾ (٦٥)

المسألة:

ما المراد بـ "قِرَدَةً خَاسِيَيْنَ" في الآية؟

قال الإمام المودودي -رحمه الله-: "وقد اختلف الناس في كيفية انقلابهم إلى القردة. فيرى البعض بأنهم مسخوا وأصبحت أشكالهم وأجسامهم كالقردة تماما. في حين يرى الآخرون بأن صفاتهم تبدلت وأصبحوا كالقردة في الصفات دون الشكل. لكن مما يظهر لي من ألفاظ القرآن وطريقة عرض الصورة أن هذا المسخ لم يكن في الأخلاق وإنما كان في أشكالهم وأجسامهم. فإنا نرى -والله أعلم- أن عقولهم بقيت على ما كانت عليه وأن أجسامهم مسخت قردة".^١

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي -رحمه الله- يتضح أنهم مسخوا مسخا حقيقيا صوريا يجعل أشكالهم وأجسامهم كالقردة تماما. فذكر قولين؛ حيث رجح قولاً ورد على قول آخر. ووجدت خلال تتبعي للتفسير أن المفسرين ذكروا هذين القولين في المسألة، أذكرهما هنا بجملة على النحو التالي:

القول الأول: مسخ الله المعتدين في السبت مسخا حقيقيا صوريا، حيث جعلهم قردة على الحقيقة، وذلك يجعل أشكالهم وأجسامهم قردة صاغرين منبوذين، مع بقاء الإدراك الإنساني. وعن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية^٢، وابن الجوزي^٣، والرازي^٤، وغيرهم^٥.

^١ تفهيم القرآن: ٨٣/٨.

^٢ انظر: تفسير ابن عطية: ٧٦٥/٨.

^٣ انظر: زاد المسير: ٧٤/٨.

^٤ انظر: التفسير الكبير: ٥٤١/٣.

^٥ ينظر: تفسير القرطبي: ٤٤٧/٨، وتفسير البضاوي: ٨٨/٨، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٣٩٧/٨، وتفسير الشوكاني: ١١٢/٨، وتفسير الألوسي: ٢٨٣/٨، وتفسير ياك القرآن لأشرف علي التهانوي: ٢٨/٨.

القول الثاني: مسخهم الله مسخاً معنوياً حيث مسخت قلوبهم فقط وذلك برد قلوبهم أو ألهامهم كقلوب القرود أو ألهامها مع بقله الهيكل الإنساني فمثلوا بالقرود كما مثلوا بالحملة في قوله تعالى: "مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا الثُّرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ الْمَوِّ وَاللَّهِ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ"^١

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الرازي^٢، والبيضاوي^٣، وابن كثير^٤، وغيرهم. وعن ذكره بضيفة التمرين من المفسرين: ابن عطية، وابن الجوزي، والقرطبي، وأبو حيان الأندلسي^٥.

كما رد عليه بعض المفسرين مثل: ابن الجوزي، والقرطبي، وابن كثير.

يقول الإمام ابن الجوزي بعد ذكر القول الأول: "وعلى هذا القول العلماء غير ما روي عن مجاهد أنه قال: مسخت قلوبهم ولم تمسخ أيدانهم، وهو قول بعيد"^٦.

ويقول الإمام القرطبي: "وَرَوَى عَنْ مُجَاهِدٍ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ آيَةِ أَنَّهُ إِنَّمَا مُسِيخَتْ قُلُوبُهُمْ فَقَطْ، وَرَدَّتْ أَفْهَامُهُمْ كَأَفْهَامِ الْقُرْدِ. وَلَمْ يَقْلَهُ غَيْرُهُ مِنَ الْمَفْسِّرِينَ فِيمَا أَعْلَمَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ"^٧.

ويقول الإمام ابن كثير بعد ذكر قول مجاهد بسند عن أبي حاتم وابن جرير: "وَهَذَا سَنَدٌ جَيِّدٌ عَنْ مُجَاهِدٍ، وَقَوْلٌ غَرِيبٌ خِلَافَ الظَّاهِرِ مِنَ السِّيَاقِ فِي هَذَا الْمَقَامِ رَفِي غَيْرِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: "قُلْ هَلْ أَنْهَكُمُ بَشَرٌ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَخَصِيَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْقَةَ وَالْخَتَائِرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ"^٨.

١ سورة الجمعة الآية ٥.

٢ انظر: التفسير الكبير: ٥٤١/٣.

٣ انظر: تفسير البيضاوي: ٨٥/١.

٤ انظر: تفسير ابن كثير: ٢٨٩/١ وما بعدها.

٥ ينظر: تفسير الشوكاني: ١١٢/١-١١٤، وتفسير الألوسي: ٢٨٣/١، وتفسير الطاهر بن عاشور: ٥٤٤/١.

٦ انظر على التوالي: المحرر الوجيز: ١٦١/٨، وزاد المسير: ٧٤/٨، والجامع لأحكام القرآن: ٤١٢/١، والبحر المحيط: ٣٩٧/٨.

٧ زاد المسير: ٧٤/٨.

٨ الجامع لأحكام القرآن: ٤٤٣/١.

٩ سورة المائدة، الآية ٦٠.

ثم ذكر أقوال العلماء في كونهم نسخوا صوراً ويقولون: "قُلْتُ: وَالْقَرَضُ مِنْ هَذَا السَّبْقِ عَنْ هَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةِ بَيَانُ خِلَافِ مَا ذُهِبَ إِلَيْهِ مُجَاهِدًا، رَحِمَهُ اللَّهُ، مِنْ أَنَّ مَسَخَهُمْ إِنَّمَا كَانَ مَعْتَرِياً لَا صَوْرِيًّا بَلِ الصَّحِيحُ أَنَّهُ مَعْتَرِيٌّ صَوْرِيٌّ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ".

التعليق: يتبين من القراءة في السطور السابقة في المراد بقوله تعالى: "فِرْقَةٌ خَاسِرِينَ" أن الإمام المودودي - رحمه الله - يرى أنهم نسخوا نسخاً حقيقياً صورياً يجعل أشكالهم وأجسامهم كالقروود تماماً فيقولون: "لكن بما يظهر لي من ألفاظ القرآن وطريقة عرض الصورة أن هذا المسخ لم يكن في الأخلاق وإنما في أشكالهم وأجسامهم، فإنا أرى - والله أعلم - أن عقولهم بقيت على ما كانت عليه وأن أجسامهم مسخت قروداً"، وأما ما روي عن مجاهد فقد ذكره البعض بصيغة التمريض ورد عليه عدد آخر من المفسرين والإمام المودودي - رحمه الله - رجح أن المسخ كان حقيقياً صورياً لأنه يظهر من ألفاظ القرآن وطريقة عرضه للصورة عبر السبق القرآني الخاص، وإليه ذهب جمهور المفسرين أمثلة: الثعلبي، والبغوي، وابن عطية، وغيرهم.

الأدلة:

(١) **القرآن:** يشهد له قوله تعالى: "قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْقَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ".

١ تفسير القرآن العظيم: ٢٨٩/١ وما بعدها.

٢ انظر: الكشف والبيان: ٢١٢/١.

٣ انظر: معالم التنزيل: ١٣٦/١ - ١٣٧.

٤ المحرر الوجيز: ١٦٦/١.

٥ ينظر: زاد المسير لابن الجوزي: ٧٤/١، والتفسير الكبير للرازي: ٥٤١/٣، وتفسير القرطبي: ٤٤٠/١، وتفسير الميساوي: ٨٥/١، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٣٩٧/١، وتفسير الشوكاني: ١١٣/١، وتفسير الألوسي: ٢٨٣/١، وتفسير القاسمي: ٣٢٣/١، وبيان القرآن لأشرف علي التهانوي: ٢٨/١، والتفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب: ٩٤/١، وتفسير الطاهر بن عاشور: ٥٤٤/١، ومعارف القرآن للمفتي محمد شفيق: ٢٤٣/١، ومعارف القرآن لإدريس كاندلوي: ١٥١-١٥٠/١، والتفسير المختصر لنخبة من العلماء: ١٠/١، وأبصر المتفاسير للجزائري: ٢٧٨، وصفوة التفاسير للصابري: ٥٧٨، وتفسير القرآن الكريم للشيخ أبي زكريا عبد السلام الرمشتي (بمطبعة البصرة) ص ٤٠، الطبعة الأولى نوفمبر ٢٠٠٢م/رمضان المبارك ١٤٢٣هـ دار السلام.

٦ سورة المائدة، الآية ٦٠.

ويقول الإمام ابن جزري في مقدمة تفسيره: "تفسير بعض القرآن ببعض قلداً لموضع من القرآن على المراد بموضع آخر حملناه عليه ورجحنا القول بذلك على غيره من الأقوال".^١

(٢) هو قول جمهور المفسرين.^٢

(٣) ود بعض المفسرين الجهابذة على أصحاب غير هذا القول حيث اعتبر هذا من شذوذ الإمام مجاهد كما أشار إليه الإمام القرطبي، حيث يقول ما نصّه: "وَرَوَى عَنْ مُجَاهِدٍ فِي تَفْسِيرِهِ هَذِهِ الْآيَةَ إِنَّهَا مُسَيِّئَةٌ قُلُوبُهُمْ فَقَطْ، وَرَدَّتْ أَفْهَامُهُمْ كَأَفْهَامِ الْفِرَقَةِ، وَلَمْ يَقْلَهُ غَيْرُهُ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ فِيمَا أَعْلَمَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ".^٣

(٤) ولكون جواز المسخ، أمكن إجراء الآية على ظاهرها، ولم تبق حاجة إلى التأويل الذي ذكره الإمام مجاهد.^٤

(٥) ظاهر القرآن أنهم مسخوا قرعة على الحقيقة.^٥

(٦) العيش في صور القروء بمشاعر الإنسان من أيسر الصور وأخصها، وهو العذاب الأخرى.^٦

(٧) هذا القول أظهر في العبرة لأن فيه اعتبارهم بأنفسهم واعتبار الناس بهم بخلاف الثاني.^٧

ويؤيد هذا القول القاعدة الترجيحية التالية:

"تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ".^٨

"القول الذي يؤيده آيات قرآنية أخرى مقدم على ما عديم ذلك".^٩

١ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩٨.

٢ انظر: زاد السير لابن الجوزي: ٧٤/٨، وتفسير القرطبي: ٤٤٣/٨، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٣٩٧/٨، وتفسير الألوسي: ٢٨٢/٨، وتفسير الطاهر بن عاشور: ٥٤٤/٨.

٣ الجامع لأحكام القرآن: ٤٤٣/٨.

٤ انظر: التفسير الكبير للرازي: ٥٤١/٣.

٥ تفسير الألوسي: ٢٨٣/٨.

٦ انظر: التفسير القرآني للقرآن: ٩٤/٨، بتصرف.

٧ تفسير الطاهر بن عاشور: ٥٤٤/٨، بتصرف يسير.

٨ قواعد الرجح عند المفسرين للحري: ٢٨٨/٨.

٩ المصدر السابق: ٣٦٢/٨.

الآية:

﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُخَيِّ اللَّهُ الْمَوْتِ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٧٢)

المسألة:

ما مرجع ضمير "بِبَعْضِهَا" في الآية؟

قال الإمام المودودي -رحمه الله-: "عادت الحياة إلى المقتول؛ هذا هو المعنى الصريح في الآية. فاصبح الرجل حيا يمي كل شيء وظل كذلك إلى أن طُ على القاتل. لكن العمل الذي قام به القوم للوصول إلى هذا الهدف، أي "اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا" أشكل على بعض الفلاس. وأرى بأن ما رآه أسلافنا من المفسرين هو الأقرب إلى الصواب. أي أمرؤ أن يضربوا جسد المقتول بشيء من لحم تلك البقرة التي أمرؤ بذبحها في الآيات السابقة. وبذلك كأننا صدنا عصفورين بحجر واحد أحدهما أنهم رأوا آية من آيات الله -عز وجل-، والآخر: وقع الفأس على مفرق تلك العقيدة التي كانت ترى في البقرة شأنا وقدسيتها ترشحها للعبادة والألوهية. فعلم الناس أنها لو كانت آلهة تملك شيئا من القوة لكانت تنزل عليهم الكواثر والمصابب وتسلب عنهم حياتهم، لا أن يجي الناس من ذبحها فوائد ويستفيدوا من قتلها".

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي -رحمه الله- يتضح أنه رجح واختار رأي الأسلاف من المفسرين، ويبين منه أن مرجع الضمير "بِبَعْضِهَا" في قوله تعالى: "فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا" يرجع إلى البقرة، ولقد صرح بذلك القول الذي اختاره، وبين دليله وأشار إلى أن هناك أقوالا أخرى في المسألة أيضا، ووجدت خلال تنبي للتفسير أن المفسرين ذكروا القولين في المسألة، أذكرهما هنا بإيجال على النحو التالي:

القول الأول: إن الضمير عائد في "بِبَعْضِهَا" على البقرة، والمعنى: أمرهم أن يضربوا القاتل ببعض أجزائه أو أعضاء من هذه البقرة الذبوحة، فيبعثه الله حيا، ويخبركم عن قاتله. ثم اختلف العلماء في البعض الذي ضرب به القاتل، فقال بعضهم: إنه ضرب بفخذ البقرة. وقال الآخرون: بالبضعة التي بين الكتفين. وقال الآخرون: بعظم من عظامها. وقال الآخرون: بلأنها. وقال الآخرون: بذنبها. وقال الآخرون: بلسانها.

١ تفهيم القرآن: ٨٧٨

٢ انظر: تفسير الطبري: ٢٢٩٢-٢٣٦، وتفسير المودودي: ١٤٣/١، وتفسير ابن كثير: ٣٠٣/١.

إلا أن ظاهر الآية لا يدل على تخصيص عضو من أعضائه، ولا فائدة في تخصيصه، ولم يرد به نقل صحيح عن المعصوم صلى الله عليه وسلم.^١

قل الإمام الطبري بعد ذكر الأقوال المختلفة في القضية: "والصواب من القول في تأويل قوله عندنا: 'فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بَعْضُهَا'، أن يقال: أمرهم الله -جل ثناؤه- أن يضربوا القتل ببعض البقرة ليحيا المضروب. ولا دلالة في الآية ولا خبر تقوم به حجة على أي أعضائها التي أمر القوم أن يضربوا القتل به. وجائز أن يكون الذي أمروا أن يضربوه به هو الفخذ وجائز أن يكون ذلك الذنب وغضروف الكتف، وغير ذلك من أعضائها ولا يضرب الجهل بأي ذلك ضربوا القتل، ولا ينفع العلم به، مع الإقرار بأن القوم قد ضربوا القتل ببعض البقرة بعد دمجها فالحية الله".^٢ وقل الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية: "هَذَا الْيَعْنُ أَيُّ شَيْءٍ كَانَ مِنْ أَعْضَاءِ هَذِهِ الْبَقَرَةِ فَلِلْمَعْجِزَةِ حَاصِلَةٌ بِهِ، وَخَرَقَ الْعَلَقَ بِوَكَائِنٍ، وَقَدْ كَانَ مُعَيَّنًا فِي تَقْسِمِ الْكُفْرِ، فَلَوْ كَانَ فِي تَعْيِينِهِ لَنَا قَائِلَةٌ نَعُودُ عَلَيْنَا فِي أَمْرِ الذِّهْنِ أَوْ الذَّنْبِ لَيَسَّ اللَّهُ تَعَالَى لَنَا، وَلَكِنْ أَبْهَمَهُ، وَلَمْ يَحِمْ مِنْ طَرِيقٍ صَحِيحٍ عَنْ مَعْصُومٍ بَيَانَهُ فَتَحْنُ تَبْهَمُهُ كَمَا أَبْهَمَهُ اللَّهُ".^٣ وعن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري^٤، وابن عطية^٥، وابن الجوزي^٦، وغيرهم.^٧

١ انظر للعزبد من التفصيل: تفسير الطبري: ٣٦٧/٢، وتفسير الراغب: ٣٣٠/٨، وتفسير ابن كثير: ٣٠٢/٨، وتفسير الألوسي: ٢٩٣/٨.

٢ جامع البيان: ٢٣٦/٢.

٣ تفسير القرآن العظيم: ٣٠٢/٨.

٤ انظر: جامع البيان: ٢٣٩/٢.

٥ انظر: المحرر الوجيز: ١٦٥/٨.

٦ انظر: زاد المسير: ٧٧/١.

٧ ينظر: التفسير الكبير للرازي: ٥٥٣/٣، وتفسير القرطبي: ٤٥٧/١، وتفسير البيضاوي: ٨٧/١، وتفسير ابن جزي: ٨٧/١، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٤٢٠/١، وتفسير ابن كثير: ٣٠٢/٨، وتفسير الألوسي: ٢٩٣/٨، وتفسير بيان القرآن لأشرف على التهانوي: ٤٠/١.

القول الثاني: إن الضمير عائد في "يَعْضِيهَا" على النفس المقتولة، ومن انفراد يذكر هذا القول من المفسرين: الشيخ عبد السلام الرستمي^١. ولعل السبب في ذلك - والله أعلم - أنهم يبتغون بهذا التأويل أن يثبتوا عقيلة التوحيد ولا يترك مجالاً للشبهة في هذا الباب.

التعليق: يتبين من القراءة في السطور السابقة أن الشيخ المودودي يرى بأن مرجع الضمير في قوله تعالى: "يَعْضِيهَا" في قوله تعالى: "فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِعَصِيهَا" يرجع إلى البقرة، فيقول: "...أي اضْرِبُوهُ بِعَصِيهَا" أشكل على بعض الناس. وأرى بأن ما رآه أسلافنا من المفسرين هو الأقرب إلى الصواب. أي أمروا أن يضربوا جسد المقتول بشيء من لحم تلك البقرة التي أمروا بنجسها في الآيات السابقة، وبذلك كَانُوا صَدْنَا عَصْفُورِينَ بحجر واحد أحدهما أنهم رأوا آية من آيات الله - عز وجل -، والآخره وقع الفأس على مفروق تلك العقيلة التي كانت نرى في البقرة شأنها وقديسية ترشحه للعبادة والألوهية. فعلم الناس أنها لو كانت آفة تملك شيئاً من القوة لكانت تنزل عليهم الكوارث والمصائب وتسلب عنهم حياتهم. لا أن يجني الناس من ذبحها فوائد ويستفيدوا من قتلها^٢، واستند في ذلك إلى الاعتماد على رأي الأسلاف المتقدمين ومستفيداً من الدليل العقلي الذي لطلما كان أحد المستندات الواضحة في منهج الشيخ

١ انظر: تفسير القرآن الكريم، ص ٤٢.

وعبد السلام الرستمي هو: الشيخ المفسر أبو زكريا عبد السلام بن الشيخ عبد الرؤوف الرستمي الباكستاني، ولد في أسرة متدربة في قرية رستم من مضافات محافظة مردان بولاية خيبر فختونخوا، تخرج من المدارس الدينية المختلفة، حيث تعلم فيها علم التفسير والحديث والعربية والمنطق والفقه، ثم قام بتدريس ترجمة القرآن الكريم وتفسيره وبعض الكتب الفقهية من تلخيص ومن ناحية أخرى كان يقوم بإلقاء الخطب والمحاضرات الدعوية والإصلاحية في بعض المناسبات، كما قام بتأسيس مدرسة عظيمة باسم "الجامعة العربية لإشاعة التوحيد والسنة"، حيث درس فيها آلاف، وخاصة في دورة التفسير في شهري شعبان ورمضان كل سنة، وأسس منظمة باسم "إشاعة التوحيد والسنة على منهج السلف"، وأسس مجلة شهرية باسم "سيرة السلف" كذلك وقد ألف عشرات من الكتب العلمية باللغة العربية، والفارسية، والأردية، والبشتوية، منها: "تفسير القرآن الكريم" بلغة البشتو، و"نشاط الأنعام في أصول القرآن"، باللغة العربية، و"ترجمة هجر منظومة"، باللغة الفارسية، و"إنكار حديث سي إنكار قرآن تك"، باللغة الأردية. توفي سنة ١٤٣٦هـ/١٩١٥م بعد معاناة لمرض طويل الأمد. (الشيخ المفسر أبو زكريا عبد السلام الرستمي - رحمه الله - ملحق أهل الحديث - على الإنترنت).

المودوني. وإليه ذهب جمهور المفسرين أمثال: الطبري^١، والسمعاني^٢، والراغب الأصفهاني^٣، وغيرهم^٤. أما القول الثاني فلم يذكره السلف وإنما انفرد به المفسرون المتأخرون أمثال الشيخ عبد السلام الرستمي - رحمه الله - ومن سار مسيرته خلفا من المفسرين، والله أعلم.

الأدلة:

- (١) هو قول جمهور المفسرين.
 - (٢) القول الثاني لم يذكره أحد من السلف فيما أعلم - والله أعلم -.
 - (٣) اللغة العربية: القول الثاني ضعيف من حيث اللغة وذلك لأن الجملة تحتوي على ضميرين: أحدهما للمذكر والآخر للمؤنث، وعلى أساس هذا القول يرجع الضميران إلى مرجع واحد وهذا هو جانب الضعف فيه؛ لأن الأصل في اللغة العربية أن يتعدد مرجع الضمائر المختلفة، فيعود كل ضمير إلى مرجعه الذي يناسبه، كما هو الحال مع القول الأول الذي يرى أن ضمير المذكر يرجع إلى الميث وأن ضمير المؤنث يرجع إلى البقرة. ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:
- "تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم".
 "تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ".

^١ انظر: جامع البيان: ٢٣٦/٢.

^٢ انظر: تفسير القرآن: ٩٤/٨.

^٣ انظر: تفسير الراغب: ٢٣٧/١.

^٤ انظر: تفسير البغوي: ١٣٠/٨، وتفسير ابن عطية: ١٦٥/١، والتفسير الكبير للرازي: ٥٥٣/٣، وتفسير الفرطني: ٤٥٧/٨، وتفسير الجبلاوي: ٨٧/٨، وتفسير النسطورية: ١٤٩/٨، وتفسير الخازن: ٥٣/٨، وتفسير ابن جزي: ٨٧/١، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٤٢٠/٨، وتفسير ابن كثير: ٣٠٢/٨، وتفسير أبي السعود: ١١٤/٨، وتفسير الألوسي: ١٩٣/٨، وتفسير القاسمي: ٣٢٨/٨، وتفسير بيان القرآن لأشرف علي التهانوي: ٤٠/٨، وتفسير المراغي: ١٤٥/٨، وفي ظلال القرآن للسيد قطب: ٧٩/٨، والتفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب: ٩٨/٨، والتفسير الواضح لمحمد محمود الحجازي: ٤٢/٨، ومعارف القرآن لإبراهيم كاندملوي: ١٥١-١٥٠/٨، وأوضح التفاسير لمحمد عبد اللطيف بن الخطيب: ١٣/٨، والموسوعة القرآنية لعبد الكريم الخطيب: ٩٣/٨، والتفسير المبين لنبذة من أساتذة التفسير: ١١/٨، وأيسر التفاسير للجزائري: ٧١/٨، وصفوة التفاسير للصابوني: ٥٩/٨، والمختصر في تفسير القرآن الكريم لجماعة من علماء التفسير: ١١/٨.

٥ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٢٧٧/١.

الآية:

﴿ أَفَنُظَمُّونَ أَنْ يُوْمِنُوا بِكَلِمَةٍ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ

مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ (٧٥)

مسألة:

ما المراد بـ "فَرِيقٌ مِنْهُمْ" في الآية؟

قال الإمام المودودي رحمه الله: "فَرِيقٌ مِنْهُمْ": هم علماءهم وأصحاب الشريعة فيهم.. وكذلك يطلق "التحريف" على التغيير في الألفاظ وتبديلها. وقد حرف علماء بني إسرائيل معاني كلام الله ومفاهيمه كما حرفوا الفاظه وكلماته".^١

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي رحمه الله - يتضح بجلاء أنه عرض قولاً واحداً في المراد بـ "فَرِيقٌ مِنْهُمْ" في قوله تعالى: "وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ"، ولم يعرض أقوالاً أخرى للمفسرين، مما يدل على أن القول الذي ذكره، ويركز عليه هو المراجع عنده، إلا أنني وجدت أن المفسرين ذكروا أربعة أقوال في المسألة، أذكرها هنا بإجمال على النحو التالي:

القول الأول: يُراد بهم هنا طائفة من أسلافهم (اليهود)، وهم أجيالهم وعلمائهم الذين كانوا يسمعون كلام الله (التوراة) ثم يحرفونه ويكتُمونه ويؤولونه تأويلاً فاسداً باطلاً، كما حرفوا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم - في التوراة والنحوه الطبري، وابن الجوزي، وأبو حيان الأندلسي، وغيرهم.^٢

القول الثاني: يُراد بهم هنا السبعون المختارون من أهل الميقات الذين سمعوا كلام الله حين كلم موسى - عليه السلام - بالطور، وما أمر به ونهى، ثم بدلوه وحرفوه بعد ذلك، حيث قالوا:

١ المصدر السابق: ٢٨٧/١.

٢ تفهيم القرآن: ٨٧/١.

٣ انظر: جامع البيان: ٢٤٧/٢.

٤ انظر: زاد المسير: ٨٠/١.

٥ انظر: البحر المحيط: ٤٣٩/١.

٦ ينظر: تفسير ابن كثير: ٣٠٨/١، وتفسير الألوسي: ٢٩٨/١، وتفسير بيان القرآن لأشرف علي التهانوي: ٤٦/١.

سمعنا الله تعالى يقول في آتية: إن استطعتم أن تفعلوا هذه الأشياء فافعلوا، وإن شئتم فلا تفعلوا^١.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري^٢، وابن الجوزي^٣، والرازي^٤، وغيرهم^٥.

ومن الجدير بالذكر أن الزمخشري^٦ والألوسي^٧ ذكر هذا القول بصيغة التمرين^٨.

ورد عليه الأئمة: ابن عطية^٩، وابن الجوزي^{١٠}، والقرطبي^{١١}، وأبو حيان الأندلسي^{١٢}، والألوسي^{١٣}.

يرد القاضي ابن عطية على هذا القول قائلا: "وفي هذا القول ضعف، ومن قال إن السبعين

سمعوا ما سمع موسى فقد أخطأ وأذهب فضيلة موسى عليه السلام واختصاصه بالتكليم^{١٤}."

ويرد عليه ابن الجوزي قائلا: "وقد أنكر بعض أهل العلم، منهم الترمذي صاحب "المؤاخر"

هذا القول إنكاراً شديداً، وقال: إنما خص بالكلام موسى وحده، وإلا فلي ميزة؟ وجعل هذا من

الأحاديث التي رواها الكلبي وكان كذاباً^{١٥}."

كما يرد عليه القرطبي حيث يقول: "وفي هذا القول ضعف، ومن قال: إن السبعين سمعوا ما

سمع موسى فقد أخطأ، وأذهب بفضيلة موسى واختصاصه بالتكليم^{١٦}."

ويرد عليه أيضاً أبو حيان الأندلسي فيقول: "وقد أنكر أن يكونوا سمعوا كلام الله تعالى قال

ابن الجوزي: أنكر ذلك أهل العلم، منهم الترمذي صاحب "المؤاخر"، وقال: إنما خص موسى

عليه السلام بالكلام وحده^{١٧}."

١ انظر: الكشف للزمخشري: ١٥٧/١.

٢ انظر: جامع البيان: ٢٤٧/٢.

٣ انظر: زاد المسير: ٨١/٨.

٤ انظر: التفسير الكبير: ٥٦٠/٣.

٥ ينظر: تفسير القرطبي: ٧/١، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٤٣٩/١، وتفسير ابن كثير: ٣٠٧/١، وتفسير

بيان القرآن لأشرف علي التهانوي: ٤٢/١.

٦ انظر: الكشف: ١٥٧/١، وروح المعاني: ٢٩٩/١.

٧ المحرر الوجيز: ١٦٧/١.

٨ زاد المسير: ٨١/٨.

٩ الجامع لأحكام القرآن: ٢/٢.

١٠ البحر المحيط: ٤٣٩/١.

ويرد الألوسي عليه قائلا: "ومقتضى هذه الرواية أن هؤلاء سمعوا كلامه تعالى بلا واسطة كما سمعه موسى عليه السلام، والمصحح أنهم لم يسمعوا بغير واسطة، وأن ذلك مخصوص به عليه السلام".^١

القول الثالث: يُراد بهم هنا جماعة من اليهود اللذين عاصروا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم، وقد كانوا يسمعون الوحي المنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم - فيحرفونه، ومنعهم من هذا الإخلال في الدين ما ليس فيه، والتضاد في أحكامه. وعن انفرد بذكر هذا القول من المفسرين: أبو حيان الأندلسي والألوسي، وذكره الألوسي بصيغة التصريح.^٢

القول الرابع: يُراد بهم هنا كل من حرف في التوراة شيئا حكما أو غيره ففعلهم في آية الرجم ونحوها.^٣

ومن انفرد بذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية، وأبو حيان الأندلسي.^٤

التعليق: يظهر من القراءة في الدراسة المذكورة أن الشيخ المودودي - رحمه الله - اختار من بين عدة أقوال ذكرها المفسرون قولاً واحداً، حيث ركز عليه، ولم يول الأقال الأخرى اهتماماً مما يدل على أن القول الذي ذكره هو الراجح عنده، وهو أن يكون المراد بهؤلاء "علمائهم وأصحاب الشريعة فيهم... وكذلك يطلق "التحريف" على التغيير في الألفاظ وتبديلها. وقد حرف علماء بني إسرائيل معاني كلام الله ومفاهيمه كما حرفوا ألفاظه وكلماته"، واعتمد في هذا المعنى على السياق العام الذي وردت فيه الآيات التي تتحدث عن التحريف والتغيير اللذين كانا شيمة من شيم علماء بني إسرائيل الواضحة، وإليه ذهب جبهة من المفسرين أمثال: الزمخشري، وابن الجوزي، والبيضاوي، وغيرهم.^٥

١ روح المعاني: ٢٩٩/١.

٢ انظر: البحر المحيط: ٤٣٩/١، وروح المعاني: ٢٩٧/١.

٣ تفسير ابن عطية: ١٦٧/١.

٤ انظر: المحرر الوجيز: ١٦٧/١، والبحر المحيط: ٤٣٩/١.

٥ انظر: الكشاف: ١٥٦/١.

٦ انظر: زاد المسير: ٨٠٨.

٧ انظر: أنوار التنزيل: ٨٩/١.

الأدلة:

(١) هو قول الجمهور. يقول الإمام ابن جزى أثناء حديثه عن وجوه الترجيح في مقدمة تفسيره: "أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين: فإن كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه".^١

(٢) السبق.

(٣) عدم تعرضه للرد والنقد.

ويؤيد هذا القول القاعدة الترجيحية التالية:

"تفسير جمهور السلف مقم على كل تفسير شاذ".^٢

"إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما، إلا بدليل يجب التسليم له".^٣

١ ينظر: تفسير النسفي: ١٠٢/١، وتفسير العنبري: ٣٢٢/١، وتفسير الجلالين: ١٦/١، وتفسير الألوسي: ٢٩٧/١، وتفسير المراتبي: ١٤٩/١، وفي ظلال القرآن للسيد قطب: ٨٤/١، والتفسير الميسر لندبة من أساتذة التفسير: ١١/١، والوسيط لططاوي: ١٧٩/١، والتفسير المنير لوجهة الزحيلي: ١٩٦/١، والمختصر في تفسير القرآن الكريم لجماعة من علماء التفسير: ١١/١.

٢ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٣/١.

٣ نواعد الترجيح عند المفسرين للحرمي: ٢٨٧/١.

* المصدر السابق: ١٢٥/١.

الآية:

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْهِخُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَقْنَهُنَّ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾

مسألة:

ما المراد بـ "ما" في قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ في الآية؟

قال الإمام المودودي - رحمه الله -: "قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم كان اليهود ينتظرون مبعث رسول ورد ذكره في كتبهم بلهفة وشوق. وكانوا يبالغون في الدعاء والتضرع ليعجل في بعثة هذا الرسول ليخلصهم من غلبة الكفار وليعطي من شأنهم. وكان أهل المدينة قبل مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم يشاهدون لهفة اليهود وشدة شوقهم وانتظارهم لهذا النبي القادم. فقد كان أمل قلوبهم يهب لهم الحياة، ويثبت فيهم الرجاء، وبه كانوا يهددون أعداءهم، فطالبوا ردوا على مسامع أهل المدينة: "لا بأساً فلتظلموا علينا كما يجلو لكم، ولما يأتي الرسول النبي وعدنا به فسوف نتقم من كل من ظلمنا". لقد سمع أهل المدينة هذا التهديد منهم مرات وكرات. ولما بُعث الرسول صلى الله عليه وسلم وسمع به أهل المدينة وعرفوا فيه تلك الصفات التي كان اليهود يتصفون بها قالوا فيما بينهم: هلموا إليه وإياكم ثم إياكم أن يستفكم اليهود. هيا نؤمن به قبل اليهود لكن ظل هذا الأمر موضع استغراب. وتعجب منهم أن وجدوا نفس اليهود الذين كانوا في أشد الانتظار لمقدم هذا الرسول انقلبوا عليه جملة واحدة وآلوا على أنفسهم أن يمحذوه وأن يعادوه.

وتشهد وقائع كثيرة حدثت في تلك الفترة، على أنهم عرفوا الرسول صلى الله عليه وسلم حق معرفته، ولم يكونوا في شك من أمره أبداً. ولعل من أقوى تلك الأدلة هي تلك الشهادة التي

١ ومن هذه الوقائع ما ذكره ابن هشام في سيرته حيث يقول: "قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَ يَمِينًا بِلُغْنِي عَنْ عِزْرَةِ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، أَوْ عَنْ سَعِيدِ ابْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ يَهُودَ كَانُوا يَسْتَفْهِخُونَ عَلَى الْأَوْسِيِّ وَالْخَزْرَجِيِّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ مَبْعَثِهِ، فَلَمَّا بَعَثَهُ اللَّهُ مِنَ الْمَدِينَةِ كَفَرُوا بِهِ، وَجَحَدُوا مَا كَانُوا يَقُولُونَ بِهِ. فَقَالَ لَهُمْ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: وَيَسِّرُ بْنُ الْبَرَاءِ بْنُ مَعْرُورٍ، لَخُو بَنِي مَكِيَّةَ بِأَحْسَرِ يَهُودَ، انْقَبُوا إِلَيْهِ وَسَلِّمُوا، فَقَدْ كُنْتُمْ تَسْتَفْهِخُونَ عَلَيْنَا بِسُحْمٍ وَلَخْنٍ أَهْلُ شِرْكٍ، وَتُخَيِّرُونَنَا أَنَّهُ مَبْعُوثٌ، وَتُصِفُونَهُ لَنَا بِصِفَتِهِ، فَقَالَ مُلَامُ بْنُ مِشْكَمٍ، أَحَدُ بَنِي النُّضَيْرِ: مَا جَاءَنَا بِشَيْءٍ نَعْرِفُهُ، وَمَا هُوَ بِأَلْيَِّ كُنَّا نَذْكُرُهُ لَكُمْ، فَأَنزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ مِنْ

شهدت بها أم المؤمنين صفية رضي الله عنها. فقد كانت صفية بنت أحد علماء اليهود، وكان عمه كذلك من أبرز علماء القوم. فهي تقول: لما قدم الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة، ذهب أبي وعمي للقائه وتحدثا معه طويلاً، ولما عادا إلى البيت سمعتهما يتحدثان فيما بينهما. فقال عمي: ما رأيك أحقاً هو ذلك النبي الذي ورد ذكره في كتبنا؟ فقال أبي: إيه والله، إنه هو. فقال عمي: هل أنت موقن لما تقول؟ فقال أبي: نعم. فقال عمي: فماذا ستصنع؟ فرد أبي: والله لأعادين دعوته ولأخالفن أمره ما بقي في رمي من الحياة. (انظر: ابن هشام، الجزء الثاني، ص/١٦٥، الطبعة الجديدة) ٢١.

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام يتضح أنه ذكر قولاً واحداً في المراد بـ "ما" في قوله: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْهِمُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا. فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ ٢١. إلا أنني وجدت أربعة أقوال للمفسرين في المراد بـ "ما" في الآية المذكورة، أذكرها هنا باختصار على الوجه التالي:

قوله: ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْهِمُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا. فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ ٢١. (السيرة النبوية لعبد الملك بن هشام بن أبوب الحسيري الماعري، أبو محمد، جلد الدين: ٥٤٧/١، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبهاري وحيد الحفيظ النيلي، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر).

١ عبارة السيرة النبوية لابن هشام: "قل ابن إسحاق: وحديثي عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن نسيب: حدثني عن صفية بنت حيي بن أخطب أنها قالت: كنت أحب ولد أبي إلي، وإلى عمي أبي ياسر، لم ألقهما قط من قبل، وكانا لهما إلا أخطائي دونه. قالت: فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، ونزلت فيه، في بني عمرو بن عوف، غذا علي أبي، حيي بن أخطب، وعمي أبو ياسر بن أخطب، مغلسين. قالت: فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس. قالت: فأتينا كائناً كسلاًتين ساقطين بمشايك الهولتين. قالت: فهشمت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما التفت إلي واحد منهما مع ما بهما من القم. قالت: وسيفت عمي أبا ياسر، وهو يقول لأبي حيي بن أخطب: أمر هو؟ قل: نعم والله. قل: أنكرته وتلقته؟ قل: نعم. قل: فما في نفسك منه؟ قل: عداوته والله ما بقيت". المصدر السابق: ٥١٧-٥١٩.

٢ تفهيم القرآن: ٩٦/١-٩٤.

القول الأول: يراد به محمد صلى الله عليه وسلم، أي: فلما جلتهم النبي صلى الله عليه وسلم - الذي عرفوه حق المعرفة بنعته وصفته، كفروا به.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري^١، والقرطبي^٢، والبيضاوي^٣، وغيرهم^٤.

القول الثاني: يراد به الكتاب، أي: فلما جاءهم الكتاب الذي عرفوه كفروا به.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: أبو حيان الأندلسي، والألوسي، والطاهر بن عاشور^٥.

القول الثالث: يراد به الكتاب والنبي، أي: فلما جاءهم الكتاب والنبي الذين عرفوهما كفروا بهما.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: السعدي، والطاهر بن عاشور^٦.

القول الرابع: يراد به الحق ويخرج تحته القرآن، والإسلام، ومحمد صلى الله عليه وسلم، أي: فلما جاءهم ما عرفوا من القرآن وما تضمنته، والإسلام، ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم - كفروا بكل ذلك.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن جزى، وأبو حيان الأندلسي، والألوسي^٧.

التعليق: يتضح من الدراسة المذكورة أنَّ هناك أربعة أقوال في المسألة، والإمام المحدثي ذكر واحدا منها وركز عليه مما يدلُّ على أنَّه هو الراجح لديه، وهو أنَّ المراد بـ "ما" المذكورة في الآية، "نبينا محمد صلى الله عليه وسلم" - حيث أنَّهم عرفوه حق معرفته، ولم يكتفوا في شك من أمره أبداً، ويستدلُّ على رأيه بأنَّ اليهود قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم - الذي ورد ذكره في كتبهم في شبه شوق وانتظاره وبالعُيون في الدعاة ليعجل في بعثه ليخلصهم من

١ انظر: جامع البيان: ٣٣٦/٢ وما بعدها.

٢ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٧/٢.

٣ انظر: أنوار التنزيل: ٩٣/١.

٤ ينظر: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٤٨٧/١، وتفسير ابن كثير: ٣٢٥/١ وما بعدها، والتفسير المظهري لشأنه الله المظهري: ٩٥/١، وتفسير الألوسي: ٣٢٠/١.

٥ انظر على التوالي: البحر المحيط: ٤٨٧/١، وروح المعاني: ٣٢٠/١، والتحرير والتنوير: ٦٠٧/١.

٦ انظر: تيسير الكريم المنان في تفسير كلام المنان: ٥٨/١، والتحرير والتنوير: ٦٠١-٦٠٢.

٧ انظر على التوالي: التسهيل لعلوم التنزيل: ٨٩/١، والبحر المحيط: ٤٨٧/١، وروح المعاني: ٣٢٠/١.

غلبة عدوهم، ويهددون عدوهم بمجتيه - صلى الله عليه وسلم - وكان أهل المدينة يشاهدون شوقهم وانتظارهم لهذا النبي ويمضد رأيه بواقعة من وقائع تلك الفترة، ويعتبرها من أقوى الأدلة لأنها الشهادة التي شهدت بها أم المؤمنين صفية - رضي الله عنها^١، وإليه فعب جمهور المفسرين: أمثال: الطبري^٢، والبخوي^٣، والقرطبي^٤، وغيرهم.

الأدلة:

(١) هو قول الجمهور

(٢) الخبر: "قال ابن جرير: حدثني ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال، حدثني ابن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري، عن أشياخ منهم قالوا: فينا والله وفهمهم - يعني في الأنصار، وفي اليهود - الذين كانوا جيرانهم - نزلت هذه القصة - يعني: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْهِمُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قللوا: كنا قد علوناهم دهرًا في الجاهلية - ونحن أهل الشرك وهم أهل الكتاب - فكانوا يقولون: إن نبيا الآن مبعثه قد أظل زمانه يقتلكم قتل عاد وإرم، فلما بعث الله - تعالى ذكره - رسوله من قريش واتبعناه كفروا به، يقول الله: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا حَرَّوْا كَفَرُوا بِهِ﴾".

١ لم أذكر عبارة "تفهيم القرآن" لطوله.

٢ انظر: جامع البيان: ٣٣٢/١ وما بعدها.

٣ انظر: معالم التنزيل: ١٤٢/١.

٤ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٧/٣.

٥ ينظر: تفسير البيضاوي: ٩٣/١، وتفسير الخازن: ٦٠/١، وتفسير ابن كثير: ٣٢٥/١ وما بعدها، وتفسير الجلالين: ١٩٧/١، والتفسير المظهر لثناء الله المظهر: ٩٥/١، وتفسير المراهي: ١٦٧/١، والتفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب: ٩٠٩/١، وأوضح التفاسير لعمد عبد اللطيف الخطيب: ١٧١/١، وصفوة التفاسير للمصابوني: ٦٧/١، والمختار لوحة الزحيلي: ٢١٩/١.

٦ جامع البيان: ٣٣٢/١-٣٣٣.

٧ يعلق الشيخ أحمد على هذا الخبر في هامش تفسير الطبري، حيث يقول: "الخير: ١٥١٩ - هذا له بحكم الحديث المرفوع، لأنه حكاية عن وقائع في عهد النبوة كانت سببًا لنزول الآية، تشير الآية إليها، المرجح أن

ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

"تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ".^٢

"إذا صح سبب نزول الصريح فهو مرجح لما وافقه من أوجه التفسير".^٣

يكون موصولاً. لأن عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري الظفري المدني: تابعي ثقة، وهو يحكي عن "أشياخ منهم"، فهم آله من الأنصار. وعن هذا رجحتنا انصالة". جامع البيان: ٢/٣٣٦.

١ وقد أورد هذا الخبر الإمام ابن هشام في سيرته والإمام ابن كثير في تفسيره أيضاً. (السيرة النبوية لابن هشام: ٥٤١/١-٥٤٢، وتفسير القرآن العظيم: ٣٢٥/٨).

٢ قواعد الترجيح عند المفسرين للعصريين: ٢٨٨/١.

٣ المصدر السابق: ٢٤٦/٨.

الآية:

وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ
الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾

مسألة:

ما المراد بـ "الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ" في الآية؟

قال الإمام المودودي -رحمه الله-: "أي مشركي العرب".^١

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي -رحمه الله- يتضح بجلاء أنه عرض قولاً واحداً في المراد بـ "الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ" في قوله تعالى: "وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ"، إلا أنني وجدت أن للمفسرين خمسة أقوال في معنى "الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ" الوارد في الآية المذكورة. أذكرها هنا على وجه الإجمال:

القول الأول: يراد بـ "الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ" كفار العرب ومشركيهم الذين لا كتاب لهم. قالوا في نبينهم محمد صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ليسوا على شيء.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري^٢، وابن عطية^٣، وابن الجوزي^٤، وغيرهم.

القول الثاني: يراد بـ "الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ" أمم كانت قبل اليهود والنصارى.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري^٥، وابن عطية^٦، وابن الجوزي^٧، وغيرهم.

١ تفهيم القرآن: ١٠٤/١.

٢ انظر: جمع البيان: ١٧/٢.

٣ انظر: البحر الوحي: ٦٥/١.

٤ انظر: زاد المعاد: ١٠٢/٨.

٥ ينظر: التفسير الكبير للرازي: ١٠/٤، وتفسير القرطبي: ٧/٢، وتفسير ابن جزي: ٩٤/١، والبحر المحيط لأبي

حيان الأندلسي: ٥٦٥/١، وتفسير ابن كثير: ٢٨٧/١، وتفسير الشوكاني: ١٥٢/١، وبيان القرآن لأشرف على

التهاتوي: ٤/١، وتفسير القرآن الكريم لعبد السلام الرستغبي: ص ٤٢.

وذكره الإمام الحازن بصيغة التمريض^١.

القول الثالث: يراد بـ "الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ" عوام اليهود والنصارى الذين لا علم عندهم.

وذكر هذا القول ورد عليه الرازي قائلا: "وَيَحْمِلُ قَوْلُهُ: كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ عَلَى عَوَامِهِمْ قَصْلاً بَيْنَ حَوَاصِّهِمْ وَعَوَامِهِمْ، وَالْأَوَّلُ أَقْرَبُ؛ لِأَنَّ كُلَّ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى دَخَلُوا فِي النَّبِيِّ فَمَنْ نَبِيٌّ عَنْهُمْ يَقُولُ: كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ يَحِبُّ أَنْ يَكُونَ غَيْرَهُمْ"^٢.

وذكره بصيغة التمريض: الشوكاني^٣.

القول الرابع: يراد بـ "الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ" اليهود

يذكر هذا القول ورد عليه القاضي ابن عطية قائلا: "وقيل قوم: المراد اليهود وكأنه أعيد قولهم". قال القاضي أبو محمد- يريد به ابن عطية-: "وهذا ضعيف"^٤. وذكره أبو حيان الأندلسي أيضاً.

القول الخامس: يراد بـ "الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ" كل من مشركي العرب وأمم كانت قبل اليهود والنصارى وغيرهم الذين لا علم عندهم ولا كتاب قالوا لأهل كل دين: ليسوا على شيء. وعن ذكر هذا القول من المفسرين ورجحه الأئمة الطبري^٥، والبيضاوي^٦، وابن كثير^٧.

١ انظر: جامع البيان: ٥١٧/٢.

٢ انظر: المحرر الوجيز: ١٦٥/٤.

٣ انظر: زاد المسير: ١٠٢/٤.

٤ التفسير الكبير: ١٠/٤.

٥ ينظر: التفسير الكبير للرازي: ١٠/٤، وتفسير القرطبي: ٧٧/٢، وتفسير الحازن: ٧٦/٨، وتفسير ابن جزي: ٩٤/٨، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٥٦٥/٨، وتفسير ابن كثير: ٢٨٧/٨.

٦ انظر: لباب التاميل في معاني التنزيل: ٧٦/٨.

٧ التفسير الكبير: ١٠/٤.

٨ انظر: فتح القدير: ٥٢/٨.

٩ المحرر الوجيز: ١٩٩/٨.

١٠ البحر المحيط: ٥٦٥/٨.

١١ انظر: جامع البيان: ٥١٧/٢.

١٢ انظر: تفسير القرآن العظيم: ٣٨٧/٨.

التعليق: وهكذا يتبين من القراءة في السطور السابقة أن الشيخ المودودي - رحمه الله - اختار من بين عدة أقوال ذكرها المفسرون قولاً واحداً، ولم يولِ الأقوال الأخرى اهتماماً كبيراً عما يدل على أن القول الذي ذكره راجح عنده، وهو أن يكون المراد بهؤلاء "مشركو العرب"، وإلى ذهب جمهور المفسرين أمثال ابن عطية، والوازي، والقرطبي، وغيرهم.

الأدلة:

١) **القرآن:** **إِطْلُقِ اللَّيْنُ لَا يَعْلَمُونَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ وَارِدٌ فِي الْقُرْآنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:**
وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ يَذِلُّ قَوْلِهِ: كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ يعني كَذَلِكَ قَالَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، وَالْمَعْنَى هُنَا أَنَّ
الْمُشْرِكِينَ كَذَّبُوا الْآيَاتِ كُلَّهَا الْيَهُودِيَّةَ وَالنَّصْرَانِيَّةَ وَالْإِسْلَامَ وَالْمَقْصُودُ مِنَ التَّشْبِيهِ
تَشْبِيهُ الْمُشْبُو بِهِ بِأَنَّهُ مُشَابِهٌ لِقَوْلِ أَهْلِ الضَّلَالِ الْبَحْتِ. وَهَذَا اسْتِطْرَافٌ لِلإِخْتِصَافِ
عَلَى الْمُشْرِكِينَ عِيماً قَابِلُوا بِهِ الدَّعْوَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ، أَيْ قَالُوا لِلْمُسْلِمِينَ مِثْلَ مَقَالَةٍ
أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ وَقَدْ حَكَى الْقُرْآنُ مَقَالَتَهُمْ فِي قَوْلِهِ: إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ
اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ^١

١ انظر: المحرر الوجيز: ١٦٥/١.

٢ انظر: التفسير الكبير للرازي: ١٠/٤.

٣ الجامع لأحكام القرآن: ٧٢/٢.

٤ ينظر: تفسير الخازن: ٧٨/١، وتفسير ابن جزي: ٩٤/١، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٥٦٥/١، وتفسير الشوكاني: ١٥٢/١، والتفسير الواضح لمصود الحجازي: ٦٧٨، وتفسير الطاهر بن عاشور: ٦٧٧/١، والموسوعة القرآنية لمبدع الكريم الخطيب: ١١٠/٩، وصفوة التفسير للصافي: ٧٨/١.

٥ سورة البقرة، الآية ١١٨.

٦ سورة البقرة، الآية ١١٨.

٧ سورة الأنعام، الآية ٩١.

٨ تفسير الطاهر بن عاشور: ٦٧٧/١ بتصرف يسير.

يقول الإمام ابن جزري عن هذا الجانب: "تفسير بعض القرآن ببعض فهذا دلّ موضع من القرآن على المراد بموضع آخر حملته عليه ورجعنا القول بذلك على غيره من الأقوال".^١

- (٢) هو قول جمهور المفسرين: يقول الإمام ابن جزري في مقدمة تفسيره: "أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين: فإن كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه".
(٣) القرينة في السياق المراد بهم مشركو العرب وكفارهم؛ لأنهم لا كتاب لهم، فهم لا يعلمون.

يقول الإمام الرازي: "وَالأَوَّلُ أَقْرَبُ: لِأَنَّ كُلَّ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى دَخَلُوا فِي اللَّيَّةِ فَمَنْ مَيَّزَ عَنْهُمْ يَقُولُ: كَذَلِكَ قَالِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ غَيْرَهُمْ". قَوْلُهُ: كَذَلِكَ قَالِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ بِمِثْلِ قَوْلِهِمْ أَيْ يُشَبِّهُ هَذَا الْقَوْلُ قَوْلَ فَرِيقٍ اخْتَرَا غَيْرَ الْفَرِيقَيْنِ وَهُؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ هُمْ مُقَابِلُ الَّذِينَ يَتْلُونَ الْكِتَابَ وَأُرِيدَ بِهِمْ مُشْرِكُو الْعَرَبِ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ لِأَنَّهُمْ أُمِّيُونَ. ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

- "القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عديم ذلك".
"تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ".
"القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه".

١ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩٨.

٢ انظر: تفسير ابن عطية: ١٩٩/٨، وتفسير القرطبي: ٧٢/٢، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٥٦٥/٢.

٣ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩٨.

٤ انظر: تفسير ابن عطية: ١٩٩/٨، تفسير القرطبي: ٧٢/٨، تفسير ابن جزري: ٩٤/٨.

٥ التفسير الكبير للرازي: ١٠/٤.

٦ تفسير الطاهر بن عاشور: ٦٧/٨.

٧ قواعد الترجيح عند المفسرين للحزبي: ٣٦٢/٨.

٨ المصدر السابق: ٢٨٨/٨.

٩ نفس المصدر السابق: ٢٩٩/٨.

الآية

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (١٢١)

المسألة:

ما المراد بـ "الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ" في الآية؟

قال الإمام المودودي -رحمه الله-: "هذه إشارة إلى الصالحين من أهل الكتاب حيث يتلون كتاب الله في صلق وصلاح ويؤدون حق تلاوته فهم يعترفون بكل حق يجدونه في كتاب الله ويقررون ويؤمنون به".^١

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي -رحمه الله- يتضح أنه عرض قولاً واحداً في المراد بـ "الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ" في قوله تعالى: "الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ" إلا أنني وجدت أنه للمفسرين أربعة أقوال في معنى "الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ" الوارد في الآية المذكورة، أذكرها هنا على وجه الإجمال على النحو التالي:

القول الأول: يراد بهم من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم - وبما جاء به من أصحابه وأئمة. ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، وابن عطية، والمرزي، وغيرهم.

القول الثاني: يراد بهم من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم - من أهل الكتاب (اليهود والنصارى) كعبد الله بن السلام وأضرابه. ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، وابن عطية، والرازي، وغيرهم.

١ تطهيم القرآن: ١٠٧/٨.

٢ انظر: جامع البيان: ٥٦٤/٢.

٣ انظر: المحرر الوجيز: ٢٠٤/٨.

٤ انظر: التفسير الكبير: ٣٠/٤.

٥ ينظر: تفسير القرطبي: ٩٥/٣، وتفسير ابن جزي: ٩٧٨، وتفسير ابن كثير: ٤٠٣/١، وتفسير الشوكاني: ١٥٨/٨.

٦ انظر: جامع البيان: ٥٦٤/٢ - ٥٦٥.

٧ انظر: المحرر الوجيز: ٢٠٤/٨.

القول الثالث: يراد بهم الأربعون الذين وردوا مع جعفر بن أبي طالب في السفينة حين قدموا من الحبشة فأسلموا فأنشئ الله عليهم. وعن ذكر هذا القول من المفسرين: وابن عطية، وأبو حيان الأندلسي، والألوسي.

ومن الجدير بالذكر أن الإمام الألوسي ذكره بصيغة التعميم.

القول الرابع: يراد بهم مؤمنون من أهل الكتاب والمؤمنون من العرب جميعا. وعن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية، والقرطبي، وابن جزي.

التعليق: وهكذا يتبين من القراءة في السطور السابقة أن الشيخ الموحدي - رحمه الله - اختار من بين عدة أقوال ذكرها المفسرون قولاً واحداً، ولم يول الأقال الأخرى اهتماماً كبيراً مما يدل على أنه القول الذي ذكره راجح عنده، وهو أن يكون المراد بهؤلاء "الصلحين من أهل الكتاب"، فيقول: "هذه إشارة إلى الصالحين من أهل الكتاب حيث يتلون كتاب الله في صلح وصلاح ويؤدون حق تلاوته، فهم يعترفون بكل حق يجدونه في كتاب الله ويقررون ويؤمنون به". وإلى ذهب جمهور المفسرين أمثلة الطبري، والزغشري، والبيضاوي، وغيرهم.

الأدلة:

(١) قول جمهور المفسرين.

- ١ انظر: التفسير الكبير: ٣٠/٤.
- ٢ ينظر: تفسير القرطبي: ٩٥/٢، وتفسير البيضاوي: ١٠٢/١، وتفسير ابن جزي: ٩٧/١، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٥٩٧/٨، وتفسير ابن كثير: ٤٠٩/١، وتفسير الألوسي: ٣٧٠/٨.
- ٣ انظر على التوالي: المحرر الوجيز: ٢٠٤/٨، والبحر المحيط: ٥٩٧/٨، وروح المعاني: ٣٧٠/٨.
- ٤ انظر على التوالي: المحرر الوجيز: ٢٠٤/٨، والجامع لأحكام القرآن: ٩٥/٢، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٩٦/٨.
- ٥ انظر: جامع البيان: ٥٦٤/٢.
- ٦ انظر: الكشاف: ١٨٣/٨.
- ٧ انظر: أنوار التنزيل: ١٠٢/١.
- ٨ ينظر: تفسير أبي السعود: ١٥٣/٨، وتفسير الألوسي: ٣٧٠/٨، وتفسير المراغي: ٢٠٥/١، وأوضح التفسير لمحمد عبد اللطيف بن الخطيب: ٣٢/٨، والتفسير الميسر لنخبة من أساتذة التفسير: ١٩/١، وصفوة التفاسير للصابوني: ٨١/١.

(٢) **السياق:** يقول الإمام الطبري ما معناه: هذا القول أولى بالصواب لأن الآيات التي قبلها عن أحوال أهل الكتاب ولم يكن فيها ذكر أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم - في الآية التي قبلها ولا في الآية التي بعده، فيكون قوله: (الَّذِينَ آمَنُوا بِالْكِتَابِ) ، موجهة إلى الخبر عن أهل الكتاب، فتأويل الآية: الذين آمنوا بالكتاب الذي قد عرفته يا محمد - وهو التوراة - فأقروا به واتبعوا ما فيه، فصدقوا وآمنوا بملكه وبما جئت به من عندى، أولئك يتلون حتى تلاوته^١.

ويقول الإمام الرازي: "إِنَّ الْمَوَادَّ بِالَّذِينَ آتَاهُمُ الْكِتَابَ هُمُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالرُّسُولِ مِنَ الْيَهُودِ وَالذَّلِيلُ عَلَيْهِ أَنَّ الَّذِينَ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ هُمُ أَهْلُ الْكِتَابِ فَلَمَّا دُمَّ طَرِيقَتُهُمْ وَحَكَمَ عَنْهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ أَتْبَعَ ذَلِكَ بِمَذْهِبٍ مَنْ تَرَكَ طَرِيقَتَهُمْ بَلْ تَأْمَلَ التَّوْرَةَ وَتَرَكَ تَحْرِيفَهَا وَعَرَفَ مِنْهَا صِحَّةَ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ"^٢.

يقول الإمام ابن جزى أثناء حديثه عن وجوه الترجيح في مقدمة تفسيره: "أن يشهد بصحة القول ويملك عليه ما قبله أو ما بعده"^٣.

ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

"تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ"^٤.

"إجخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما، إلا بدليل يجب التسليم له"^٥.

١ المظنة: معجم البيان: ٥٦٥/٢.

٢ المصدر السابق.

٣ التفسير الكبير: ٣٠/٤.

٤ التمهيد لعلوم التنزيل: ١٩١.

٥ قواعد الترجيح عند المفسرين للحريزي: ٢٨٧١.

٦ المصدر السابق: ١٢٥/١.

الآية:

﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ

يَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾﴾

ما هو مرجع الضمير في "يَعْرِفُونَهُ" في الآية؟

قال الإمام المودودي: "هذا أسلوب يستعمله العرب في شيء يعرفه المرء تمام المعرفة، وليس عنده فيه أدنى شك أو ريب، فيقال عنه: بأنه يعرفه كما يعرف أبناءه أي: كما أنه لا يمكن أن يخطئ في معرفة أبنائه، فذلك هو يعرف هذا الشيء دون أن يراوده أي شك أو ريب فيه. فقد كان علماء اليهود والنصارى يعرفون جيدا بأن إبراهيم -عليه السلام- بنى الكعبة، وأن بيت المقدس بُني في زمن سيدنا سليمان -عليه السلام- أي بعد ألف وثلاثمائة سنة، وعندما فقط اتخذت قبلة، فقد كانوا يعرفون هذه الحقيقة التاريخية ولا يشكون فيها! "يعرفونه كما يعرفون أبناءهم".^١

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي يتبين أنه ذكر قولاً واحداً في عائد الضمير في "يَعْرِفُونَهُ" في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾﴾، وركز عليه مما يدل على أنه هو الراجح عنده، وهو اختياره، إلا أنني وجدت أن للمفسرين أربعة أقوال في مرجع الضمير "يَعْرِفُونَهُ" في الآية المذكورة، أذكرها هنا على النحو التالي:

القول الأول: الضمير في "يَعْرِفُونَهُ" عائد إلى أمر القبلة، والمعنى أنهم يعرفون أنها هي قبلةهم وقبلة إبراهيم وقبلة الأنبياء قبلك والنحوك إليها يعلم الله حق كما يعرفون أبناءهم. وعن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، وابن عطية، وابن الجوزي، وغيرهم.^٢

١ تفهيم القرآن ١/١٢٣-١٢٤.

٢ انظر: جامع البيان ٣/١٨٧.

٣ انظر: المحرر الوجيز ١/٢٢٣.

٤ انظر: زاد المسيرة ١/١٢٢.

٥ ينظر: التفسير الكبير للرازي ٤/١١٢، وتفسير ابن جزى ١/١٠٠، والتفسير المظهرى ١/١٢٥، وتفسير

الشوكاني ١/١٧٧.

وذكره بصيغة التمريض: الرزخسري، والقرطبي، والبيضاوي، وغيرهم.

ورده عليه العلامة الألوسي والشيخ الطاهر بن عاشر.

يقول العلامة الألوسي: "وقيل: ...الضمير للتحويل لدلالة مضمون الكلام السابق عليه، وفيه أن التشبيه يأبى ذلك لأن المناسب تشبيه الشيء بما هو من جنسه، فكان الواجب في نظر البلاغة حيثل كما يعرفون الصخرة".

ويقول الشيخ الطاهر بن عاشر: "...الضمير المتصوب في يعرفونه لا يعود إلى تحويل القبلة لأنه لو كان كذلك لصارت الجملة تكريرا لمتضمن قول: ﴿قَالُوا الَّذِينَ أَتَوْا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾".

القول الثاني: الضمير في "يعرفونه" عائد إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، والمعنى: أنهم يعرفون نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم - وصدق رسالته معرفة جليلة بمنته في كتبهم كما يعرفون أبناءهم.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية، وابن الجوزي، والوازي، وغيرهم.

وذكره بصيغة التمريض: الرزخسري، والقرطبي، والبيضاوي، وغيرهم.

١ انظر: الكشاف: ٢٠٤/١.

٢ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٦٧/١.

٣ انظر: أنوار التنزيل: ١١٢/١.

٤ ينظر: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٣٣/٢، وتفسير الألوسي: ٤١٧/١.

٥ روح المعاني: ٤١١/٨ بتصرف.

٦ سورة البقرة، الآية ١٤٤.

٧ التحرير والتنوير: ٣٩٢.

٨ انظر: المحرر الوجيز: ٢٣٣/١.

٩ انظر: زاد المسير: ١٣٣/١.

١٠ انظر: التفسير الكبير: ١١/٤-١١.

١١ ينظر: تفسير القرطبي، وتفسير البيضاوي: ١١٢/٨، وتفسير ابن جزي: ١٠٠/١، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٣٣/٢، وتفسير ابن كثير: ٤٦٢/٨، والتفسير المظهر: ١٤٥/٨، وتفسير الشوكاني: ١٧٧/١، وتفسير الألوسي: ٤١٧/١.

القول الثالث: الضمير في "يَعْرِفُونَهُ" عائد إلى القرآن والمعنى: أنهم يعرفون القرآن كما يعرفون أبناءهم.

وعن ذكر هذا القول من المفسرين: الإمام ابن جزي، والقاضي ثناء الله المظهري.^١ وذكره بصيغة التمريض من المفسرين: الزغشري، والبيضاوي، وأبو حيان الأندلسي.^٢ وذكره بصيغة التمريض ورد عليه الألوسي قائلا: "وقيل: ...الضمير للقرآن بدلعه حضوره في الأذهان، وفيه أن التشبيه يأبى ذلك لأن المناسب تشبيه الشيء بما هو من جنسه، فكان الواجب في نظر البلاغة حينئذ كما يعرفون التوراة".^٣

القول الرابع: الضمير في "يَعْرِفُونَهُ" عائد إلى العلم، والمعنى: أنهم يعرفون العلم كما يعرفون أبناءهم.

وعن ذكر هذا القول من المفسرين: القاضي ثناء الله المظهري، والعلامة الطاهر بن عاشور.^٤ وذكره بصيغة التمريض من المفسرين: البيضاوي، وأبو حيان الأندلسي، والألوسي.^٥ التعليق: يتبين من القراءة في الأسطر السابقة أن هناك أربعة أقوال في المسألة والإمام المودودي رجح الأول منها، وهو أن الضمير في "يَعْرِفُونَهُ" عائد إلى أمر القبلة، والمعنى أنهم يعرفون أنها هي قبلتهم وقبلة إبراهيم وقبلة الأنبياء، استنادا إلى السياق الذي وردت فيه الآيات الكريمة، وحر اختيار إمام المفسرين الطبري والإمام الشوكاني أيضا، إلا أنني أرجح القول الثاني، وهو أن الضمير في "يَعْرِفُونَهُ" عائد إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، والمعنى: أنهم يعرفون

١ انظر: الكشف: ٢٠٤/٨.

٢ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١١٢/٨.

٣ انظر: أنوار التنزيل: ١١٢/٨.

٤ بنظر: البحر المحوط لأبي حيان الأندلسي: ٣٣/٢، وتفسير الألوسي: ٤١١/٨.

٥ انظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ١٠٠/١، والتفسير المظهري: ٢٤٥/٨.

٦ انظر على التوالي: الكشف: ٢٠٤/٨، وأنوار التنزيل: ١١٢/٨، والبحر المحيط: ٣٣/٢.

٧ روح المعاني: ٤١٧/١ بتصرف.

٨ انظر: التفسير المظهري: ٢٤٥/٨، والحرير والتنوير: ٤٠/٢.

٩ انظر: أنوار التنزيل: ١١٢/٨، والبحر المحيط: ٣٣/٢، روح المعاني: ٤١٧/٨.

١٠ انظر: جامع البيان: ١٨٧/٣، وفتح المقدير: ١٧٧/٨.

نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم - وصدق رسالته معرفة جليلة بنعته في كتبهم كما يعرفون أبناءهم، وذلك لأدلة أخرى، وإليه ذهب جمهور المفسرين: أمثال: البيهقي، والزنجشيري، والرازي، وغيرهم.

الأدلة:

(١) الحديث: روي الإمام أحمد وابن ماجه، والحاكم وصححه عن عبد الله بن سلام، قال: لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم أنجقل الناس عليه، فكثرت فيمن أنجقل، فلما تبيئت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، فكان أول شيء سمعته يقول: " أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالأسنان، ينالوا الجنة بسلام ".

(٢) الاحتجاج للنفوي: وهو أن اللغة العربية دأبت على تشبيه الشيء بما هو من جنسه وهو الأنسب في قوله تعالى: ﴿كَمَا يَتَرَفَّوْنَ أَبْنَاءَهُمْ﴾.

١ انظر: معالم التنزيل: ٨٠/١.

٢ انظر: الكشف: ٢٠٤/١.

٣ انظر: التفسير الكبير: ١١٢/٤.

٤ ينظر: تفسير القرطبي: ١٦٢/٢، وتفسير البيضاوي: ١١٢/٨، وتفسير السفينة: ١٤١/٨، وتفسير الخازن: ٩٠/٨، وتفسير ابن كثير: ٤٦٢/٨، وتفسير الجلالين: ٣٠/٨، والتفسير المظهر: ١٤٥/٨، وتفسير الألوسي: ٤١٧/٨، وتفسير القاسمي: ٤٢٨/٨، وتفسير السعدي: ١٢٢/٨، والموسوعة القرآنية لإبراهيم بن إسحاق الأبيدي: ١٢٥/٩، والتفسير الميسر لنتيجة من أساتذة التفسير: ٢٣/٨، وأيسر التفاسير للجزائري: ١٢٨/٨.

٥ مسند الإمام أحمد بن حنبل لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني: ٢٠١/٣٩، برقم: (٢٣٧٨٤)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد الحسين التركي، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م، مؤسسة الرسالة، حديث عبد الله بن سلام، أحاديث رجال من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، والمستدرک: ١٤/٣، برقم: (٤٢٨٣)، كتاب المعجزة، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، ومن ابن ماجه لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن يزيد القزويني: ٣٩٧/٤، برقم: (٣٢٥١)، أبواب الأطعمة، باب إطعام الطعام، المحقق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، ومحمد كامل قره بللي، وعبد اللطيف حرز الله، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، الناشر: دار الرسالة العالمية، واللفظ للإمام أحمد.

٦ انظر: الكشف للزنجشيري: ٢٠٤/٨، وتفسير الألوسي: ٤١٧/٨.

٢) **قريضة السياق:** يقتضي التخصيص بأهل الكتاب في قوله تعالى: "الَّذِينَ آمَنُوا" ^١

الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ " أن تكون هذه المعرفة مستفادة من الكتاب، وقد

أجبر سبحانه في كتابه (القرآن) عن ذكر نعته صلى الله عليه وسلم - في النبوة

والإحليل، بخلاف الأقوال المذكورة التي لم يرد ذكرها فيهما.

وأضاف الإمام الرازي قائلا: "إِنَّ الْمُعْجِزَاتِ لَا تَدُلُّ أَوْلَ دَلَالَتِهَا إِلَّا عَلَى صِدْقِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ

السَّلَامُ، فَأَمَّا أَمْرُ الْقَبِيلَةِ فَذَلِكَ إِنَّمَا يَثْبُتُ لِأَنَّهُ أَحَدُ مَا جَلَّ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَ

صَرَفُهُ هَلِيقَ الْمُعْجِزَةِ إِلَى أَمْرِ النَّبُوَّةِ أَوَّلَى " ^٢

ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

"إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه" ^٣

"القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه" ^٤

١ انظر: التفسير الكبير للرازي ١/١٢٢، وتفسير الألوسي ١/١٧٨.

٢ التفسير الكبير: ١/١٢٢.

٣ قواعد الترجيح عند المفسرين للحرابي: ١/٢٠٦.

٤ المصدر السابق: ١/٢٩٩.

الآية:

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَشْهُارٍ أُخَرٍ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١٨٥)

المسألة:

هل الإفطار في السفر عزيمة أو رخصة؟

قال الإمام المودودي - رحمه الله -: "الصيام في السفر ترك لاختيار الإنسان، إن رأى أن يصوم صام، وإن لم يرد ذلك فله الاختيار. وقد كان يصوم بعض الصحابة الذين يرافقون الرسول صلى الله عليه وسلم في أسفاره ويفطر بعضهم، ولا ينكر فئة منهم على الأخرى. وحتى الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه كان يصوم في السفر أحياناً، ويفطر أحياناً، فقد حدث في

١ ولعله يشير إلى حديث أنس بن مالك أنه قال: «كُنَّا نُسَافِرُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَجِبِ الصَّائِمُ عَلَى الْمُفْطِرِ، وَلَا الْمُفْطِرُ عَلَى الصَّائِمِ» (صحيح البخاري: ٣٤/٣، برقم (١٩٤٧)، باب: لَمْ يَجِبِ اصْطِحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِي الصَّوْمِ وَالْإِفْطَارِ، كتاب الصوم، وصحيح مسلم: ٧٨٧/٢، برقم (١١١٨)، بَابُ جَوَازِ الصَّوْمِ وَالْمُفْطَرِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ لِلْمُسَافِرِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ إِذَا كَانَ سَفَرُهُ مَرَحَلَتَيْنِ فَاجْتَزَا، وَأَنَّ الْأَفْضَلَ لِمَنْ أَطَاعَهُ يَدًا ضَرْبُ أَنْ يَصُومَ، وَلِمَنْ يَشُقُّ عَلَيْهِ أَنْ يُفْطِرَ، كتاب الصيام، واللفظ للبخاري).

٢ من الروايات التي تدل عليها رواية أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال: «خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ فِي يَوْمٍ حَارٍّ حَتَّى يَضَعَ الرَّجُلُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ، وَمَا فِيْنَا صَائِمٌ إِلَّا مَا كَانَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَمِنْ رَوَاهُ» (صحيح البخاري: ٣٤/٣، برقم (١٩٤٥)، بَابُ إِذَا صَامَ أَيْضًا مِنْ رَمَضَانَ ثُمَّ سَافَرَ، كتاب الصوم، وصحيح مسلم: ٧٩٠/٢، برقم (١١٢٢)، بَابُ التَّغْيِيرِ فِي الصَّوْمِ وَالْمُفْطَرِ فِي السَّفَرِ، كتاب الصيام، واللفظ للبخاري)، ورواية ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ نَصَامٌ حَتَّى بَلَغَ عُسْفَانَ، ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ فَرَفَعَهُ إِلَى يَدَيْهِ لِيُرِيَهُ النَّاسَ فَاْفْطَرَ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ، وَذَلِكَ فِي رَمَضَانَ». لَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: «قَدْ صَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَفْطَرَ، فَمَنْ شَاءَ صَامَ وَمَنْ شَاءَ أَفْطَرَ» (صحيح البخاري: ٣٤/٣، برقم (١٩٤٨)، بَابُ مَنْ أَفْطَرَ فِي السَّفَرِ لِيُرَاهُ النَّاسُ، كتاب الصوم، وصحيح مسلم: ٧٨٥/٢، برقم (١١٢)، بَابُ جَوَازِ الصَّوْمِ وَالْمُفْطَرِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ

إحدى أسفاره صلى الله عليه وسلم أن سقط أحد الصحابة من شدة الإعياء واجتمع الناس حوله، فرأى الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك واستفسر عن أمره، فقليل له: إنه صائم، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: ليس هذا من البر! ^١

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يأمر أصحابه أن يفطروا في الغزوات لئلا يضعفوا أمام العدو، وليتقوا في الجهاد ^٢.

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام يظهر أنه ذكر قولاً واحداً في المراءى بقوله: ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَمِدَّةٌ مِنْ أَنْسَابٍ أُخْرَى﴾ في قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ الْهُدَى لِلْعَالَمِينَ وَيَتَذَكَّرُ فِي الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَمِدَّةٌ مِنْ أَنْسَابٍ أُخْرَى يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعُمَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ بما يدل على أنه

للمسافر في غير منسوبة إذا كان سفره مرحلتين فأكثر، وأن الأفضل لمن أطلقه بلا ضرر أن يصوم، ومن يشق عليه أن يفطر، كتاب الصيام، واللفظ للبخاري.

١ فيه إشارة إلى حديث جابر رضي الله عنه أنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَرَأَى رَجُلًا وَرَجُلًا قَدْ ظَلَّلَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: هَذَا هَذَا، فَقَالُوا: صَائِمٌ، فَقَالَ: أَلَيْسَ مِنَ الْبِرِّ الصَّوْمُ فِي السَّفَرِ؟ (صحيح البخاري: ٢٤٨٣، برقم (١٩٤٦)، باب قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَنْ ظَلَّلَ عَلَيْهِ وَاعْتَدَ الْحَرُّ أَلَيْسَ مِنَ الْبِرِّ الصَّوْمُ فِي السَّفَرِ، كتاب الصوم، وصحيح مسلم: ٨٨٧٢، برقم (١١١٥)، باب جواز الصوم والافطر في شهر رمضان للمسافر في غير منسوبة إذا كان سفره مرحلتين فأكثر، وأن الأفضل لمن أطلقه بلا ضرر أن يصوم، ومن يشق عليه أن يفطر، كتاب الصيام، واللفظ للبخاري).

٢ منها ما ذكر أبو سعيد الخدري في حديثه أنه قال (لما سئل عن الصوم في السفر): "سَأَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَكَّةَ وَنَحْنُ صِيَامٌ، قَالَ: فَتَزَلْنَا مَتَزِلًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكُمْ قَدْ ذَلُّتُمْ مِنْ عَذْوِكُمْ، وَالْفِطْرُ أَقْوَى لَكُمْ، فَكَانَتْ رُخْصَةً فَبَعَثْنَا مِنْ صَامٍ، وَبِئْسَ مَنْ أَفْطَرَ، ثُمَّ تَزَلْنَا مَتَزِلًا أُخْرَى، فَقَالَ: «إِنَّكُمْ مُصْبِحُونَ عَذْوَكُمْ، وَالْفِطْرُ أَقْوَى لَكُمْ، فَافْطَرُوا» وَكَانَتْ عَزْمَةً، فَافْطَرْنَا ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُنَا نَصُومُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي السَّفَرِ». (صحيح مسلم: ٨٨٧٢، برقم (١١٢٠)، باب أجر المفطر في السفر إذا قُوتل العجز، كتاب الصيام).

٣ تفهيم القرآن: ١٤٢/٨.

هو الواجب عنده، ووقع عليه اختياره إلا أنني وجدت أن المفسرين ذكروا قولين رئيسين في قوله:

﴿أَزْ عَلَيَّ صُفْرٍ قَصْدٌ مِّنْ أَكْبَارٍ أُخِّرَ﴾ في الآية المذكورة، أذكرهما هنا كالتالي:

القول الأول: ذهب جماعة من علماء الصحابة والتابعين إلى أنَّ الإفطار في السفر عزيمة، ومن صام في السفر فعليه القضاء في الحضر، وتنب هذا القول إلى ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما، وهو مذهب الظاهرية.

ويمن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، وابن عطية، والرازي، وغيرهم.

القول الثاني: ذهب أكثر الفقهاء إلى أنَّ الإفطار في السفر رخصة، فإن شاء المسافر صام وإن شاء أفطر، ومن صام في السفر فلا قضاء عليه في الحضر.

ويمن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، والرازي، وأبو حيان الأندلسي، وغيرهم.

ثم اختلف أصحاب هذا القول في المفاضلة بين الإفطار والصوم في السفر على ستة آراء التالية:

الرأي الأول: إنَّ الصيام أحب وأفضل من الإفطار لمن قدر عليه، وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه، والثوري، والشافعي، ومالك في بعض ما روي عنهما، وقال به أنس بن مالك.

١ انظر: جامع البيان: ٤/٤٦٠ وما بعده.

٢ انظر: المحرر الوجيز: ١/٢٥١.

٣ انظر: التفسير الكبير: ٥/٢٤٥.

٤ ينظر: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ١٨٥/٢-١٨٦، وتفسير ابن كثير: ١/٥٠٢، وتفسير الألوسي: ١/٤٥٥، وتفسير آيات الأحكام لمحمد علي السابح: ١/١٧٤، المحقق: ناجي سويدان، تاريخ النشر: ١/٢٠٠٦، المكتبة العصرية للطباعة والنشر.

٥ انظر: جامع البيان: ٣/٤٦٤.

٦ انظر: التفسير الكبير: ٥/٢٤٥.

٧ انظر: البحر المحيط: ٢/١٨٥.

٨ ينظر: تفسير ابن كثير: ١/٥٠٢، وتفسير الألوسي: ١/٤٥٥، وتفسير آيات الأحكام للسابح: ١/١٧٤.

وعثمان بن أبي العاص الثقفي من الصحابة وحجتهم قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾، وقوله: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾.

ومن ذكر هذا الرأي من المفسرين: ابن عطية، والرازي، والقرطبي، وغيرهم.

الرأي الثاني: إن الإفطار أحب وأفضل من الصيام أخذنا بالرخصة وهو مذهب الأوزاعي وأحمد وإسحاق، وقال به ابن عمر وابن عباس من الصحابة، ومن التابعين: ابن المسيب، والشعبي، وعمر بن عبد العزيز، وعلمه وقتادة، وحجتهم قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾.

ومن ذكر هذا الرأي من المفسرين: ابن عطية، والرازي، والقرطبي، وغيرهم.

الرأي الثالث: أفضل الأمرين في حقه أيسرهما، فإن كان الصيام أيسر عليه صام وإن كان الإفطار أيسر أفطر. وحجة أصحاب هذا القول قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾.

ومن ذكر هذا الرأي من المفسرين: الرازي، ووهبة الزحيلي.

١ سورة البقرة، الآية ١٨٥.

٢ سورة البقرة، الآية ١٨٤.

٣ انظر: الخمر الوجيز: ٢٥١/١.

٤ انظر: التفسير الكبير: ٢٤٧٥.

٥ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٨٠/٢.

٦ ينظر: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ١٨٦/٢، وتفسير ابن كثير: ٥٠٣/١، وتفسير الألوسي: ٤٥٥/١، وتفسير

آيات الأحكام للمايس: ٧٥/١.

٧ سورة البقرة، الآية ١٨٥.

٨ انظر: الخمر الوجيز: ٢٥١/١.

٩ انظر: التفسير الكبير: ٢٤٧٥.

١٠ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٨٠/٢.

١١ ينظر: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ١٨٦/٢، وتفسير ابن كثير: ٥٠٣/١، وتفسير الألوسي: ٤٥٥/١.

١٢ سورة البقرة، الآية ١٨٥.

الرأي الرابع: إن شق الصيام على المسافر فالإفطار أفضل؛ لحديث جابر أنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَرَأَى رَحَامًا وَرَجُلًا قَدْ ظَلَّلَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «مَا هَذَا؟» فَقَالُوا: صَائِمٌ، فَقَالَ: «لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ الصَّوْمُ فِي السَّفَرِ».

ومن ذكر هذا الرأي من المفسرين: ابن كثير.

الرأي الخامس: الأمر في ذلك على التحخير، فالمسافر غير بين الصيام والإفطار، وهو جُلُّ مذهب الإمام مالك والشافعي، وحجتهم حديث أنس بن مالك أنه قال: «كُنَّا نَسَافِرُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَجِبِ الْمَصَائِمُ عَلَى الْمُفْطِرِ، وَلَا الْمُفْطِرُ عَلَى الْمَصَائِمِ».

ومن ذكر هذا الرأي من المفسرين: ابن عطية والقرطبي.

الرأي السادس: الصيام والإفطار سواء. وحجة أصحاب هذا القول حديث عائشة رضي الله عنها - أنها قالت: أَنَّ حَمْزَةَ بْنَ عَمْرِو الْأَسْلَمِيِّ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَصُومُ فِي السَّفَرِ؟ - وَكَانَ كَثِيرَ الصَّيِّمِ -، فَقَالَ: «إِنْ شِئْتَ فَصُمْ، وَإِنْ شِئْتَ فَافْطِرْ».

ومن ذكر هذا الرأي من المفسرين: ابن كثير.

التعليق: يتبين من القراءة في الدراسة السابقة أنَّ هناك قولين رئيسين في المسألة، والإمام المودودي - رحمه الله - رجح القول الثاني منها وهو: "أَنَّ الإفطار في السفر رخصة، والمسافر مخير بين الصيام والإفطار، فلا رأى أن يصوم صام وإن رأى أن يفطر فله ذلك"، وذلك استناداً إلى مجموعة من الأدلة وهي مستبعدة من الروايات:

١ انظر: التفسير الكبير: ٢٤٧/٥، والتفسير المنير: ٢٢٩/٢.

٢ سبق تخريجه.

٣ انظر: تفسير القرآن العظيم: ٥١٤/١.

٤ سبق تخريجه.

٥ انظر: المحرر الوجيز: ٢٥٧/١، الجامع لاحكام القرآن: ٢٨٠/٢.

٦ صحيح البخاري: ٣٣٣-٣٤، برقم (١٩٤٣)، تأييد الصَّوْمِ فِي السَّفَرِ وَالْإِفْطَارِ، كتاب الصوم، وصحيح مسلم: ٨٨٩٢، برقم (١١٢٨)، تَبَيُّنُ التَّخْيِيرِ فِي الصَّوْمِ وَالْإِفْطَارِ فِي السَّفَرِ، كتاب الصَّيِّمِ، واللفظ للبخاري.

٧ انظر: تفسير القرآن العظيم: ٥١٤/١.

(١) فعل الصحابة - رضي الله عنهم -: حيث كان يصوم بعض الصحابة الذين يرافقون الرسول صلى الله عليه وسلم - في أسفاره ويفطر بعضهم، ولا ينكر أحد منهم على الآخر، ولعله في هذا إشارة إلى حديث أنس بن مالك أنه قال: «كُنَّا نُسَافِرُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَعْجِبِ الصَّائِمُ عَلَى الْمُفْطِرِ، وَلَا الْمُفْطِرُ عَلَى الصَّائِمِ».

(٢) فعل النبي صلى الله عليه وسلم - نفسه حيث كان يصوم في السفر أحياناً ويفطر أحياناً. ومن الروايات التي تدلُّ عليها رواية أبي الثوراء رضي الله عنه، أنه قال: «خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ فِي يَوْمٍ حَارٍّ حَتَّى يَضْمَعَ الرَّجُلُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ، وَمَا فِينَا صَائِمٌ إِلَّا مَا كَانَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَابْنِ رَوَاحَةَ، وَرَوَاةُ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ، فَصَامَ حَتَّى بَلَغَ عُسْفَانَ، ثُمَّ دَعَا بِعَلٍّ فَرَفَعَهُ إِلَى يَتِيهِ لِيُرِيَهُ النَّاسَ، فَأَفْطَرَ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ، وَذَلِكَ فِي رَمَضَانَ». فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: «قَدْ صَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَفْطَرَ، فَمَنْ شَاءَ صَامَ وَمَنْ شَاءَ أَفْطَرَ».

(٣) قول النبي صلى الله عليه وسلم - لَمَنْ ظَلَّلَ عَلَيْهِ وَاشْتَدَّ الْحَرُّ "لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ الصَّوْمُ فِي السَّفَرِ": سقط أحد الصحابة في إحدى أسفاره صلى الله عليه وسلم من شدة الإعياء واجتمع الناس حوله، ورأه الرسول صلى الله عليه وسلم واستفسر عن أمره، فقيل له: بأنه صائم. فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: ليس من البرِّ الصيام في السفر، يشير الإمام المروزي فيه إلى حديث جابر أنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَرَأَى رَجُلًا وَرَجُلًا قَدْ ظَلَّلَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «مَا هَذَا؟»، فَقَالُوا: صَائِمٌ، فَقَالَ: «لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ الصَّوْمُ فِي السَّفَرِ».

(٤) أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بالإفطار في الغزوات للثقوية في الجهاد وعدم الضعف أمام العدو. منها ما ذكر أبو سعيد الخدري في حديثه أنه قال (لما سئل عن

١ سبق تخريجه أنفا.

٢ سبق تخريجه أنفا.

٣ سبق تخريجه أنفا.

٤ سبق تخريجه أنفا.

الصوم في السفر: "سَأْتَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَكَّةَ وَنَحْنُ صِيَامٌ قَلًا، فَتَزَلْنَا مَتَرًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكُمْ قَدْ دَنَوْتُمْ مِنْ عَذَابِكُمْ وَالْفِطْرُ أَقْوَى لَكُمْ» فَكَانَتْ رُخْصَةً فَمِنَّا مَنْ صَلَّمَ، وَمِنَّا مَنْ أَفْطَرَ، ثُمَّ قَرَلْنَا مَتَرًا آخَرَ، فَقَالَ: «إِنَّكُمْ مُصَبِّحُو عَذَابِكُمْ، وَالْفِطْرُ أَقْوَى لَكُمْ» فَافْطَرُوا» وَكَانَتْ غَزْمَةً فَافْطَرْنَا، ثُمَّ قَلَا، لَقَدْ رَأَيْتَا نَصُومَ، مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي السَّفَرِ»^١.
والرأي الثالث والرابع والخامس والستس من القول الثاني متقارب بعضه من بعض، حيث يدل كل واحد منه على جواز الصيام في السفر، وأمّا الرأي الأول والثاني من القول الثاني فيدلان على الرخصة أيضا إلا إن الأول يدل على أفضلية الصيام في السفر والثاني يدل على أفضلية الإفطار فيه، وإلى هذا القول الثاني ذهب جمهور المفسرين أمثال: الطبري^٢، والزمخشري^٣، والرازي^٤، وغيرهم^٥.

الأدلة:

- (١) إجماع الجميع على أن مريضا أو صام في رمضان اجزا عنه ولا قضاء عليه بعنة من أيام آخر، فكذلك المسافر في حكمه في أن لا قضاء عليه إن صام في سفره.
- (٢) دلالة النظم الكرومي: كتب صوم شهر رمضان على كل مؤمن محافرا كان أو مقلما لمعوم قوله الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾^٦.
ثم خفف الله تعالى عن المملوكين بقوله: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾^٧. أي: ومن كان مريضا أو على سفر فافطر برخصة الله تعالى فعليه صوم عدة أيام آخر.

١ سبق تخريجه

٢ انظر: جامع البيان: ٤٦٤/٣.

٣ انظر: الكشف: ٣٢٨/١.

٤ انظر: التفسير الكبير: ٢٤٥/٥.

٥ ينظر: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ١٨٥/٢، وتفسير ابن كثير: ٥٠٢/١، وتفسير الألوسي: ٤٥٥/١، وتفسير

آيات الأحكام للسليبي: ٧٤/١.

٦ انظر: تفسير الطبري: ٤٧٠/٣.

٧ سورة البقرة، الآية ١٨٣.

ثم قل في نفس الآية ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ . فهل فهم من الآية أن الفطر واجب على من لا يضره الصوم من المعدولين أصحاب الرخص؟^١

ثم قال تعالى في الآية التي تليها: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ . ولا عسر أعظم من أن يلزم من صيام في سفره عدة من أيام أخرى. فمفهوم الآية: أن الواجب الأصلي على الناس جميعا في رمضان الصيام والتحرر عنه رخصة من الله - عز وجل -^٢.

(٣) إن في الآية إضممارا، تقديره: ومن كان مريضا أو على سفر فأفطر برخصة الله فعليه صيام عدة أيام أخرى. والإضممار في كلام الله جائز، ونظيره قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا أَهْلَيْبَ إِمَّا نَأْتِيَنَّكَ أَلَمَّجُجَّاتٍ﴾ والتقدير: فَضْرَبَ فَأَنْفَجَرَتْ^٣ . والقضاء واجب بالإفطار لا بالمرض والسفر، فلما أوجب الله القضاء - والقضاء واجب بالإفطار -، دل على أنه لا بد من إضممار الإفطار^٤.

(٤) ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الإفطار في السفر رخصة لا عزم، وأنه صلى الله عليه وسلم صام في السفر وأفطر وخير بعض الصحابة بين الصوم والفطر. ومن الروايات التي تدل على هذا الأمر ما يلي:

١ سورة البقرة، الآية ١٨٤.

٢ انظر: تفسير الطبري: ٤٧٠/٣، وتفسير آيات الأحكام للسايس: ٧٥/١.

٣ انظر: تفسير آيات الأحكام للسايس: ٧٥/١.

٤ سورة البقرة، الآية ١٨٥.

٥ انظر: تفسير الطبري: ٤٧٠/٣.

٦ انظر: تفسير آيات الأحكام للسايس: ٧٥/١.

٧ سورة البقرة، الآية ٢٠.

٨ انظر: تفسير الطبري: ٤٧٠/٣، والتفسير الكبير للرازي: ٢٤٥/٥، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ١٨٦/٢.

٩ التفسير الكبير للرازي: ٢٤٦/٥.

(١) رواية عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: أن حمزة بن عمرو الأسلمي قال للنبي صلى الله عليه وسلم: الصوم في السفر؟ - وكان كثير الصيام - فقال: «إن شئت فصم، وإن شئت فافطر».

(٢) رواية حمزة بن عمرو الأسلمي رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله، أجدني قوة على الصيام في السفر، فهل علي جناح؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هي رخصة من الله، فمن أخذ بها فحسن، ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه».

(٣) رواية أنس بن مالك أنه قال: «كنا نسافر مع النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعب الصائم على المفطر، ولا المفطر على الصائم».

(٤) رواية أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال: «خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره في يوم حار حتى يضع الرجل يده على رأسه من شدة الحر، وما بيننا وبين مكة إلا ما كان من النبي صلى الله عليه وسلم، وابن رواحة».

(٥) رواية ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى مكة فصام حتى بلغ عسفان، ثم دعا بعاء فرقعه إلى يديه ليريه الناس، فافطر حتى قدم مكة، وذلك في رمضان»، فكان ابن عباس يقول: «قد صام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفطر، فمن شاة صام ومن شاة أفطر».

(٦) رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال (لا سهل عن الصوم في السفر): «سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة ونحن صيام، قال: فنزلنا منزلاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنكم قد دلوتم من عدوكم، والافطر أقوى لكم» فكانت رخصته فبنا من صام، وبنا من أفطر، ثم نزلنا منزلاً آخر، فقال: «إنكم مصبحو عدوكم»

١ سبق تخريجه.

٢ صحيح مسلم: ٧٩٠/١، رقم (١١٢١)، باب التخيير في الصوم والافطر في السفر، كتاب الصيام.

٣ سبق تخريجه.

٤ سبق تخريجه.

٥ سبق تخريجه.

وَالْفِطْرُ أَقْوَى لَكُمْ، فَافْطِرُوا^١ وَكَانَتْ عَزْمَةٌ، فَافْطَرْنَا، ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتَنَا نَصُومُ، مَعَ رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي السَّحْرِ^٢.

ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

"إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه"^٣.
"لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه"^٤.

١ سبق تخريجه.

٢ قواعد الترجيح عند المفسرين للحجوي: ٢٠٦/١.

٣ المصدر السابق: ١٢٧/١.

الآية:

﴿ الْحَيُّ أَشْهَرُ مَعْلُومَاتٍ فَمَنْ رَضَ فِيهِكَ الْحَيُّ فَلَا رَفْتَ وَلَا سُوءَ وَلَا جَدَالَ فِي الْحَيِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَسْلَمَهُ اللَّهُ وَتَسَرَّوْا فَلَا رَفْتَ خَيْرَ الزَّادِ الْقُفُوءُ وَتَقْفُونِ يَتَأَوَّلُ الْأَلْبَسُ (١٧) ﴾

المسألة:

ما المراد بـ "﴿ رَفْتَ ﴾" في الآية؟

قال الإمام المودودي رحمه الله: "لا يمنع العلاقات الزوجية بين المرأة وزوجها بعد ليس الإحرام فحسب، وإنما يمنع كذلك أي حليث يرغب في الشهوة أو تثير الغرائز الشهوانية في الإنسان".
دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي رحمه الله - يتجلى أنه ذكر قولاً واحداً في المراد بـ "﴿ رَفْتَ ﴾" في قوله تعالى: ﴿ الْحَيُّ أَشْهَرُ مَعْلُومَاتٍ فَمَنْ رَضَ فِيهِكَ الْحَيُّ فَلَا رَفْتَ وَلَا سُوءَ وَلَا جَدَالَ فِي الْحَيِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَسْلَمَهُ اللَّهُ وَتَسَرَّوْا فَلَا رَفْتَ خَيْرَ الزَّادِ الْقُفُوءُ وَتَقْفُونِ يَتَأَوَّلُ الْأَلْبَسُ (١٧) ﴾، إلا أن التسبّع في التفسير أثبت لي أن هناك ستة أقوال في المسألة، والتي ذكرها المفسرون، أذكرها هنا باختصار على النحو التالي:

القول الأول: يراد به الجماع.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، وابن عطية، وابن الجوزي، وغيرهم.

القول الثاني: يراد به الجماع وفادونه من التعريض به.

انفرد بذكر هذا القول من المفسرين: الإمام ابن الجوزي.

١ تفهيم القرآن: ١٥٥/١.

٢ انظر: جمع البيان: ١٢٩/٤.

٣ احرر الوجيز: ٢٧٢/١.

٤ انظر: زاد المسير: ١٦٥/١.

٥ ينظر: تفسير القرطبي: ٤٠٧/١، وتفسير البغوي: ١٣٠/١، وتفسير ابن جزي: ١١٥/١، والبحر المحيط لأبي حيان.

الأندلسي: ٢٨٠/٢، وتفسير ابن كثير: ٥٤٣/١، وتفسير الجلالين: ٤٢/١، والتفسير المظهري لشيخنا الله المظهري:

٢٢٨/١، وتفسير الألوسي: ٤٨٢/١.

٦ انظر: زاد المسير: ١٦٥/١.

القول الثالث: يراد به الإفحاش للمرأة بذكر أمر الجماع.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، وابن عطية، والقرطبي، وغيرهم.

القول الرابع: يراد به اللغو من الكلام.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية، وابن الجوزي، والقرطبي، وأبو حيان الأندلسي.

القول الخامس: يراد به كل ما يريد الرجل من أهله.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: القرطبي، وأبو حيان الأندلسي.

القول السادس: يريد به الجماع وما دونه من قول الفحش.

ومن انفرد بذكر هذا القول من المفسرين: الطبري وابن كثير.

التعليق: يتبين من القراءة في الدراسة المذكورة أن هناك ستة أقوال في المراد بـ "رفت" في الآية الكريمة، والإمام المودودي رجح القول السادس منها، وهو: "أن المراد به الجماع وما دونه من قول الفحش"، فيقول: "لا يمنع العلاقات الزوجية بين المرء وزوجه بعد ليس الإجماع فحشاً وإنما يمنع كذلك أي حديث يرغب في الشهوة أو تثير الفرائز الشهوانية في الإنسان"، إلا أنني أرجح أن كلمة "رفت" تنكح على جميع معانيه من الجماع، والإفحاش في المنطق، وغيره؛ لأنه لم يأت دليل بتخصيصه على بعض معانيه دون بعض، وذلك استناداً إلى ما رجحه إمام المفسرين الطبري.

الأدلة:

يجب حمل كلمة "رفت" على جميع معانيه؛ إذ لم يأت دليل بتخصيصه.

١ انظر: جامع البيان: ١/٢٥٩.

٢ انظر: المحرر الوجيز: ٢٧٢/٨.

٣ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٤/١٧٧.

٤ ينظر: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٢/٢٨١، وتفسير ابن كثير: ١/٥٤٤.

٥ انظر على التوالي: المحرر الوجيز: ٢٧٢/٨، وزاد السیر: ١/١٦٥، والجامع لأحكام القرآن: ٤/١٧٧، والبحر المحيط: ٢/٢٨١.

٦ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٤/١٧٧، والبحر المحيط: ٢/٢٨١.

٧ انظر: جامع البيان: ٤/١٢٧، وتفسير القرآن العظيم: ١/٥٤٤.

٨ انظر: جامع البيان: ٤/١٢٣-١٣٤.

يقول الإمام الطبري: "والصواب من القول في ذلك عندي أن الله جل ثناؤه نهى -من لرضى الحج في أشهر الحج- عن الرفث، فقال: "فمن فرض فيهن الحج فلا رفث". و"الرفث" في كلام العرب: أصله الإفحاش في المنطق... ثم تستعمله في الكتابة عن الجماع، فإذا كان ذلك كذلك وكان أهل العلم مختلفين في تأويله وفي هذا النهي من الله عن بعض معاني "الرفث" أم عن جميع معانيه؟ - وجب أن يكون على جميع معانيه...^١

ويؤيد هذا القول القاعدة الترجيحية التالية:

"يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص".^٢

١ جلتج المجلد: ١٣٣/٤ - ١٣٤.

٢ قواعد الترجيح عند المفسرين للمعري: ٥٢٧/٢.

الآية:

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْسِيكُمْ وَلَٰكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (١)

المسألة:

ما المراد بـ **بلغو اليمين** في الآية الكريمة؟

قال الإمام المودودي -رحمه الله-: "أي: ما يخرج على اللسان من الحلف دون القصد أو العادة، فلا يؤاخذ المرء على مثل هذه الأيمان ولا كفارة لها".^١

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي -رحمه الله- يظهر أنه ذكر قولاً واحداً في المراد بـ **بلغو اليمين** في قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْسِيكُمْ وَلَٰكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (٢)، إلا أن المتبع في التفسير يجد أقوالاً أخرى في المراد بـ **بلغو اليمين** أذكرها هنا على وجه الإجمال على النحو التالي:

القول الأول: هو ما يجري على لسان الحالف في درج كلامه واستعجاله في المحاورة عادة كقوله: لا، والله تارة، وبلى، والله تارة من غير قصد الحلف، ولا إبطال حق ولا إحقاق باطل، فلا يؤاخذ الله تعالى به في العاجل بقرض كفارة ولا في الأجل بعقابه. هذا هو قول الإمام الشافعي وأحد قولي الإمام مالك.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية، وابن العربي، وابن الجوزي، وغيرهم.

القول الثاني: هو حلف الحالف على يقينه، أو غلبة ظنه، فكشف الغيب خلاف ذلك. هذا هو قول الإمام أبي حنيفة، وأشهر قولي الإمام مالك.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، وابن عطية، وابن العربي، وغيرهم.

١ تفهيم القرآن: ١٧٨/١.

٢ انظر: التحرر الرجيز: ٣٠١/١.

٣ انظر: أحكام القرآن: ٢٤٧/١.

٤ انظر: زاد المسير: ١٩٤/١.

٥ بنظر: التفسير الكبير للرازي: ٤٣٦/١، وتفسير القرطبي: ٩٩٣، وتفسير ابن جزي: ١٢٧/١، وتفسير ابن كثير:

٦٠٧/١، والبحر المحيط لأبي حيان الأتلمسي: ٤٤٢/٢، وتفسير الشوكاني: ٢٦٥/١.

القول الثالث: هو حلف الخائف على ترك طاعة أو فعل معصية كقوله: لأشربن الخمر أو لأقطعن الرحم، فترك ذلك الفعل ولا كفارة عليه، وأضاف سعيد ابن جبير قائلا: "يكفر".
وعن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية وابن الجوزي وابن جزي.

القول الرابع: هو حلف الخائف في حال الغضب من غير قصد الحلف.
وعن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، وابن عطية، وابن الجوزي، وغيرهم.
ورد عليه: ابن العربي قائلا: "وَقَدْ بَيَّنَّ الْمُؤَلَّفَةُ بِالْقَصْدِ وَهُوَ كَسْبُ الْقَلْبِ، فَلَوْلَا أَنَّ اللَّفْظَ مَا لَنَا فَائِزَةٌ فِيهِ، وَتَخْرُجُ مِنَ اللَّفْظِ يَمِينُ الْغَضَبِ وَيَمِينُ الْمَعْصِيَةِ".

القول الخامس: هو أن يحرّم الرجل ما أحلّ الله تعالى أو يحلّل ما حرّم الله تعالى.
وعن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية، والقرطبي، وأبو حيان الأندلسي وابن كثير.
القول السادس: هو أن يدعّر الخالف على نفسه كقوله: أعمى الله بصري إن لم أفعل كذا وكذا ونحوه.

وعن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، وابن العربي، وابن عطية، وغيرهم.

١ انظر: جامع البيان: ٤٣٧/٤.

٢ انظر: المحرر الوجيز: ٣٠٧/١.

٣ انظر: أحكام القرآن: ٢٤٦/٨.

٤ ينظر: زاد المسير لابن الجوزي: ١٩٤/٨، والتفسير الكبير للرازي: ٤٣٧/١، وتفسير القرطبي: ٩٩٢، وتفسير ابن جزي: ١٢٧/١، وتفسير ابن كثير: ٦٠٩/٨، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٤٤٣/٢.

٥ انظر على التوالي: المحرر الوجيز: ٣٠٧/١، وزاد المسير: ١٩٤/٨، والتسهيل لعلوم التنزيل: ١٢٧/١.

٦ انظر: جامع البيان: ٤٣٧/٤-٤٣٨.

٧ انظر: المحرر الوجيز: ٣٠٧/١.

٨ انظر: زاد المسير: ١٩٤/٨.

٩ ينظر: تفسير ابن جزي: ١٢٧/١، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٤٤٣/٢، وتفسير ابن كثير: ٦٠٩/٨.

١٠ أحكام القرآن: ٢٤٢/٨.

١١ انظر على التوالي: المحرر الوجيز: ٣٠٧/٨، والجمع لأحكام القرآن: ١٠٠/٣، والبحر المحيط: ٤٤٣/٢، وتفسير القرآن العظيم: ٦٠٣/٨.

١٢ انظر: جامع البيان: ٤٤٤/٤.

القول السابع: هو اليقين المكفرة، أي إذا كفرت فسقطت وصاوت لغوا ولا يؤخذ الله تعالى بتكفيرها والرجوع إلى الذي هو خير.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن العربي، والرازي، وأبو حيان الأندلسي، وغيرهم.

القول الثامن: هو حلف الحالف على شيء يشاء.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، وابن العربي، وابن عطية، وغيرهم.

القول التاسع: هو يمين المكر.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية، والقرطبي، وأبو حيان الأندلسي.

القول العاشر: هو يمين المتبايعين يقول أحدهما: والله لا أبيعك بكذا، ويقول الآخر: والله لا أشتريه بكذا.

انفراد يذكر هذا القول من المفسرين: القرطبي، وأبو حيان الأندلسي.

القول الحادي عشر: هو حلف الحالف سهواً فلا يؤخذ الله تعالى به؛ لقوله تعالى بعد ذلك: ﴿

وَلَيْكُمُ الْيُؤَاخُذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ أَلَيْسَ الْيُؤَاخُذُكُمْ إِذَا تَعَمَّدْتُمْ

انفراد يذكر هذا القول من المفسرين: الرازي.

١. انظر: أحكام القرآن: ٢٤١/١.

٢. انظر: المحرر الوجيز: ٣٠٧/١.

٣. ينظر: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٤٤٣/٢، وتفسير ابن كثير: ٦٠٣/١.

٤. انظر على التوالي: أحكام القرآن: ٢٤١/١، والتفسير الكبير: ٤٢٨/١، والبحر المحيط: ٤٤٣/٢.

٥. انظر: جامع البيان: ٤٤٥/٤.

٦. انظر: أحكام القرآن: ٢٤١/١.

٧. انظر: المحرر الوجيز: ٣٠٧/١.

٨. ينظر: زاد المسير لابن الجوزي: ١٩٤/١، وتفسير القرطبي: ١٠٠/٣، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٤٤٣/٢.

وتفسير ابن كثير: ٦٠٣/١.

٩. انظر على التوالي: المحرر الوجيز: ٣٠٧/١، والجامع لأحكام القرآن: ١٠٧/٣، والبحر المحيط: ٤٤٣/٢.

١٠. انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٠٧/٣، والبحر المحيط: ٤٤٣/٢.

١١. انظر: التفسير الكبير: ٤٢٨/١.

التعليق: يتبين من القراءة في الدراسة المذكورة أنَّ هناك أحد عشر قولاً في المسألة، والإمام المودودي سرحه الله - ذكر واحداً منها وهو القول الأول ولم يذكر الأقوال الأخرى مما يدل على أنَّ القول الذي ذكره هو الراجح عنده، وهو: "أنَّ المراد بلفظ اليمين: ما يجري على لسان الحالف في درج كلامه واستعماله في المحاور، من غير قصد الحلف، ولا لإبطال حق ولا لإحقاق باطل، فلا يؤخذ الله تعالى به في العاجل ولا في الآجل"، فيقول: "أي: ما يخرج على اللسان من الحلف دون القصد أو العادة، فلا يؤخذ المرء على مثل هذه الأيمان ولا كفارة لها"، وإليه ذهب جمهرة من المفسرين أمثال: السمعاني، وابن الجوزي، والرازي، وغيرهم.

الأدلة

(١) القرآن: يقول الله تعالى: ﴿لَا يُؤْخَذُكُمْ اللَّهُ بِالَّذِي فِيمَا بَيْنَ يَدَيْكُمْ وَلَكِنْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّرتُمْ بِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَقُولُوا أَوْ كُفِّرَتْهُمْ أَوْ تَحْمِلُوا رِقَبًا فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَهَيِّئْ لِنَفْسِهِ أَيمَانًا ذَلِكَ كَفَرُهُ أَيْمَانُكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٨﴾﴾.

يقول الإمام الشوكاني: "وفي الآية دليل على أنَّ أيمان اللغو لا يؤخذ الله الحالف بها ولا تجب فيها الكفارة".

(٢) الأحاديث النبوية:

الرواية ١٦: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: "أَنْزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿لَا يُؤْخَذُكُمْ اللَّهُ بِالَّذِي فِيمَا بَيْنَ يَدَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥] فِي قَوْلِ الرَّجُلِ: لَا وَاللَّهِ وَتَلَى وَاللَّهُ".

١ انظر: تفسير القرآن: ٢٢٨/١.

٢ انظر: زاد المسير: ١٩٤/١.

٣ انظر: التفسير الكبير: ٤٣٧/١-٤٣٧.

٤ ينظر: تفسير الشوكاني: ٣٦٥/١، وتفسير المرافي: ١٦٠/٣، والتفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب:

٢٥٧/١، وأوضح المتأملين محمد عبد اللطيف الخطيب: ٤٢/١، وحدائق الروح والريحان لعماد الدين الغري:

٢٩٣/٣، والمختصر في تفسير القرآن الكريم لجامعة من علماء التفسير: ٣٧٨.

٥ فتح القدير: ٨١/٣.

الرواية ٢: وعنها أيضا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: اللغو في اليمين: "هو كلام الرجل في بيته، كلاً والله، وبلى والله".^١

٣) هو قول الجمهور.

يقول الإمام الشوكاني: "وقد ذهب الجمهور من الصحابة ومن تبعهم إلى أنها قول الرجل: لا والله وبلى والله في كلامه غير معتقده لليمين، وبه فسر الصحابة الآية وهم أعرف بمغايي القرآن".^٢

٤) السبان: تفسير لغو اليمين بالمعنى الأول هو المناسب لما قبل الآية.

يقول الرازي: "أنه سبحانه ذكر قبل هذه الآية: وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ [البقرة: ٢٢٤] وقد ذكرنا أن معناه النهي عن كثرة الحلف واليمين، وهؤلاء الذين يقولون على سبيل الباطل: لا والله وبلى والله لا شك أنهم يكثررون الحلف، فذكر تعالى عقيب قوله: وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ حَلَّ هؤلاء الذين يكثررون الحلف على سبيل الباطل في الكلام لا على سبيل القصد إلى الحلف، وبين أنه لا مؤاخلة عليهم، ولا كفارة، لأن إيجاب المؤاخلة والكفارة عليهم يفضي إما إلى أن يمتنعوا عن الكلام، أو يلزمهم في كل لحظة كفارة ويكلاًهما حرج في الدين فظهر أن تفسير اللغو بما ذكرته هو المناسب لما قبل الآية، فاما الذي قد أبو حنيفة رضي الله عنه فإنه لا يتناسب ما قبل الآية فكان تأويل الشافعي أولى".^٣

٥) الاحتجاج اللغوي: مطابقتها للمعنى اللغوي؛ وذلك أن قوله: ﴿لَا يُؤْخَذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾

﴿لَا يُؤْخَذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ بدلاً على أن لغو اليمين كالمقابل المضاد لما

١ صحيح البخاري: ٥٢٦١-٥٢٣، برقم: (٤٦١٣)، باب قوله: ﴿لَا يُؤْخَذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٤]. باب سورة المائدة: كتاب التفسير.

٢ سنن أبي داود: ١٥٧٥، برقم: (٣٣٥٤)، باب لغو اليمين، كتاب الإيمان والتوبة، علق عليه شعيب الأرناؤوط و عمداً كامل قرره بللي بقوله: صحيح موقوفاً.

٣ فتح القدير: ٨١٧، وانظر أيضاً: تفسير الطاهر بن عاشور: ٢٨١/٢.

٤ التفسير الكبير: ٤١٧/٦.

يُحصل بسبب كسب القلب، ولكن المراد من قوله: ﴿يَا كَسِبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ هو الذي يقصده القلب، فدلّ أنّ بين اللغو ما لا يقصده القلب.^١

ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

"إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه".^٢

"تفسير السلف وفهمهم لتصوص الوحي حجة على من بعدهم".^٣

"تفسير جمهور السلف مقدّم على كل تفسير شاذ".^٤

"إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما، إلا بدليل يجب التسليم له".^٥

١ انظر: تفسير السجستاني: ٢٢٧/١، وزاد المسير لابن الجوزي: ١٩٤/٨، والتفسير الكبير للرازي: ٤٢٦-٤٢٥/٦، وتفسير الشوكاني: ٢٦٥/٨.

٢ قواعد الترجيح عند المفسرين للمحريمي: ٢٠٦/١.

٣ المصدر السابق: ٢٧٦/١.

٤ قواعد الترجيح عند المفسرين للمحريمي: ٢٨٧/١.

٥ المصدر السابق: ١٢٩/١.

الآية:

﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنٍ وَلَا يُحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ سِتْرًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُضْمِرَا حَدُّهُ اللَّهُ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يَفْقِمَا حَدُّهُ اللَّهُ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

مسألة:

ما عدة المختلعة؟

قال الإمام المودودي رحمه الله: "عدة الخلع عند الجمهور هي عدة الطلاق نفسها، لكن تظهر من بعض الروايات التي وردت عند أبي داود والترمذي وابن ماجة وغيرهم أن النبي ﷺ جعل عدتها حيضا واحدا، وبه حكم سيدنا عثمان في قضية."

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام يظهر أنه ذكر قولين في عدة المختلعة: قول الجمهور وقول بعض أهل العلم، ورجح قول بعض أهل العلم مستدلا ببعض الروايات ولحكم سيدنا عثمان به، ووجدت أن المفسرين أيضا ذكروا هذين القولين، أذكرهما هنا باختصار كالتالي:

القول الأول: تعتد المختلعة بحيضة واحدة. ويروي هذا القول عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان، وعبد الله بن عمر، والربيع بنت معوذ، وعمها وهو صحابي، وهو قول بعض أهل العلم. وعن ذكر هذا القول من المفسرين: القرطبي، وابن كثير، والشوكاني، وغيرهم.

١ لقد ذكرت بعض هذه الروايات في الصفحات التالية في "الأدلة (أدلة رجحان القول الأول)".

٢ تفهيم القرآن: ١٧٧/١.

٣ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٤٤/٣-١٤٥.

٤ انظر: تفسير القرآن العظيم: ١١٩/١.

٥ انظر: فتح القدير: ٢٧٧/١-٢٧٧.

٦ ينظر: نيل المرام من تفسير آيات الأحكام لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسين بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القلوجي: ٨٨/١-٨٩، تحقيق: محمد حسن إسماعيل - أحمد قريد المزيني، تاريخ النشر: ٢٠١٣/٣٠، دار الكتب العلمية، واضواء البيان للشيخ طه: ١٢٧/١.

القول الثاني: تعتد المختلة كعنة المطلقة أي: ثلاثة قراء. وإليه ذهب مالك وأبو حنيفة والشافعي وأحمد وإسحاق في الرواية المشهورة عنهما وهو قول أكثر أهل العلم، وبه قال الجمهور.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: القرطبي، وابن كثير، والشوكاني، وغيرهم؛ **التعليق:** يبين من القراءة في الدراسة السابقة أن هناك قولين في عنة المختلة، والإمام المودودي ذكر هذين القولين، حيث رجح القول الأول منهما مستدلاً ببعض الروايات وبحكم سيدنا عثمان به، فيقول: "عنة الخلع عند الجمهور هي عنة الطلاق نفسها، لكن تظهر من بعض الروايات التي وردت عند أبي داود، والترمذي، وابن ماجه وغيرهم أن النبي ﷺ جعل عدتها حيضاً واحداً، وبه حكم سيدنا عثمان في قضية"، وإليه ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، والشوكاني، ومحمد صديق خان.

الأدلة:

(١) الأحاديث المرفوعة الثابتة في السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم - والتي يصدق بعضها بعضها تدل على رجحان القول الأول، منها: **الأول:** أخرج الترمذي عن الربيع بن ربيعة عن أبي عذرة، أنها اختلفت على عهد النبي صلى الله عليه وسلم "فكفرها النبي صلى الله عليه وسلم، أو أمرت أن تعتد بحيضة"، قال الترمذي: الصحيح أنها أمرت أن تعتد بحيضة^٧.

١ انظر: الخلع لأحكام القرآن: ١٤٤/٣-١٤٥.

٢ انظر: تفسير القرآن العظيم: ٦١٩/١.

٣ انظر: فتح القدير: ٢٧٧/١.

٤ ينظر: نيل المرام لمحمد صديق خان: ٨٩/١، وتفسير القرآني: ١٧٣/٢، وأضواء البيان للشنقيطي: ١٤٥/١.

٥ لقد ذكرت بعض هذه الروايات في الصفحة نفسها وفي التي تليها في "الأدلة لأدلة رجحان القول الأول".

٦ انظر: الفتاوى الكبرى: ١٢٧/٣، مسألة نكاح الزانية، باب الرضاع، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م، دار

الكتب العلمية، وزاد المعاد في هدي خير العباد: ١٧٩/٥، الطبعة السابعة والعشرون ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، مؤسسة

الرسالة بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، وفتح القدير: ٢٧٧/١-٢٧٧، ونيل المرام: ٨٨/١-٨٩.

٧ سنن الترمذي: ١٨٣/٣، برقم: (١١٨٥)، باب ما جاء في الخلع، أبواب الطلاق واللعان عن رسول الله صلى

الله عليه وسلم.

الثاني: وأخرج الترمذي أيضا عن ابن عباس، أن امرأة ثابت بن قيس اختلعت من زوجها على عهد النبي صلى الله عليه وسلم «فكفرها النبي صلى الله عليه وسلم أن لعنهُ بحضته». ثم قال الترمذي: "هذا حديث حسن غريب".

الثالث: أخرج أبو داود عن ابن عباس أن امرأة ثابت بن قيس اختلعت منه فجعل النبي - صلى الله عليه وسلم - عدتها حيضة.

الرابع: أخرج ابن ماجه عن الربيع بنت معوذ ابن عفراء أنها قالت: اختلعت من زوجي ثم جئت عثمان، فسألت: ماذا علي من العلو؟ فقال: لا عدة عليك، إلا أن يكون حديث عهد بك، فتكئين عنه حتى تحيضين حيضه، قالت: وإنما تبع في ذلك فضله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في سرهم المغاليبة وكانت تحت ثابت بن قيس فاختلعت منه. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "وقد ثبت بذلك الكتاب وصريح السنة وأقوال الصحابة أن المختلعة ليس عليها إلا الاستبراء بحيضها لا عدة كعدة المطلقة وهو إحدى الروايتين عن أحمد وقول عثمان بن عفان وابن عباس، وابن عمر في آخر قوليه. وذكر مكِّي أنه إجماع الصحابة وهو قول قيس بن ذؤيب وإسحاق بن راهويي وابن المنذر وغيرهم من فقهاء الحديث. وهذا هو الصحيح".

ويقول الإمام ابن القيم: "وفي أمره صلى الله عليه وسلم المختلعة أن تعتد بحيضة واحدة دليل على حكمين: أحدهما أنه لا يجب عليها ثلاث حيض بل تكفيها حيضة واحدة. وهذا كما أنه صريح السنة فهو مذهب أمير المؤمنين عثمان بن عفان وعبد الله بن عمر بن الخطاب والربيع بنت معوذ وعمها وهو من كبار الصحابة لا يعرف لهم مخالف

١ المصنف السابق: ٤٨٣٣-٤٨٤، برقم: (١١٨٥)، باب ما جاء في الطلق، أبواب الطلاق والمعان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٢ يقول شعيب الأرنؤوط، وعبد كليل قره بللي: "صحيح لغيره وهذا إسناد ضعيف. (سنن أبي داود: ٥٤٦٣، برقم: (٢٢٢٩)، باب في الطلق، أول كتاب الطلاق).

٣ يقول شعيب الأرنؤوط وأخرونها: إسناده حسن من أجل محمد بن إسحاق (سنن ابن ماجه: ٢٠٩٣، برقم: (٢٠٥٨)، باب عدة المختلعة، أبواب الطلاق).

٤ الفتاوى الكبرى: ١٧٧٣، مسألة نكاح الزانية، باب الرضاع.

مِنْهُمْ... وَدُعِبَ إِلَى هَذَا الْمَلْعَبِ إِسْحَاقُ بْنُ رَافُوَيْهِ وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي رِوَايَةٍ عَنْهُ اخْتَارَهَا شَيْخُ
الْإِسْلَامِ ابْنُ تَوْحَيْدٍ^١.

يقول الإمام الشوكاني بعد ترجيحه القول الأول وسرد الروايات على ترجيحه: "ولم يرد ما
يعارض هذا من المرفوع"^٢.

(٢) أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم - يخصص عموم القرآن.

إن الخلع طلاق، والمختلعة من جملة المطلقات، فهي داخلة تحت عموم القرآن؛ لكن أحاديث
الرسول صلى الله عليه وسلم - تخصص عموم القرآن، فهي تحت بمحضة فحسب^٣.

(٣) عدة المختلعة حيضة وعدة المطلقة ثلاثة قروء وللفرقة بين الفراق بعوض وغيره.

يقول الإمام الشافعي: "فإن قيل فما وجه اعتداد المختلعة بحيضة؟ قلنا: إن كان ثابثاً
عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَمَا أَخْرَجَهُ عَنْهُ أَصْحَابُ السُّنَنِ وَالطَّبْرَانِيُّ فَهُوَ
فَرِيقٌ مِنَ الشَّارِعِ بَيْنَ الْفِرَاقِ الْمَبْدُولِ فِيهِ عَوْضٌ وَبَيْنَ غَيْرِهِ فِي قَدْرِ الْعِدَّةِ وَلَا إِشْكَالَ
فِي ذَلِكَ كَمَا فَرَّقَ بَيْنَ الْمَوْتِ قَبْلَ الدُّخُولِ فَأَوْجِبَ فِيهِ عِدَّةَ الْوَفَاءِ وَبَيْنَ الطَّلَاقِ قَبْلَ
الدُّخُولِ فَلَمْ يُوجِبْ فِيهِ عِدَّةَ أَصْلِهِ مَعَ أَنَّ الْكُلَّ فِرَاقٌ قَبْلَ الدُّخُولِ وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْفِرَاقِ
بِعَوْضٍ وَالْفِرَاقِ بِغَيْرِ عَوْضٍ ظَاهِرٌ فِي الْجُمْلَةِ، فَلَا رَجْعَةَ فِي الْأَوَّلِ يَخِلَافُ الثَّانِي"^٤.

ويؤيد هذا القول القاعلة الترجيحية التالية:

"إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه"^٥.

١ زاد المعاد: ١٧٧/٥، الفصل ما يستتبط بين أمره صلى الله عليه وسلم المختلعة أن تحتد بحيضة واجبة.

٢ فتح القدير: ٢٧٧/١.

٣ النظر: تفسير الشوكاني: ٣٧٧/١.

٤ أضواء البيان: ١٤٧/١ - ١٤٨.

٥ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٢٠٦/١.

الآية:

﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَتَزَوَّجَ بِغَيْرِهِ وَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ طَلَّأَا أَنْ يَتِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (٣٠)

مسألة:

هل التحليل عقد صحيح أو باطل؟

قل الإمام المودودي رحمه الله:- "تتضح من الأحاديث الصحيحة أنه لا يصح أبداً أن يتفق الطالق مع رجل على أن يتزوج مطلقتها ثم يطلقها، ليحل له الزواج منها من جديد. فهذا التكاثر فاسد لا يعتد به، وليس زواجا شرعيا وإنما فاحشة ولا تحل المراجعة لزوجها الأول بمثل هذه الحيلة أبداً. وقد اتفقت الروايات التي وردت عن سيدتنا علي وابن مسعود وأبي هريرة وعقبة بن عمرو رضي الله عنهم أن النبي ﷺ لَمَعَ الْعُجْلُ، وَالْعُجْلُ لَهُ^١".

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام يظهر للقاري أنه ذكر قولاً واحداً في صحة عقد التحليل وبطلانه، إلا أن التسع في التفسير أثبت لي أن هناك ثلاثة أقوال في المسألة المذكورة، أذكرها هنا على وجه الإجمال كالتالي:

القول الأول: هو عقد باطل غير صحيح سواء بشرط أو اتفاق في العقد أو غيره بالنية، ولا تحل به المرأة للأول الذي طلقها، ولا للثاني الذي زوجها، وهو حرام بالأدلة الواردة في دفعه وذم فاعله، وبمعصية لعن الشرع فاعلها. هذا هو رأي مالك، وأحمد، والثوري. وعن ذكر هذا القول من التفسيرين: الميضاوي^٢، وثناء الله المظهري^٣، والالوسي^٤، وغيرهم.

١ تفهيم القرآن: ١٧٧/١-١٧٨.

٢ ذكرت الروايات المروية عن هذه الصحابة في الأدلة (أدلة وجعل القول الأول).

٣ انظر: أنوار التنزيل: ١٤٢/١.

٤ انظر: التفسير المظهري: ٣٦٤/١.

٥ انظر: روح المعاني: ٥٣٥/١.

٦ ينظر: نيل الغرام محمد صديق خالدة: ٨٩/١، وتفسير آيات الأحكام للسايس: ١٥٩/١، والتفسير المنير للزحيلي:

القول الثاني: هو عقد صحيح مع الكراهة ما لم يشترط التحليل في العقد وإن كان في النية. هذا هو رأي أبي حنيفة وأصحابه والشافعي.

ومن انفرد بذكر هذا القول من المفسرين: محمد أبو زهرة، وثناء الله المظهري.

القول الثالث: هو عقد صحيح مع الكراهة إن اشترط التحليل في العقد؛ لأن النكاح لا يبطل بالشروط. هذا هو رأي أبي حنيفة.

ومن انفرد بذكر هذا القول من المفسرين أيضا: محمد أبو زهرة، وثناء الله المظهري.

التعليق: يتبين من القراءة في موضوع صحة نكاح التحليل وبطلانه أن هناك ثلاثة أقوال فيه، والإمام المودودي رجح القول الأول منها وهو "أنه عقد باطل سواء بشرط أو اتفاق في العقد أو غيره بالنية"، فيقول: "تتضح من الأحاديث الصحيحة أنه لا يصح أبدا أن يتفق الطالق مع رجل على أن يتزوج مطلقته ثم يطلقها لتحل له الزواج منها من جديد. هذا النكاح فاسد لا يتعد به، وليس زواجا شرعيا وإنما فاحشة ولا تحمل الزوجة لزوجها الأول بمثل هذه الحيلة أبدا. وقد اتفقت الروايات التي ورثت عن سيدنا علي وابن مسعود وأبي هريرة وعقبة بن عامر رضي الله عنهم أن النبي ﷺ كَرِهَ الْمُحْلِلَ، وَالْمُحْلَلُ لَهُ"، وإليه ذهب المفسرون؛ أمثال: محمد صديق خان، والقاسمي، والمواضي، وغيرهم.

الأدلة: الأحاديث النبوية.

١ انظر: زهرة التفاسير: ٧٩/٢، والتفسير المظهر: ٣٦٤/١.

٢ انظر: زهرة التفاسير: ٧٩/٢، والتفسير المظهر: ٣٦٤/١.

٣ انظر: نيل الزاخر: ٨٩/١.

٤ انظر: مجلس التأويل: ١٤٧/٢.

٥ انظر: تفسير المواضي: ١٧٥/٢.

٦ ينظر: التفسير الواضح لمحمد محمود الحجازي: ١٤٧/١، تفسير آيات الأحكام للصابين: ١٦٧/١، وتفسير

الشعراوي: ٩٩٧/٢، والتفسير المنير للزحيلي: ٣٣٧/١-٣٣٨، والتفسير الميسر لنخبة من أمثلة التفسير: ٣٦/١.

- روى الإمام أحمد عن عبد الله قال: "لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوَأَشِيشَةَ وَالْمَقْرُشَةَ وَالْوَأَسِيلَةَ وَالسَّوْصُولَةَ وَالْمَجْلُ وَالْمُخَلَّلَ لَهُ، وَآكَلَ الرِّبَا، وَمَوَكَّلَهُ".^١
- وأيضاً عن أبي هريرة قال: "لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ الْمُجْلُ وَالْمُخَلَّلَ لَهُ".^٢
- وروى ابن ماجه عن ابن عباس قال: لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْمُخَلَّلَ وَالْمُخَلَّلَ لَهُ".^٣
- وأيضاً عن علي قال: لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - "الْمُخَلَّلَ وَالْمُخَلَّلَ لَهُ".^٤
- وروى أبو داود عن علي قال إسماعيل: وأراه قد رفعه إلى النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: "لَعِنَ الْمُجْلُ وَالْمُخَلَّلُ لَهُ".^٥
- وروى الترمذي عن عبد الله بن مسعود قال: "لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُجْلُ وَالْمُخَلَّلَ لَهُ".^٦

-
- ١ يقول شعيب الأرنؤوط وأخرون: "إسناده صحيح على شرط البخاري"، مستند أحمد: ٣٩٤/٧، برقم: (١٢٨٣)، مستند عبد الله ابن مسعود.
 - ٢ يقول شعيب الأرنؤوط وأخرون: "إسناده حسن"، المصدر السابق: ٤٢/١٤، برقم: (٨٢٨٧)، مستند أبي هريرة رضي الله عنه.
 - ٣ يقول شعيب الأرنؤوط وأخرون: "صحيح لغيره"، وهذا إسناده ضعيف لضعف وثقة بن صالح". سنن ابن ماجه: ١١٦٧٣-١١٧، برقم: (١٩٣٤)، أبواب النكاح، باب الْمُخَلَّلِ وَالْمُخَلَّلِ لَهُ.
 - ٤ يقول شعيب الأرنؤوط وأخرون: "صحيح لغيره"، وهذا إسناده ضعيف لضعف الحارث"، المصدر السابق: ١١٧/٣، برقم: (١٩٣٥)، أبواب النكاح، باب اغلل والمخلل له.
 - ٥ يقول شعيب الأرنؤوط ومحمد كليل قره بللي: "صحيح لغيره"، وهذا إسناده ضعيف لضعف الحارث - وهو ابن عبد الله الأعور -، سنن أبي داود: ٤٢٠/٣، برقم: (٢٠٧٦)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، محمد كليل قره بللي، المطبعة الأولى ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، دار الرسالة العالمية، باب في التحليل، أول كتاب النكاح.
 - ٦ يقول الإمام الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح".... وقد روي هذا الحديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ وَالصَّمَلُ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَنِيهِمْ: عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَخُثَيْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو، وَغَيْرُهُمْ، وَهُوَ قَوْلُ الْفُقَهَاءِ مِنَ الظَّاهِرِيَّةِ سنن الترمذي: ٤٢٠/٣-٤٢١، باب ما جاء في إغلل والمخلل له، برقم: (١١٢٠)، أبواب النكاح.

• وروى الطبراني عن ابن عباس، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن المخلل
 قال: "لا ينكح إلا نكاح رغبة، لا نكاح قسوة، ولا مستهزي يكتب الله له ثم يلق
 العسيلة".^١

• وروى الحاكم في مستدركه وصححه عن عتبة بن عوف الجهني رضي الله عنه قال: قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنا أخيركم بالتيس المستعار". قالوا: بلى يا رسول
 الله، قال: "هو المجل، فلعن الله المجل، والمحلل له". ثم قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم: "لعن الله المجل، والمحلل له".^٢

وأيضا عن عمر بن قيس، عن أبيه، أنه قال: جاء رجل إلى ابن عمر رضي الله عنهما فسأله
 عن رجل طلق امرأته ثلثه فزوجها أخ له، من غير مؤامرة منه ليحلها لغيره، هل تحل للآخر؟
 قال: "لا إلا نكاح رغبة، كنا نعد هذا سفاحا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم".^٣

١) هو قول أكثر الفقهاء يقول البيضاوي: "والنكاح بشرط التحليل فاسد عند الأكثر".^٤

ويقول الألويسي: "والنكاح بشرط التحليل فاسد عند مالك وأحمد والتوري، والظاهرية
 وكثيرين".^٥

ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

"إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه".^٦

"تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ".^٧

١ للمعجم الكبير للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني: ٢٢٦/١، برقم: (١١٥٦٧)، المحقق: حسني بن

عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، هكرمة عن ابن عباس، جلد العشر.

٢ المستدرك على الصحيحين: ٢١٧/٢، برقم: (٢٨٠٤)، كتاب الطلاق.

٣ المصدر السابق: ٢١٧/٢، برقم: (٢٨٠٦)، كتاب الطلاق.

٤ أنوار التنزيل: ١٤٢/١.

٥ روح المعاني: ٥٣٥/١.

٦ قواعد الترجيح عند المفسرين للخري: ٢٠٦/١.

٧ المصدر السابق: ٢٨٨/١.

الفصل الثالث:
ترجيحات سورة آل عمران

الآية:

﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (٢٢)

مسألة:

ما المراد بـ "عمران" في الآية؟

قال الإمام المودودي -رحمه الله-: "عمران هو والد سيدنا موسى وهارون -عليهما السلام- يسمى في الكتاب المقدس "عمرام"^١.

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي -رحمه الله- يتضح بجلاء أنه عرض قولاً واحداً في المراد بـ "عمران" في قوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ"، إلا أنني وجدت أن المفسرين ذكروا قولين في المراد بـ "عمران" المذكور في الآية المذكورة، أذكرهما هنا إجمالاً على النحو التالي:

القول الأول: المراد بـ "عمران" هنا عمران بن يصره والد موسى وهارون -عليهما السلام-. ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن الجوزي، والرازي، والبيضاوي، والمظهري^٢. وذكره بصيغة التمرين: العلامة أبو السعود، وإسماعيل حقي، والعلامة الألوسي^٣. ورد عليه الزمخشري والطاهر بن عاشور.

فقال الزمخشري: "فإن قلت: كانت لعمران بن يصره بنت اسمها مريم أكبر من موسى وهارون، ولعمران بن ماثان مريم البتول، فما أدراك أن عمران هذا هو أبو مريم البتول دون عمران أبي مريم التي هي أخت موسى وهرون؟ قلت: كفى بكفالة زكريا دليلاً على أنه عمران أبو البتول، لأن زكريا بن أذن وعمران بن ماثان كانا في عصر واحد وقد تزوج زكريا بنته إشباع أخت مريم فكان يحين وعمران بن ماثان حالة"^٤. وعلى هذا الأساس يكون زكريا عليه السلام زوج أخت

١ تفهيم القرآن: ٢٤٦/١.

٢ انظر على التوالي: زاد المسير: ٣٧٤/١، والتفسير الكبير: ٢٠٧/٨، وأبواب التنزيل: ١٢/٢، والتفسير المظهر: ٣٧/٢١.

٣ انظر: إرشاد العقل السليم: ٢٧٢، والتفسير روح البيان: ٢٥/٢، وروح المعاني: ٢٢٧/٢.

٤ الكتابات: ٣٥٥/١.

مريم البتول أم عيسى عليه السلام، وتكون مريم نفسها هي خالة يحيى عليهما السلام، وبالتالي يكون عمران المذكور في الآية الكريمة هو والد مريم البتول أم عيسى عليهما السلام. وأيضا يرد على هذا القول العلامة الطاهر بن عاشور حيث يقول: "وَلَيْسَ الْمُرَادُ هُنَا عِمْرَانُ وَالِدُ مُوسَى وَهَارُونَ إِذِ الْمَقْصُودُ هُنَا التَّمْهِيدُ لِلذِّكْرِ مَرْيَمَ وَأَبْنَيْهَا عِيسَى يَدْلِيلُ قَوْلَيْنِ إِذْ خَالَتِ ائِمْرَاتُ عِمْرَانَ". وعلى هذا الأسس لو سلمنا جدلا بأن عمران المذكور في الآية الكريمة هو والد موسى وهارون عليهما السلام لاحتل نظام تناسب الآيات والصور القرآنية التي هي واحدة من أهم مفردات الإعجاز البياني في القرآن الكريم.

القول الثاني: المراد بـ "عمران" هنا عمران بن ماثان والد مريم البتول، أم عيسى -عليهما السلام-.

وعن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن الجوزي^١، والرازي^٢، والبيضاوي^٣، وغيرهم^٤.
التعليق: هكذا يتبين من القراءة في السطور السابقة أن هناك قولين في المسألة، والشيخ المودودي - رحمه الله - ذكر واحدا منهما ولم يذكر القول الآخر عما يدل على أن القول الذي ذكره راجع عنه، وهو أن يكون المراد بـ "عمران" هو: والد موسى وهارون -عليهما السلام- فيقول: "عمران هو والد سيدنا موسى وهارون -عليهما السلام-"، لكنني أرجح القول الثاني الذي يقول: إن المراد بعمران المذكور في الآية الكريمة هو عمران بن ماثان والد مريم البتول القدره أخت إيشاع، وخالة يحيى عليهما السلام، وإليه ذهب جمهور المفسرين أمثال: الزخشري^٥، والبيضاوي^٦، وابن كثير^٧، وغيرهم^٨.

١ التحرير والتوير: ٣٦/٣.

٢ انظر: زاد المسيرة: ٢٧٤/٨.

٣ انظر: التفسير الكبير: ٤٠١/٨.

٤ انظر: أنوار التنزيل: ١٢/٢.

٥ ينظر: تفسير ابن كثير: ٣٢/٢، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: في ٣٨/٢٦، وتفسير الألوسي: ١٢٧/٢.

٦ انظر: الكشف: ٢٥٥/٨.

٧ انظر: أنوار التنزيل: ١٢/٢.

٨ انظر: تفسير القرآن العظيم: ٣٣/٢.

(١) من قول جمهور المفسرين.

(٢) السياق: إن قوله تعالى: "إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ" بيان وشرح لكيفية الاصطفاء المشار إليه قبله^٢.

يقول العلامة الألوسي: "وأيضاً يرجح كون المراد به أبا مريم أن الله تعالى ذكر اصطفاها بقدر ونص عليه وأنه قل سبحانه: "إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ الْح" والمظاهر أنه شرح لكيفية الاصطفاء المشار إليه بقوله تعالى: "وَالْأَمْرُ إِذْ يَكُونُ مِنْ قَبْلِ تَكَرُّرِ الْأَسْمَاءِ فِي جَمَلَتَيْنِ فَيَسْبِقُ الْقَدَمُ إِلَى أَنْ الْثَانِي هُوَ الْأَوَّلُ لِحُكْمِ زَيْدٍ إِنْ زَيْدٌ رَجُلٌ فَاضِلٌ، وَإِذَا كَانَ الْمُرَادُ بِالثَّانِي غَيْرِ الْأَوَّلِ كَانَ فِي ذَلِكَ إِبْلَاسٌ عَلَى السَّمْعِ".

ويقول الإمام ابن جزي في مقدمة تفسيره: "أن يشهد بصحة القول ويدل عليه ما قبله أو ما بعده".

(٣) تعقيبه بقصة مريم -عليها السلام-.

(٤) لو أريد بالعمران المذكور في الآية الكريمة والد موسى وهارون عليهما السلام لما بقي السباق متناسقاً، ولما كانت هناك مناسبة تاريخية بين عمران وبين زكريا من جهة، وبين

١ انظر: تفسير أبي السعود: ٢٦٢، وتفسير روح البیان لإسماعيل حقي: ٢٥٢، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ق ٣٨٨١، وتفسير الألوسي: ١٢٧/٢، وفتح البیان محمد صديق خان: ٢٢١/٢، ولتفسير القاسمي: ٣٠٧/٢، وحدائق الروح والريحان محمد أمين المروري: ٢٧٥/٤، وتفسير الطاهر بن عاشور: ٢٢٧/٢، وزهرة التفاسير محمد أبي زهرة: ١١٩٤/٣، والتفسير الواضح محمد محمود الحجازي: ٢٢٧/٨، والوسيط لططاوي: ٨٤/٢ وصفوة التفسير للصايني: ٨٨٠/١، وإيسر التفاسير للجزائري: ٣١٠/١.

٢ انظر: التفسير المظهري لثناء الله المظهري: ق ٣٩٢٦، وتفسير الألوسي: ١٢٧/٢، وحدائق الروح والريحان محمد الأمين المروري: ٢٧٥/٤.

٣ سورة آل عمران، الآية ٣٥.

٤ روح المعاني: ١٢٧/٢.

٥ السهيل لعلوم التنزيل: ١٩١.

٦ انظر: التفسير الكبير للرازي: ٢٠١/٨، وتفسير أبي السعود: ٢٦٢، وفتح البیان محمد صديق خان: ٢٢٧/٢.

عمران ومريم عليهم السلام من جهة أخرى، خاصة وأن بين العمرانين ألف وثمانمائة سنة من الزمن من الفاحية التاريخية.

٥) إن كفاية ذكرها غير شاهد على أن المراد بـ "عمران" هنا أبو مريم البتول أم عيسى - عليه السلام -، لأن ذكرها بن آذن وعمران بن ماثان عاشا في عصر واحد.

٦) إن السورة تسمى آل عمران ولقد ترحت فيها قصة عيسى ومريم ببنسطة أكثر من غيرها من السور. ولم يذكر فيها من قصة موسى وهارون - عليهما السلام - طرف.

٧) أن هذا اللفظ شديد المطابقة لقوله تعالى: "وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ" ^١.

٨) عدم تعرضه للرد والنقد كما هو حال القول الأول.

ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

"تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ".

"إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما إلا بدليل يجب التسليم له". ^٢

١ انظر: فتح البيان لمحمد صادق خان: ٢/٢٢٩، وحقائق الروح والريحان لمحمد الأمين القرني: ٥/٢٧٥.

٢ انظر: الكشف للزحرفي: ٨/٣٥٥.

٣ انظر: تفسير الألوسي: ٢/١٢٧.

٤ سورة الأنبياء: الآية ٩١.

٥ التفسير الكبير للرازي: ٨/٢٠٧.

٦ قواعد الترجيح عند المفسرين للمحريمي: ٨/٢٨٧.

٧ المصطلح السابقة: ١/١٢٥.

الآية:

﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَئِنَّ الْإِنثَىٰ لِرَبِّ أَلَسًا وَلَئِنِّي لَأَكُونُ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾

مسألة:

هل: «وَلَئِنَّ الْإِنثَىٰ لِرَبِّ أَلَسًا» كلام الله تعالى أو كلام أم السيدة مريم -عليها السلام؟ قال الإمام المودودي -رحمه الله-: "يعني أنَّ الولد محروم من مواطن الضعف الفطرية والقيود الاجتماعية التي هي من نصيب البنت فلو كان ولداً لكان أحسن وأصلح للقرص الذي من أجله ظهرت لك مولودي".^١

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي -رحمه الله- يتضح بجملاء أنه ذكر فولا واحداً في: "وَلَئِنَّ الْإِنثَىٰ لِرَبِّ أَلَسًا" في قوله تعالى: "فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَئِنَّ الْإِنثَىٰ لِرَبِّ أَلَسًا" وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ"، إلا أنني وجدت أن المفسرين ذكروا قولين في "وَلَئِنَّ الْإِنثَىٰ لِرَبِّ أَلَسًا" في الآية، أذكرهما هنا باختصار على النحو التالي:

القول الأول: يحتمل أن يكون من كلام أم مريم، فالمعنى: ليس الذكر كالأنثى في خدمة المسجد الأقصى والإقامة فيه والعبادة لقوته وصلاحيته كالأنثى لصيانتها عن التبرج وضعفها وما يعثر بها من الخيض والتفلس.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، وابن عطية، وابن الجوزي، وغيرهم.

القول الثاني: يحتمل أن يكون من كلام الله تعالى، فالمعنى: ليس الذكر الذي طلبت كالأنثى التي وهبت لك، بل هي أفضل من الذكر.

١ تفهيم القرآن لأبي الأعلى المودودي، الجزء الأول من الفتحة إلى آل عمران، تعريب: أحمد إدريس، ص ١٢٢.

٢ انظر: جامع البيان، ٣٣٤/١.

٣ انظر: المحرر الوجيز، ٤٢٥/١.

٤ انظر: زاد المسير، ٢٧٧/١.

٥ ينظر: التفسير الكبير للرازي، ٢٠٤/١، وتفسير القرطبي، ٦٥/٤، وتفسير البهضاوي، ٢٤٨/٢، وتفسير ابن جزي:

١٥٠/١، وتفسير ابن كثير، ٣٣٨/١، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري، ق ٣٧٨/١، وتفسير الألبوسي، ١٢٧/٢.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: البيضاوي^١، وابن جزى^٢، والمظهرى^٣.
وذكره بصيغة التمريض: العلامة الطاهر بن عاشور^٤.

التعليق: يتبين من القراءة في السطور السابقة أن هناك قولين في المراد بقوله تعالى: "وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى"، والشيخ المودودي - رحمه الله - ذكر واحدا منهما مما يدل على أن القول الذي ذكره راجح عنده ويختار لديه، وهو أن يكون قوله تعالى: "وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى" من كلام أم مريم. فيقول: "يعني أن الولد عور من موطن الضعف الفطرية والقيود الاجتماعية التي هي من نصيب البنت فلو كان ولدا لكان أحسن وأصلح للفرض الذي من أجله خلقت لك مولودى". لأنه يتبادر إلى الذهن، وإلى ذهن جمهور المفسرين أمثلة الطبري^٥، والمودودي^٦، وابن عطية^٧، وغيرهم^٨.

الأدلة:

- (١) هو قول جمهور المفسرين.
 - (٢) هو القول المتبادر إلى الذهن من خلال القراءة في السياق الذي ورد فيه.
- يقوله الإمام ابن جزى في تفسيره أثناء الحديث عن وجوه الترجيح: "أن يكون ذلك المعنى المتبادر إلى الذهن، فإن ذلك دليل على ظهوره ورجحانه"^٩.

١ التفسير المظهرى لثناء الله المظهرى: ٤١/٢٧.

٢ انظر: أنوار التنزيل: ١٤/٢.

٣ انظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ١٥٠/١.

٤ انظر: التفسير المظهرى: ٤١/٢١.

٥ انظر: التحرير والتنوير: ٢٢٢/٣.

٦ انظر: جملع البيان: ٣٣٤/١.

٧ انظر: التكت والعيون: ٢٨٧/١.

٨ انظر: المحرر الوجيز: ٤٢٥/١.

٩ ينظر: زاد المسير لابن الجوزى: ٢٧١/١، وتفسير القرطبي: ٦٥/٤، وتفسير ابن كثير: ٣٣/٢، وتفسير الألوسى: ١٢٧/٢، وتفسير الطاهر بن عاشور: ٣٣٦/٣، وأيسر التفاسير للجزائري: ١٦٧/١، والتفسير الميسر لنخبة من أساتذة التفسير: ٤٤/١ هـ.

١٠ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩٦.

ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:
"تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ"^١.
"لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه"^٢.

١ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٢٨٧/١.

٢ المصدر السابق: ١٣٧/١.

الآية:

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَنْفَرِمَ أَنْ لَئِنْ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنْ أَلَّهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٢٧)

مسألة:

من هو " السيد زكريا " الذي تكفل بتربية " السيدة مريم - عليها السلام - ؟
قال الإمام المودودي - رحمه الله - : " .. وسيدنا زكريا - عليه السلام - الذي تكفل بتربيتها كان - غالبا - في القرابة زوج خالتها .. " .

دراسة النص : من خلال عرضي كلام الإمام المودودي - رحمه الله - يتبين أنه ركز على قول واحد في المراد بـ " زكريا " في قوله تعالى : " فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنْى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنْ أَلَّهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ " ، إلا أن المفسرين ذكروا قولين في المراد بـ " زكريا " المذكور في الآية السابقة أذكرهما فيما يلي باختصار:

القول الأول : المراد بـ " زكريا " هنا زوج خالتها.

وعن ذكر هذا القول من المفسرين: القرطبي وابن جرير، وأبو حيان الأندلسي^١.

القول الثاني : المراد بـ " زكريا " هنا زوج أختها.

وعن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن الجوزي، والقرطبي وابن كثير، وطباطبائي^٢. ومن الجدير بالذكر أن الشيخ طباطبائي ذكر هذا القول بصيغة التحريض.

التعليق : يتضح من القراءة في السطور السابقة أن هناك قولين في المسألة، والشيخ المودودي - رحمه الله - ذكر واحدا منهما ولم يذكر القول الآخر مما يدل على أن القول الذي ذكره هو الراجح عنده، وهو أن يكون المراد بـ " زكريا " هو زوج خالتها مريم - عليها السلام - في الغالب.

١ تفهيم القرآن: ٢٤٧/١.

٢ انظر على التوالي: الجليل لأحكام القرآن: ٧٧/٤، والتسهيل لعلم التزيل: ١٥٠/١، والبحر المحيط: ١١٧/٣، وتفسير القرآن العظيم: ٣٥٣١/٢.

٣ انظر على التوالي: زاد المسير: ٢٧٧/١، والجليل لأحكام القرآن: ٧٧/٤، وتفسير القرآن العظيم: ٣٥/٢، والوسيط: ٩٠/٢.

فيقول: "...وسيدنا زكريا عليه السلام- الذي تكفل بثريتها كان -غالبا- في القرابة زوج خالتها...". وهذا ما رجحه الأئمة المفسرون أمثلة: السمعاني^١ والزغري^٢ وابن جرير^٣ وغيرهم^٤.

الأدلة:

١) هو المقطوع به تاريخيا.

"يقول الشيخ أحمد محمد شاكر في هامش تفسير الطبري تحت هذه الآية: في معنى البهقي، والدور المشهور: "وكانت أخت مريم تحت"، وهو خطأ لا شك فيه، فإن المقطوع به في التأريخ أن زكريا وعمران أبا مريم، كانا متزوجين بأختيه إحداهما عند زكريا وهي أم يحيى والأخرى عند عمران وهي أم مريم، فعات عمران وأم مريم حامل بمريم^٥.

٢) في هذا القول توسع.

يقول الإمام ابن كثير: "وَقَدْ يُطْلَق عَلَى مَا ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ ذَلِكَ أَيْضًا تَوْسَعُهُ فَعَلَى هَذَا كَانَتْ فِي حَقَائِقِ خَالَتِهَا. وَقَدْ بَيَّنَّا فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَضَى فِي عِمَارَةَ بِنْتِ حِزَّةَ أَنْ تَكُونُ فِي حَقَائِقِ خَالَتِهَا امْرَأَةً جَنَفَرٍ بِنِ أَبِي طَالِبٍ وَقَدْ: "الخالة مُمْتَزِلَةٌ الْأُمُّ"^٦.

١ انظر: تفسير القرآن: ٣١٢/١.

٢ انظر: الكشف: ٣٥٧/١.

٣ انظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٥٠/١.

٤ ينظر: تفسير ابن كثير: ٣٥/٢، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ١١٠/٣، والتفسير الواضح محمد محمود الحجازي: ٢٢٧/١، والوسيط لططاوي: ٩٨/٢، وأبصر التفسير للجزائري: ٣١٠/١.

٥ المتن الكبير لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الحُسْرُو جرجي الجراساني، أبي بكر البهقي: ٤٨٤/١، برقم: (٢٦٤٠٢)، كتاب العتق، بابُ إِبْهَاتِ اسْتِعْجَالِ الْقَرْعَةِ، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣ م، دار الكتب العلمية، بيروت، لمبات.

٦ انظر: ١٨٥/٢.

٧ انظر: تاريخ الطبري ٣: ١٣، نقلا من تفسير الطبري: ٣٤٩/١.

٨ صحيح البخاري: ١٨٤/٣، برقم: (٢٦٩٩)، كتاب الصلح، بابُ كَيْفَ يُكْتَبُ هَذَا: مَا صَالَحَ فُلَانٌ بِنَ فُلَانٍ، وَفُلَانٌ بِنَ فُلَانٍ، وَإِنْ لَمْ يَنْسَبْهُ إِلَى قَبِيلِهِ أَوْ نَسَبِهِ، وصحيح مسلم برقم: (١٧٨٣).

الآية:

﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ارْفُضْ إِلَيَّ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيْكَ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ ﴾ (٥٥)

في الآية مسألتان:

المسألة ١

ما المراد بـ"الوفاء" التي ذكرها الله تعالى في الآية الكريمة؟

قال الإمام المودودي - رحمه الله -: "معنى "التوفي" في العربية الأخذ والتسلم واستعماله في قبض الروح مجازي، فبنو إسرائيل حين كانوا منغمسين في طغيانهم المتواصل الذي كان قد اتخذ أشكالا متعلقة وكانوا في الوقت ذاته متعطشين لدم كل رجل صالح يدعوهم إلى الهدى وحين أرسل الله تعالى يحيى وعيسى -عليهما السلام- إليهم إقامة لحجته عليهم فقتلوا يحيى -عليه السلام- عنادا وكفرا، فأراد الله -عز وجل- أن ينجي رسوله الثاني من بطش هؤلاء الجبابرة فتوفاه أي رفعه إليه روحا وجسدا".^١

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام يظهر أنه ذكر قولاً واحداً في معنى "التوفي" في قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ارْفُضْ إِلَيَّ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيْكَ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ ﴾ (٥٥)، ورجحه، وذكر أدلة رجحانه، إلا أنني وجدت أن للمفسرين أقولاً أخرى في معنى "التوفي" في الآية المذكورة، أذكر هنا بعضاً منها باختصار على النحو التالي:

القول الأول: هي وفاة موت، أي: توفاه الله تعالى ثلاث ساعات أو ست ساعات حين رفعه ثم أحياه ورفعاه إليه حياً. على هذا القول تجري الآية على ظاهرها من غير تقديم ولا تأخير فيها. وعن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري^٢، وابن جزي^٣، وابن كثير^٤، وغيرهم^٥.

١ تفسير القرآن العظيم: ٣٥/٢.

٢ تفهيم القرآن: ٢٥٧/١ بتصرف.

٣ انظر: جامع البيان: ٤٥٧/١ - ٤٥٧.

ومن الجدير بالذكر أن الأئمة المفسرين: القرطبي، والبيضاوي، والشوكاني، والألوسي ردوا على هذا القول

يقول الإمام القرطبي: "وقال وهب بن منبه: توفي الله عيسى عليه السلام ثلاث ساعات من نهار ثم رُفِعَ إلى السماء. وهذا فيه بعد فإنه صح في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم نزوله وقتله الدجال".^١

ويقول القاضي البيضاوي: "وقيل أماته الله سبع ساعات ثم رفعه إلى السماء وإليه ذهب النصارى".^٢

ويقول الإمام الشوكاني: "وقيل: إن الله سبحانه توفاه ثلاث ساعات من نهار ثم رُفِعَ إلى السماء، وفيه ضعف".^٣

ويقول العلامة الألوسي: "وحكاية أن الله تعالى توفاه سبع ساعات ذكر ابن إسحق أنها من زعم النصارى".^٤

القول الثاني: هي وفاة مرسلة لكن في الكلام تقديم وتأخير؛ لأن الواو لا توجب الترتيب أي: إني رافعك إلى ومتوفيك بعد إنزالك من السماء إلى الدنيا. بحوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾^٥، والتقدير: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى لَكَانَ لِزَامًا﴾.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الفراء النحوي، والطبري، وابن الجوزي، وغيرهم.

١ انظر: التسهيل لمعلوم التبريل: ١٥٤/١.

٢ انظر: تفسير القرآن العظيم: ٤٧/٢.

٣ ينظر: التفسير المظهري لشيخ الله المظهري: ٥٧٢/١، وتفسير الألوسي: ١٧٧/٢.

٤ الجامع لأحكام القرآن: ١٠٠/٤.

٥ أنوار التنزيل: ١٩/٢.

٦ فتح القدير: ٣٩٥/١.

٧ روح المعاني: ١٧٢/٢.

٨ سورة طه، الآية ١٢٩.

٩ انظر: معاني القرآن: ٢١٩/١.

ورد عليه القاضي ثناء الله المظهري قائلا: "ثانيهما ما قاله الضحاك معناه إني متوفيك بعد إنزالك من السماء ومؤخرتك إلى أجلك المسمى عاصما إياك من قتل اليهود ورافعتك إلي قبل ذلك والواو للجمع المطلق لا للترتيب وهذا التأويل يأباه قوله تعالى في المائدة ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾^١ فإنه يدل على أنه قومه إنما تنصروا بعد توفيه ولا شك أنهم تنصروا بعد رفعه إلى السماء".

القول الثالث: هي وفاة نوم، أي: منيمك ورافعتك إلى في نومك كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ ثُمَّ يَجْعَلُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^٢. وكقوله سبحانه: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّذِي لَمْ يَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُعَلِّقُ أَلْفَاظَ الْمَوْتِ وَرَبُّهُ إِلَىٰ الْجَلْدِ مَسْمًى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^٣. ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، والقرطبي، والبيضاوي، وغيرهم". ورد عليه العلامة الطاهر بن عاشور قائلا: "وَحَمَلُهَا عَلَى النَّوْمِ

١ انظر: جامع البيان: ٤٥٨/١.

٢ انظر: زاد المسير: ٢٨٧/١.

٣ ينظر: تفسير القرطبي: ٩٩/٤، وتفسير ابن جزي: ١٥٤/١، وتفسير ابن كثير: ٤٧/٢.

٤ الآية ١١٧.

٥ التفسير المظهر: ٥٧٢/١ ق.

٦ سورة الأنعام الآية ٦٠.

٧ سورة الزمر الآية ٤٢.

٨ انظر: جامع البيان: ٤٥٥/١.

٩ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٠٠/٤.

١٠ انظر: أنوار التنزيل: ١٩/٢.

١١ ينظر: تفسير ابن جزي: ١٥٤/١، وتفسير ابن كثير: ٤٧/٢، والتفسير المظهر لثناء الله المظهري: ٧٤/١، وتفسير

الألوسي: ١٧٢/٢.

بِالنَّبِيِّ لِيُحْيِيَ لَنَا مَعْنَى لَهُ لَأَنَّهُ إِذَا أَرَادَ رَفْعَهُ لَمْ يَلْزَمْ أَنْ يَتْلَمْ وَلَكِنْ التَّوَمَّ حِينَئِذٍ وَسَبِيلَهُ لِلرَّفْعِ فَلَا
يَتَّبَعِي الْيَاهُتِسَامُ بِذِكْرِهِ وَتَرْكُ ذِكْرِ الْمُتَفَصِّلِ".

القول الرابع: هي قبض جسم وروح وليس برفاة موت، أي: إني قابضك من الأرض وأفيا تاماً
بهذتك وروحك من غير موت، ورافعك إلى السموات.

وعن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري^١، وابن الجوزي^٢، والقرطبي^٣، وغيرهم.

التعليق: يتبين من القراءة في الأسطر السابقة أن هناك أربعة أقوال في المسألة والإمام المودودي
رجح القول الرابع منها، وهو: أن المراد بـ "التوفي" هنا الأخذ والتسلم، وليس المراد قبض
الروح والموفاة الطبيعية، أي: أن الله - عز وجل - أخذ سيدنا عيسى - عليه السلام - إليه حياً
روحاً وجسداً حفاظاً عليه، ولم يقتل ولم يصلب كما زعم اليهود والنصارى، ويستدل الشيخ هذه
الفكرة بعدد من الأدلة منها: قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا
قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظُّلُمِ وَمَا
قَتَلُوهُ يَقِينًا ۖ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝﴾^٤، حيث يقول في شرحها: إن هذه الآية
تصرح بأن المسيح - عليه السلام - لم يقتل ولم يصلب كما زعم اليهود والنصارى، ولم ينجح
اليهود في قتله - عليه السلام - بل رفع إليه وأن هذه العقيدة كانت موجودة عند النصارى من
الأول وعلى أساسها كانت إحدى الفرق منهم تعتقد في تأليهه، وأن التعبير القرآني في هذا
المعنى واضح وأدل على المراد، فلو كان المراد بذلك هو الانتقال من هذه الدار إلى الدار الآخرة،
أو المراد به هو رفع الميرجيات مثل ما ورد في حق إريس - عليه السلام - "وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا

١ التفسير والمختبر: ٢٥٨/٣.

٢ انظر: جلع البيان: ٤٥٥-٤٥٦.

٣ انظر: زاد المسير: ٢٨٧/١.

٤ انظر: الجلع لأحكام القرآن: ١٠٠/٤.

٥ ينظر: تفسير البهاسوي: ١٩٢. وتفسير ابن جزى: ١٥٤/١، وتفسير ابن كثير: ٤٦٢، والتفسير المظهرى لنته.

الله المظهرى: ٥٦/١، وتفسير الألوسى: ١٧٢/٢.

٦ سورة التسلوة الآية ١٥٧-١٥٨.

عَلِيًّا^١ لكان للقرآن تعبير آخر للوصول إلى هذا المعنى ولكانت الفاظه أقوى دلالة وأوضح بياناً في هذا المعنى، يُضاف إلى ذلك أن التذييل يحتاج لهذا المعنى (رفعه جسماً وروحاً) حيث يقول الله - عز وجل - ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ وهو تعبير يُناسب حادثة تُلدّ على قوة الله القاهرة وحكمته العالية مما يُستبطن منه أن الرفع المذكور في حق عيسى عليه السلام - كان من الأمور الجسام والحوادث العظام التي حدثت في تاريخ البشرية^٢ وأخيراً لو أن القرآن الكريم لم يكن يقصد رفع عيسى عليه السلام بهذا التعبير؛ وكان المراد بالتصوي هو الموت للذهب عدد كثير من الأحاديث النبوية المتواترة التي وردت في عوثة عيسى عليه السلام ونزوله من السماء إلى الأرض، ومحاربه الدجال وجعله هباء منثوراً، ولكان بينها وبين التعبير القرآني تضاد، وهو أمر مستحيل الوقوع كما لا يخفى، وإليه ذهب جمهور المفسرين: أمثلة الطبري^٣ والقرطبي^٤ والجلالين^٥ وغيرهم.

الأدلة:

(١) القرآن: والظاهر أن المراد بـ "التوفي" القبض والرفع إلى السماء بلا موت، يشهد له قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن سُبُّهُمْ وَإِنَّ الْيَهُودَ لَخَتَلَفُوا فِيهِ لَبِئْسَ أَهْلٌ لِّسُلُكٍ مِّمَّنْ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَتْبَاعُ الظُّلُمِ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ (٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (٥٨)﴾.

^١ سورة مريم، الآية ٥٧.

^٢ انظر: هامش: ١٩٣، و ١٩٥ من سورة النساء في تفسير الشيخ "تفهيم القرآن".

^٣ انظر: جامع البيان: ٤٥٨/١.

^٤ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٠٠/٤.

^٥ انظر: تفسير الجلالين: ٧٤/١.

^٦ ينظر: التفسير المظهري لثناء الله المظهرية: ٥٧/١، وتفسير الشوكلي: ٣٩٥/١، وتفسير الألوسي: ١٧٣/٢، والوسيط لططاوي: ١٢٣/٢-١٢٣، والتفسير الميسر لخبية من أساتذة التفسير: ٥٧/١.

^٧ سورة النساء، الآية: ١٥٧-١٥٨.

يقول القاضي ثناء الله المظهري بعد ذكر الأقوال المختلفة في المسألة: "والظاهر عندي أن المراد بالتوفي هو الرفع إلى السماء بلا موت يشهد به الوجدان بعد ملاحظة قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ ولولا نفى الموت عنه لما كان من نفى القتل فائدة إذ الغرض من القتل الموت والله أعلم".

ويقول الشيخ طنطاوي في أثناء ترجيحه هذا القول: "إن قوله - تعالى - في سورة النسله ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ (٧٧) بل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ يفيد أن الرفع كان بجسم عيسى وروحه لأن الإضراب مقابل للقتل والصلب الذي أودوه وزعموا حصوله، ولا يصح مقابلا لهما رفعه بالروح لأن الرفع بالروح يجوز أن يجتمع معهما وملام الرفع بالروح لا يصح مقابلا لهما إذن يكون المتعين أن المقابل لهما هو الرفع بالجسد والروح".

(٧) **الأحاديث:** تواتر الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن عيسى عليه السلام - في السماء حي - وأنه ينزل في آخر الزمان قبل يوم القيامة إماما عادلا، فيمكث في الأرض مدة، ثم يموت، ومن هذه الأحاديث:

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده، لأهبطن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا، فيخبر الصليب ويقبض الجزير، وتضع الجزيرة، ويفيض الملك حتى لا يقبله أحد حتى تكرر السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها".

١ التفسير المظهري: ج ١/٥٦٢.

٢ الوسيط: ١٢٢/٢.

٣ صحيح البخاري: ١٦٧/٤، برقم: (٣٤٤٨)، باب: نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام، كتاب أحاديث الأنبياء، وصحيح مسلم: ١٣٥/٩، برقم: (١٥٥)، باب: نزول عيسى ابن مريم حكما بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، كتاب الإيمان، ومسنند أحمد: ٥٥١/١٦، برقم: (١٠٩٤٤)، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، يقول ضعيف الأرناؤوط، وعادل مرشد، وأخرجه أسناده صحيح على شرط الشيخين، واللفظ للبخاري.

(٢) وعنه أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا تَزَلَّ ابْنُ مَرْثَمَ فِيكُمْ وَإِعَامُكُمْ بِكُمْ؟".

(٣) وعنه أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ - يَعْنِي عِيسَى - وَإِنَّهُ تَزَلُّ، فَبَلَا زَائِمُوهُ فَلَعَرَفُوهُ: رَجُلٌ مَرْبُوعٌ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ، بَيْنَ مَمْصُورَيْنِ، كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ، وَإِنْ لَمْ يُصْبِهِ بَلَلٌ، فَيَقَاتِلُ النَّاسَ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَيَذُقُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخُزَيْرَ، وَيَضَعُ الْحِزْبَةَ، وَيَهْلِكُ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ الْمَلَلَ كُلَّهُمَا إِلَّا الْإِسْلَامَ، وَيَهْلِكُ الْمَسِيحُ الدَّجَلُ، فَيَمُوتُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ يَتَوَفَّى فَيُصَلِّي عَلَى الْمُسْلِمِينَ؟".

(٤) وعنه أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّتْ، أُمَّهَاتُهُمْ شَيْءٌ وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ، وَإِنِّي أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْثَمَ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ وَإِنَّهُ تَزَلُّ، فَبَلَا زَائِمُوهُ فَلَعَرَفُوهُ: رَجُلٌ مَرْبُوعٌ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ، عَلَيْهِ ثَوْبَانِ مَمْصُورَانِ كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ، وَإِنْ لَمْ يُصْبِهِ بَلَلٌ، فَيَذُقُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخُزَيْرَ، وَيَضَعُ الْحِزْبَةَ، وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَيَهْلِكُ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ الْمَلَلَ كُلَّهُمَا إِلَّا الْإِسْلَامَ، وَيَهْلِكُ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ الْمَسِيحُ الدَّجَلُ، ثُمَّ تَقَعُ اللَّامَةُ عَلَى الْأَرْضِ حَتَّى تَرْتَفِعَ الْأَسْوَدُ مَعَ الْبَيْلِ، وَالْأَحْمَرُ مَعَ الْبَقَرِ، وَالْأَسْوَادُ مَعَ الْغَنَمِ، وَيَلْعَبُ الْمَسِيحُ بِالْحَيَاتِ، لَا تَضُرُّهُمْ، فَيَمُوتُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ يَتَوَفَّى، وَيُصَلِّي عَلَى الْمُسْلِمِينَ؟".

(٥) وعن جابر بن عبد الله قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يَقُولُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ: "فَيُزَلُّ عِيسَى ابْنُ مَرْثَمَ صَلَّى اللَّهُ

١ صحيح البخاري: ٦٦٨/١، برقم: (٣٤٤٩)، بابُ تَزَلُّ عِيسَى ابْنِ مَرْثَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، كتابُ أحاديث الأنبياء وصحيح مسلم: ١٣٧٨، برقم: (١٥٥)، بابُ تَزَلُّ عِيسَى ابْنِ مَرْثَمَ حَاكِمًا يَشْرِيهِ نَبِيًّا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كتابُ الإِيمَانِ، واللفظُ للبخاري.

٢ سنن أبي داود: ٣٧٧٦، برقم: (١٣٢٤)، بابُ خروج الدجال، كتابُ الملاحمِ، يقولُ شعيبُ الأرنؤوط، ومحمد كامل ليرة بللي: "حديث صحيح دون قوله: "فيصلي عليه المسلمون"، وهذا إسناد منقطع".

٣ مسند أحمد: ١٥، ١٥٣-١٥٤، برقم: (٩٧٧٨)، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، يقولُ شعيبُ الأرنؤوط، وعقل مرشد، وأخرون: حديث صحيح، والمستطرد للحاكم: ٦٤٨٢، برقم: (٤١٥٣)، فَيُكْفَرُ نَبِيُّ اللَّهِ وَيُزَوِّجُهُ عِيسَى ابْنُ مَرْثَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمَا، كتابُ تَوَاتُغِ الْمُتَقَنِّينَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، صححه الحاكم، واللفظُ لأحمد.

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لَئِنْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ أَمْرًا تَكْرِمَةً لِلَّهِ
مَلَيْهِ اللَّهُ^٢.

يقول الإمام الطبري: "وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا، قول من قال: "معنى ذلك: إني قابضك من
الأرض ورافعتك إلي"، لتواتر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ينزل عيسى ابن
مريم فيقتل الدجال، ثم يمكث في الأرض مدة ذكرها، اختلفت الرواية في مبلغها، ثم يموت فيصلي
عليه المسلمون ويدفنونه^٣.

ويقول القاضي ابن عطية: "وأجمعت الأمة على ما تضمنته الحديث المتواتر من أن عيسى عليه السلام
في السماء حي، وأنه ينزل في آخر الزمان فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ويقتل الدجال ويفيض
العدل ويظهر هذه الملة ملة محمد ويحج البيت ويعتمر، ويبقى في الأرض أربعاً وعشرين سنة، وقيل
أربعين سنة، ثم يميت الله تعالى^٤.

ويقول الإمام ابن كثير: "وكذا تواترت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أنجز
نزول عيسى ابن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة إماماً عادلاً وحكماً مقسطاً^٥.

٢٣ هو قول الجمهور: يقول الإمام الشوكاني: "وإنما اجتنب المفسرون إلى تأويل الوفا بما ذكر،
لأن الصحيح أن الله رفعه إلى السماء من غير رفق، كما رجحه كثير من المفسرين، واختاره
ابن جرير الطبري، ووجه ذلك أنه قد صح في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم نزوله
وقتل الدجال^٦.

ويقول الشيخ طنطاوي: "إن هذا القول هو قول جمهور العلماء، وهو القول الذي يتناسب مع ما أكرم
الله - تعالى - به عيسى - عليه السلام - من كرامات ومعجزات^٧.

١ صحيح مسلم: ١٢٧/١، برقم: (٢٥٦)، يلب نزول عيسى ابن مريم حاكماً وشريعاً نبينا محمداً صلى الله عليه
وسلم، كتاب الإيمان، ومسنند أحمد: ٢٢٥/٢٢، برقم: (١٥١٢٧)، مسند جابر بن عبد الله رضي الله عنه، يقول
شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرون: إسناده صحيح على شرط مسلم، واللفظ لمسلم.

٢ جامع البيان: ٤٥٨/٦.

٣ المحرر الوجيز: ٤٤٤/٦.

٤ تفسير القرآن العظيم: ٢٣٧٧.

٥ فتح القدير: ٣٩٥/١.

٦ الوسيط: ١٢٢/٦.

٤) الاحتجاج اللغوي؛ معنى "التوفي" هو "القبض" و "الأخذ" و "الرفع" من غير موت صحيح عند أهل اللغة.

يقول الفراء النحوي: "وقد يكون الكلام غير مقدم ولا مؤخر فيكون معنى مثولك: قابضك كما تقول: توفيت مالي من فلان: قبضته من فلان، فيكون التوفي على أخذه ورفعته إليه من غير موت".^١
ويقول الإمام الطبري: "ومعلوم أنه لو كان قد أماته الله عز وجل، لم يكن بالذي يمته ميتة أخرى، فيجمع عليه ميتون، لأن الله عز وجل إنما أخبر عياله أنه يخلقهم ثم يسبغهم ثم يحييهم، كما قال جل ثناؤه: ﴿لَهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَفَعَكُمْ ثُمَّ يُسَبِّغُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ مِنْ شَرِّكُمْ مَن يَفْعَلُ مِن شَرِّكُمْ مَن﴾".^٢

ويقول الإمام القرطبي: "والصحيح أن الله تعالى رفعه إلى السماء من غير وفاة ولا نوم كما قال الحسن بن زبد، وهو اختيار الطبري، وهو الصحيح عن ابن عباس، وقالة الضحاك".^٣
ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

"إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه".^٤

"إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه".^٥

"تفسير جهود السلف مقدم على كل تفسير شاذ".^٦

"القول الذي يؤيده تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها أولى بتفسير الآية".^٧

١ انظر: معاني القرآن للفراء النحوي: ٢٦٩/١، وتفسير السمعاني: ٢٢٢/١، والتفسير الموسيط لطنطاوي: ٢٢١/٢.

٢ معاني القرآن: ٢٦٩/١.

٣ سورة الروم، الآية ٤٠.

٤ جامع البيان: ٤٩٩/١.

٥ الجامع لأحكام القرآن: ١٠٠/٤.

٦ قواعد الترجيح عند المفسرين للحرشي: ٢٠٦/١.

٧ المصدر السابق: ٢٠٦/١.

٨ نفس المصدر السابق: ٢٨٧/١.

٩ المصدر السابق: ٥٦١/٢.

ما المراد بـ قوله تعالى: "الَّذِينَ كَفَرُوا" في الآية؟

قال الإمام المودودي - رحمه الله - : " المراد بالذين كفروا اليهود الذين دعاهم المسيح - عليه السلام - إلى الإيمان فرفضوه وكفروا به "١.

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي - رحمه الله - يتضح أنه ركز على قول واحد في المراد بـ " الَّذِينَ كَفَرُوا " في قوله تعالى: " إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ "، إلا أن للمفسرين قولين في المراد بـ " الَّذِينَ كَفَرُوا " المذكور في الآية المذكورة أذكرهما هنا باختصار على النحو الآتي:

القول الأول: المراد بهم اليهود خاصة؛ لأنهم ما كفروا بالله بل كفروا برسالة سيدنا عيسى - عليه السلام -.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، وابن عطية، والرازي، وغيرهم.

القول الثاني: المراد بهم الكفار عامة من جميع أهل الملل الذين جحدوا نبوة سيدنا عيسى - عليه السلام -.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، وابن عطية، وأبو حيان الأندلسي، وغيرهم.

١ تفهيم القرآن لأبي الأعلى المودودي الجزء الأول من الفقه إلى آل عمران، تعريب: أحمد إدريس، ص ٢٢١.

٢ انظر: جامع البيان: ٤٩٣/٦.

٣ انظر: المحرر الوجيز: ٤٤٤/٨.

٤ انظر: التفسير الكبير: ٢٢٩/٨.

٥ انظر: تفسير البهناوي: ١٩/٢، وتفسير ابن جزية: ٨٥٤/١، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ١٧٩/٣.

وتفسير الشوكاني: ٣٩٥/١، وتفسير الألوسي: ١٧٧/٢.

٦ انظر: جامع البيان: ٤٦٢/٦.

٧ انظر: المحرر الوجيز: ٤٤٥/١.

٨ انظر: البحر المحيط: ١٧٩/٣.

٩ ينظر: تفسير الشوكاني: ٣٩٥/١، وتفسير الألوسي: ١٧٧/٢.

التعليق: هكذا يتضح بعد الاستقراء في آراء المفسرين أن هناك قولين في المسألة، والشيخ المودودي - رحمه الله - ذكر واحدا منهما ولم يذكر القول الآخر مما يدل على أن القول الذي ذكره هو الراجح عنده وهو أن يكون المراد بـ "الذين كفروا" اليهود خلاصة، فيقول: "المراد بالذين كفروا اليهود الذين دعاهم المسيح - عليه السلام - إلى الإيمان فرفضوه وكفروا به". وهذا ما رجحه الأئمة المقرون أمثال: الرازي، والبيضاوي، وابن جزري، وغيرهم.

الأدلة:

(١) **السياق:** إن سيدنا عيسى - عليه السلام - بعث إلى اليهود ودعاهم إلى الإيمان فكفروا به، كما ذكره الإمام المودودي - رحمه الله -. ويقول الإمام ابن جزري في تفسيره: "أن يشهد بصحة القول ويدل عليه ما قبله أو ما بعده".

يقول العلامة الطاهر بن عاشور: "لأن اليهود ما كفروا بالله بل كفروا برسالة عيسى، ولأن عيسى لم يبعث لغيرهم فتطهيره لا يظن أنه تطهير من المشركين بقريته السابق".^١ ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

"إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما إلا بدليل يجب التسليم له".^٢

"القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه".^٣

١ انظر: التفسير الكبير: ٢٣٩/٨.

٢ انظر: أنوار التنزيل: ١٩٦.

٣ انظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ١٥٤/١.

٤ ينظر: تفسير الجلالين: ٨٤/١، وتفسير الطاهر بن عاشور: ٢٥٩/٣، وأوضح التفسير لمحمد عبد اللطيف الخطيب: ٦٦/١، والتفسير المفيد لجمعية الترجيبي: ٢٣/٣.

٥ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩/١.

٦ التحرير والتنوير: ٢٥٩/٣.

٧ قواعد الترجيح عند المفسرين: ١٢٥/١.

٨ البصائر السابق: ٢٩٩/١.

الآية:

﴿ قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَوُ لَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَخُذُ مِنَّا مَعْضًا مِّمَّا آتَيْنَا مِن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (٦٤)

مسألة:

ما المراد بـ: "أهل الكتاب" في الآية؟

قال الإمام المودودي رحمه الله:- "...إلا أن أسلوب السياق الذي يبدأ من هنا يوضح بأن المخاطبين هنا اليهود لا النصارى".^١

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي رحمه الله -يوضح بجلاء أنه ركز على قول واحد في المراد بـ "يَا أَهْلَ الْكِتَابِ" في قوله تعالى: "قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ"، إلا أن الاستقراء في أقوال المفسرين أثبت لي أنهم ذكروا ثلاثة أقوال في المخاطبين بـ "يَا أَهْلَ الْكِتَابِ" المذكور في الآية المذكورة، أذكرها على وجه الإجمال كالآتي:

القول الأول: الخطاب هنا لنصارى بخران لأنهم حُجِّجوا في عيسى عليه السلام - واتخذوه رباً.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن الجوزي،^٢ والرازي،^٣ والقرطبي،^٤ وغيرهم.

وذكره بصيغة التعميم: القاضي البيضاوي،^٥ والعلامة أبو السعود.

القول الثاني: الخطاب هنا لأهل الكتابين جميعاً من اليهود والنصارى، وهو الظاهر من النظم

القرآني. ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري،^٦ وابن الجوزي،^٧ والقرطبي،^٨ وغيرهم.

١ تفهيم القرآن: ٣٦٧/٨.

٢ انظر: زاد المسير: ٢٩٠/٨.

٣ انظر: التفسير الكبير: ٢٥٧/٨.

٤ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٠٥/٨.

٥ ينظر: تفسير ابن جزي: ١٥٥/٨، والبحر المحيط لأبي حنيفة الأندلسي: ١٩٢/٣، وتفسير الشوكاني: ٣٩٩/١.

٦ تفسير الألوسي: ١٨٦/٢.

٧ انظر: أنوار التنزيل: ٩٧٢، وإرشاد الطفل السليم: ٤٧/٢.

٨ انظر: جامع البيان: ٤٨٣/٦.

القول الثالث: الخطاب هنا لليهود المدينة.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن الجوزي، والرازي، والقرطبي، وغيرهم.^١
وذكره بصيغة التمریض: القاسمي البضاوي، والإمام ابن جزي، والعلامة أبو السعود، وإبراهيم
بن إسماعيل الأبياري.^٢

التعليق: هكذا يتبين من القراءة في السطور السابقة أن هناك ثلاثة أقوال في المسألة ذكرها
المفسرون، والشيخ المودودي - رحمه الله - ركز على واحد منها وصرح بأنه هو الراجح عنده،
وهو أن يكون المخاطبين بـ "يَا أَهْلَ الْكِتَابِ" اليهود، فيقول: "إلا أن أسلوب السياق الذي
يبدأ من هنا يوضح بأن المخاطبين هنا اليهود لا النصارى"، لكن يبدو لي من خلال القراءة في
كتب التفسير المتعددة أن القول الثاني وهو الراجح، وذلك لأدلة آتية، وإليه ذهب جمهور
المفسرين أمثال: الطبري،^٣ والسمعاني،^٤ والبضاوي،^٥ وغيرهم.^٦

١ انظر: زاد المسير: ٢٩٠/٨.

٢ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٠٥/٤ - ١٠٦.

٣ ينظر: تفسير البضاوي: ٢٧٢، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ١٩٣/٣، وتفسير ابن كثير: ٥٥/٢، والتفسير
المظهري لثناء الله المظهري: ٢٢٢/٦، وتفسير الشوكاني: ٣٩٩/١، وتفسير الألوسي: ٨٧٢.

٤ انظر: زاد المسير: ٢٩٠/٨.

٥ انظر: التفسير الكبير: ٢٥١/٨.

٦ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٠٥/٤.

٧ ينظر: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ١٩٣/٣، وتفسير الشوكاني: ٣٩٩/١، وتفسير الألوسي: ٨٧٢.

٨ انظر على التوالي: أنوار التنزيل: ٢١٧/٤، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٥٥/١، وإرشاد العقل السليم: ٤٧/٢،
والموسوعة القرآنية: ٣٢٢/٩.

٩ انظر: جامع البيان: ٤٨٢/٦.

١٠ انظر: تفسير القرآن: ٣١٢/٦.

١١ انظر: أنوار التنزيل: ٢١٧/٤.

١٢ ينظر: تفسير ابن كثير: ٥٥/٢، وتفسير أبي السعود: ٤٧/٢، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ٢٢٢/٦،
وتفسير الشوكاني: ٣٩٩/١، وتفسير الألوسي: ٨٧٢، وتفسير السعدي: ٢٢/٨، وأوضح التفاسير ل محمد عبد
المطيف الخطيب: ٦٧/١، والموسوعة القرآنية لإبراهيم بن إسماعيل الأبياري: ٢٢٢/٩، وصفوة التفاسير
المصايرني: ١٩٠/١ - ١٩١، وأبهر التفاسير للجزائري: ٣٢٧/٨، والتفسير الميسر ل نخبة من أئمة التفسير: ٥٨/١،
والتفسير المنير لوهبة الزحيلي: ٢٥٩/٣.

ظاهر النظم القرآني: فلفظ "أهل الكتاب" يعمّ ليشاؤ كل من أوتي كتابه فاليهود عندهم

التوراة والنصارى عندهم الإنجيل، ولا وجه لتخصيصه بالبعض دون بعض^١.

يقول الإمام الطبري: "وإنما قلنا عني بقوله: "يا أهل الكتاب"، أهل الكتابين، لأنهما جميعاً من أهل الكتاب، ولم يخص جل ثناؤه بقوله: "يا أهل الكتاب" بعضاً دون بعض، فليس بأن يكون موجهاً ذلك إلى أنه مقصود به أهل التوراة، بأولى منه بأن يكون موجهاً إلى أنه مقصود به أهل الإنجيل، ولا أهل الإنجيل بأولى أن يكونوا مقصودين به دون غيرهم من أهل التوراة، وإذا لم يكن أحد الفريقين بذلك بأولى من الآخر لأنه لا دلالة على أنه المخصوص بذلك من الآخر، ولا أثر صحيح فالحاجب أن يكون كل كتابي معنياً به. لأن إفراة العبادة لله وحدته وإخلاص التوحيد له واجب على كل مأمور منه من خلق الله. واسم "أهل الكتاب"، يلزم أهل التوراة وأهل الإنجيل، فكان معلوماً بذلك أنه عني به الفريقان جميعاً".

ويقول الإمام الشوكاني: "زُيِّلَ لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى جَمِيعًا، وَهَذَا ظَاهِرُ النُّظْمِ الْقُرْآنِيِّ، وَلَا وَجْهَ لِتَخْصِيسِهِ بِالْبَعْضِ، لِأَنَّ هَذِهِ دَعْوَةٌ عَامَّةٌ لَا تَخْتَصُّ بِأُولَئِكَ الَّذِينَ خَلَجُوا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"^٢. ومن هنا يظهر من تعليق هذين المفسرين الجليلين المذكورين أن (أهل الكتاب) ورد بصورة عامة يشمل اليهود والنصارى ولا وجه لتخصيصه باليهود فقط دون النصارى، خاصة وأنه أسلوب القرآن الكريم سار على هذا النهج على مدار السور القرآنية كلها فما من آية ورد فيها هذا المصطلح إلا وقد أريد به الصنفان معاً من اليهود والنصارى.

ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

"لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه"^٣.

١ انظر: تفسير الطبري: ٤٨٣/١، والتفسير الكبير للرازي: ٢٥٧/٨، وتفسير الشوكاني: ٣٩٩/١، وتفسير الألوسي:

٨٦٧، وأيسر التفاسير للجزائري: ٣٧٧/١.

٢ جامع البيان: ٤٨٣/١.

٣ فتح القدير: ٣٩٩/١.

٤ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ١٢٧/١.

"حمل معاني كلام الله على الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله أولى من الخروج به عن ذلك".^١

"يجب حمل تخصص البرحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص".^٢

١ المصدر السابق: ١/١٧٢.

٢ نفس المصدر السابق: ٢/٥٢٧.

الآية:

مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٧﴾

مسألة:

وسلم- أو من بعده؟

قال الإمام المودودي - رحمه الله -: "يعني أننا قد أخذنا ميثاقا من كل رسول - وكل ميثاق يؤخذ من نبي فهو ملزم لاتباعه أيضا - أن ننصر كل نبي يرسل من عندنا لإقامة الدين الذي أمرناك بإقامته والدعوة إليه، فلا تعصب ولا كبرياء ولا مخالفة للحق بل الانضمام تحت راية كل من قام من البشر ليرفع راية الحق بأمركنا".¹

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام يتضح أنه ذكر قولاً واحداً في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الْبَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّمَا أَرْفِئُ رِعْصَتَكُمْ وَأَظْهِرَ لَكُمْ دَلِيلِي وَمَا أَعِدُّ لِمُنكَرِكُمْ وَلَئِنَّكُمْ لَفِي حَكِيمٍ وَإِيَّاكُمْ لَمَّا جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْكُمْ مِّنْ صَفْوَةٍ لِّمَا مَعَكُمْ لَتَقُولُنَّ يَٰأَخِي نُصْرَتُهُ قَالَ بِأَقْرَبِهِمْ وَأَخْلَصُهُمْ عَنِ دِينِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَبُنَا قَالَ فَأَشْهَدُوا وَآنَا مَعَكُمْ مِنَ الْمُشْهَدِينَ ﴿٨١﴾﴾ إلا أنني وجدت أن للمفسرين قولين في الآية المذكورة أذكرهما هنا باختصار على النحو التالي:

القول الأول: أخذ الله تعالى ميثاقاً من كل نبي (من آدم - عليه السلام - إلى عيسى - عليه السلام) أنا يؤمن بمحمد - صلى الله عليه وسلم - سيد البشر ويصدقني وينصره إن أدرته.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية، وابن الجوزي، وأبو حيلة الأندلسي، وغيرهم.

١ تفهيم القرآن لأبي الأعلى المودودي، الجزء الأول من الفتاحة إلى آل عمران، تعريب: أحمد إدريس، ص ٢٢٨.

٢ انظر: المحرر الوسيط: ٤٦٥/١.

٢ انظر: زاد المسير: ٢٩٩/١.

٤ افطرت: البحر المحيط: ٢٢٧٢

٥ ينظر: تفسير ابن كثير: ٦٧٢، والتفسير المظهرى لتناء الله المظهرى: ق ٨٧٨.

القول الثاني: أخذ الله تعالى ميثاقا من كل نبي (من آدم - عليه السلام - إلى عيسى - عليه السلام) أن يؤمن بمن بعده ويصدق وينصره إن أشركه.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية، وابن الجوزي، وأبي حيان الأندلسي، وغيرهم.
التعليق: يتبين من القراءة في الدراسة السابقة أن هناك قولين في المسألة، والإمام المودودي ذكر واحدا منهما ورحجه وهو: "أن الله تعالى أخذ ميثاقا من كل نبي أن يؤمن بمن بعده وينصره لإقامة الدين والدعوة إليه"، فيقول: "يعني أننا قد أخذنا ميثاقا من كل رسول - وكل ميثاق يؤخذ من نبي فهو ملزم لاتباعه أيضا - أن تنصر كل نبي يرسل من عندنا لإقامة الدين الذي أمرناك بإقامته والدعوة إليه فلا تمصب ولا تكبريه ولا تخالفه للحق بل الانضمام تحت راية كل من قام من البشر ليرفع راية الحق بأمرنا"، ومن الجدير بالذكر أن الأئمة المفسرين: ابن كثير، والرازي، ومحمد عزة دروزة، وطنطلوي جمعوا بين القولين، ويترأى لي أن القول الأول أرجح لأدلة، وإليه ذهب أكثر المفسرين من أمثال: السمعاني، والنسفي، وابن جزري، وغيرهم.

الأدلة:

١ انظر: الخمر الوجيز: ٤٦٥/١.

٢ انظر: زاد المسير: ٢٩٩/١.

٣ انظر: البحر المحيط: ٢٣٦/٣.

٤ ينظر: تفسير ابن كثير: ٦٨٢/٢، والتفسير المظهري لشأن الله المظهري: ق ٨٧/٢٦، وتفسير المراغي: ١٩٩/٣.

٥ انظر على التوالي: تفسير القرآن العظيم: ٦٧٢/٢، والتفسير الكبير: ٢٧٤/٨، والتفسير الحديث: ٤٨٠/٧، والوسيط: ١٦٤/٢.

٦ انظر: تفسير القرآن: ٣٣٧/١.

٧ انظر: مدارك التنزيل: ٢٦٩/١.

٨ انظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ١٥٧/١.

٩ ينظر: تفسير الجلالين: ٧٨/١، وتفسير السمعاني: ٣٣٧/١، وتفسير الألويسي: ٢٠١/٢، وتفسير الطاهر بن عاشور: ٢٨٧/٣، والتفسير الواضح لمحمد محمود الحجازي: ٢٤٨/١، وأوضح التفسير لمحمد عبد اللطيف الخطيب: ٧٧/١، وصفوة التفاسير للصابوني: ١٩٥/١، والتفسير الميسر لنخبة من أساتذة التفسير: ١٠/١، وتفسير حقائق الروح والريحان لمحمد الأمين الحرزي: ٤٠٢/٤، والمختصر في تفسير القرآن الكريم لجماعة من علماء المتفسير: ٦٠/١.

١١) هو قول الجمهور. يقول ابن عطية في الآية الكريمة: "وقال كثير من المفسرين: الإشارة بذلك إلى محمد صلى الله عليه وسلم".^١

١٢) السياق: يدور معنى الآية من أولها إلى الآية المدروسة على إثبات رسالة محمد - صلى الله عليه وسلم. يقول محمد محمود الحجازي: "هذه السورة الكريمة من أولها إلى هنا يدور معناها على إثبات رسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - الذي يجب أن يؤمن به الكل. وأن دينه هو الحق وهو الإسلام، وكل من تقدمه من الأنبياء والأصم قد أخذ عليهم الميثاق أن يؤمنوا به إذا أمرهم فما يل أهل الكتاب اليوم قد نقصوا العهد والميثاق وأعرضوا عن هذا الدين".^٢

ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

"تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شذو".^٣

"إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما إلا بدليل يجب التسليم له".^٤

١ المحرر الوجيز: ٤٦٥/١.

٢ التفسير الواضح: ٢٤٧/١.

٣ قواعد الترجيح عند المفسرين: ٢٨٧/١.

٤ المصدر السابق: ١٢٥/١.

الآية:

قَالَ تَعَالَى: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلَ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (١١)

مسألة:

من المراد بأهل الكتاب في الآية الكريمة؟

قال الإمام المودودي - رحمه الله -: المراد بأهل الكتاب هنا بنو إسرائيل.

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام يظهر أنه ذكر قولاً واحداً في المراد بأهل الكتاب في قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلَ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (١١)، إلا أن الدراسة في التفاسير أثبتت لي أن هناك قولين في المراد بأهل الكتاب في الآية الكريمة السابقة أذكرهما هنا على وجه الإجمال كالآتي:

القول الأول: إنهم أهل التوراة والإنجيل من اليهود والنصارى معاً.

وعن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، وابن الجوزي، والخازن، وغيرهم.

١ تفهيم القرآن لأبي الأعلى المودودي، الجزء الأول من الفلحة إلى آل عمران، تحرير: أحمد إدريس، ص ٢٣٦.

٢ انظر: جامع البيان: ١٠٧/٧.

٣ انظر: زاد المسير: ٣٦٥/٨.

٤ انظر: لمبج التاويل: ٢٨٥/١.

القول الثاني: إنهم أهل التوراة من اليهود خاصة.

وعن ذكر هذا القول من المفسرين: الشوكاني والطاهر بن عاشور، ومحمد عزة دروزة^١.

التعليق: يتبين من القراءة في الدراسة المذكورة أن هناك قولين في المراد بأهل الكتاب في الآية الكريمة، والإمام المودودي ذكر واحدا منهما مما يدل على أنه هو الراجح عنده ووقع عليه اختياره وهو: "أن المراد بهم هنا بنو إسرائيل (اليهود خاصة)، فيقول: "المراد بأهل الكتاب هنا بنو إسرائيل"، وإليه ذهب الشوكاني والطاهر بن عاشور، ومحمد عزة دروزة^٢.

الأدلة:

(١) الحديث: روي الشيخان عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "لَوْ لَعَنَ بِي حَشْرَةٌ مِنَ الْيَهُودِ لَأَعَنَ بِي الْيَهُودُ"^٣، إن المقصود الأول بهم هنا اليهود لأنهم كانوا مع المسلمين في المدينة ودعمهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام، وأسلم منهم نفر قليل، كما يقول الطاهر بن عاشور: "ولعل الكتاب يشمل اليهود والنصارى لكن المقصود الأول هنا هم اليهود لأنهم كانوا مختلطين بالمسلمين في المدينة، وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- دعاهم إلى الإسلام، وقصد بيت جلداسيهم، ولأنهم قد

١ ينظر: التفسير الحديث لمحمد عزة دروزة: ٢١٠/٧، والتفسير الميسر لنخبة من أساتذة التفسير: ٦٤/٨، وتفسير حقائق الروح والرياحات لمحمد الأمين المرزوقي: ٦٢/٥، والمختصر في تفسير القرآن الكريم لجامعة من علماء التفسير: ٦٤/٨.

٢ انظر على التوالي: فتح القدير: ٤٣٧/١، والتحرير والتنوير: ٥٢/٤، والتفسير الحديث: ٢١٠/٧.

٣ انظر على التوالي: فتح القدير: ٤٢٦/٨، والتحرير والتنوير: ٥٢/٤، والتفسير الحديث: ٢١٠/٧.

٤ صحيح البخاري: ٧٠/٥، برقم (٣٩٤١)، باب إتيان اليهود النبي صلى الله عليه وسلم، كتاب مناقب الأنصار، وصحيح مسلم: ٢٦٥٧/٤، برقم (٢٧٩٣)، باب نزل أهل الجنة، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، واللفظ للبخاري.

أَسْلَمَ مِنْهُمْ نَفَرٌ قَلِيلٌ وَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "لَرَأَيْنِي عَشْرَةَ مِنْ
الْيَهُودِ لَأَتَنَّ بِي الْيَهُودُ كُلُّهُمْ" ١.

(٢) السياق. يدل روح الآيات ومضمونها بأن الآيات في اليهود وهو الأوجه.

يقول عماد عزة دروزة "... وروح الآيات ومضمونها وتطابق الصفات الواردة فيها مع الصفات
الواردة في اليهود صراحة في آيات أخرى وبخاصة في آية سورة البقرة [٦١] تجعل القول بأن
الآيات في اليهود هو الأوجه" ٢.

ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

"إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه" ٣.

"إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما إلا بدليل يجيب التسليم
له" ٤.

١ سبق تحريجه في الصفحة السابقة.

٢ التحرير والتحرير: ٥٢/٤.

٣ التفسير الجليلي: ٢٦٠/٧.

٤ قواعد الترجيح عند المفسرين: ٢٠٦/١.

٥ المصدر السابق: ١٢٥٨/١.

الآية:

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَلَهُمْ ظُلُمَاتٌ ۖ وَلَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَتُوبُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٦﴾

مسألة:

ما سبب نزول الآيات؟

قال الإمام المودودي -رحمه الله-: "حين جرح النبي صلى الله عليه وسلم - فدعا على الكفار قائلا: "كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ فَعَلُوا هَذَا وَنَبِيَّهُمْ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ؟"، وهذه الآية نزلت في رد هذا".

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي -رحمه الله- يظهر أنه ذكر قولاً واحداً في سبب نزول الآية، إلا أنني وجدت أن المفسرين ذكروا ثلاثة أقوال في سبب نزولها أذكرها هنا كالتالي:

القول الأول: نزلت لما كسرت ربيعة وشج وجهه يوم أحد فقل: "كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ فَعَلُوا هَذَا وَنَبِيَّهُمْ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ؟".

وعن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، وابن عطية، وابن الجوزي، وغيرهم.

القول الثاني: نزلت لما دعا النبي صلى الله عليه وسلم - على رؤساء المشركين باللعنة، مثل: أبي سفيان وصقوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام.

وعن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، وابن عطية، وابن الجوزي، وغيرهم.

١ تفهيم القرآن: ٢٨٧/١.

٢ انظر: جامع البيان: ١٩٥/٧.

٣ انظر: المحرر الوجيز: ٥٠٥/١-٥٠٦.

٤ انظر: زاد المسير: ٣٣٤/١.

٥ ينظر: التفسير الكبير للرازي: ٣٥٥/٨، وتفسير الشوكاني: ٤٣٥/١، وتفسير الأوسمي: ٣٦٤/٢.

٦ انظر: جامع البيان: ١٩٩/٧.

٧ انظر: المحرر الوجيز: ٥٠٦/١.

٨ انظر: زاد المسير: ٤٣٣/١.

القول الثالث: نزلت لما دعا الرسول صلى الله عليه وسلم - على أحياء من أحياء العرب - وذلك لأنهم قتلوا سبعين من قرأء أصحابه الذين أرسلهم الرسول صلى الله - إليهم ليعلموهم القرآن والعلم.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، وابن الجوزي، وابن جزي، وغيرهم.

التعليق: يتبين من القراءة في الدراسة المذكورة أن هناك ثلاثة أقوال في سبب نزول الآيات، والإمام المودودي ذكر واحدا منها مما يدل على أنه هو اختياره وترجيحه وهو: "أن هذه الآيات نزلت حين جرح النبي صلى الله عليه وسلم في أحد فدعا على الكفار"، فيقول: "حين جرح النبي صلى الله عليه وسلم - فدعا على الكفار قائلا: "كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ قَتَلُوا هَذَا بَنِيهِمْ وَهُمْ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ؟"، وهذه الآيات نزلت في رد هذا"، وإليه ذهب عدد من المفسرين: أمثال: الجلالين والصابوني، وأصحاب التفسير الميسر، ومن الجدير بالإشارة إلى أن المفسرين: المراغي والسعدي، وأبا بكر الجزائري جمعوا بين القول الأول والثاني.

الأدلة:

(١) **الأحاديث النبوية:** روى مسلم عن أنس: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُمِرَتْ رِبَاعِيَّةٌ يَوْمَ أُحُدٍ وَشُجَّ فِي رَأْسِهِ، فَجَعَلَ يَسْتَلُثُّ الدَّمَ عَنْهُ، وَيَقُولُ: "كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ قَتَلُوا نَبِيَّهُمْ وَكُفِّرُوا رِبَاعِيَّةً، وَهُمْ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ؟"، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ} ١٠٩.

١ ينظر: التفسير الكبير للرازي: ٣٥٩/٨، وتفسير الشوكاني: ٤٣٥/١، وتفسير الألوسي: ٣٦٤/٢.

٢ مثل: مضرب، ولحيان، ورعل، وذكوان، وعصبة.

٣ انظر: جامع البيان: ٢٠٢/٧.

٤ انظر: زاد المسير: ٣٢٤/١.

٥ انظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ١٦٤/١.

٦ ينظر: تفسير الشوكاني: ٤٣٩-٤٣٦، وتفسير الألوسي: ٣٦٥/٢.

٧ تفسير الجلالين: ٥٤/١، وصفوة التفسير: ٢٠٧/١، والتفسير الميسر: ٦٧/١.

٨ انظر على التوالي: تفسير المراغي: ٦٠/٤، وتفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ١٤٧/١، وأيسر التفاسير: ٣٧٥/١.

٩ سورة آل عمران، الآية ١٢٨.

١٠ صحيح مسلم: ١٤١٧/٣، برقم: (١٧٩١)، باب غزوة أحد، كتاب الجهاد والسير.

وروى الترمذي وصححه عن أنس، أن النبي صلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته يوم أُحُدٍ وشجَّ وجهه شجةً في جبهته حتى سَلَّ الدَّمُ عَلَى وَجْهِهِ فَقَالَ: "كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ فَعَلُوا هَذَا بِنَبِيِّهِمْ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ؟" فَزَلَّتْ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ [آل عمران: ١٢٨] إِلَى آخِرِهَا^١.

وروى أحمد عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته يوم أُحُدٍ وشجَّ في جبهته حتى سَلَّ الدَّمُ عَلَى وَجْهِهِ فَقَالَ: "كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ فَعَلُوا هَذَا بِنَبِيِّهِمْ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ" فَزَلَّتْ هَلِ الْآيَةُ: [لَسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ]^٢.

٢ هوقول أكثر العلماء.

٢ السابق.

يقول الإمام الرازي أثناء رده على القول الثالث: "وَهُوَ بَعِيدٌ لِأَنَّ أَكْثَرَ الْعُلَمَاءِ اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ فِي قِصَّةِ أُحُدٍ وَسَبَّاقُ الْكَلَامِ يَدُلُّ عَلَيْهِ وَإِلْقَاءُ نَصَةِ أُجَيْنِيَّةٍ عَنِ أَوَّلِ الْكَلَامِ وَآخِرِهِ غَيْرُ نَائِقٍ"^٣.

وبما يؤيد هذا الترجيح القواعد الترجيحية التالية:

"إذا ثبت تاريخ نزول الآية أو السورة فهو مرجح لما وافقه من أوجه التفسير"^٤. و"تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير مثلاً"^٥. و"إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما، إلا بدليل يجب التسليم له"^٦.

١ سنن الترمذي: ٢٢٦٧٥-٢٢٦٧٦، برقم: (٣٠٠٢)، باب ومن سورة آل عمران، أبواب تفسير القرآن.

٢ سورة آل عمران، الآية ١٢٨.

٣ يقول شعيب الأرنؤوطه علل مرشده وأخرون: إنله صحيح على شرط الشيخين، ومسنده أحمد: ٣٠/١٩، برقم: (١١٩٥٦)، مسند أنس بن مالك - رضي الله تعالى عنه -.

٤ التفسير الكبير: ٣٥٥/٨.

٥ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٢٥٨/١.

٦ المصدر السابق: ٢٨٨/١.

٧ نفس المصدر السابق: ١٢٥/١.

الآية:

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلَّ وَمَنْ يَكُلَّ يَأْتِ بِمَا عَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ثُمَّ نُوَوِّي كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا

يُظْلَمُونَ ﴿٣١﴾﴾

مسألة:

ما هو سبب نزول الآية؟

قال الإمام المودودي رحمه الله: "لما رأى الزمة الذين وكل إليهم الرسول حماية ظهر المسلمين اغتنام جند العدو، وظنوا أن الغنمة سيالها من اغتنامها فحسب، أما هم فلن يكون لهم نصيب منها وعلى هذا تركوا مكانهم. فلما رجع الرسول صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة بعد انتهاء الحرب دعاهم وسألهم عن سبب عصيانهم ما أمرهم به فتعللوا بأعذار واهية فرد عليهم: "هل ظننتم أنا نكل ولا نقسم لكم" وهذه الآية تشير إلى هذا الأمر. ومعنى قول الله هنا إنه إذا كان قائد جيشكم هو رسول الله نفسه وكافة الأمور بيديه فكيف تظنون أنه لن يحفظ مصالحكم وهل تظنون من رسول الله أن يلزم ما تحت يده من أموال بطريقة أخرى غير الأساندة والإنصاف والتقوى؟".

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام يتبين أنه ذكر قولاً واحداً في سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلَّ وَمَنْ يَكُلَّ يَأْتِ بِمَا عَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ثُمَّ نُوَوِّي كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٣١﴾﴾، مما يدل على أنه هو الراجح عنده، إلا أنني وجدت خلال تنصي للتفسير أربعة أقوال للمفسرين في سبب نزول الآية المذكورة أذكرها هنا على النحو التالي:

القول الأول: نزلت الآية بسبب قطيفة حمراء فقدت من الغنائم يوم بدر، فقال البعض: لعل النبي صلى الله عليه وسلم - أخذها فبرأ الله - عز وجل - نبيه صلى الله عليه وسلم - عما اتهم به. ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية، والقرطبي، وأبو حيان الأندلسي، والألوسي.

١ تفهيم القرآن لأبي الأعلى المودودي، الجزء الأول من الفلحة إلى آل عبراته، تحرير: أحمد إدرسي، ص ٢٤٩.
٢ النظر على التوالي: المحرر الوجيز: ٥٣٥/٩، والجامع لأحكام القرآن: ٢٥٤/٤، والبحر المحيط: ١٢/٣، وروح المعاني: ٣٢٧/٣.

القول الثاني: نزلت الآية بسبب الرمة اللذين أدخلوا المركز يوم أحد طلباً للغنيمة خشية أن يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "من أخذ شيئاً فهو له، وإن لا يقسم الغنائم، فلما ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، قال: "بل ظننتم أننا نغل ولا نقسم لكم"، فبما الله عز وجل - نبيه صلى الله عليه وسلم - على أبلغ وجه مما اتهم به.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية، والقرطبي، وأبو حيان الأندلسي، والألوسي.^١

القول الثالث: نزلت الآية بسبب أن النبي صلى الله عليه وسلم - بعث طلائع في بعض الغزوات ففتنهم قبل مجيئهم وقسم للناس ولم يقسم لهم، فالمراد المبالغة في النهي عن الغلوله أي: ما كان لشيء أن يقسم لبعض ويترك بعضاً. ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية، والقرطبي، والألوسي.^٢

القول الرابع: نزلت الآية إعلالاً بأن النبي صلى الله عليه وسلم - لم يكتم شيئاً من الوحي. ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية، وأبو حيان الأندلسي.^٣

التعليق: يبين من القراءة في الأسطر السابقة أن هناك أربعة أقوال في سبب نزول الآية الكريمة والإمام المودودي ذكر واحداً منها عما يترك على أنه هو الراجح لديه وهو اختياله، وهو: "نزلت الآية لتبرئة نبيه صلى الله عليه وسلم - عما اتهم به الرمة اللذين أدخلوا المركز يوم أحد طلباً للغنيمة"، فيقول: "لما رأى الرمة اللذين وكل إليهم الرسول حماية ظهر المسلمين اغتالهم جند العدو، وظنوا أن الغنيمة سينالها من اغتالها فحصب، أما هم فلن يكون لهم نصيب منها وعلى هذا تركوا مكلتهم. فلما رجع الرسول صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة بعد انتهاء الحرب دعاهم وسألهم عن سبب عصيانهم ما أمرهم به فتعللوا بأعذار واهية فرد عليهم: "بل ظننتم أننا نغل ولا نقسم لكم" وهذه الآية تشير إلى هذا الأمر، وإلى ذهب من المفسرين: المراغي، وعبد محمود الحجازي.^٤

١ انظر على التوالي: المحرر الوجيز: ٥٣٥/١، والجامع لأحكام القرآن: ٢٥٤/١، والبحر المحيط: ١١٢/٣، وروح المعاني: ٣٢٧/٢.

٢ انظر على التوالي: المحرر الوجيز: ٥٣٥/١، والجامع لأحكام القرآن: ٢٥٤/١، وروح المعاني: ٣٢٧/٢.

٣ انظر: المحرر الوجيز: ٥٣٥/١، والبحر المحيط: ١١٢/٣.

٤ انظر: تفسير المراغي: ١١٩/٢، والتفسير الموضح: ٣٢٧/١.

(١) هو قول الجمهور. يقول محمد أبو زهرة: "وإن المعنى الذي يجري عليه جمهور المفسرين بأن المراد بالغلول المنفي عن الرسول وسائر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هو الغلول الحافي في شتو الماحة".^١

(٢) السياق. يدل السياق على أنه في الحرب وما يتعلق بها من الغنائم. يقول محمد أبو زهرة أثله رده القول الرابع: "ولكن السياق لا يؤيد هذا المعنى؛ لأن السياق كله فيما قبله وما بعده يدل على أنه في الحرب وما يتعلق بها من غنائم أغرت الرمة وأخرجتهم من محارمهم؛ ولما يجي بعد ذلك من تعميم الحكم لكل من يغل غير الأنبياء من حيث إنه يأتي بما غل يوم القيامة؛ ولذلك قال تعالى: (وَمَنْ يَغْلُ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)^٢".

(٣) اللغة العربية: أصل الغل أخذ من الغير خفية، ولذلك استعمل في السرقة، ثم خصص بالسرقة من المغنم قبل القسمة. قال ابن منظور: "وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: الْغُلُولُ مِنَ الْمَغْنَمِ خَاصَّةٌ وَلَا تَرَاهُ مِنَ الْبُيُوتَةِ وَلَا مِنَ الْحَقْدِ وَمِمَّا يَبِينُ ذَلِكَ أَنَّهُ يُقَالُ مِنَ الْبُيُوتَةِ أَغْلٌ يُغْلُ، وَمِنَ الْحَقْدِ غُلٌّ يُغْلُ، بِالْكَسْرِ، وَمِنَ الْغُلُولِ غُلٌّ يُغْلُ، بِالضَّمِّ"^٣.

(٤) لا يليق بمكانة الأنبياء أن يأخذوا شيئاً من المغنم؛ لأنهم هم المثل الأعلى في الخلق.

يقول محمد محمود الحجازي: "إن الله قد عصم أنبياءه ورفع درجاتهم عن سفاسف الأمور التي يترفع عنها متوسطو الناس، فما يصح ولا يليق بمكانة النبوة التي رفعها الله أن يأخذ نبي شيئاً من الغنائم، وكيف يكون ذلك؟ وهم المثل العليا في الخلق الكامل والأدب العالي، وهم يعرفون أن من يأخذ شيئاً في الدنيا بغير حق يأثم يوم القيامة".^٤

١ زهرة التفسير: ١٤٨٣/٣.

٢ سورة آل عمران، الآية ١٦٦.

٣ المصدر نفسه.

٤ انظر: مفردات القرآن للراغب: ٩٥٧/٣، ولسان العرب لأبي منظور: ٥٠٧/١٩، فصل الفين المعجمة، حرف

اللام، وتفسير الألوسي: ٣٢٠/٢.

٥ لسان العرب: ٥٠٧/١٦، فصل الفين المعجمة، حرف اللام.

٦ التفسير الواضح: ٣٠٢٨-٣٠٣.

ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

- "تفسير جمهور المؤلف مقدم على كل تفسير شاذ" ١.
- "إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما، إلا بدليل يجب التسليم له" ٢.
- "القول الذي يؤيده تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها أولى بتفسير الآية" ٣.
- "كل قول ملحق في عصمة النبي صلى الله عليه وسلم - ومقام الرسالة فهو مردود" ٤.



١ قواعد الترجيح عند المفسرين للعربي: ٢٨٧/١.

٢ المصدر السابق: ٢٢٥/١.

٣ نفس المصدر السابق: ٥١/٢.

٤ نفس المصدر السابق: ٢٢٨/١.

الباب الثاني:
ترجيحات الشيخ أبي الأعلى المودودي في سور النساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف:

وفيه أربعة فصول:

- الفصل الأول: ترجيحاته في سورة النساء
- الفصل الثاني: ترجيحاته في سورة المائدة
- الفصل الثالث: ترجيحاته في سورة الأنعام
- الفصل الرابع: ترجيحاته في سورة الأعراف

الفصل الأول:
ترجيحات سورة النساء

الآية:

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأُمَّهَاتُ لِسَائِبِكُمْ وَزَوَّجْنَاهُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَخَلِيلُ آبَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أُمَّهَاتِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (٢٢)

مسألة:

هل البنت المولودة من الزنا تعد من المحرمات أم لا؟

يقول الإمام المودودي -رحمه الله- : "الخليفة في حكم البنت، إلا أن هناك اختلافا في البنت المولودة من الروابط المحرمة (الزنا)، فذهب الإمام أبو حنيفة، ومالك، وأحمد إلى أنها محرمة على الرجل مثل البنت الحلال، وذهب الإمام الشافعي أنها ليست من المحرمات. لكن العقل السليم يناقِ تصورنا يعرف فيه الإنسان أنه يتزوج بنتا خلقت من نطفته".

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي -رحمه الله- يتبين أنه ذكر قولين في المسألة، رجح منهما القول الذي يقول: إن البنت المولودة من الزنا تعد من المحرمات. ووجدت خلال تنبهي للتفسير أن المفسرين أيضا ذكروا القولين التاليين:

القول الأول: البنت المولودة من ماء الزنا داخلة في قوله "بَنَاتُكُمْ" لأنها متخلقة من مائه وبضعة منه، فهي بنته في الحقيقة، فتكون حراما، ولها حرمة البنت الشرعية.

القول الثاني: البنت المولودة من ماء الزنا ليست داخلة في قوله "بَنَاتُكُمْ" لأنها لا تكون بنته؛ لعدم ثبوت التوارث له ولا غيره من أحكام النسب التي تثبت بالنكاح الشرعي، فلا تكون حراما وليس لها حرمة البنت الشرعية.

ومن ذكر هذين القولين من المفسرين: الرازي والألوسي، وروية الزحيلي، ومحمد علي الميايى.

التعليق: هكذا يبين من القراءة في السطور السابقة أن هناك قولين في المسألة ذكرهما المفسرون، والشيخ المودودي - رحمه الله - رجح القول الأول وهو: أن البنت المولودة من الزنا محرمة على الرجل مثل البنت الحلال، وقدم الدليل العقلي وهو: أن العقل السليم لا يقبل أن يتزوج الرجل البنت المخلوقة من نطفته، يقول: "فذهب الإمام أبو حنيفة، وبالك، وأحمد إلى أنها محرمة على الرجل مثل البنت الحلال، وذهب الإمام الشافعي أنها ليست من المحرمات لكن العقل السليم ينال تصورًا يعرف فيه الإنسان أنه يتزوج بنتًا خلقت من نطفته"، ورجح الألوسي هذا القول في تفسيره.

الأدلة

(١) البنت المولودة من ماء الرجل تحرم عليه لأنها بنته في الحقيقة، وجزء منه سواء من ماء حلال أو سفاح.^٣

يقول العلامة الألوسي: "ثم ظاهر النص يدل على أنه يحرم للرجل بنته من الزنا لأنها بنته، والخطاب إنما هو باللغة العربية ما لم يثبت نقل - كلفظ الصلاة ونحوه - فيصير منقولاً شرعياً".^٤

ويقول أيضاً: "ولا خلاف بين أهل اللسان في أن المخلوقة من ماء إنسان بنته سواء كان ذلك الماء ماء حلالاً أو سفاحاً والجزئية ثابتة في الصورتين والظاهر أنها هي مبدأ حرمة النكاح".^٥

١ انظر على التوالي: التفسير الكبير: ٢٥/١٠، وروح المعاني: ٤٥٧/٢، والتفسير المنير: ٣٦٧/٤، وتفسير آيات الأحكام: ٢٥٣/١.

٢ انظر: روح المعاني: ٤٥٧/٢ - ٤٦٠.

٣ انظر: تفسير الألوسي: ٤٥٧/٢، والتفسير المنير لروية الزحيلي: ٣٦٧/٤، وتفسير آيات الأحكام للسائس: ٢٥٣/١.

٤ روح المعاني: ٤٥٧/٢.

٥ المصغر السابق: ٤٥٧/٢ يتصرف.

(١) البنت المولودة من ماء الزنا تحرم على الرجل قياساً على ولد الزنا فإنه محرم عليه أمه إجماعاً فالولد بعض منها؛ فكذلك البنت بعض منه^١.

(٢) وعدم ثبوت التوارث مثلاً بين المخلوقة من ماء الزنا وصاحب الماء ليس لعدم الجزئية وكونها ليست بنتاً حقيقة بل للإجماع على ذلك، ولولاه لورثت كما يرث ولد الزنا أمه^٢.

(٣) ونفي بعض لوازم البنت عنها للعقوبة لا يقتضي نفي البقية، وجواز ذلكها^٣.

ويؤيد هذا القول القاعدة الترجيحية التالية:

"لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه".

١ انظر: تفسير الألوسي: ٢٥٨/٢، وتفسير آيات الأحكام للمسائس: ٢٥٣/١.

٢ تفسير الألوسي: ٢٥٩/١.

٣ تفسير آيات الأحكام للمسائس: ٢٥٣/١.

٤ قواعد الترجيع عند المفسرين للحرشي: ١٣٧/١.

الآية:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَسْتُمْ مِنَ النِّسَاءِ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ۝ (٤٣)﴾

مسألة:

بم يجوز التيمم؟

قال الإمام المودودي - رحمه الله - : " ليس من الضروري في التيمم أن تُضْرَب الأرض بالأيدي، وإنما يكفي لهذا الهدف كل شيء مغبر أو شيء الذي يشمل على الأجزاء الأرضية اليابسة".
دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي - رحمه الله - يتضح أنه ذكر قولاً واحداً في المسألة، ولم يذكر أقوالاً أخرى مما يدل على أن القول الذي ذكره هو الراجح عنده، إلا أنني وجدت خلال تبعمي للتفاسير أن المفسرين ذكروا قولين في المسألة:

القول الأول: يجوز التيمم بكل ما كان من جنس الأرض الطاهر، من تراب أو رمل أو حجارة بلا تقع أو غير ذلك. وإلى هذا ذهب الإمام أبو حنيفة والإمام مالك والإمام الشافعي والإمام الطبري وغيرهم، والإمام محمد في إحدى الروايتين عنه.
 ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، والجصاص، وابن العربي، وغيرهم.

١ تفهيم القرآن: ٣٥٧/١.

٢ انظر: جامع البيان: ٤٠٨/٨ - ٤٠٩.

٣ انظر: أحكام القرآن : لأحمد بن علي أبي بكر الرازي الجصاص الحنفية: ٥٧٤، المحقق: محمد صافق القمحاري، عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف، تاريخ الطبع: ١٤٠٥ هـ دار إحياء التراث العربي بيروت.

والجصاص مؤيد الإمام، العلامة، المفتي، الجليل، علم العراق أحمد بن علي أبي بكر الجصاص، الرازي الحنفية، صاحب الفصائل، وصاحب أبي الحسن الكرخي، نقل من أهل الري، سكن بغداد ومات فيها، وصف وجمع وتخرج به الأصحاب ببغداد، وإليه انتهت رئاسة الحنفية، مع براعته في العلم، كان مشهوراً بالزهد والدين، عرض عليه قضية فلم ينع. مات في ذي الحجة سنة سبعين وثلاث مائة، وله خمس وستون سنة من مصنفاته: "أحكام القرآن"، و"أصول الفقه"، و"شرح الجامع الصغير" في الفروع، و"شرح الجامع الكبير"، و"شرح مختصر الطحاوي". (انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣٤٦-٣٤٧، وشذرات

القول الثاني: لا يجوز التمسك إلا بالتراب فقط، أي: لا بد أن يعلق باليد شيء من التراب. وإلى هذا ذهب الإمام الشافعي، والإمام أحمد، والإمام محمد في الرواية الأخرى عنه. وزاد/ وانضم أبو يوسف إليه. الوصل الذي لا تراب عليه.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الجصاص^١، والكيالهراسي^٢، وابن العربي^٣، وغيرهم. ولقد رد الأئمة: الزمخشري، والجصاص، والقرطبي، وثناء الله المظهري على هذا القول. يقول الإمام الزمخشري بعد اختيار القول الأول: "فإن قلت: فما يصنع بقوله تعالى في سورة المائدة (فَانسَحُوا يُوْجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ مِنْهُ) أي بعضه، وهذا لا يتأتى في الصخر الذي لا تراب عليه؟ قلت: قالوا إن "من" لا ابتداء الغاية. فإن قلت: فلو لم إنها لا ابتداء الغاية قول متعسف، ولا يفهم أحد من العرب من قول القائل: سححت براسه من الدهن ومن الماء ومن التراب إلا معنى التبعض قلت: هو كما تقول، والإذعان للحق أحق من المراء إن الله كان خَفُوءًا غَفُورًا

الذهب في أحجار من ذهب لعبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد المكري الخليلي، أبو الفلاح: ٢٧٧/٤. حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الطبعة الأولى: ١٤٠٦هـ/١٩٨٧م، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، والأعلام للزركلي: ١٧٧٨، ومدة المعارف للبنداري: ٦٦٨-٦٦٧. ١ انظر: أحكام القرآن: ٥٦٩/١.

٢ ينظر: تفسير القرطبي: ٢٣٧/٥، وتفسير البضاوي: ٧٧٨، وتفسير النسفي: ٣٦٧/١، وتفسير ابن جزى: ١٩٤/١. وتفسير ابن كثير: ٢٦٨/٢، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ق ١٢٧/٢٢، وتفسير الألوسي: ٤٢/٣، وفتح البيان لمحمد صديق خان: ١٣٢/٣، وأضواء البيان للشنقيطي: ٣٥٦/١، والتفسير المنير لوهبة الزحيلي: ٩٧/٥.

٣ انظر: أحكام القرآن للجصاص: ٢٩/٤، وأحكام القرآن للكيالهراسي: ٥٧/٣، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ق ١٢٧/٢٢.

٤ انظر: أحكام القرآن: ٣٠/٤.

٥ انظر: أحكام القرآن لعلي بن محمد بن علي، أبي الحسن الطبري، الملقب بعماد الدين، المعروف بالكيالهراسي الشافعي: ٥٧/٣، المحقق: موسى محمد علي وعزة عبد عطية، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦ انظر: أحكام القرآن: ٥٦٩/١.

٧ ينظر: تفسير القرطبي: ٢٣٧/٥، وتفسير البضاوي: ٧٧٨، وتفسير ابن جزى: ١٩٤/١، وتفسير ابن كثير: ٢٦٨/٢، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ق ١٢٧/٢٢، وتفسير الألوسي: ٤٢/٣، وفتح البيان لمحمد صديق خان: ١٣٣-١٣٢/٣، وأضواء البيان للشنقيطي: ٣٥٦/١، والتفسير المنير لوهبة الزحيلي: ٩٧/٥.

٨ الآية ٦.

كناية عن التبرجيس واليسير، لأن من كانت عادته أن يعفو عن الخطاين ويغفر لهم، أثر أن يكون ميسرا غير معسر^١.

ويقول الإمام الجصاص: "وَقَالَ الشَّافِعِيُّ يَتِيمُهُمُ بِالْتَّرَابِ مِمَّا تَقَلُّقَ يَالَيْهِ قَالَ أَبُو بَكْرٍ لَمَّا قَالَ اللَّهُ فَتَتِمُّوا صَعِيدًا طَيِّبًا وَكَانَ الصَّعِيدُ اسْمًا لِلْأَرْضِ اقْتَضَى ذَلِكَ جَوَازَ التَّيْمِمْ يَكُلُّ مَا كَانَ مِنَ الْأَرْضِ. وَأَخْبَرَنَا أَبُو عَمْرٍو غُلَامٌ تَعَلَّبَ عَنْهُ عَنْ ابْنِ الْمَوَائِي قَالَ الصَّعِيدُ الْأَرْضُ وَالصَّعِيدُ التُّرَابُ وَالصَّعِيدُ الْقَبْرُ وَالصَّعِيدُ الطَّرِيقُ فَكُلُّ مَا كَانَ مِنَ الْأَرْضِ فَهُوَ صَعِيدٌ فَيجوزُ التَّيْمِمْ بِهِ بِظَاهِرِ آيَةِ فَإِنْ قِيلَ إِنَّمَا أَبْلَحَ التَّيْمِمْ بِالصَّعِيدِ الطَّيِّبِ، وَالْأَرْضُ الطَّيِّبَةُ هِيَ الَّتِي تَنْبِتُ وَالْحِصَى وَالزَّرْنِجُ لَا تَنْبِتُ شَيْئًا فَلَيْسَ إِذَا يَطْبَخُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يُخْرِجُ ثَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ قِيلَ لَهُ: إِنَّمَا أَرَادَ بِالطَّيِّبِ الطَّاهِرِ الْمَلْحَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ مَا رَزَقْنَاكُمْ فَلَقَدْ بِذَلِكَ إِجَابَ التَّيْمِمْ بِالصَّعِيدِ الطَّاهِرِ قَوْلَ الْمُجَسِّسِ. وَأَمَّا قَوْلُهُ: وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ فَإِنَّمَا يُرِيدُ بِهِ مَا لَيْسَ بِسَبْخَةٍ لَأَنَّهُ قَالَ يَوَالِي حَيْثُ لَا يُخْرِجُ إِلَّا تَكْدًا، وَلَا خِلَافَ فِي جَوَازِ التَّيْمِمْ بِالسَّبْخَةِ الَّتِي لَا تُخْرِجُ مِثْلَ مَا يُخْرِجُ غَيْرَهَا، فَعَلِمْنَا أَنَّهُ لَمْ يَرِدْ بِالطَّيِّبِ مَا ذَكَرْتُ. وَقَدْ رَوَى أَبُو ظَبْيَانَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: الطَّيِّبُ الصَّعِيدُ الْجَرُّ أَوْ قَالَ الْأَرْضُ الْجَرُّ وَقَالَ ابْنُ جَرَّجٍ قَالَ قُلْتُ لِعَطَاءٍ فَتَتِمُّوا صَعِيدًا طَيِّبًا قَالَ أَطَّيَّبَ مَا حَوْلَكَ وَيَكُلُّهُ عَلَيْهِ أَيْضًا قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا وَهُوَ يَكُلُّ مِنْ وَجْهَيْنِ عَلَى مَا ذَكَرْنَا أَحَدَهُمَا إِخْبَارًا أَنَّ الْأَرْضَ طَهُورٌ فَكُلُّ مَا كَانَ مِنَ الْأَرْضِ فَهُوَ طَهُورٌ بِمُقْتَضَى الْخَبَرِ وَالْآخَرُ أَنَّ مَا جَعَلَهُ مِنَ الْأَرْضِ مَسْجِدًا هُوَ الَّذِي جَعَلَهُ طَهُورًا وَسَائِرُ مَا ذُكِرَ هُوَ مِنَ الْأَرْضِ وَهِيَ مَسْجِدٌ فَيجوزُ التَّيْمِمْ بِهِ بِحَقِّ الْعُمُومِ وَرَوَى عُمَرُو بْنُ دِينَارٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ تَكُونُ فِي حُلِيِّ الرِّمَالِ لَا تُقْبَلُ عَلَى الْمَاءِ

١ الكشاف: ٥١٤/١.

٢ انظر: لسان العرب لابن منظور: ٢٥٤/٣-٢٥٥.

٣ سورة الأعراف، الآية ٥٨.

٤ سورة البقرة، الآية ١٧٢.

٥ سورة الأعراف، الآية ٥٨.

٦ صحيح البخاري: ٧٤/١، برقم: (٣٣٥)، كتاب التيمم، وصحيح مسلم: ٤٧٠/٨، برقم: (٥٢١)، كتاب المساجد

ومواضع الصلاة، باب جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، واللفظ للبخاري.

ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ أَوْ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَفِينَا النَّفْسَةُ وَالْحَايِضُ وَالْجَنْبُ فَقُلْتُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِالْأَرْبَعَةِ فَأَنَذَا بِذَلِكَ جَوَازُهُ يَكُلُ مَا كَانَ مِنَ الْأَرْضِ... فَإِنْ قِيلَ قَوْلُهُ لَعَالَى لَقَمْتُمُوهَا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ" يَقْتَضِي حُصُولَ شَيْءٍ مِنْهُ فِي الْأَعْضَاءِ الْمَسْمُوحَةِ بِهِ قِيلَ لَهُ إِنْ أُنْزِلَ بِذَلِكَ تَأْكِيدٌ وَجُوبُ النِّيَّةِ بِهِ لِأَنَّ "مِنْ" قَدْ تَكُونُ لِبَدْوِ الْعَايَةِ كَقَوْلِكَ خَرَجْتَ مِنَ الْكَوْفَةِ وَهَذَا يَنْبَغِي مِنْ فُلَانٍ إِلَى فُلَانٍ فَيَكُونُ مَعْنَاهُ عَلَى هَذَا لَيْتَكَ ابْتَدَأَ الْكَأْخُ مِنَ الْأَرْضِ حَتَّى يَتَعَمَلَ بِالْوَجْهِ وَالْيَدِ بِمَا فَاصِلٌ بِقَصْرِ بَيْنِ الْكَأْخِ وَبَيْنِ الْمَسْحِ فَيَنْقَطِعُ حُكْمُ النِّيَّةِ وَيَحْتَاجُ إِلَى تَجَلُّدِهَا وَهُوَ كَقَوْلِكَ تَوَضَّأَ مِنَ النَّهْرِ يَعْنِي أَنَّ ابْتِدَاءَ أَخْذِهِ مِنَ النَّهْرِ إِلَى أَنْ انْصَلَّ بِأَعْضَاءِ التَّوَضُّعِ مِنْ غَيْرِ قَطْعٍ أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَوْ أَخَذَهُ مِنَ النَّهْرِ فِي إِثْمٍ وَتَوَضَّأَ مِنْهُ لَمْ يَقُلْ إِنَّهُ تَوَضَّأَ مِنَ النَّهْرِ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ" يَعْنِي مِنْ بَعْضِهِ وَأَفَادَ بِهِ أَنَّ أَيَّ بَعْضٍ مِنْهُ مَسَحْتُمْ بِهِ عَلَى جِهَةِ الْإِبْطَالِ وَالتَّوَسُّعِ^١.

ويقول الإمام القرطبي: "وَقَالَ الْكَيَّا الطَّبْرِيُّ وَاسْتَرْطَ الشَّافِعِيُّ أَنَّ يَتَلَقَّى التُّرَابُ بِالْيَدِ وَيَتَمَسَّكُ بِهِ نَقْلًا إِلَى أَعْضَاءِ التَّيَسُّمِ كَالْمَاءِ يَقُولُ إِلَى أَعْضَاءِ التَّوَضُّعِ قُلْتُ الْكَيَّةُ وَلَا شَكَّ أَنَّ لَفْظَ الصَّعِيدِ لَيْسَ نَصًا فِيهِمَا قُلُ الشَّافِعِيُّ إِلَّا أَنَّ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَتُرَابُهَا طَهُورًا) بَيَّنَّ ذَلِكَ قُلْتُ: فَاسْتَدَلَّ أَصْحَابُ هَذِهِ الْمَقَالَةِ بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (وَجُعِلَتْ تُرَابُهَا لَنَا طَهُورًا) وَقَالُوا: هَذَا مِنْ بَابِ الْمَطْلَقِ وَالْمَقْيَدِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ بَابِ النَّهْرِ عَلَى بَعْضِ أَشْخَاصِ الْعُمَمِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: (فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَانٌ) وَقَدْ

١ والحديث رواه البيهقي في السنن الكبرى عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة: أَنَّ أَعْرَابًا أَتَوْا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَكُونُ فِي هَذِهِ الرُّمْلِ لَا نَقْدِرُ عَلَى الْمَاءِ وَلَا تَرَى الْمَلَّةَ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ أَوْ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ - شَكَ أَبُو الرَّبِيعِ - وَفِينَا النَّفْسَةُ وَالْحَايِضُ وَالْجَنْبُ قُلْتُ: "عَلَيْكُمْ بِالْأَرْضِ". (السنن الكبرى للبيهقي: ٣٣٨، برقم: ٦٠٣٩)، كتاب الطهارة، باب ما رُوِيَ فِي الْحَايِضِ وَالنَّفْسَةِ أَيْكْفِيهِمَا التَّيَسُّمُ عِنْدَ انْقِطَاعِ الدَّمِ إِذَا غَبَقَتَا الْمَاءَ.

٢ سورة المائدة، الآية ٦.

٣ سورة المائدة، الآية ٦.

٤ أحكام القرآن: ٣٧٤-٣٧٦.

٥ سورة الرحمن، الآية ٦٨.

ذَكَرْنَاهُ فِي (البقرة) عِنْدَ قَوْلِهِ (وَمَلَأْنَاهُ مِن رُّسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ)؛ وَقَدْ حَكَى أَعْلَى الْمَلَفَةِ أَنَّ الصِّمِيدَ اسْمٌ لَوَجْهِ الْكَرْصِيِّ كَمَا ذَكَرْنَاهُ، وَهُوَ نَصُّ الْقُرْآنِ كَمَا بَيَّنَّا، وَلَيْسَ بِعَدِّ بَيِّنٍ لِلَّهِ بَيِّنٌ^١.

ويقول القاضي ثناء الله المظهري: "وقال الشافعي وأحمد لا يجوز إلا بالتراب واحتجوا بحديث حذيفة بلفظ "فَضَلْنَا عَلَى النَّاسِ يَثَلَاثَ جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ وَجُعِلَتْ لَنَا الْكَرْصِيُّ كُلُّهَا مَسْجِدًا، وَجُعِلَتْ تَرْتِبَتُنَا طَهْرًا إِذَا لَمْ تَحِدِ الْمَلَّةُ"^٢، قالوا هذا خاص فيتبين أن يحمل عليه العام قلنا هذا استدلال بمفهوم اللقب ومفهوم اللقب ليس بحجة عند الجمهور وتخصيص العام بالخاص إنما يتصور عند التعارض ولا تعارض هاهنا فإن جواز التيمم بالتراب لا ينفي جواز التيمم بغيره بل هو ساكت عنه وتخصيص التراب بالذكر لبيان الأفضل^٣."

التعليق: هكذا يبين من القراءة في السطور السابقة أن هناك قولين في المسألة ذكرهما المفسرون، والشيخ المردودي - رحمه الله - ركز على واحد منهما وهو: أنه يجوز التيمم بكل ما كان يشتمل على الأجزاء الأرضية اليابسة مغبرة أو غير مغبرة. فيقول: "ليس من الضروري في التيمم أن تضرب الأرض بالأيدي، وإنما يكفي لهذا الهدف كل شيء مغبر أو القهري الذي يشتمل على الأجزاء الأرضية اليابسة"، وإليه ذهب الطبري، والزعزعي، والخصاصي، وغيرهم^٤.

١ سورة البقرة، الآية ٩٨.

٢ الجاهل لأحكام القرآن: ٢٢٧/٥.

٣ صحيح مسلم: ٣٦٧/١، برقم: (٥٢٢)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً.

٤ التفسير المظهري: ق ١٢٧/٢٢، باختصار.

٥ انظر: جامع البيان: ٤٠٩/٨ - ٤٠٩.

٦ انظر: الكشاف: ٥١٤/١ - ٥١٥.

٧ انظر: أحكام القرآن: ٣٠/٤.

٨ ينظر: أحكام القرآن لابن العربي: ٥٦٩/١، وتفسير القرطبي: ٢٢٧/٥، وتفسير المنشي: ٣٦١/١، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ق ١٢٧/٢٢ - ١٢٧، وتفسير الألوسي: ٤٢/٣، وأوضح التفسير لمحمد عبد اللطيف الخطيب: ١٠٠/٨.

(١) القرآن واللغة (الاشتقاق)، الصعيد اسم لوجه الأرض، كان عليه تراب أو لم يكن. قاله الخليل وابن الأعرابي والزجاج. يقول الزجاج: "لا أعلم بين أهل اللغة اختلافاً في أن الصعيد وجه الأرض" ١، يعضده الاشتقاق وهو صريح اللغة ونص القرآن الظاهر؛ لذلك يقتضي ظاهر الآية جواز التيمم بكل ما كان من الأرض ٢.

ويقول الإمام ابن جزى في مقلمة تفسيره: "أن يدل على صحة كلام العرب من اللغة والإعراب أو التصريف والاشتقاق" ٣.

(٢) الحديث: وأيضا يدل على هذا التويل مجموعة من الأحاديث منها ما رواه البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكْتُهُ الصَّلَاةَ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلْ لِحَدٍّ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُنْتَقَلُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً" ٤. وهكذا عد في الأشياء المعطية الخمسة التي لم تعط قبل النبي صلى الله عليه وسلم: "وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا".

١ معالي القرآن: ٥٦/٢.

٢ انظر: تفسير الطبري: ٤٠٨/٨-٤٠٩، والكشاف للزخشري: ٥١٤/٨-٥١٥، وأحكام القرآن لابن العربي: ٥٦٩/١، وتفسير القرطبي: ٢٣٧/٥، والتفسير المظهري لثله الله المظهري: ق ١٢٧/٢٣، وتفسير الشوكاني: ٥٤٤/٨، وتفسير الألوسي: ٤٢/٣.

٣ التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩/١.

٤ صحيح البخاري: ٨٤/١، برقم: (٢٣٥)، كتاب التيمم وصحيح مسلم: ٢٧٠/٨، برقم: (٥٢١)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، واللفظ للبخاري.

ومنها ما رواه مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "فُضِّلْتُ عَلَى النَّبِيِّينَ بِمِثْلِ أُعْطِيتُ جَوَامِغَ الْكَلِمِ وَتُصِيرْتُ بِالرُّغْبِ وَأُجِلْتُ لِي الْغَنَائِمُ وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْمِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَأَنَّهُ وَخِيمٌ بَيْنَ النَّبِيِّينَ".^١
ومنها ما رواه مسلم أيضا عن حذيفة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلَاثٍ: جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ وَجُعِلَتْ لَنَا الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا، وَجُعِلَتْ تَرَبَّتُهَا لَنَا طَهُورًا إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَاءَ".^٢

فإن الفاظ هذه الأحاديث تدل على أن الأرض بجميع أجزائها جعلت طهورا ومسجدا إجماعا فيجوز التيمم به.^٣

(٣) إن كلمة "من" في قوله تعالى: "فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ" لا ابتداء الغاية لا للتيمم كما قال به أصحاب القول الثاني لأن قوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا غَفُورًا"، كناية عن الترحيص والتيسير، ومن عادة الله - عز وجل - العفو والمغفرة لذلك أثر اليسر على العسر. وكذلك قوله تعالى في سورة المائدة: "مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ"^٤ لأن في إيجاب التراب المنبت حرج على من يسكن بواد غير ذي زرع أو أرض سبخة أو رمل أو جبل لا يجدونه إلا بخرج عظيم.^٥

(٤) إن كلمة "صعيدا" ليست مطلقة أو جملة أو عامة كما قال به أصحاب القول الثاني هؤلاء يقولون: إن الآية مطلقة، فبدت المسح بـ "من" في آية ٦ من سورة المائدة. ويراد منه التيمم. وقد أجيب عن هذا في الدليل الثالث وكما يقولون: إن الآية مطلقة أو

١ صحيح مسلم: ٢٧٧/١، برقم: (٥٢٢)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا.

٢ صحيح مسلم: ٢٧٧/١، برقم: (٥٢٢)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا.

٣ انظر: أحكام القرآن للرجب ص: ٣٧/٤، والتفسير المظهري لشيخ الله المظهري: ق ٢٢٧/٢٢.

٤ سورة المائدة، الآية ٦.

٥ سورة المائدة، الآية ٦.

٦ انظر: الكشاف للزحبي: ١٥٨، وتفسير الألوسي: ٤٢/٣، والتفسير المظهري لشيخ الله المظهري: ق ٢٢٧/٢٢.

محملة أو علة قيدها أو يثبتها أو يخصصها حديث حذيفة -رضي الله عنه- الذي وردت فيها الفاظ: "وَجُعِلَتْ لَهَا طَهُورًا"^١. ولقد رد القرطبي والمظهري على هذا^٢.
ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:
"القول الذي يؤيده تصريح الكلمة وأصل اشتقاقها أولى بتفسير الآية"^٣.
"إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما يخالفه"^٤.

١ انظر: أحكام القرآن للشيخ الهراسمي: ٥٨٨، وتفسير القرطبي: ٢٣٧/٥، والتفسير المظهري لشيخ الله المظهري: ق ١٣٧/٢٢، وتفسير الشوكاني: ٥٤٥/١، وتفسير الألويسي: ٤٦/٣.
٢ الجامع لأحكام القرآن: ٢٣٧/٥.
٣ قواعد الترجيح عند المفسرين للحريزي: ٥١٧/٢.
٤ المصدر السابق: ٢٠٦/٦.

الآية

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَزَعُوا أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِمْ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ (٦٠)

مسألة

ما المراد بالطاغوت في الآية؟

يقول الإمام المودودي رحمه الله - : " المراد بالطاغوت هنا هو ذلك الحاكم الذي يحكم بقانون غير القانون الإلهي وذلك النظام القضائي الذي لا يطيع الله - عز وجل - المقنن الأعلى كما لا يعتبر كتابه هو القیصل الأخير. ومن هنا فإن هذه الآية صريحة في أن المتحاكم إلى مثل هذا النظام القضائي المتسم بالطاغوتية هو مناف للإيمان، ومن مقتضيات الإيمان بالله وكتابه أنه يكفر الإنسان بمثل هذه الأنظمة القضائية. فالإيمان بالله والكفر بالطاغوت أمران متلازمان في ضوء التعاليم القرآنية، ولا شك أن الانحياز بين يدي الله - عز وجل - والطاغوت في آن واحد هو التناقض نفسه".

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي رحمه الله - يتضح أنه ركز على قول واحد في المراد بـ " الطَّاغُوتِ " في قوله تعالى: " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِمْ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ". إلا أن الاستقرار في أقوال المفسرين أثبت لي أنهم ذكروا أقوالاً أخرى في المراد بـ " الطَّاغُوتِ " المذكور في الآية المذكورة أذكرها على وجه الإجمال على النحو التالي:

القول الأول: يراد بـ " الطَّاغُوتِ " هاهنا: "محب من الأشرف لأنه كثير الطغيان؛ ولأن المنافقين أرادوا أن يتحاكموا إليه

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، وابن الجوزي، والرازي، وغيرهم.

١ تفهيم القرآن: ٣٧٨.

٢ انظر: جامع البیلا: ٨١٧٨.

٣ انظر: زاد المسیر: ٤٢٦٨.

٤ انظر: التفسیر الكبير: ١٢٠/٩٠.

وذكره بصيغة التمريض: الشيخ طنطاوي^٢.

القول الثاني: يراد بـ "الطَّاغُوتِ" ههنا: "الكاهن" من كهان العرب، وهو جهة أبر بركة الأسلمي؛ لفرط ظفياته. وعن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري^٣، والرازي^٤، والقرطبي^٥، وغيرهم^٦.

القول الثالث: يراد بـ "الطَّاغُوتِ" ههنا: "الأصنام".

وعن ذكر هذا القول من المفسرين: الرازي^٧، والطاهر بن عاشور^٨.

القول الرابع: يراد بـ "الطَّاغُوتِ" ههنا: كعب بن الأشرف وكل من عدل عن الكتاب والسنة وتحاكم إلى ما سواهما من الأحكام البعيدة الباطلة عن الحق في فصل خصوماتهم إلى من يعظمونهم ويرضون بحكمه من دون حكم الله.

وعن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري^٩، والبيضاوي^{١٠}، وابن كثير^{١١}، وغيرهم^{١٢}.

القول الخامس: يراد بـ "الطَّاغُوتِ" ههنا كهنة اليهود وسحرتهم.

وعن انفرد بذكر هذا القول الإمام أبر السعدي^{١٣}.

القول السادس: يراد بـ "الطَّاغُوتِ" ههنا كل رأس في الضلال من ساحر وكاهن ونحوهما.

١ ينظر: تفسير القرطبي: ٣١٢/٥، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٦٨٧/٣، وتفسير ابن كثير: ٣٤٦٢. والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ١٥٤/٣٢، وتفسير الشوكاني: ٥٥١/٨.

٢ انظر: الموسيط: ١٩٦٨.

٣ انظر: جامع البيان: ٥٠٧/٨.

٤ انظر: التفسير الكبير: ١٢٠/١٠.

٥ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٩٣/٥.

٦ ينظر: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٦٨٧/٣، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ١٥٤/٣٢، وتفسير الشوكاني: ٥٥١/٨.

٧ انظر: التفسير الكبير: ١٢٠/١٠، والتحرير والتنوير: ١٠٥/٥.

٨ انظر: جامع البيان: ٥٠٧/٨.

٩ انظر: أنوار التنزيل: ٨٠/٢.

١٠ انظر: تفسير القرآن العظيم: ٣٤٧٢.

١١ ينظر: تفسير الألوسي: ١٢٧/٢، ولي ظلال القرآن للسيد قطب: ٦٩٤/٨.

١٢ إرشاد العقل السليم: ١٩٤/٢.

ويمكن انفرد بذكره: محمد عبد اللطيف الخطيب^١.

القول السابع: يراد به "الطَّاغُوتُ" هاجنا مجمع الباطل والضلال.

وعن انفرد بذكره أيضا: عبد الكريم الخطيب^٢.

التعليق: هكذا يتبين من القراءة في السطور السابقة أن هناك سبعة أقوال في المسألة ذكرها المفسرون، والشيخ المودودي - رحمه الله - ذكر واحدا منها وركز عليه (وهو القول الرابع)، مما يدل على أنه هو الراجح عنده، وهو أن يكون المراد به "الطَّاغُوتُ" هنا الحاكم الذي يحكم بغير شرع الله، وأيضا النظام القضائي الذي لا يطيع الله - عز وجل - المقتدر الأعلى ولا يعتبر كتابه الفيصل الأخير، فيقول: "المراد بالطاغوت هنا هو ذلك الحاكم الذي يحكم بقانون غير القانون الإلهي وذلك النظام القضائي الذي لا يُطيع الله - عز وجل - المقتدر الأعلى كما لا يعتبر كتابه هو الفيصل الأخير..."، وهذا هو المعنى الأعم والأشمل للطاغوت وإليه ذهب الطبري^٣، والبيضاوي^٤، وابن كثير^٥، وغيرهم^٦.

الأدلة

(١) الآية عامة ولا وجه لتخصيصها.

يقول الإمام الطبري: "يريدون أن يتحاكموا في خصومتهم إلى الطاغوت، يعني إلى من يعظمونه، ويصدرون عن قوله، ويرضون بحكمه من دون حكم الله"^٧. ويقول القاضي البيضاوي بعد بيان سبب نزول هذه الآية: "والطاغوت على هذا محبب بن الأشراف وفي معناه من يحكم بالباطل ويؤثر لأجله، سمي بذلك لفرط طغيانه أو لتشبهه بالشیطان، أو لأن التحاكم إليه تحاكم إلى الشيطان من حيث إنه الحامل عليه"^٨.

١ أوضح التفاسير: ١٠٢/٨.

٢ التفسير القرآني للقرآن: ٨٢٤/٣.

٣ انظر: جامع البيان: ٥٠٧/٨.

٤ انظر: أنوار التنزيل: ٨٠/٢.

٥ انظر: تفسير القرآن العظيم: ٣٤٦/٢.

٦ ينظر: تفسير الألوسي: ١٢٧/٢، وتفسير المحلبي: ١٨٣/١، وفي ظلال القرآن للسيد قطب: ٦٩٤/٢، والتفسير الميسر لنخبة من أساتذة التفسير: ٥٤/٨، والوسيط لطنطاوي: ١٩٦/٣، والتفسير المنير لوجهية الزحيلي: ١٣٢/٥.

٧ جامع البيان: ٥٠٧/٨.

ويقول الحافظ ابن كثير بعد ذكر أسباب النزول المختلفة في الآية: "وَأَنَّى أَعْمُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، فَإِنَّهَا دَائِمَةٌ لِمَنْ عَدَلَ عَنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَتَحَاكَمُوا إِلَى مَا سِوَاهُمَا مِنَ الْبَاطِلِ، وَهُوَ الْمَرَادُ بِالطَّاغُوتِ هَاهُنَا"^١.

ويقول الشهيد سيد قطب: "الم تر إلى هذا العجب العجيب.. قوم.. يزعمون.. الإيمان.. ثم يهدمون هذا الزعم في أن؟ قوم "يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ". ثم لا يتحاكمون إلى ما أنزل إليك وما أنزل من قبلك؟ إنما يريدون أن يتحاكموا إلى شيء آخر، وإلى منهج آخر، وإلى حكم آخر.. يريدون أن يتحاكموا إلى.. الطاغوت.. الذي لا يستمد بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك. ولا ضابط له ولا ميزان، مما أنزل إليك وما أنزل من قبلك.. ومن ثم فهو.. طاغوت.. طاغوت بادعائه خاصية من خواص الألوهية. وطاغوت بأنه لا يقف عند ميزان مضبوط أيضاً وهم لا يفعلون هذا عن جهل، ولا عن ظن.. إنما هم يعلمون يقيناً ويعرفون تماماً، أن هذا الطاغوت يحرم التحاكم إليه: "وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ". فليس في الأمر جهالة ولا ظن. بل هو العمد والقصد. ومن ثم لا يستقيم ذلك الزعم. زعم أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك! إنما هو الشيطان الذي يريد بهم الضلال الذي لا يرجى منه مآب.."^٢.

ويؤيد هذا القول القاعدة الترجيحية التالية:

"يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص"^٣. وقد عبر عنه بـ:
"العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"^٤.

١ أنوار التنزيل: ٨٠/٢.

٢ تفسير القرآن العظيم: ٣٤٦/٢.

٣ في ظلال القرآن: ٦٩٤/٢.

٤ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٥٢٧/٢.

٥ المصدر السابق: ٥٤٥/٢.

الآية:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَيَّبُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَى إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَايِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ آتَاكُمْ عَلَيْكُمْ فَتَيَّبُوا إِنِ اللَّهُ كَانَكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾

مسألة:

ما المراد بقوله تعالى: "كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ"؟

يقول الإمام المودودي -رحمه الله- : "أي: لقد مرَّ عليكم زمان كُنتُمْ فيه متشرعين بصورة الفردانية في قبائل كائنة وكنتم مضطربين لإخفاء الإسلام خوفاً من الظلم والعدوان ولم تكونوا تملكون لإثبات إيمانكم سوى الإقرار اللساني. وقد منَّ الله عز وجل -عليكم بمنح الحياة الاجتماعية وجعلكم قادرين على حمل لواء الإسلام ضد الكفار- وليس من شك في هذا الإحسان ألا تعملوا باللين واللطف مسلماً عهداً بالإسلام حديثاً".

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي -رحمه الله- يتضح أنه ركز على قول واحد في المراد بـ "كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ" في قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَيَّبُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَى إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَايِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ آتَاكُمْ عَلَيْكُمْ فَتَيَّبُوا إِنِ اللَّهُ كَانَكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا". إلا أنني وجدت خلال تنحي للتفسير خمسة أقوال أخرى للمفسرين في المراد بـ "كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ" المذكور في الآية المذكورة، أذكرها هنا على وجه الإجمال فيما يلي:

القول الأول: أي: كذلك كنتم قبلهم، مثله (الغني قتلتموه) تخفون إيمانكم عن قومكم المشركين حذراً على أنفسكم منهم، فمن الله عليكم بإعزاز دينكم، وإظهار شريعتكم (إسلامكم).
وعن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، وابن عطية، والرازي، وغيرهم.

١ تفهيم القرآن: ٣٨٦-٣٨٥/١.

٢ النظر: جامع البيان: ٨٢/٩.

٣ النظر: المحرر الموجه: ٩٧/٣.

٤ النظر: التفسير الكبير: ١٩١/١٤.

القول الثاني: أي: كذلك كتتم كفرا/ضلالا مثلهم فمن الله عليكم بالإسلام/لهذاكم للإسلام بكلمة الإسلام.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية وابن جزى، وأبو حيان الأندلسي وثناء الله المظهري، وغيرهم^١.

وذكره الإمام الخازن بصيغة التمريض^٢.

القول الثالث: أي: كذلك كتتم مثلهم في الجاهلية لا تثبتون حتى جاء الإسلام.

ومن انفرد بذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية وأبو حيان الأندلسي^٣.

القول الرابع: أي: كذلك كتتم مثلهم حين دخلتم في الإسلام في بداية الأمر وتفوهتم بالشهادتين، فعصمت بها أموالكم وأموالكم من غير التفحص عن سرائركم.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الرازي^٤، والبيضاوي^٥، وأبو حيان الأندلسي^٦، وغيرهم^٧.

القول الخامس: أي: كذلك كتتم قبل الهجرة تصفون في قومكم من المؤمنين بلا إله إلا الله، فمن الله عليكم بالهجرة.

ومن انفرد بذكر هذا القول من المفسرين: القاضي ثناء الله المظهري^٨.

التعليق: هكذا يتبين من القراءة في الأسطر المذكورة أن هناك خمسة أقوال في المسألة ذكرها المفسرون والشيخ المودودي - رحمه الله - ذكر واحد منها وركز عليه (وهو القول الأول)، مما

١ ينظر: تفسير ابن جزى: ٢٠٥/٨، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٣٢/٤-٣٣، وتفسير ابن كثير: ٣٨٤/٢-٣٨٥، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ق٢٠١/٢٤، وتفسير الشوكاني: ٥٧٩/١، وتفسير الألوسي: ١١٥/٣.
٢ انظر على التوالي: لحرر الوجيز: ٩٧/٢، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٢٠٥/٨، والبحر المحيط: ٣٢/٤، والتفسير المظهري: ق٢٠١/٢٣.

٣ انظر: لباب التأويل: ١١٤/١.

٤ انظر: لحرر الوجيز: ٩٧/٢، والبحر المحيط: ٣٤/٤.

٥ انظر: التفسير الكبير: ١٩٧/١١.

٦ انظر: أنوار التنزيل: ٩٧/٢.

٧ انظر: البحر المحيط: ٣٢/٤.

٨ ينظر: التفسير المظهري لثناء الله المظهري: ق٢٠١/٢٤، وتفسير الشوكاني: ٥٧٩/١، وتفسير الألوسي: ١١٥/٣.

٩ التفسير المظهري: ق٢٠١/٢٣.

يتل على أنه هو الراجح عنده، ووقع عليه اختياره، وهو أن يكون المراد بـ " كَذَلِكَ كُنتُمْ مِنْ قَبْلُ " أي: كذلك كنتم مثلهم منتشرين في القبائل الكافرة مضطرين لإخفاء الإسلام خوفاً من الظلم سوى الإقرار اللساني، ومن الله - عز وجل - عليكم بإظهار الإسلام وغلبته فمن شكر هذا الإحسان أن تعاملوا باللين والرفق مع المسلم الحديث^١، فيقولون: "أي: لقد مر عليكم زمان كنتم فيه منتشرين بصورة انفرادية في قبائل كافرة، وكنتم مضطرين لإخفاء الإسلام خوفاً من الظلم والعدوان، ولم تكونوا تملكون لإثبات إيمانكم سوى الإقرار اللساني. وقد من الله سبحانه وجل - عليكم بمنح الحيلة الاجتماعية وجعلكم قاهرين على حل لواء الإسلام ضد الكفار. وليس من شكر هذا الإحسان ألا تعاملوا باللين واللطف مسلماً عهداً بالإسلام حديثاً، وإليه ذهب من الأئمة الطبري، والخازن، وابن كثير، وأصحاب التفسير الميسر^٢.

الأدلة

- (١) الآية: كَمَا قَالَ تَبَالَى: {وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تُخَافُونَ أَنَّ يُسَخِّطَنَّكُمْ النَّاسُ فَأَوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصَرِهِ}.
- (٢) الحديث المرفوع: ما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: {وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا} قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "كَانَ رَجُلٌ فِي غَنِيمَةٍ لَهُ فَلَمَّحَهُ الْمُسْلِمُونَ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَتَلُوهُ وَأَخَذُوا غَنِيمَتَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ إِلَى قَوْلِهِ: {تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} يَلِكُ الْغَنِيمَةُ " قَالَ: قَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ السَّلَامَ.

١ انظر على التوالي: تفسير الطبري: ٨٣/٩، وتفسير الخازن: ٤١٤/٨، وتفسير ابن كثير: ٣٨٤/٢-٣٨٥، والتفسير الميسر لنخبة أساتذة التفسير: ٩٣/٨.

٢ سورة الأنفل، الآية ٢٦.

٣ سورة النساء، الآية ٩٤.

٤ سورة النساء، الآية ٩٤.

٥ صحيح البخاري: ٤٧/٨، برقم: (٤٥٩١)، كتاب تفسير القرآن، باب {وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا} [النساء: ٩٤].

ورواه أيضا عن أبي عباس قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم للمؤمنين: "إِذَا كَانَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ يُخْفِي إِيمَانَهُ مَعَ قَوْمٍ كُفَّارٍ، فَكَظْهَرَ إِيمَانَهُ فَقَتَلْتُهُ؟ فَكَذَلِكَ كُنْتَ أَنْتَ تُخْفِي إِيمَانَكَ بِمَكَّةَ مِنْ قَبْلِ^١".

(٣) هو مذهب سعيد بن جبيرة ويقول الإمام ابن كثير: "وَهَذَا هُوَ مَذْهَبُ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، كَمَا رَوَاهُ الثَّوْرِيُّ عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي عَمْرَةَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فِي قَوْلِهِ: {كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ} تُخْفُونَ إِيمَانَكُمْ فِي الْمَشْرِكِينَ، وَرَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ أَبِي جَرِيرٍ أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ كَثِيرٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فِي قَوْلِهِ: {كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ} تُسْتَخْفُونَ بِإِيمَانِكُمْ، كَمَا اسْتَخْفَى هَذَا الرَّاعِي بِإِيمَانِهِ^٢".

(٤) يقول الإمام الطبري بعد ذكر القول الأول والثاني: "وَأَوَّلُ هَذَيْنِ الْقَوْلَيْنِ بِتَأْوِيلِ الْآيَةِ هُوَ الْقَوْلُ الْأَوَّلُ، وَهُوَ قَوْلُ مَنْ قَالَ: كَذَلِكَ كُنْتُمْ تُخْفُونَ إِيمَانَكُمْ فِي قَوْمِكُمْ مِنَ الْمَشْرِكِينَ وَأَنْتُمْ مُقِيمُونَ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ، كَمَا كَانَ هَذَا الَّذِي قَتَلْتُمُوهُ مُقِيمًا بَيْنَ أَظْهَرِ قَوْمِهِ مِنَ الْمَشْرِكِينَ مُسْتَخْفِيًا بِدِينِهِ مِنْهُمْ"^٣. وإليه ذهب الطبري أيضا حيث ذكر: "وَأَمَّا قَوْلُهُ: هَذَا التَّأْوِيلُ أَوَّلُ بِالْصَّوَابِ"، لَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ذَكَرَهُ إِثْمًا عَاتِبَ الَّذِينَ قَتَلُوهُ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بَعْدَ إِقْبَانِهِ إِلَيْهِمُ السَّلَامَ وَلَمْ يَقْدِرْ بِهِ قَاتِلُوهُ، لِئَلَّا يَكُنِيَ الْفِتْنَى كَانَتْ فِي أَمْرِهِ عَلَى قَاتِلِيهِ بِمَقَامِهِ بَيْنَ أَظْهَرِ قَوْمِهِ مِنَ الْمَشْرِكِينَ وَظَنُّهُمْ أَنَّهُ أَلْقَى السَّلَامَ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ تَعَوُّدًا مِنْهُمْ، وَلَمْ يَعَاتِبَهُمْ عَلَى قَتْلِهِمْ إِيَّاهُ مُشْرِكًا فَيَقَالُ: "كَمَا كَانَ كَافِرًا كُنْتُمْ كُفَّارًا"، بَلْ لَا وَجْهَ لَذَلِكَ، لَأَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَمْ يَعْاقِبْ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ عَلَى قَتْلِ عِبَادِ اللَّهِ وَلِرَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الشَّرِكِ بَعْدَ إِذْنِهِ لَهُ بِقَتْلِهِ^٤".

ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

"القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عديم ذلك".

"إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه".

١ صحيح البخاري: ٣/٩، برقم: (٦٨٦٦)، كتاب الدييات باب قَوْلِ اللّٰهِ تَعَالٰى: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ} [النساء: ٩٣].

٢ تفسير القرآن العظيم: ٣٨٥/٢.

٣ جامع البيان: ٨٣/٩.

٤ المصدر السابق: ٨٣/٩-٨٤.

٥ قواعد الترجيح عند المفسرين للحزبي: ٣٦٢/١.

الفصل الثاني: ترجيحات سورة المائدة

الآية:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحْلَتْ لَكُمْ بِهِمُ الْآفَاقُ إِلَّا مَا بَيْنَ يَدَيْكُمْ غَيْرَ مُحْلَى الصِّدْقِ

وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ (١)

في الآية مسالتان.

المسألة ١:

ما المراد بـ"العقود" في الآية؟

قال الإمام المودودي رحمه الله - "أي: التزموا بالحدود والقيود التي تفرض عليكم في هذه السورة، والتي فرضت عليكم في شريعة الرحمن بصورة عامة، بعد هذه الجملة التمهيدية المختصرة يبدأ الحديث عن المنهيات والمحرمات التي أمر بالالتزام بها".^١

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي رحمه الله - يتبين أنه عرض قولاً واحداً في المراد بـ "العقود" في قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحْلَتْ لَكُمْ بِهِمُ الْآفَاقُ إِلَّا مَا بَيْنَ يَدَيْكُمْ غَيْرَ مُحْلَى الصِّدْقِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ"، إلا أنني وجدت خلال تتبعي للتفسير ستة أقوال للمفسرين في المراد بـ "العقود" المذكور في الآية السابقة أذكرها فيما يلي باختصار على النحو التالي:

القول الأول: يراد بـ "العقود" العقود التي يتعاقدها الإنسان مع غيره (مع أخيه) من بيع ونكاح وعق وحوها.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري^٢ وابن الجوزي^٣ وابن جزي^٤ وغيرهم. وذكره بصيغة التمريض: الزمخشري، وإبراهيم بن إسماعيل الأبياري^٥.

١ ففهم القرآن: ١٢٧/٨.

٢ انظر: جامع البيان: ٤٠٢/٩.

٣ النظر: زاد المسير: ٥١٥/١.

٤ النظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٦٩/٩.

٥ ينظر: تفسير الشوكاني: ٧٢، وتفسير الألوسي: ٢٢٢/٣.

٦ انظر: الكشاف: ٦٠١/٨، والموسوعة القرآنية: ٣٩٤/٩.

القول الثاني: يراد بـ "العُقُود" عهود التَّين التي عقدتها المرء على نفسه من بيع وشراء وإجارة ونحوها. وعن ذكر هذا القول من المفسرين: الماوردي، وابن الجوزي، والقرطبي.

القول الثالث: يراد بـ "العُقُود" العقود التي يتعاقدها العبد على نفسه مع ربه من الطاعات كالخج والصيام والاعتكاف والنذر واليمين ونحوها من طاعات الإسلام. وعن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، وابن الجوزي، والقرطبي، وغيرهم.

القول الرابع: يراد بـ "العُقُود" العهود الموثقة (عقود الشرع) التي عقدتها الرب سبحانه وتعالى على عبده، والزمها عليهم من يوم الميثاق إلى يومنا هذا من التكليف والأحكام الدينية من التحليل والتحريم، وما عقده مع أهل الكتاب من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعته، وما يعقد الإنسان مع أخيه من عقود الأمانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به، وما يعقد الإنسان على نفسه من نذر ويمين ونحوهما.

(الخلاصة: هذا أمر من الله تعالى بإبقاء كل عقد شرعي).

وعن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، وابن الجوزي، والرازي، وغيرهم.

القول الخامس: يراد بـ "العُقُود" العهود التي أخذها على أهل الكتاب من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والعمل بما في التوراة والإنجيل في تصديقه صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من عند الله. وعلى هذا الحكم يختص بأهل الكتاب.

وعن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، والقرطبي، والألوسي.

١ انظر على التوالي: التكت والعمونة ٥/٢، وزاد المسير: ٥٠٥/٨، والجامع لأحكام القرآن: ٣٢٨.

٢ انظر: جامع البيان: ٤٥٣/٩.

٣ انظر: زاد المسير: ٥٠٥/٨.

٤ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٣٢٨.

٥ ينظر: تفسير ابن جزي: ٢١٩/١، والموسوعة القرآنية لإبراهيم بن إسحاق الأبياري: ٣٦٤/٩.

٦ انظر: جامع البيان: ٤٥٢/٩.

٧ انظر: زاد المسير: ٥٠٥/٨.

٨ انظر: التفسير الكبير: ٢٧٧/١١.

٩ ينظر: تفسير القرطبي: ٣٦/٦، وتفسير البيضاوي: ١١٢/٢، وتفسير ابن جزي: ٢١٩/٨، والتفسير الظهري لثناء

الله المظهر: ١٢/٣، وتفسير الشوكاني: ٧/٢، وتفسير الألوسي: ٢٢٢/٣-٢٢٣.

ومن الجدير بالذكر أن الإمام القرطبي، والعلامة الألوسي رد على هذا القول.

يقول العلامة القرطبي: "قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: هُوَ خَاصُّ بِأَهْلِ الْكِتَابِ وَفِيهِمْ تَزَلَّتْ. وَقِيلَ: هِيَ عَلَمَةٌ وَهُوَ الصَّحِيحُ، فَإِنَّ لَفْظَ الْمُؤْمِنِينَ يَعُمُّ مُؤْمِنِي أَهْلِ الْكِتَابِ، لِأَنَّهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ عَقْدًا فِي أَقَاءِ الْغَنَائَةِ فِيمَا فِيهِ كِتَابُهُمْ مِنْ أَمْرِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّهُمْ مُلَمَّوْنَ بِذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: "أَوْفُوا بِالْعُقُودِ" وَغَيْرِ مُوَظَّحٍ".^١

ويقول العلامة الألوسي: "ورابعها اليهود التي أحلها الله تعالى على أهل الكتاب بالعمل بما في التوراة والإنجيل مما يقتضيه التصديق بالنبي صلى الله عليه وسلم وبما جله به، وروى ذلك عن ابن جريج وأبيه صالح، وعليه فالمراد من المؤمنين آمنوا مؤمنو أهل الكتاب وهو خلاف الظاهر".^٢

القول السادس: يراد بـ "العقود" عهد الجاهلية التي كانوا يتعاقدونها فيما بينهم على النصرة والمؤازرة على من ظلم أو بغا.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، وابن الجوزي، والألوسي.

التعليق: يتبين من القراءة في النصوص المذكورة أن هناك ستة أقوال في المسألة ذكرها المفسرون، والشيخ المودودي - رحمه الله - ذكر واحدا منها وركز عليه (وهو القول الرابع)، مما يدل على أنه هو الراجح عنده، ووقع عليه اختياره، وهو أن يكون المراد بـ "العقود" جميع الحدود والقيود التي فرضت عليكم لوجب عليكم التزامها في هذه السورة وفي شريعة الرحمن. فيقول: "أي: التزموا بالحدود والقيود التي تفرض عليكم في هذه السورة، والتي فرضت عليكم في شريعة الرحمن بصورة عامة، بعد هذه الجملة التمهيدية المختصرة يبدأ الحديث عن المنهيات والحرمات التي أمر بالالتزام بها". وإليه ذهب الأئمة: الطبري، والمؤرخ شري، والرازي، وغيرهم.

١ انظر على التوالي: جامع البيان: ٤٥٣/٩، والجمع لأحكام القرآن: ٣٢/١، وروح المعاني: ٢٢٣/٣.

٢ الجمع لأحكام القرآن: ٣٢/١.

٣ روح المعاني: ٢٢٣/٣.

٤ انظر على التوالي: جامع البيان: ٤٤٧/٩، وزاد المسير: ٥٥٥/١، وروح المعاني: ٢٢٣/٣.

٥ انظر: جامع البيان: ٤٥٤/٩.

٦ انظر: الكشاف: ٦٠٦/١ - ٦٠١.

٧ انظر: التفسير الكبير: ٢٧/١٢.

(١) إنها براعة الاستهلال.

يراد بـ "العقود" أحكام التحليل والتحريم وما ألزمت (عقدت) الفرائض على المؤمنين، لأنه سترد في هذه السورة بعد أحكام التحليل والتحريم والفرائض إجمالاً وتفصيلاً. وذلك براعة استهلال^٢.

يقول الإمام الطبري بعد ما رجع القول الرابع: "وإنما قلنا ذلك أولاً بالصواب من غيره من الأقوال، لأن الله جل وعز أتبع ذلك البيان عما أحل لعباده وحرم عليهم، وما أوجب عليهم من فرائضه. فكان معلوماً بذلك أن قوله: "أوفوا بالعقود"، أمرٌ منه عباده بالعمل بما ألزمهم من فرائضه وعقودهم عقيب ذلك، ونهْيٌ منه لهم عن نقض ما عقده عليهم من".

(٢) الحكم عام ولا وجه لتخصيصه.

أمر الله بالوفاء بكل عقد شرعي، فالحكم عام وهو الصحيح ولا وجه لتخصيصه. يقول الإمام الطبري: "...مع أن قوله: "أوفوا بالعقود"، أمرٌ منه بالوفاء بكل عقد أذن فيه، فغير جائز أن يخص منه شيء حتى تقوم حجة بخصوص شيء منه يجب التسليم لها. فإذا كان الأمر في ذلك كما وصفناه فلا معنى لقول من وجه ذلك إلى معنى الأمر بالوفاء ببعض العقود التي أمر الله بالوفاء بها دون بعض".

ويقول الإمام الرازي: "وحاصل الكلام في هذه الآية أنه أمرٌ بأداء التكاليف فعلاً وتركاً".

١ ينظر: تفسير القرطبي: ٣٦/١، وتفسير البيضاوي: ١١٣/٢، وتفسير النسفي: ٤١٣/١، وتفسير أبي السعود: ٣٧/٣، والتفسير المظهر لثناء الله المظهر: ١٣٣-١٤، وتفسير الشوكاني: ٧/٢، وتفسير الألوسي: ٢٢٣/٣، والتفسير الواضح لعمود الحجازي: ٤٧٤/١، وتفسير الطاهر بن عاشور: ٧٤/١، وأوضح التفسير لمحمد عبد اللطيف الخطيب: ١٢٤/١، وحدائق الروح والريحان لمحمد الأمين الحرزي: ٩٢/٧، وأوسر التفاسير للجزائري: ٥٨٧/١، والتفسير المنير لوجه الزحيلي: ٦٤/١.

٢ انظر: تفسير الطبري: ٤٥٤/٩، وتفسير الطاهر بن عاشور: ٧٤/١.

٣ جامع البيان: ٤٥٤/٩.

٤ انظر: تفسير الطبري: ٤٥٤/٩، وتفسير القرطبي: ٣٦/١، وتفسير الشوكاني: ٧/٢.

٥ جامع البيان: ٤٥٤/٩.

٦ التفسير الكبير: ٣٧٧/١.

ويؤيد هذا القول القاعدة الترجيحية التالية:
"يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص".^١

١ نواعد الترجيح عند المفسرين للحريز: ٥٢٧/٢.

ما المراد بـ "بهيمة الأنعام" في الآية؟

قل الإمام المودودي رحمه الله:- "تطلق كلمة (الأنعام) في اللغة العربية على الإبل والبقر والضأن والماعز، أما (البهيمة) فإنها تطلق على الحيوانات السوائم، فلو كان الله تعالى يقول: أحلت لكم الأنعام لكان المراد بها تلك الأنواع الأربعة من الحيوانات فقط، ولكن ورد الحكم بهذه الالفاظ أجل لكم ما مثل الأنعام من الحيوانات السوائم، وبذلك أصبح الحكم واسعا يشمل جميع الحيوانات السوائم التي هي من شئوع الأنعام، أي التي لا أنياب لها وتأكل من الأغذية النباتية وليس الحيوانية، وتشبه أنعام العرب في خصائصها الأخرى. وإشارة يتضح من هذا أن الحيوانات ذوات الأنياب، والجراحة لغيرها من الحيوانات أيضا ليست حلالا، وعلى هذا ورد الحديث النبوي الشريف أيضا أن الحيوانات الجارحة حرام. كما أنه صلى الله عليه وسلم حرم تلك الطيور الكاسرة التي تصطاد غيرها من الحيوانات، ورد في رواية ابن عباس: "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل ذي ناب من السباع، وعن كل ذي مخلب من الطير"، كما وردت في تأييد ذلك روايات متعددة أخرى من الصحابة الكرام رضي الله عنهم".

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي رحمه الله - يتبين أنه عرض قولاً واحداً في المراد بـ "بهيمة الأنعام" في قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ"، إلا أنهم وجدوا خلال تنقيح التفسير أربعة أقوال للمفسرين في المراد بـ "بهيمة الأنعام" المذكور في الآية السابقة أذكرها هنا باختصار على النحو التالي:

القول الأول: يراد بـ "بهيمة الأنعام" الأزواج المذكورة في سورة الأنعام، وإضافة البهيمة إلى الأنعام من باب إضافة العلم إلى الخاص للبيان والإضافة بمعنى "من" (بمخاتم من فضة). أي: بهيمة من الأنعام (بهيمة هي الأنعام)؛ لأن الأنعام تقع على غيرها أيضاً.

١ صحيح مسلم: ١٥٣٨/٣، برقم: (١٩٣٤)، كتاب الصيد والذباح وما يؤكل من الحيوان، باب تحريم أكل كل ذي ناب من السباع، وكل ذي مخلب من الطير.
٢ تفهيم القرآن: ٣٧/١.

وعلى هذا القول يراد بـ "بهيمة" و بـ "الأنعام" شيء واحد

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، والزخشي، والرازي، وغيرهم.

القول الثاني: يراد بـ "بهيمة الأنعام" الأزواج الثمانية المذكورة في سورة الأنعام والحق بها

الظباء وبقر الوحش. والإضافة من باب إضافة العام إلى الخاص.

وعلى هذا القول يراد بـ "بهيمة" شيء و بـ "الأنعام" شيء آخر.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: البضاوي والألوسي.

القول الثالث: يراد بـ "بهيمة الأنعام" أجنّة الأنعام التي تخرج مئة من بطون الأمهات إذا

ذبحت.

وعلى هذا القول يراد بـ "بهيمة" شيء و بـ "الأنعام" شيء آخر أيضا.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، وابن عطية، وابن الجوزي، وغيرهم.

ومن الجدير بالذكر أن العلامة الألوسي ذكر هذا القول بصيغة التضييق.

ورد على هذا القول العلامة القرطبي والقاضي ثناء الله المظهري.

يقول الإمام القرطبي: "وَرَوَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّهُ قَالَ: "بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ" الْكَيْفَةُ الَّتِي

تَخْرُجُ عِنْدَ الذَّبْحِ مِنْ بَطُونِ الْأُمَهَاتِ، فَهِيَ تُؤْكَلُ دُونَ ذَكَاةٍ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَفِيهِ بَعْدُ، لِأَنَّ اللَّهَ

تَعَالَى قَالَ: "إِلَّا مَا يَتْلَى عَلَيْكُمْ" وَلَيْسَ فِي الْكَيْفَةِ مَا يُسْتَتَى".^١

١ انظر: جامع البيان: ٤٥٥/٩.

٢ انظر: الكشاف: ٦٠٧/١.

٣ انظر: التفسير الكبير: ٢٧٧/١-٢٧٨.

٤ ينظر: تفسير ابن جزي: ٢١٩/١، تفسير ابن كثير: ٨٢، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ١٤/٣.

٥ انظر: أنوار التنزيل: ١١٣/٣، وروح المعاني: ٢٢٢/٣-٢٢٤.

٦ انظر: جامع البيان: ٤٥٥/٩.

٧ انظر: المحرر الوجيز: ١٤٤/٣.

٨ انظر: زاد المسير: ٥٠٦/١.

٩ ينظر: التفسير الكبير للرازي: ٢٧٧/١١، وتفسير القرطبي: ٣٤/١، وتفسير الألوسي: ٢٢٤/٣، والتفسير المظهري

لثناء الله المظهري: ١٤/٣.

١٠ انظر: تفسير الألوسي: ٢٢٤/٣.

١١ للجامع لأحكام القرآن: ٣٤٦-٣٥.

ويقول القاضي ثناء الله المظهري: "وتأويل بهيمة الأنعام في هذه الآية بالجنين غير ظاهر ولا يلزمه الاستثناء بقوله تعالى إِلَّا مَا يَتْلِي عَلَيْكُمْ المراد بالموصول الميتة وما أهل لغير الله به وما ذبح على النصب والمثخنة والموقوفة والمنطحة وما أكل السبع وهذه الأشياء كانت داخلة في بهيمة الأنعام والتحريم لما عرض من الموت حتف أنفه وهو ذلك من العوارض فلا يستثنى متصل".

القول الرابع: يراد بـ "بهيمة الأنعام" وحشيها كالظباء وبقر الوحش ونظائرهما مما يتأكل الأنعام ويدانيتها في الاجترار وعدم الأنياب والمعروف من كلام العرب أن الأنعام تطلق على الإبل والبقر والغنم فقط، وأن البهيمة تطلق على كل حيوان، فإضافتها إلى الأنعام للاستئناس الشبه بينهما.

وعلى هذا القول يراد بـ "بهيمة" شيء وبـ "الأنعام" شيء آخر أيضاً. وعن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري^١، والزغشري^٢، والبيضاوي^٣، وغيرهم.

التعليق: يشين من القراءة في الأسطر السابقة أن هناك أربعة أقوال في المسألة والتي ذكرها المفسرون، والشيخ المودودي - رحمه الله - ذكر واحداً منها وركز عليه (وهو القول الرابع)، مما يدل على أنه هو الراجح عنده، ووقع عليه اختياره، وهو أن يكون المراد بـ "بهيمة الأنعام" جميع الحيوانات السوائم التي هي من نوع الأنعام، فيقول: "ولكن ورد الحكم بهذه الألفاظ أهل لكم ما مثل الأنعام من الحيوانات السوائم وبذلك أصبح الحكم واسعا يشمل جميع الحيوانات السوائم التي هي من نوع الأنعام، أي التي لا أنياب لها وتأكل من الأهلية النباتية وليس الحيوانية، وتشبه النعام العرب في خصائصها الأخرى. وإشارة يتضح من هذا أن الحيوانات ذوات الأنياب والجراحة غيرها من الحيوانات أيضاً ليست حلالاً". ورجح هذا القول شيخ

١ التفسير المظهري: ١٥٣.

٢ انظر: جامع البيان: ٤٥٥/٩.

٣ انظر: الكشاف: ٦٠١/١.

٤ انظر: أنوار التنزيل: ١١٧/٤.

٥ ينظر: تفسير ابن جزى: ٦١٩، تفسير الألوسي: ٢٢٧/٣، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ١٤/٣.

الهند محمود الحسن المديوني، ومحمد محمود الحجازي، ومحمد عبد اللطيف الخطيب، والشيخ
جوهر رحمان^١ أيضاً. وذلك للأسباب والأدلة التالية:

(١) عدم تعرضه للرد والنقد.

(٢) يجوز إضافة المشبه إلى المشبه به.

يقول العلامة الألويسي: "وجوز بعض المحققين في إضافة المشبه للمشبه به كونها بمعنى
اللام على جعل ملازمة المشبه اختصاصاً بينهما أي بمعنى من البيان على جعل
المشبه نفس المشبه به، وفائدة هذه الإضافة هنا الإشعار بعلّة الحكم المشتركة بين
المتضامنين كأنه قيل: أحلت لكم البهيمة المشبهة بالأنعام التي بين إحلالها فيما سبق
لكم المماثلة لها في مناط الحكم"^٣.

١ انظر: القرآن الكريم وترجمته إلى المعاني الأدبية (ترجمة: شيخ الهند محمود الحسن المديوني، والتفسير:
شيخ الإسلام شبير أحمد عثمان)، ص ٣٨، والتفسير الواضح: ٤٧٤/٨، وأوضح التفسير: ١٢٤/٨.
٢ اطلعت على رأيه من خلال CD.
٣ روح المعاني: ٣٢٤/٣.

الآية:

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ يَهِيمٌ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ
وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكَ كُمْ
فِسْقُ الْيَوْمِ الْبَاسِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَيْنِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ
وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ
فَلْيَأْنِ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٢)

في الآية مسالتان.

المسألة ١

ما نوع الاستثناء في قوله تعالى: "إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ؟"

قال الإمام المودودي رحمه الله: "أي: الحيوانات التي لم تمت على الرغم من تعرضها للحوادث السابقة وكانت فيها بقية الحياة وتم ذبحها فيجوز أن تؤكل. ومن هنا يحل لحم الحيوان الحلال عن طريق الذبح الحلال فقط، ولا يصح قتلها بطريقة أخرى والذبح والذكة مصطلحان من المصطلحات الشرعية يُقصد بهما قطع جزء من الخلق بحيث يخرج منه دم الجسد. وقتلها عن طريق الكهرباء أو الخنق أو أي طريقة أخرى تضر بالحيوان وذلك لأن معظم الدم يتوقف في داخل الجسد ويتجمد في أماكن متعددة ويلتصق باللحم. وعلى عكس ذلك يخرج الدم في الذبح من جميع العروق إلى الخارج وذلك لأن علاقة المنع بالجسم تستمر إلى مدة طويلة وبذلك ينتظف اللحم من الدم بصورة كاملة وقد مرّ فيما سبق أنّ الدم حرام ولذلك من الضروريّ للحكم الحلال أن ينفصل عنه الدم".^١

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي رحمه الله - يبين أنّه عرض قولاً واحداً في المراد بـ "إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ" في قوله تعالى: "حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكَ كُمْ فِسْقُ الْيَوْمِ الْبَاسِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَيْنِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ

١ تلهم القرآن: ٤٤٠/٨ - ٤٤١.

ديناً فمن اضطرَّ في مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مَتَجَانِفَةٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ"، إلا أنني وجدت خلال تنهني للتفسير أربعة أقوال للمفسرين في المراد بـ "إِلَّا مَا ذُكِّتُمْ" المذكور في الآية السابقة أذكرها هنا باختصار على النحو التالي:

القول الأول: "إِلَّا مَا ذُكِّتُمْ" هو استثناء من جميع المذكورات قبله من قوله: "وَالْمُتَحَنِّقَةُ إِلَى وَمَا أَكَلَ السَّبَّحُ". أي: إلا ما أحرقتكم ذكاته وفيه حية بعد ما أصابته تلك الحوادث فهو حلال، (فذلك يؤكل)، وعلى هذا الاستثناء يكون متصلاً. وهذا قول الجمهور من العلماء والفقهاء.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية، وابن الجوزي، والرازي، وغيرهم.

القول الثاني: "إِلَّا مَا ذُكِّتُمْ" هو استثناء من التحريم، وليس باستثناء من المحرمات (لا من المحرمات) التي ذكرها الله تعالى في قوله: "حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِيرِ وَمَا أُهْلُ لِيَغِيرَ اللَّوْ بِوِ الْمُسْتَحْنَقَةُ وَالْمَوْفُوقَةُ وَالْمَبْرُؤَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبَّحُ". أي: حرمت عليكم الأشياء المذكورة سابقاً إلا ما ذكيتكم قبل أن يموت بالضرب أو السقوط أو النطح أو أكل السبع فهو حلال. وعلى هذا الاستثناء يكون منقطعاً.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، والرازي، والقرطبي، وغيرهم.

ومن الجدير بالذكر أن العلامة الألوسي ذكر هذا القول بصيغة التمرين.

١ انظر: المحرر الوجيز: ١٥١/٢.

٢ انظر: زاد المسيرة: ٥٢٠/٨.

٣ انظر: التفسير الكبير للرازي: ٢٨٤/١٦.

٤ ينظر: تفسير القرطبي: ٥٠٦/٦، وتفسير البيضاوي: ١١٤/٣، وتفسير ابن جزي: ٢٢٠/٨، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ١٧٧/٤، وتفسير ابن كثير: ٢٢/٣، وتفسير الشوكاني: ١٢/٣، وتفسير الألوسي: ٢٣٦/٣، والتفسير المنير لوجهة الزحيلي: ٧٥/٦.

٥ انظر: جامع البيان: ٥٠٥/٩.

٦ انظر: التفسير الكبير: ٢٨٤/١.

٧ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٥٠/٦.

٨ ينظر: تفسير الشوكاني: ١٢/٨، وتفسير الألوسي: ٢٣٦/٣.

٩ انظر: روح المعاني: ٢٣٦/٣.

القول الثالث: "إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ" هو استثناء منقطع، وذلك إذا أريد بالمنخقة وأخواتها الأشياء المذكورة سابقا أي ما مات بسبب منها. أي: حرمت عليكم لكن ما ذكيتكم من غير هذه فإنه حلال.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الرازي.

وذكره بصيغة التمريض: ابن جزى، وأبو حيان الأندلسي.

ومن الجدير بالذكر أن ابن جزى رد عليه أيضا قائلا: "وهذا قول ضعيف لأنها إن ماتت بهذه الأسباب فهي ميتة فقد دخلت في عموم الميتة فلا فائدة لذكرها بعدها".

القول الرابع: "إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ" الاستثناء هنا يختص بقوله: "وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ"، أي: إلا ما أدرتكم حينما بعد أكل السبع فذكيتموه ذكاة شرعية فهو حلال. وعلى هذا الاستثناء يكون متصلا أيضا.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الماوردي، وابن الجوزي، والرازي.

ومن الجدير بالذكر أن الأئمة: البيضاوي، وأبا حيان الأندلسي، وأبا السعود، وطنطاوي ذكروا هذا القول بصيغة التمريض.

التعليق: يتبين من القراءة في الأسطر السابقة أن هناك أربعة أقوال في المسألة ذكرها المفسرون والشيخ المودودي - رحمه الله - ذكر واحدا منها وركز عليه (وهو القول الأول)، مما يدل على أنه هو الراجح عنده، ووقع عليه اختياره، وهو أن يكون المراد بـ "إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ": ما أدرت ذكاته وفيه حيلة بعد ما أصابته الحوادث المذكورة، فيقول: "أي: الحيوانات التي لم تمت على الرعم من

١ انظر: التفسير الكبير: ٢٨٤/١.

٢ انظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٢٠/٨، والبحر المحيط: ٣٧٧/٤.

٣ التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٢١/٨.

٤ انظر: النكت والعيون: ١٧٢.

٥ انظر: زاد المسير: ٥١٠/١.

٦ انظر: التفسير الكبير: ٢٨٤/١.

٧ انظر على التوالي: أنوار التنزيل: ١١٤/٣، والبحر المحيط: ١٧٧/٤، وإرشاد العقل السليم: ٧٣، والتفسير الوسيط: ٣٧/٤.

تعرضها للحوادث السابقة وكانت فيها بقية الحية وتم ذبحها فيجوز أن تؤكل: "، وإليه ذهب الأئمة: الماوردي^١، والزحسري^٢، وابن عطية^٣، وغيرهم^٤.

الأدلة

(١) هو قول جمهور المفسرين^٥.

يقول القاضي ابن عطية: "وجهور العلماء على أن الاستثناء هو من هذه المذكورات"^٦.

(٢) الأصل في الاستثناء أن يكون متصلاً ولا يجعل منقطعاً إلا بدليل.

يقول العلامة القرطبي: "(إِنَّمَا مَا ذُكِّتُمْ) نُعِيبَ عَلَى الْإِسْتِثْنَاءِ الْمُتَّصِلِ، عِنْدَ الْجُمْهُورِ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْفُقَهَاءِ. وَهُوَ رَاجِعٌ عَلَى كُلِّ مَا أَتَتْ ذِكَاثُهُ مِنَ الْمَذْكُورَاتِ وَفِيهِ حَيَّةٌ فَإِنَّ الذِّكَاةَ عَامِلَةٌ فِيهِ، لِأَنَّ حَقَّ الْإِسْتِثْنَاءِ أَنْ يَكُونَ مَصْرُوفًا إِلَى مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْكَلَامِ وَلَا يُجْعَلُ مُنْقَطِعًا إِلَّا بِدَلِيلٍ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهُ"^٧.

ويقول الأستاذ وهبة الزحيلي: "ومنشأ الاختلاف: هل الاستثناء متصل أو منقطع؟ فمن رأى وهم الجمهور أنه متصل أخرج من الجنس بعض ما تناوله اللفظ، فما قبل الاستثناء حرام، وما

١ انظر: الفتاوى والعيون: ١١٨.

٢ انظر: الكشاف: ٦٠٣/١.

٣ انظر: المحرر الوجيز: ١٥٧/٢.

٤ ينظر: زاد السير لابن الجوزي: ٥١٧/١، وتفسير القرطبي: ٥١/٦، وتفسير البضاوي: ١١٤/٣، وتفسير النسخة: ٤٢٥/١، وتفسير ابن جزير: ٢٢٠/٨، وتفسير الخازن: ٨٨، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ١٧١/٤، وتفسير ابن كثير: ٤٢/٣، وتفسير الجلالين للعجلي والسيوطي: ١٣٧/١، وتفسير أبي السموة: ٧٣، وتفسير الشوكاني: ١٢/٢، وتفسير الألوسي: ٣٣٦/٣، وتفسير المراغي: ٥٠/٦، والتفسير الموضح لمحمد محمود الحجازي: ٤٧٩/١، وتفسير الطاهر بن عاشور: ٩٢/٦، والموسوعة القرآنية لإبراهيم بن إسحاق الأيلري: ٣٦٧/٩، والوسيط لططاوي: ٢٧/٤، والتفسير الميسر لنخبة من أساتذة التفسير: ١٠٧/٨، وأيسر التفاسير للجزائري: ٥٨٩/١، والتفسير المنير لوهبة الزحيلي: ٧٥/١.

٥ انظر: تفسير ابن عطية: ١٥٧/٢، وتفسير الماوردي: ١٧/٤، وتفسير ابن الجوزي: ٥١٧/١، وتفسير القرطبي: ٥٠/٦، وتفسير الشوكاني: ١٢/٢.

٦ المحرر الوجيز: ١٥١/٤، بتصرف.

٧ الجامع لأحكام القرآن: ٥٧/٦.

بعده خرج منه فيكون جلالة. ويؤيد كون الاستثناء متصلاً بإجماع العلماء على أن الذكاة تحلل ما يغلب على الظن أنه يعيش، ولا يجعل الاستثناء منقطعاً إلا بدليل يجب التسليم له. ومن رأى أن الاستثناء منقطع، رأى أنه لا تأثير للاستثناء في الجملة المتقدمة، وكأنه قال: ما ذكيتوه من غير الحيوانات المتقدمة فهو حلال لأن التحريم إنما يتعلق بهذه الحيوانات بعد الموت وهي بعد الموت لا تذكي، فيكون الاستثناء منقطعاً. وأجيب عن ذلك بأن الاستثناء متصل باعتبار ظاهر الحلال، فإن ظاهر هذه الحيوانات أنها تموت بما أصيبت به فتكون حراماً بحسب الظاهر، إلا ما أدرك حياً وذكي، فإنه يكون جلالاً^١.

٣) كانت العرب تعتقد أن هذه الحوادث على المأكول كالذكاة لذلك لم يكتف الله بذكر الميتة فقط، وإن كانت هذه الأقسام تدخل في حكم الميتة.

يقول العلامة أبو حيان الأندلسي: "والظاهر أنه استثناء متصل، وإنما نص على هذه الخمسة وإن كان في حكم الميتة. ولم يكتف بذكر الميتة لأن العرب كانت تعتقد أن هذه الحيوانات على المأكول كالذكاة، وأن الميتة ما ماتت يوجع دون سبب يعرف من هذه الأسباب"^٢.

ويقول الشيخ طنطاوي بعد ذكر القولين في المسألة: "والأول أولى، لأن هذه الأنواع الخمسة تشترك في أنها تعلقت بها أحوال قد تفضى بها إلى الهلاك، فإن هلكت بتلك الأحوال لم يبح أكلها لأنها حيث ميتة، وإذا أهركت بالذكاة في وقت تنفع فيه الذكاة لما جاز الأكل منها"^٣.

ويؤيد هذا القول القاعدة الترجيحية التالية:

"تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ"^٤.

١ التفسير المنير: ٨١/٨.

٢ البحر المحيط: ١٧٧/٤.

٣ التفسير الوسيط: ٣٧/٤.

٤ قواعد الترجيح عند المفسرين للحريزي: ٢٨٧١.

المسألة ٢

ما المراد بـ "اليَوْمَ" في قوله تعالى: "اليَوْمَ يَنْسَخُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ" في الآية؟ قال الإمام المودودي -رحمه الله-: "ليس المراد بـ "اليوم" يوما ولا تليها خاصا، بل المراد به هو ذلك العهد والزمان الذي نزلت فيه هذه الآيات، ويستخدم (اليوم) في زماننا أيضا بصورة عامة للزمن الحالي".^١

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي -رحمه الله- يتبين أنه عرض قولاً واحداً في المراد بـ "اليَوْمَ" في قوله تعالى: "حَرَّمْتُ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَوَازِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَبِقَةُ وَالْمُتَوَفَّاةُ وَالنَّطِيعَةُ وَمَا أَكَلَ السَّيِّعُ إِلَّا مَا ذُكِّرْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِاللَّزْلِامِ ذَلِكَ يَوْمَ الْيَوْمِ يَنْسَخُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَغْشَوهُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمَ اكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَبَيَّنَّكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمِهِ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ"، إلا أنني وجدت خلال تبيني للتفسيرات ثلاثة أقوال للمفسرين في المراد بـ "اليَوْمَ" المذكور في الآية السابقة أذكرها هنا باختصار على النحو التالي:

القول الأول: يراد بـ "اليَوْمَ" يوم معين جدير بالامتثال بزمانه، يوم نزول الآية، وقد نزلت بعد العصر من يوم الجمعة، يوم عرفة، عام حجة الوداع من السنة العاشرة للهجرة، والنبي صلى الله عليه وسلم -واقف بعرفة على ناقته العضايا، والآل واللام فيه للعهد والمراد به يوم نزول الآية.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري،^٢ والزحشري،^٣ وابن الجوزي،^٤ وغيرهم.^٥ وذكره بصيغة التمريض: القاضي البيضاوي،^٦ والعلامة أبو السعود،^٧ والقاضي ثناء الله المظهري.^٨

١ تفهيم القرآن: ٤٤٣/١.

٢ انظر: جامع البيان: ٥١٦/٩.

٣ انظر: الكشف: ٦٠٥/٨.

٤ انظر: زاد السير: ٥١٢/١.

٥ انظر: التفسير الكبير للرازي: ٢٨٦/١، تفسير ابن جزي: ٢٢٧/١، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ١٧٢/٢، وتفسير الألوسي: ٢٣٣/٣، وتفسير الطاهر بن عاشور: ١٠٠/١.

٦ انظر: أنوار التنزيل: ١١٥/٣، وإرشاد العقل السليم: ٧٣، والتفسير المظهر: ٢٤/٣.

القول الثاني: يراد بـ "الْيَوْمَ" الزمان الحاضر وما يتصل به من الأزمنة الآتية، ولم يرد به يوماً بعينه. أي: الآن يتسواء فإن العرب يطلقون (اليوم) على الزمان الحاضر، و (الأمس) على الماضي، و (الغد) على المستقبل. ونظيره قوله: "أنا اليوم قد كبرت"، تريد الآن. و"كنت بالأمس شاباً وأنت اليوم أشبه" فلا تريد (بالأمس) اليوم الذي قبل يومك ولا (باليوم) يومك. و"كنت بالأمس شاباً واليوم قد صرت شيخاً" لا يريد (بالأمس) اليوم الذي قبل يومك، ولا يريد (باليوم) يومك الذي أنت فيه. والألف واللام للعهد والمراد به الزمان الحاضر. ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الزجاج النحوي^١، والزغشري^٢، والرازي^٣، وغيرهم^٤.

القول الثالث: يراد بـ "الْيَوْمَ" يوم دخول النبي صلى الله عليه وسلم مكة لثمان بقين من رمضان سنة تسع للهجرة أو سنة ثمان للهجرة. ومن ذكر هذا القول من المفسرين: القرطبي وأبو حيان الأندلسي، والألوسي^٥. ومن الجدير بالذكر أن أبا حيان الأندلسي ذكر هذا القول بصيغة التعريض^٦.

التعليق: يتبين من القراءة في النصوص المذكورة أن هناك ثلاثة أقوال في المسألة ذكرها المفسرون، والشيخ المودودي - رحمه الله - ذكر واحداً منها وركز عليه (وهو القول الثاني). مما يدل على أنه هو الراجح عنده. ووقع عليه اختياره، وهو أن يكون المراد بـ "الْيَوْمَ" العهد الذي نزلت فيه هذه الآيات، فيقول: "ليس المراد بـ "الْيَوْمَ" يوماً ولا تاريخاً خاصاً، بل المراد به هو

١ تفسير الطاهر بن عاشور: ١٠٧/٦.

٢ انظر: معاني القرآن للزجاج النحوي: ١٤٧/٢.

٣ الكشف للزغشري: ٦٠٤/٨.

٤ التفسير الكبير للرازي: ٢٨٦/١١.

٥ معاني القرآن: ١٤٧/٢ - ١٤٨.

٦ انظر: الكشف: ٦٠٤/٨.

٧ انظر: التفسير الكبير: ٢٨٧/١١.

٨ ينظر: تفسير البهكاوي: ١١٥/٢، وتفسير ابن جزى: ٢٢٧/٨، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ١٧٤/٣.

والتفسير المظهر: ١٢٤/٣، وتفسير الألوسي: ٢٢٢/٣، وتفسير الطاهر بن عاشور: ١٠٧/٦.

٩ انظر على التوالي: تفسير القرطبي: ٦٠/٨، والبحر المحيط: ١٧٤/٤، وتفسير الألوسي: ٢٢٢/٣.

١٠ انظر: روح المعاني: ٢٢٢/٣.

ذلك العهد والزمان الذي نزلت فيه هذه الآيات. ويستخدم (اليوم) في زماننا أيضا بصورة عامة للزمن الحالي". وإليه ذهب الأئمة: الزجاج النحوي، والزخشري، النسخي، وغيرهم.
الأدلة:

(١) هو كلام خرج على عادة أهل اللسان؛ فإن العرب يطلقون يوما على الزمن الحاضر بمعنى (الآن).

يقول الزجاج النحوي: "وقوله: (الْيَوْمَ يَكْفُرُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَيْنِكُمْ).
"اليوم" منصوب على الظرف، وليس يراد به - والله أعلم - يوماً بعينه. معناه الآن يئس الذين كفروا من بينكم، وهذا كما تقول أنا اليوم قد كبرت.
وهذا الشأن لا يصلح في اليوم، تريد أنا الآن، وفي هذا الزمان ومعناه: أن قد حوّل الله الحرف الذي كان يلحقكم منهم اليوم وينسوا من بطلان الإيمان.
ويقول الزخشري: "اليوم" لم يرد به يوماً بعينه، وإنما أراد به الزمان الحاضر وما يتصل به ويدان به من الأزمنة الماضية والآتية، كقولك: كنت بالأمس شابة، وأنت اليوم أهيبة، فلا تريد بالأمس اليوم الذي قبل يومك، ولا باليوم يومك".
ويقول الرازي: "أنه ليس المراد هو ذلك اليوم بعينه حتى يقال: إنهم ما ينسوا قبله يوم أو يومين، وإنما هو كلام خارج على عاقبة أهل اللسان معناه: لا حاجة بكم الآن إلى مداينة هؤلاء الكفار لأن صيرتكم بحيث لا يطمع أحد من أعدائكم في توهين أمرهم، وتظيرة قوتهم؛ كنت بالأمس شاباً واليوم قد صيرت شيخاً، ولا يريد بالأمس اليوم الذي قبل يومك، ولا باليوم يومك الذي أتت فيه".

١ معاني القرآن: ١٤٧/٢-١٤٨.

٢ انظر: الكشف: ٦٠٤/٨.

٣ انظر: مدارك التنزيل: ٤٢٧/٨.

٤ ونظر: تفسير أبي السعود: ٧٣، والتفسير المظهري لتناه الله المظهري: ٢٤/٣، ونظر: الألوسي: ٣٣٣/٣.

٥ معاني القرآن: ١٤٧/٢-١٤٨.

٦ الكشف: ٦٠٤/٨.

٧ التفسير الكبير: ٤٨٧/٦.

ويقول الطاهر بن عاصم: "وَجُورُ أَنْ يُجْعَلَ (الْيَوْمَ) بِمَعْنَى اللَّذَّةِ أَيَّ زَمَانِ الْحَلِّ الصَّائِقِ
 بِطَائِفَةٍ مِنَ الزَّمَانِ، دَسَخَ الْيَأْسُ فِي حِلَالِهَا، فِي قُلُوبِ أَهْلِ الشَّرْكِ بَعْدَ أَنْ خَافُوا نَفْسَهُمُ التَّرَدُّ
 فِي ذَلِكَ فَإِنَّ الْعَرَبَ يُطْلِقُونَ (الْيَوْمَ) عَلَى زَمَنِ الْحَلِّ، وَالْأَمْسِ عَلَى الْمَاضِي، وَاللَّغَا
 عَلَى الْمُسْتَقْبَلِ".^١

ويؤيد هذا القول القاعدة الترجيحية التالية:

"يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب هو: الشاذ والضعيف والمنكر".^٢

١ التحرير والتنوير: ١٠٧٦.

٢ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٣٦٩٢.

الفصل الثالث:
ترجيحات سورة الأنعام

هل السورة مكية خالصة أو بعضها مكّي وبعضها مدني؟ وهل السورة نزلت دفعة واحدة أم منجّمة؟

قال الإمام المودودي -رحمه الله-: "ورد في رواية عن ابن عباس قال: "نزلت سورة الأنعام جملةً واحدة". ونقول اسماء بنت يزيد ابنة عم معاذ ابن جبل: "نزلت الأنعام على النبي صلى الله عليه وسلم جملةً واحدة، وأنا أجلة يزعم ثقات النبي صلى الله عليه وسلم إذا كانت من ثقلها لتكسر عظم الثاق". وورد في بعض الروايات أن النبي صلى الله عليه وسلم كتبها في الليلة التي نزلت فيها".^١

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي -رحمه الله- الأنف الذكر يتضح أنه يشير في هذا النص إلى المسألتين التاليتين:

الأولى: إن سورة الأنعام مكية خالصة، كما يظهر من عبارته، ويتضح منه أيضاً أنه عرض في المسألة قولاً واحداً، ويستدل على رأيه بروايتين. إلا أن المتبع في التفسير والكتب المصنفة في علوم القرآن يجد قولين في نزول هذه السورة، وهما بالاختصار على النحو التالي:

القول الأول: إن هذه السورة مكية.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن كثير، وشاء الله المظهري، والسيد قطب.

القول الثاني: إن هذه السورة مكية بعضها مدنية، لأن هذه السورة مكية ما عدا الآيات القلائل.

١ المعجم الكبير للطبراني: ٢٢/٢١٥، برقم: (٦٢٩٣٠)، ويقول الشيخ أحمد شاكّر في عمدة التفسير عن الحافظ

ابن كثير: "إسناده عند الطبراني إسناده صحيح: ١/٦٦٧، أعده أنور باز، دار الوفاء، المنصورة.

٢ المعجم الكبير للطبراني: ٢٤/١٧٧، برقم: (٤٤٩). يقول أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان

المهدي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: ٧/١٢٣: "وفيه شهر بن حوشب وهو ضعيف وقد وثق"، برقم:

(١٠٩٦٠)، سورة المائدة حَقَّقَهُ وَخَرَّجَ أَحَدِيَّتَهُ: حسين سليم أسد الداراني، دار المأمون للطباعة، ويقول أحمد عمد

شاكّر في عمدة التفسير من ابن كثير معلقاً على كلام الطبراني: ١/٦٦٧: "وشهر ثقة عندنا".

٣ تفهيم القرآن: ٨/٥٢٠.

٤ انظر: تفسير القرآن العظيم: ٣/٢٢٧.

٥ انظر: التفسير المظهري: ٣/٢١٧.

٦ انظر: في ظلال القرآن: ٨/١٠٠٤.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن الجوزي، والرازي، والقرطبي، وغيرهم.

ورد عليه الأستاذ السيد قطب والشيخ الطاهر بن عاشور.

يقول الأستاذ السيد قطب بعد ذكر الروایتين اللتين ذكرهما الإمام المودودي لتأييد رأيه:

"وهاتان الروایتان أوثق من الأقوال التي جله فيها أن بعض الآيات مدنية".

ويقول أيضا: "والواقع أن سياق السورة في تماسكه وفي تدافعه وفي تدفقه يوقع في القلب أن هذه السورة نهر يتدفق، أو سيل يتدفق، بلا حواجز ولا فواصل وإن يتلها ذاته ليصلق تماما هذه الروايات أو على الأقل يرجحها ترجيحاً قوياً".

ويقول الشيخ الطاهر بن عاشور: "لَا يَصِحُّ نَقْلُ فِي شَيْءٍ نَزَلَ مِنَ الْإِنْعَامِ فِي الْمَدِينَةِ. وَهَذَا هُوَ الظَّاهِرُ وَهُوَ الَّذِي رَوَاهُ أَبُو عُبَيْدٍ وَالتَّبَهِيُّ، وَأَبْنُ مَرْثُومٍ، وَالطَّبْرَائِيُّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَأَبِي الشَّيْخِ عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ".

التعليق: وهكذا يتضح من القراءة في السطور السابقة أن هناك قولين في المسألة ذكرهما المفسرون، والشيخ المودودي - رحمه الله - ذكر واحدا منهما، ولم يذكر القول الآخر مما يدل على أن القول الذي ذكره راجح عنده، ووقع عليه اختياره. وهو: "أنها مكية خالصة"، ويستدل على رأيه برواية عن ابن عباس، فيقول: "ورد في رواية عن ابن عباس، قال: 'نزلت سورة الأنعام جملة مكة'". وقد والى بذلك جملة من الأئمة المفسرين كالمثل: التستقي، وابن كثير، وإسماعيل حقي، وغيرهم.

١ انظر: زاد المسير: ١/١.

٢ انظر: التفسير الكبير: ١٢/٤٩٩.

٣ انظر: الجواهر لأحكام القرآن: ٢٨٢/٦.

٤ انظر: تفسير الميزبوري: ١٥٢/٢، وتفسير الشوكاني: ١٢٧/٤، وتفسير الألوسي: ٧٢/٤، وتفسير المراغي: ٨٩/٧. وفي ظلال القرآن للسيد قطب: ١٠٠/٢، والمدخل لدراسة القرآن الكريم ل محمد محمد أبي تهبة: ٢٢٢/٨.

٥ في ظلال القرآن: ١٠٢٢/٢.

٦ المصدر نفسه.

٧ التحرير والتنوير: ١٢٢/٧.

٨ سبق تخريج.

٩ انظر: مدارك التنزيل: ٤٨٩/١.

١٠ انظر: تفسير القرآن العظيم: ٢٢٧/٣.

١١ انظر: روح البيان: ٧/٣.

الأدلة:

١) رواية ابن عباس التي رواها الطبراني عنه بسنده قال: "نزلت سورة الأنعام جملةً بمكة ليلاً وحولها سبعون ألف ملك يجرون حولها بالشَّيخ".^١

٢) ورواية أسماء بنت يزيد التي رواها الطبراني أيضاً عنها بسنده قالت: "نزلت الأنعام على النبي صلى الله عليه وسلم جملةً واحدةً وأنا آخلة بزمام ناقة النبي صلى الله عليه وسلم أن كانت من بقلها لتكسر عظم الناقة".^٢

ويؤيد هذا القول القاعدة الترجيحية التالية:

"إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه".^٣

الثانية: إن سورة الأنعام نزلت جملةً واحدةً (دفعةً واحدةً) كما يظهر من عبارته. وما يتضح من كلامه أيضاً أنه عرض في المسألة قولاً واحداً، إلا أنني وجدت خلال تتبعي للتفسير وكتب علوم القرآن قولين للمفسرين، أذكرهما هنا باختصار على النحو التالي:

القول الأول: إن سورة الأنعام نزلت جملةً واحدةً/دفعةً واحدةً.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الرازي، وابن كثير، والقرطبي، وغيرهم.^٤

القول الثاني: إن سورة الأنعام نزلت منجمة.

ومن انفرد بذكره العلامة الألوسي.^٥

١ ينظر: التفسير المظهري لثناء الله المظهري: ٢١٢/٣، وتفسير السعدي: ٢٥٩/١، وفي ظلال القرآن للسيد قطب: ١٠٠٤/١، وما بعده. وتفسير الطاهر بن عاشور: ١٢٦/١-١٢٢، وأيسر التفاسير للجزائري: ٣٤/٢، والتفسير المنير لوجه الزحيلي: ١٢٧/٨، والمختصر في تفسير القرآن لجماعة من علماء التفسير: ١٢٨/١.

٢ سبق تخريجه.

٣ سبق تخريجه.

٤ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٢٠٧/١.

٥ انظر: التفسير الكبير: ١٧/٢.

٦ انظر: تفسير القرآن العظيم: ٣٣٧/٣.

٧ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٣٨٢/١.

٨ ينظر: تفسير العوكلاني: ١١١/٢، وفي ظلال القرآن للسيد قطب: ١٠٢٠/٢، وما بعده.

٩ انظر: روح المعاني: ٣/٤.

التعليق: وهكذا يتضح من القراءة في السطور السابقة أن هناك قولين في المسألة ذكرهما المفسرون، والشيخ المودودي - رحمه الله - ذكر واحدا منهما، ولم يذكر القول الآخر مما يدل على أن القول الذي ذكره راجح عنده، ووقع عليه اختياره. وهو: "أنها نزلت جملة واحدة"، ويستدل على رأيه برواية عن أسماء بنت يزيد، فيقول: "وتقول أسماء بنت يزيد ابنة عم معاذ ابن جبل: "نزلت الأَنْعَامُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جُمْلَةً وَاحِدَةً وَأَنَا أُحِثُّهُ يَزِمَامِ نَاقَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ كَانَتْ مِنْ ثِقَلِهَا لَتَكْسِيرِ عَظْمِ النَّاقَةِ".^١ وإليه ذهب الأئمة المفسرون: الرازي، وابن كثير، وإسماعيل حقي، وغيرهم.

الأدلة

- (١) رواية ابن عباس التي رواها الطبراني عنه بسنده قال: "نزلت سُورَةُ الْأَنْعَامِ جُمْلَةً يَمْكَةً لَيْلًا وَحَوْلَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرُونَ حَوْلَهَا بِالتَّسْبِيحِ".^٢
 - (٢) ورواية أسماء بنت يزيد التي رواها الطبراني أيضا عنها بسنده قالت: "نزلت الْأَنْعَامُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جُمْلَةً وَاحِدَةً وَأَنَا أُحِثُّهُ يَزِمَامِ نَاقَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ كَانَتْ مِنْ ثِقَلِهَا لَتَكْسِيرِ عَظْمِ النَّاقَةِ".^٣
- يقول الإمام المراغي: "وفد روى كثير من المحدثين عن غير واحد من الصحابة والتابعين أن هذه السورة نزلت جملة واحدة".^٤

١ سبق تخريجه.

٢ انظر: التفسير الكبير: ٤٧٧/٢.

٣ انظر: تفسير القرآن العظيم: ٣٣٧/٣.

٤ انظر: روح البیان: ٨/٢.

٥ ينظر: تفسير القرطبي: ٢٨٢/٦، وتفسير الشوكاني: ١١١/٢، وتفسير المراغي: ٦٩٧، وفي ظلال القرآن للسيد قطيب: ١٠٢٠/٢ وما بعدها، والتفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب: ١١٦/٤، والتفسير الواضح لعماد محمود المحجاني: ٥٨٤/٨، وتفسير الطاهر بن عاشور: ١٢٧/٨ وما بعدها، والتفسير المتبر لوهية الزحيلي: ١٢٧٧.

٦ سبق تخريجه.

٧ سبق تخريجه.

٨ تفسير المراغي: ٦٩٧.

ويقول الأستاذ السيد قطب بعد ما رجع القول الأول: وهاتان الروايتان^١ أوثق من الأقوال التي جاء فيها أن بعض الآيات مدنية.

(٣) نزولها دفعة واحدة فضيلة عند الأصوليين.

يقول الإمام الرازي: "قال الأصوليون: هذه السورة اختصت بتوحيين من الفضيلة، أخذهما أنها نزلت دفعة واحدة، والثاني أنها شيعها سبعون ألفاً من الملائكة، والسبب فيه أنها مشتملة على دلائل التوحيد والعقل والنبوة والمعاد وإبطال مذاهب المبطلين والملحدين، وذلك يدل على أن علم الأصول في غاية الجلالة والرفعة، وأيضاً فإنزال ما يدل على الأحكام قد تكون المصلحة أن ينزله الله تعالى قلوب حاجتهم، ويحسب الحوادث والنوازل، وأما ما يدل على علم الأصول فقد أنزله الله تعالى جملة واحدة، وذلك يدل على أن تعلم علم الأصول واجب على الفور لا على التراخي".

وبين الأستاذ وهبة الزحيلي سبب نزوله دفعة واحدة قائلاً: "والسبب فيه أنها مشتملة على دلائل التوحيد والعقل والنبوة والمعاد وإبطال مذاهب المبطلين والملحدين. ولكن لا مانع من أن يكون بعض آياتها مدنية ثم أمر النبي صلى الله عليه وسلم بوضعه في موضعه من السورة".

(٤) السياق والبناء يدلان على كونها نزلت دفعة واحدة.

يقول الأستاذ السيد قطب: "والواقع أن سياق السورة في تماسكه وفي تدافعه وفي تدفقها يوحي في القلب أن هذه السورة نهر يتدفق، أو سيل يتلقع، بلا حواجز ولا فواصل وإن بناءها ذاته ليصدق قلما هذه الروايات، أو على الأقل يرجحها ترجيحاً قوياً".

(٥) نزولها دفعة واحدة يدل على إبطال زعم المشركين.

١ يريد بالروايتان اللتان ذكرنا آتفاً واللذان ذكرهما الإمام الطودوي لتأييد رأيه.

٢ في ظلال القرآن: ١٠٣٢/٤.

٣ التفسير الكبير: ٥٧٨٢.

٤ التفسير المنير: ١٣٦٧.

٥ في ظلال القرآن: ١٠٣٢/٤.

يقول الشيخ الطاهر بن عاشور: "فلعلَّ حِكْمَةَ إِنْزَالِهَا جُمْلَةً وَاحِدَةً قُطْعٌ تُغْلِلُ الْمُشْرِكِينَ فِي قَوْلِهِمْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْفُرْقَانُ جُمْلَةً وَاحِدَةً. ثَوَمًا مِنْهُمْ أَنْ تَنْجِيحُ نُزُولِهِ يَتَأَكَّدُ كَوْنُهُ كِتَابًا، فَانْزِلَ اللَّهُ سُورَةَ الْاِنْعَامِ".^١

ويقول أيضاً: "واعلم أنَّ نُزُولَ هَذِهِ السُّورَةِ جُمْلَةً وَاحِدَةً عَلَى الصَّحِيحِ لَا يَتَأَكَّدُ مَا يَذْكُرُ لِبَعْضِ آيَاتِهَا مِنْ أَسْبَابِ نُزُولِهَا، لِأَنَّ أَسْبَابَ نُزُولِ بَلَدِ الْآيَاتِ إِنْ كَانَ لِحَوَادِثَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ فَقَدْ تَجَمَّعَ أَسْبَابٌ كَثِيرَةٌ فِي مَدَّةٍ قَصِيرَةٍ قَبْلَ نُزُولِ هَذِهِ السُّورَةِ، فَيَكُونُ نُزُولُ بَلَدِ الْآيَاتِ مُسَبَّبًا عَلَى بَلَدِ الْخَوَارِثِ، وَإِنْ كَانَ بَعْدَ الْهِجْرَةِ جَازًا أَنْ تَكُونَ بَلَدِ الْآيَاتِ مَدْيِيَّةً لِدَحِثِ سُورَةِ الْاِنْعَامِ لِمُنَاسَبَتِهِ عَلَى أَنَّ أَسْبَابَ النُّزُولِ لَا يَلْزَمُ أَنْ تَكُونَ مُقَارِنَةً لِنُّزُولِ آيَاتِ أَحْكَامِهَا فَقَدْ يَقَعُ السَّبَبُ وَيَتَأَخَّرُ تَشْرِيعُ حُكْمِهِ".^٢

ويؤيد هذا القول القاعدة الترجيحية التالية:

"إِذَا صَحَّ سَبَبُ النُّزُولِ فَهُوَ مَرَجَحٌ لِمَا وَافَقَهُ مِنْ أَوْجِهَةِ التَّفْسِيرِ".^٣

١ سورة الفرقان، الآية ٣٢.

٢ التحرير والتنوير: ١٢٣/٧.

٣ المصدر السابق: ١٢٣/٧.

٤ قواعد الترجيح عند المفسرين للحريز: ٢٤٧/٨.

الآية:

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ (١)

مسألة:

ما المراد بـ "الَّذِينَ كَفَرُوا" في الآية؟

قال الإمام المودودي رحمه الله: "من الجدير بالذكر أن المخاطبين بهذه الآية هم مشركو العرب الذين كانوا يعتقدون أن الله تعالى هو خالق السموات والأرض، وهو الذي يأتي بالليل والنهار. وهو الذي أوجد الشمس والقمر. ولم يكن أحد منهم يعتقد أن هذه من فعل اللات والحبل والعزى أو غيرها من آلهتهم المزورة. ولذا خاطب هؤلاء بقوله -أيها الجهلاء إنكم تعتقدون أن الله هو خالق السموات والأرض، وهو الذي بيده اختلاف الليل والنهار فلم تسجدون لغير هذه الذات الإلهية من الألهة المزورة وتصلون لهم التذورات والقرابين وتدعونهم وتطلبون منهم حوائجكم".

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي رحمه الله - يبين أنه عرض قولاً واحداً في المراد بـ "الَّذِينَ كَفَرُوا" في قوله تعالى: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ"، إلا أنني وجدت خلال تتبعي للتفسير خمسة أقوال للمفسرين في المراد بـ "الَّذِينَ كَفَرُوا" المذكور في الآية السابقة أذكرها هنا باختصار على النحو التالي:

القول الأول: يراد بـ "الَّذِينَ كَفَرُوا" المشركين، فكلمة "كَفَرُوا" هنا عام في كل مشرك.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن الجوزي، وابن عطية، وابن جزري.

القول الثاني: يراد بـ "الَّذِينَ كَفَرُوا" الجحوس، بدليل الظلمات والنور.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن جزري، ورد عليه أبو حيان الأندلسي.

يقول أبو حيان الأندلسي ما معناه: "لا دليل لتخصيصه".

١ تفهيم القرآن: ٥٢٣/١.

٢ انظر على التوالي: زاد المسير: ٨٨، ولطهر الوجيز: ٢٦٦/٢، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٢٥٢/١.

٣ انظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٥٢/١، والبحر المحيط: ٤٣٠/٤.

القول الثالث: يراد بـ "الَّذِينَ كَفَرُوا" المشركين من عبدة الأصنام من العرب مجاورتهم لم
ووقع رد القرآن عليهم أكثر.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، وابن عطية، وابن جزي، وأبو حيان الأندلسي.

القول الرابع: يراد بـ "الَّذِينَ كَفَرُوا" جميع الكفار من اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الأوثان
والصابئة والمناوئة وغيرهم من سائر أصناف الكفر.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، وابن عطية، وأبو حيان الأندلسي، وغيرهم.

القول الخامس: يراد بـ "الَّذِينَ كَفَرُوا" أهل الكتاب.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، وذكره ورد عليه ابن عطية وأبو حيان الأندلسي.

يقول ابن عطية: "وقول ابن أبيزى إن المراد أهل الكتاب بعيد".

يقول أبو حيان الأندلسي: "أَوْ يَكْمُلُ الْكِتَابُ كَأَنَّهُ يُزَيُّ فَلَا يَظْهَرُ لَهُ ذَلِيلٌ عَلَى
التَّخْصِيصِ".

التعليق: يتبين من القراءة في النصوص المذكورة أن هناك خمسة أقوال في المسألة ذكرها
المفسرون، والشيخ المودودي - رحمه الله - ذكر واحدا منها وركز عليه (وهو القول الثالث)، مما
ينبئ على أنه هو الراجح عنده، ووقع عليه اختياره، وهو أن يكون المراد بـ "الَّذِينَ كَفَرُوا"
مشركو العرب، مستندا في ذلك إلى السياق الذي وردت فيها الآية الكريمة، فيقول: "من الجليل
بالذكر أن المخاطبين بهذه الآية هم مشركو العرب الذين كانوا يعتقدون أن الله تعالى هو خالق

١ انظر: البحر المحيط: ٤/٤٣٠.

٢ انظر على التوالي: جمع البيان: ١١/٢٥٤، والمحرو الوجيز: ٢٦٧/٢، والتسهيل لعلوم التنزيل: ١/٢٥٢، والبحر
المحيط: ٤/٤٣٠.

٣ انظر: جمع البيان: ١١/٢٥٤.

٤ انظر: المحرو الوجيز: ٢٦٧/٢.

٥ انظر: البحر المحيط: ٤/٤٣٠.

٦ انظر: تفسير المنار لرشيد رضا: ٢٤٦/٧، وتفسير الطاهر بن عاشور: ٧/١٢٨.

٧ انظر: جمع البيان: ١١/٢٥٢، والمحرو الوجيز: ٢٦٧/٢، والبحر المحيط: ٤/٤٣٠.

٨ المحرو الوجيز: ٢٦٧/٢.

٩ البحر المحيط: ٤/٤٣٠.

السموت والأرض، وهو الذي يأتي بالليل والنهار. وهو الذي أوجد الشمس والقمر. ولم يكن أحد منهم يعتقد أن هذه من فعل اللات والعزى أو غيرها من آلهتهم المزورة. ولذا خطب هؤلاء بقوله -أيها الجهلاء إنكم تعتقدون أن الله هو خالق السموت والأرض وهو الذي بيده اختلاف الليل والنهار فلم تسجدون لغير هذه الذات الإلهية من الآلهة المزورة و تتقدمون لهم التدوير والقرايين و تدعونهم و تطلبون منهم حوائجكم".

الأدلة

١. السياق: كما يتبين من عبارة الإمام المودودي.
 ٢. أضف إلى ذلك مجاورتهم له، كما قال به ابن عطية وابن جزي^١.
 ٣. القرآن رد عليهم أكثر كما قال به ابن جزي^٢.
- ويؤيد هذا القول القاعدة الترجيحية التالية:
- "إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما إلا بدليل يجب التسليم له"^٣.

١ انظر: المحرر الوجيز: ٢٦٦/٢، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٢٥٢/٤.

٢ انظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٥٢/١.

٣ قواعد الترجيح عند المفسرين للحرشي: ٢٢٥/١.

الآية

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾ (٢١)

في الآية مسالتان:

المسألة الأولى:

ما المراد بـ "خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ" في الآية؟

يقول الإمام المودودي رحمه الله: "يتم جميع أجزاء الجسم الإنساني كلها من الأرض ولا قوة فيها غير أرضية ومن هنا قيل "خلقكم من طين"."^١

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي رحمه الله - يبين أنه عرض قولاً واحداً في المراد بـ "خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ" في قوله تعالى: "هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ"، إلا أنني وجدت خلال تتبعي للتفسير خمسة أقوال للمفسرين في المراد بـ "خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ" المذكور في الآية السابقة أذكرها هنا باختصار على النحو التالي:

القول الأول: أي خلق أجسامكم من طين (بهدف المضاف) وهو أصلكم وأنتم فرع، فباعتبار أصلكم أنتم مخلوقون من طين، ويضاف الفرع إلى الأصل، فيرجع خلقكم جميعاً إلى طين، وأنخرج مخرج الخطاب للجميع، (وعلى هذا يراد به آدم - عليه السلام - وهو المعنى المجازي للآية). وعن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية، وابن الجوزي، والرازي، وغيرهم.

القول الثاني: أي خلق جميع البشر/خلقكم جميعاً من النطفة المخلوقة من الأغذية الحاصلة من الطين (الأرض) على الحقيقة، (وعلى هذا يراد به جميع البشر، وهو المعنى الحقيقي للآية). وعن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن حطبة، والرازي، والقرطبي، وغيرهم.

١ تفهيم القرآن: ٥٣٦/٨.

٢ انظر: المحرر الوجيز: ٢٦٦/٢.

٣ انظر: زاد المسير: ٨٧.

٤ انظر: التفسير الكبير: ٤٧٩/١٢ - ٤٨٠.

٥ ينظر: تفسير القرطبي: ٦٨٧/٦، وتفسير البيضاوي: ١٥١/٢، وتفسير ابن جزي: ٢٥٢/١، وتفسير ابن كثير: ٢٣٩/٣، والتفسير المظهر لثناء الله المظهري: ٢١٣/٣، وتفسير الشوكاني: ١١٣/٢، وتفسير الألوسي: ٩٣/٤.

٦ انظر: المحرر الوجيز: ٢٦٦/٢.

٧ انظر: التفسير الكبير: ٤٨٠/١٢.

القول الثالث: أي ابتداء خلقكم منه لما أنه الملة الأولى ، حيث خلق آدم عليه السلام - منه وهو أصل سائر البشر. وعن ذكر هذا القول من المفسرين: البيضاوي، وأبو السحود، وثناء الله المظهري، والألوسي^١.

التعليق: يتبين من القراءة في النصوص المذكورة أن هناك ثلاثة أقوال في المسألة ذكرها المفسرون، والشيخ المدودي - رحمه الله - ذكر واحدا منها وركز عليه (وهو القول الثاني)، مما يدل على أنه هو الراجح عنده، ووقع عليه اختياره وهو أن يكون المراد بـ "خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ" خلق جميع البشر من النطفة الحاصلة من الأجزاء الأرضية، أي ينحسب إلى المعنى الحقيقي لا المجازي، فيقول: "يتم جميع أجزاء الجسم الإنساني كلها من الأرض ولا ذرة فيها غير أرضية ومن هنا قيل "خلقكم من طين"^٢، وإليه ذهب الإمام الرازي في تفسيره^٣.

الأدلة:

- (١) العمل بالحقيقة أولى من المجاز.
- (٢) إن الإنسان خلق من الأغذية النباتية الحاصلة من الطين. يقول الإمام الرازي في تفسيره هذه الآية الكريمة: وَعِنْدِي فِيهِ وَجَّةٌ آخَرُ، وَهُوَ أَنَّ الْإِنْسَانَ مَخْلُوقٌ مِنَ الطِّينِ وَمِنْ دَمِ الطَّمْتِ، وَهَذَا يَتَوَلَّدَانِ مِنَ الدَّمِ وَالْدَّمُ إِنَّمَا يَتَوَلَّدُ مِنَ الْأَغْذِيَّةِ وَالْأَغْذِيَّةُ إِذَا حَيَوَانِيَّةٌ وَإِذَا نَبَاتِيَّةٌ فَإِنْ كَانَتْ حَيَوَانِيَّةً كَانَ الْحَلُّ فِي كَيْفِيَّةِ تَوَلُّدِ ذَلِكَ الْحَيَوَانِ كَالْحَلِّ فِي كَيْفِيَّةِ تَوَلُّدِ الْإِنْسَانِ، فَيُفِي أَنْ تَكُونَ نَبَاتِيَّةً، فَتَبَيَّنَ أَنَّ الْإِنْسَانَ مَخْلُوقٌ مِنَ الْأَغْذِيَّةِ النَّبَاتِيَّةِ، وَلَا شَكَّ أَنَّهَا مَتَوَلَّدَةٌ مِنَ الطِّينِ، فَتَبَيَّنَ أَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ مَتَوَلَّدٌ مِنَ الطِّينِ. وهذا الوجه عندي أقرب إلى الصواب^٤.

ويؤيد هذا القول القاعدة الترجيحية التالية:

"يجب حمل نصوص الرجي على الحقيقة"^٥.

١ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٣٨٧/٦.

٢ ينظر: تفسير الشوكاني: ١١٣/٢، وتفسير الألوسي: ٨٤/٤.

٣ انظر على التوالي: أفوار التنزيل: ١٥٣/٢، وإرشاد العقل السليم: ١٠٦/٣، والتفسير المظهر: ٢١٣/٣، ودوح المعاني: ٨٤/٤.

٤ التفسير الكبير: ٤٨٠/١٢.

٥ المصدر نفسه.

٦ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٣٨٧/٢.

ما المراد بـ "أَجَلَ مُسَمًّى" في الآية؟

قال الإمام المودودي -رحمه الله-: "أي وقت قيام الساعة عند ما يبعث الأولون والآخرون من جديد، ثم يعرضون أمام ربهم للحساب".^١

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي -رحمه الله- يتبين أنه عرض قولاً واحداً في المراد بـ "أَجَلَ مُسَمًّى" في قوله تعالى: "عَرَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلَ مُسَمًّى غِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ"، إلا أنني وجدت خلال تنبهي للتفسير لحمة أقوال للمفسرين في المراد بـ "أَجَلَ مُسَمًّى" المذكور في الآية السابقة أذكرها هنا باختصار على النحو التالي:

القول الأول: يراد بـ "أَجَلَ مُسَمًّى" وقت معين للبعث والنشور الذي لا يعلمه إلا الله - سبحانه وتعالى - وهو أجل يوم القيامة (أجل قيام الساعة)، وذلك ليجزئهم على أعمالهم. وعن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري،^٢ وابن عطية،^٣ والرازي،^٤ وغيرهم.

القول الثاني: يراد بـ "أَجَلَ مُسَمًّى" وقت معين ما بين الموت إلى البعث من القبور وهو البرزخ.

وعن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري،^٥ وابن عطية،^٦ وابن الجوزي،^٧ وغيرهم.

١ تفهيم القرآن: ٥٣٣/١.

٢ انظر: جامع البيان: ٢٥٧/١٦.

٣ انظر: المحرر الوجيز: ٣٦٧/٩.

٤ انظر: التفسير الكبير: ٨١/١٢.

٥ ينظر: تفسير القرطبي: ٣٨٧/١، وتفسير البيضاوي: ١٥٢/٦، وتفسير ابن جزي: ٢٥٣/١، والبحر المحيط لأبي حيان

الاندلسي: ٤٣٢/٤، وتفسير ابن كثير: ٣٣٩/٣، والتفسير المظهر لثناء الله المظهري: ٢١٥/٣، وتفسير الموكاني: ١١٣/٢،

وتفسير الألوسي: ٨٤/٤.

٦ انظر: جامع البيان: ٢٥٦/١١.

٧ انظر: المحرر الوجيز: ٣٦٧/٢-٣٦٧.

٨ انظر: زاد المسير: ٨/٣.

٩ ينظر: التفسير الكبير للرازي: ٤٨١/١٢، وتفسير البيضاوي: ١٥٣/٨، والبحر المحيط لأبي حيان الاندلسي:

٤٣٢/٤، وتفسير ابن كثير: ٣٣٩/٣، والتفسير المظهر لثناء الله المظهري: ٢١٤/٣، وتفسير الشوكاني: ١١٣/٢،

وتفسير الألوسي: ٨٤/٤.

القول الثالث: يراد بـ "أجلٌ مُسمى" الحية في الدنيا.

وعن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية وابن الجوزي، وأبو حيان الأندلسي^١.

القول الرابع: يراد بـ "أجلٌ مُسمى" أجل موت الإنسان.

وعن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، وابن عطية، وابن الجوزي، وغيرهم^٢.

وذكره بصيغة التمريض: ابن جزي، ورد عليه ابن كثير وأبو السعود والألوسي.

يقول الإمام ابن كثير: "وهذا قول غريب"^٣.

ويقول العلامة أبو السعود: "وأما أجل الموت فمعلوم إجمالاً وتقريباً يتلوه على ظهور أماراته أو

على ما هو المعتاد في أعمار الإنسان... لا وجه له أصلاً"^٤.

ويقول العلامة الألوسي: "أجل الموت معلوم إجمالاً بناء على ظهور أماراته أو على ما هو المعتاد

في أعمار الإنسان"^٥.

القول الخامس: مقدار ما بقى من عمر كل إنسان إلى موته/ أجل الباقي من الخلق.

وعن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن الجوزي^٦، الرازي^٧، وأبو حيان الأندلسي^٨، وغيرهم^٩.

١ انظر على التوالي: المهر الوجيز: ٣٦٧/٢، وزاد المسير: ٨٢، والبحر المحيط: ٤٣٢/٤.

٢ انظر: جامع البيان: ٢٥٦/١.

٣ انظر: المهر الوجيز: ٣٦٧/٢.

٤ انظر: زاد المسير: ٨٢.

٥ ينظر: التفسير الكبير للرازي: ٤٨١/١٢، وتفسير القرطبي: ٢٨٩/١، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٤٣٢/٤.

٦ وتفسير ابن كثير: ٢٣٩/٣، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ٢١٤/٣، وتفسير الشوكاني: ١١٣/٢، وتفسير الألوسي: ٨٤/٤.

٧ انظر: الصبيل لعلوم التنزيل: ٢٥٣/١.

٨ تفسير القرآن العظيم: ٣٣٩/٣.

٩ أرشاد العقل السليم: ١٠٧/٣.

١٠ روح المعاني: ٨٤/٤، بتصرف يسير.

١١ انظر: زاد المسير: ٩٢.

١٢ انظر: التفسير الكبير: ٤٨١/١٢.

١٣ انظر: البحر المحيط: ٤٣٢/٤.

١٤ ينظر: تفسير ابن كثير: ٢٣٩/٣، وتفسير الشوكاني: ١١٣/٢، وتفسير الألوسي: ٨٤/٤.

وذكره بصيغة التمييز القاضي البيضاوي^١، ورد عليه العلامة أبي السعود قائلا: "لا رجة له أصلاً"^٢.

التعليق: يتبين من القراءة في النصوص المذكورة أن هناك خمسة أقوال في المسألة ذكرها المفسرون، وما يجزم الإشارة إليه أن القول الأول والثاني قريب، وقد عددهما الإمام ابن كثير قولاً واحداً في تفسيره^٣، وقال الشوكاني عن القول الثاني: "وهو قريب من الأول"^٤، وكما جمع بين القولين الأولين الشيخ طنطاوي في تفسيره^٥، والشيخ المودودي - رحمه الله - ذكر واحداً منها وركز عليه (وهو القول الأول)، مما يدل على أنه هو الراجح عنده ووقع عليه اختياره وهو أن يكون المراد بـ "أجل مسمى" وقت قيام الساعة فيقول: "أي وقت قيام الساعة عند ما يبعث الأولون والآخرين من جديد، ثم يعرضون أمام ربهم للحساب"، وإليه ذهب جمهور المفسرين كأمثال: الطبري^٦، والزغشري^٧، والبيضاوي^٨، وغيرهم.

الأدلة:

(١) هو قول جمهور المفسرين.

هو قول جمهور المفسرين والمأثور عن بعض الصحابة، وقد عزاه ابن كثير في تفسيره إلى عدد من التابعين.

١ انظر: أنوار التنزيل: ١٥٣/٢.

٢ إرشاد العقل السليم: ١٠٧/٣.

٣ انظر: تفسير القرآن العظيم: ٢٣٩٣.

٤ انظر: فتح القدير: ١١٣/٢.

٥ انظر: الوسيط: ٢٢/٥.

٦ انظر: جملع البيان: ٢٥٩/١١.

٧ انظر: الكشف: ٢/٢.

٨ انظر: أنوار التنزيل: ١٥٣/٢.

٩ ينظر: تفسير ابن جزي: ٢٥٣/١، وتفسير ابن كثير: ٢٣٩/٣، وتفسير أبي السعود: ١٠٦/٣-١٠٦/٤، وتفسير

الألمسي: ٨٤/٤، وتفسير المراغي: ٧٢/٧، وتفسير السعدني: ٢٥٠/١، والتفسير الواضح لحمد محمود حجازي:

٥٨٦/١، وأوضح التفاسير لحمد عبد اللطيف الخطيب: ١٥٠/١، والرسوعة القرآنية لإبراهيم بن إسماعيل

الأياري: ٤١٥/٩، والتفسير المحرر لنبذة من أسئلة التفسير: ١٢٨/١، والوسيط لطنطاوي: ٢٢/٥، وصفوة

التفاسير للصابوني: ٣٥١/١.

يقول الإمام ابن كثير: وَقَوْلُهُ: {ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ} قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: {ثُمَّ قَضَى أَجَلًا} يَعْنِي: الْمَوْتَ {وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ} يَعْنِي: الْخَيْرَةُ وَهَكَذَا رُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ وَعِكْرِمَةَ، وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَالْحَسَنِ، وَقَتَادَةَ، وَالضَّحَّاكَ، وَزَيْدِ بْنِ أَسْلَمٍ، وَعَطِيَّةَ وَالسُّلَاسِيَّ، وَمُقَاتِلَ بْنِ حَبِيبٍ، وَغَيْرِهِمْ^١.

٢) السياق.

قال الطبري: "وأولى الأقوال في ذلك عندني بالصواب، قول من قال: معناه: ثم قضى أجل الحياة الدنيا "وأجل مسمى عنده"، وهو أجل البعث عنده".^٢

ثم يقول: "وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب، لأنه تعالى ذكره ثبته خلقه على موضع خجته عليهم من أنفسهم فقال لهم أيها الناس، إن الذي يعدل به كفاركم الآلهة والأتداف هو الذي خلقكم فابتدأكم وأنشأكم من طين، فجعلكم صوراً أجساماً أحياء، بعد إذ كنتم طيناً جماداً، ثم قضى أجل حياتكم لفنائكم وماتتكم، ليعيدكم تواباً وطيفاً كالذي كنتم قبل أن ينشئكم ويخلقكم وأجل مسمى عنده لإعادتكم لحياةً وأجساماً كالذي كنتم قبل مماتكم. وذلك نظير قوله: كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَفْئَاكًا فَاحْكُم بَيْنَكُمْ ثُمَّ يَكُونُ قَوْلُكُمْ إِنَّكُمْ لَعِندَ رَبِّنَا لَمَقِيلٌ يَوْمَئِذٍ ثُمَّ يَسْأَلُكُم بَيْنَ يَدَيْهِ عَمَلِكُمْ ثُمَّ يَكْفُرُونَ^٣".

ويقول العلامة أبو السعود: "والأول هو الأشهر الأول بتفخيم الأجل الثاني المنوط باختصاصه بعلمه تعالى والأنسب بتحويله المبني على مقارنته للطامة الكبرى فإن كون بعضه معلوماً للخلق ومضيقاً من غير أنه يقع فيه شيء من الدواعي كما يستلزمه الحمل على المعنى الثاني مخجل بذلك قطعاً".^٤

ويقول أيضاً: "ومن ههنا نبين أن ما قيل من أن الأجل الأول هو النوم والثاني هو الموت أو أن الأول أجل المقيمين والثاني أجل الباقين أو أن الأول مقدار ما مضى من عمر كل أحد والثاني مقدار ما بقي منه مما لا رجة له أصلاً لما رأيت من أن مساق التظيم الكريم استبعاداً لاعتراضهم في البعث الذي عبّر عن وقته بالأجل المسمى فحيث أريد به أحد ما ذكر من الأمور الثلاثة ففي أي شيء يفترون".^٥

١ تفسير القرآن العظيم: ٢٢٧٣.

٢ جامع البيان: ٢٥٩/١١.

٣ سورة البقرة الآية ٢٨.

٤ المصير نفسه.

٥ إرشاد العقل السليم: ١١٧/٣.

٦ المصير نفسه.

ويقول الشيخ طنطاوي: "أن الآية الكريمة مسوقة لإثبات وحدانية الله ولتقرير أن البعث حق، فللتأسب أن يكون المراد بالأجل الثاني هو انتهاء عمر الدنيا وبعث الناس من قبورهم".^١

٣) تفيد عبارة "أجلٌ مُسمى" بـ "عنده" وهو من القران في السابق.

ويقول العلامة الألوسي: "فللعنى وأجل أي أجل مستقل بعلمه سبحانه وتعالى لا يقف على وقت حلوله سواء جل شأنه لا إجمالاً ولا تفصيلاً. وهذا بخلاف أجل الموت فإنه معلوم إجمالاً فإنه على ظهور أمله أنه أو على ما هو المعتاد في أعمال الإنسان".^٢

ويقول صاحب التفسير الميسر: "كتب أجل آخر محدداً لا يعلمه إلا هو جل وعلا وهو يوم القيامة، ثم أنتم بعد هذا تشكون في قدرة الله تعالى على البعث بعد الموت".^٣

ويقول محمد محمود الحجازي: "وهناك أجل آخر مسمى عنده هو أجل الدنيا وانتهائها، ومسيرها إلى الحياة الآخرة لا يعلم به إلا هو، ولم يطلع عليه ملكاً مفرباً ولا نبياً مرسلًا يُعْتَلُّونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّامًا مَرْمَاسًا قُلْ إِنَّمَا عَلَّمْتُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّئُهَا يُؤَخِّرُهَا إِلَّا هُوَ".^٤

□ ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

□ "تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم".^٥

□ "تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير تلاحق".^٦

□ "إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أول من الخروج به عنهما، إلا بدليل يوجب التسليم له".^٧

□ "القول الذي تؤيده قرآن في السابق مرجح على ما خالفه".^٨

١ التوسيط: ٣٣/٥.

٢ روح المعاني: ٨٤/٤.

٣ التفسير الميسر: ١٢٨/١.

٤ سورة الأعراف: الآية ١٨٧.

٥ التفسير الواضح: ٥٨٦/٨.

٦ قواعد الترجيح عند المفسرين: ٣٧/١.

٧ المصدر السابق: ٢٨٧/١.

٨ نفس المصدر السابق: ١٢٥/١.

٩ نفس المصدر السابق: ٢٩٩/١.

الفصل الرابع:
ترجيحات سورة الأعراف

الآية:

﴿ وَإِذَا قُلُّوا فُجِشَتْ قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آيَاتِنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّمَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَى أَنْتُمْ قُلُّوا عَلَى اللَّهِ مَا

لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾

مسألة:

ما المراد بـ "فأجشنة" في الآية؟

يقول الإمام المودودي رحمه الله:- "هذه إشارة إلى طواف العرب عراة كما أشرنا إليه فيما سبق. يفعلون ذلك اعتقاداً منهم أنه من الطقوس الدينية، وكانوا يزعمون أن الله أمرهم بذلك".

دراسة النص:

من خلال عرض كلام الإمام المودودي رحمه الله - يتبين أنه عرض قولاً واحداً في المراد بـ "فأجشنة" في قوله تعالى: "وَإِذَا قُلُّوا فُجِشَتْ قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آيَاتِنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّمَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَى أَنْتُمْ قُلُّوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ"، إلا أنني وجدت خلال تتبعي للتفسير خمسة أقوال للمفسرين في المراد بـ "فأجشنة" المذكور في الآية السابقة ذكرها هنا باختصار على النحو التالي:

القول الأول: يراد بـ "فأجشنة" طوافهم (طواف العرب) بالبيت عراة رجالاً ونساء.

وعن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري^١ وابن الجوزي^٢، والرازي^٣، وغيرهم.

القول الثاني: يراد بـ "فأجشنة" كل فعل فبيح شديد القبح للتعاني مع تعاليم الشرع، أو كل معصية كبيرة كالشرك والطواف بالبيت عراة ونحوهما.

١ يريد الأستاذ به المفسرين، رقم (١٥) من نفس السورة.

٢ تفهيم القرآن: ٢/٢٧٢.

٣ انظر: جملع البيان: ١٢/٣٧٧.

٤ انظر: زاد المسير: ١١٧/٢.

٥ انظر: والتفسير الكبير: ٢٢٥/١٤.

٦ ينظر: تفسير القرطبي: ١٨٧/٧، وتفسير ابن حمزي: ٢٨٧/١، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٢٥/٥، وتفسير

ابن كثير: ٢/٢٨٣، والتفسير المظهري لشيخه الله المظهري: ٣٣٧/٣، وتفسير الألوسي: ٣٤٦/٤.

وعن ذكر هذا القول من المفسرين: الرازي^١، والبيضاوي^٢، وابن جزى^٣، وغيرهم^٤.

القول الثالث: يرد بـ "فَلَحِشَّةٌ" الفعللة المتناهية في القبح أي: الشرك وطواف البيت عراء. وعن

انقرض يذكر هذا القول من المفسرين: النسفي، ومحمد محمود الحجازي^٥.

القول الرابع: يراد بـ "فَلَحِشَّةٌ" الشرك والكفر.

وعن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن الجوزي، والقرطبي، وأبو حيان الأندلسي، وثناء الله المظهري^٦.

القول الخامس: يراد بـ "فَلَحِشَّةٌ" حرمة البحيرة والسائبة والوصيلة والحام.

وعن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن الجوزي، والرازي، وأبو حيان الأندلسي^٧.

التعليق: يتبين من القراءة في النصوص المذكورة أن هناك خمسة أقوال في المسألة ذكرها المفسرون، والشيخ المودودي - رحمه الله - ذكر واحدا منها وركز عليه (وهو القول الأول)، مما يدل على أنه هو الراجح عنده، ووقع عليه اختياره، وهو أن يكون المراد بـ "فَلَحِشَّةٌ"، طواف البيت عراء، فيقول: "هذه إشارة إلى طواف العرب عراء كما أشرنا إليه فيما سبق، يفعلون ذلك اعتقادا منهم أنه من الطقوس الدينية، وكانوا يزعمون أن الله أمر بذلك"، إلا أنني أرجح القول الثاني وهو المراد بـ "فَلَحِشَّةٌ" المعنى الأعم والأشمل لكل فعل قبيح شديد القبح المتنافي مع تعاليم الشرع، أو كل معصية كبيرة كالشرك وطواف البيت عراء ونحوهما، وإليه ذهب عدد من المفسرين مثل: البيضاوي^٨، وأبو حيان الأندلسي^٩، والسيوطي^{١٠}، وغيرهم^{١١}.

١ انظر: التفسير الكبير: ٢٢٥/١٤.

٢ انظر: أنوار التنزيل: ١٠/٣.

٣ انظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٨٧/١.

٤ ينظر: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٣٤/٥، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ٣٣٩/٣، وتفسير الشوكاني: ٣٢٦/٨، وتفسير الألوسي: ٣٤٥/٤.

٥ انظر: مناقش التنزيل: ٥٦٣/١، والتفسير الواضح: ٧٠٥/١.

٦ ينظر: زاد المسير: ١١١/٢، والجامع لأحكام القرآن: ١٨٧/٧، والبحر المحيط: ٣٤/٥، والتفسير المظهري: ٣٣٩/٣.

٧ انظر على التوالي: زاد المسير: ١١١/٢، والتفسير الكبير: ٢٢٥/١٤، والبحر المحيط: ٣٤/٥.

٨ يريد الأستاذ به الهامش، رقم: (١٥) من نفس السورة.

٩ انظر: أنوار التنزيل: ١٠/٣.

الأدلة:

اللغة: الفحشاء عبارة عن كل معصية كبيرة.

يقول الإمام الرازي: "وَالأَوَّلَى أَنْ يَحْكُمَ بِالتَّعْمِيمِ وَالْفَحْشَاءُ عبارة عن كُلِّ مَعْصِيَةٍ كَبِيرَةٍ قَدْ دَخَلَ فِيهِ جَمِيعُ الْكَبَائِرِ".^١

ويقول الإمام البيضاوي: "وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً فَعَلَتْهُ مُتَنَاهِيَةٌ فِي الْقَبْحِ كَعِبَادَةِ الصَّنَمِ وَكَشْفِ الْعَوْرَةِ فِي الطَّرَافِ".^٢

ويقول القاضي ثناء الله المظهري: "وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ يَعْمُ كُلُّ كَبِيرَةٍ".^٣

ويقول الإمام الشوكاني بعد ذكر القول الأول والرابع: "وَالظَّاهِرُ أَنَّهَا تُصَلِّقُ عَلَى مَا هُوَ أَعَمُّ مِنَ الْأَمْرِ مِنْ جَمِيعًا".^٤

فبالرجوع إلى اللغة العربية واشتقاقاتها الأصلية يثبت بوضوح أن المعنى الأعم والأشمل هو المعنى الأنسب للمقام، والسياق الذي وردت فيه الكلمة من الآية.

ويؤيد هذا القول القاعدة الترجيحية التالية:

"القول الذي يؤيده تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها أول بتفسير الآية".^٥

"يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتحصيل".^٦

١ انظر: البحر المحيط: ٣٤/٥.

٢ انظر: تفسير الجلالين: ١٩٦٨.

٣ ينظر: تفسير أبي السعود: ٢٢٢/٣، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ٣٣٩/٣، وتفسير الشوكاني: ٢٣٦/٢، وتفسير الألوسي: ٣٤٥/٤، وتفسير السعدي: ٢٨٧/١، وتفسير الطاهر ابن عاشور: ٨٢/٨، وحدائق الروح والريحان ل محمد أمين الحروي: ٢٦٥/٩، والوسيط لطبطاوي: ٣٦٢/٥، وأيسر التفاسير للجزائري: ١٦١/٢، والمخير لوحة الزحيلي: ١٧٤/٨.

٤ التفسير الكبير: ٢٢٥/١٤.

٥ أنوار التنزيل: ٦٠/٣.

٦ التفسير المظهري: ٣٣٩/٣.

٧ فتح القدير: ٢٢٦/٢.

٨ قواعد الترجيح عند المفسرين للحري: ٥١٩/٢.

٩ المصدر السابق: ٥٢٧/٢.

الآية:

﴿ قَالَ ادْخُلُوا فِي أَسْمِي قَدْ خَلَّيْتُ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْوَحْيِ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَيْنَهُمْ لِأَوْلَدِهِمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَتَأْتِينَهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢٨)

مسألة:

ما المراد بـ "ضعفًا" في الآية؟

قال الإمام الموصوي -رحمه الله-: "فإن كل جماعة منكم إن كان خلفا لجماعة فهي كذلك سلف لبعضها، وهي إن ورثت عن أسلافها رزمة من خلالات الفكر واليعمل فهي ورثت نفس الميراث لخلفها من بعدها. إن حمل وزر ضلال جماعة على سلفها فإنها تتحمل جزاء كبيرا من أوزار ضلال خلفها، من هنا قرر القرآن الكريم أن "لكل ضعف"، عذاب لضلالها وعذاب لإضلال غيرها، جزاء جرائم ارتكبتها بنفسها وجزاء آخر لما ورثت من الجرائم لمن خلفها، لقد ورد ذلك في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم - بالتفصيل التالي: "مَنْ ابْتَدَعَ بِدْعَةً ضَلَالَةً لَا يَرْضَاهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ عَمِلَ بِهَا لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا".^١ وورد في حديث آخر: "لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا، إِنَّمَا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ

١ الرواية رواها مسلم: ٧٠٤/١، برقم: (١٠١٧)، كتاب الزكوة، باب الحث على الصدقة ولو بشعر خمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار. (الفاظ الرواية: "مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ شَيْئًا حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهُ وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعَثَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْئًا" وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ شَيْئًا سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعَثَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا").^٢ والمستدرک: ٥٦٧/٢، تفسير سورة إذا السماء انفطرت، وصححه بقوله: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجه بهذا اللفظ إنما اتفقا على حديث جرير عن عبد الله من سن في الإسلام فقط. وقد تعقبه الذهبي بقوله: "صحيح وانفقا على معناه من حديث جرير". (الفاظ الرواية: "مَنْ اسْتَنْ خَيْرًا فَلَسْتُ بِهِ فَلَهُ أَجْرُهُ وَمِثْلُ أَجُورِ مَنْ تَبِعَهُ غَيْرَ مُتَّبِعٍ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْئًا" وَمَنْ اسْتَنْ شَرًّا فَلَسْتُ بِهِ فَعَلَيْهِ وِزْرُهُ وَمِثْلُ أَوْزَارِ مَنْ اتَّبَعَهُ غَيْرَ مُتَّبِعٍ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا").^٣ والترمذي: ٢٦٧/٤، برقم: (٢٦٧)، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع. (الفاظ الرواية: أَنَّ الشَّيْءَ عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ لِيَلَالِ بْنِ الْخَلَاتِ: اعْلَمْ عَمْرُو بْنُ عَوْفٍ

مِنْ قِيَمِهِ، لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ^١ ثبت بذلك أن كل فرد أو جماعة من فكريا سيئاً أو سيئة سيئة فإنه لا يتحمل وزر خطئه فقط بل يتحمل جزءاً من أوزار من تأثر به، وأن ذلك يكتب في سجل أعماله السيئة ما دام فكره أو عمله الذي سنه يؤثر في الناس وثبت من ذلك أيضاً أن الإنسان لا يتحمل مسؤولية نفسه لوحدها بل يتحمل نتائج ما يترتب على أفعاله الحسنة والسيئة من آثار على الخلق^٢.

دراسة النص، من خلال عرض كلام الإمام المودودي - رحمه الله - يتبين أنه عرض قولاً واحداً في المراد بـ "ضعف" في قوله تعالى: "قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ النَّجْسِ وَالنَّاسُ فِي النَّارِ كُلُّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا طَارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِكُلِّهِمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ"، إلا أنني وجدت خلال تتبعي للتفسير قولين للمفسرين في المراد بـ "ضعف" المذكور في الآية السابقة أذكرهما هنا باختصار على النحو التالي:

القول الأول: يراد بـ "ضعف" عذاب ضعف لعنلي من النار، وذلك لكل من القادة والأتباع لأن كلا منهما ضالون ومضلون.

قَالَ: مَا لَعَلُّكُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: إِنَّهُ مَنْ أَحْيَا سَنَةً مِنْ سَنَتِي قَدْ أَيْسَتْ بَعْدِي فَإِنَّ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلَ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ اقْتَدَعَ بِذَنَّةٍ ضَلَالَةٍ لَا تُرْضِي اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَلَنْ عَلَيْهِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ عَمِلَ بِهَا لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَوْزَارِ النَّاسِ شَيْئاً. وحسنه بقوله: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

الألفاظ التي أوردها الأستاذ المودودي متشابهة مع رواية الترمذي إلى حد كبير.

١ الرواية أخرجه البخاري في صحيحه ١٣٣/٤، برقم: (١٣٣٥)، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم ج: ٣٣٥، ص: ٥٥٤، ومسلم في صحيحه ١٣٠٣/٣، برقم: (١٦٧٧)، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديلت. باب بيان أن من سن القتل، عن عبو الله رضى الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا إِلَّا كَلَّ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلُ كَقُلِّ بْنِ قِيَمِهِ، لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ". واللفظ للبخاري واللفظ الذي أورده الأستاذ المودودي هو لفظ البخاري.

٢ تفهيم القرآن: ٢٦٨-٢٧.

ويمكن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، والزحشري، وابن عطية، وغيرهم.

القول الثاني: يراد بـ "ضعف" هنا الأفاعي والحيات.

ويمكن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن عطية والقرطبي وذكره الشوكاني بصيغة التعمير.

التعليق: يتبين من القراءة في النصوص المذكورة أنه هناك قولان في المسألة ذكرهما المفسرون، والشيخ المودودي - رحمه الله - ذكر واحدا منها وركز عليه (وهو القول الأول)، مما يدل على أنه هو الراجح عنده، ووقع عليه اختياره وهو أن يكون المراد بـ "ضعف" عذاب مضاعف، عذاب لضلالها وعذاب لإضلال غيرها، فيقول: "فإن كل جماعة منكم إن كان خلفا لجماعة فهي كذلك سلف لبعضها، وهي إن ورثت عن أسلافها رزمة من خلالات الفكر والعمل فهي ورثت نفس الميراث لخلقها من بعدها. إن حمل وزر ضلال جماعة على سلفها فإنها تتحمل جزاء كبيرا من أوزار ضلال خلفها، من هنا قرر القرآن الكريم أن "لكل ضعف"، عذاب لضلالها وعذاب لإضلال غيرها، جزاء جرائم ارتكبتها بنفسها وجزاء آخر لما ورثت من الجرائم لمن خلفها". ويستدل على رأيه بروايتين فيقول: "لقد ورد ذلك في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم - بالتفصيل التالي: "مَنْ ابْتَدَعَ بِذُئْءِ ضَلَالَةٍ لَا يَرْضَاهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ أَكَامٍ مَنْ عَمِلَ بِهَا لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا".^١ وورد في حديث آخر: "لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ

١ انظر: جامع البيان: ١١٨/٢.

٢ انظر: الكشف: ١٠٢/٢.

٣ انظر: المحرر الوجيز: ٣٩٩/٢.

٤ ينظر: زاد المسير لابن الجوزي: ١١٨/٢، والتفسير الكبير للرازي: ٣٩٩/١٤، وتفسير القرطبي: ٢٠٥/٧، وتفسير البيضاوي: ١٢/٣، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٥٠/٥، وتفسير ابن كثير: ١١/٣، والتفسير المظهري لشيخ الإسلام المظهري: ٣٥٠/٣، وتفسير الشوكاني: ٣٣٢/٢.

٥ انظر: المحرر الوجيز: ٣٩٩/٢، والجامع لأحكام القرآن: ٢٠٥/٧، وفتح القدير: ٣٣٢/٢.

٦ سبق تحريجه.

ظَلَمَهُ إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ فِيمَا لِلَّهِ أَوَّلٌ مِنْ سَنَ الْقَتْلِ^١، وإليه ذهب من الأئمة المفسرين: الطبري^٢، والملاوي^٣، والزعشري^٤، وغيرهم.

الأدلة:

القرآن: {الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ}١. وَقَالَ تَعَالَى: {وَلْيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ}٢. وَقَالَ: {وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ}٣.

اللفظ:

يقول الإمام الطبري: "وأما قوله: {قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ}، فإنه خبر من الله عن جوابه لهم، بقوله: قال الله للذين يدعونه فيقولون: "ربنا هؤلاء أضلونا فأتاهم عذاباً ضِعْفًا من النار": لكلكم أولكم وآخركم، وتابعوكم ومُتَّبِعُوكُمْ "ضعف"، بقوله مكرر عليه العذاب، و"ضعف الشيء" مثله مرة^٤.

١ سبق تخريجه.

٢ انظر: جامع البيان: ٤١٨/٢.

٣ انظر: النكت والمعين: ٣٢٢/٢.

٤ انظر: الكشاف: ١٠٣/٢.

٥ ينظر: تفسير ابن عطية: ٣٩٩٦، ينظر: زاد المسير لابن الجوزي: ١١٨/٢، والتفسير الكبير للرازي: ٢٣٩/٤، وتفسير القرطبي: ٢٠٥/٧، وتفسير البهكاوي: ١٢/٣، وتفسير النسفي: ٥٦٨/١، والبحر المحيط لأبي حيان الأنصاري: ٥٠/٥، وتفسير ابن كثير: ٤١٨/٣، والجلالين للمحطى والسيرطي: ١٩٧/١، وتفسير أبي السموة: ٢٢٧/٢، والتفسير المظهري لثناء الله المظهوري: ٣٥٠/٣، وتفسير الشوكاني: ٢٢٢/٢، وتفسير المراقي: ١٤٩/٨، وتفسير السعدي: ٢٨٧/١، وتفسير الطاهر بن عاشور: ب ١٢٢/٨، وأوضح التفسير محمد عبد اللطيف الخطيب: ١٨٧/١، والموسوعة القرآنية لإبراهيم بن إسماعيل الأبياري: ٤٩٧/٩، والتفسير الميسر لنبذة من أسئلة التفسير: ١٥٥/١، والوسيط لطنطاوي: ٢٧١/٥، وصفوة التفسير للصلبوني: ٤١٣/١، وأيسر التفاسير للجزائري: ١٧٢/٢، والتفسير المختار لوهبة الزحيلي: ٣٠٠/٨.

٦ سورة النحل، الآية ٨٨.

٧ سورة العنكبوت، الآية ١٢.

٨ سورة النحل، الآية ٣٥.

٩ جامع البيان: ٤١٧/٢-٤١٨.

ويقول الزجاج النحوي: وقوله: «فَأَتَيْهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ». أي عذاباً مضاعفاً لأن الضعف في كلام العرب على ضربين أحدهما المثل، والآخر أن يكون في معنى تضعيف الشيء. (قال: «كُلُّ ضِعْفٍ»). أي للتابع والمتبوع لأنهم قد دخلوا في الكفر جميعاً أي لكل عذاب مضاعف^١. وهكذا تبين من خلال الاحتجاج بالقرآن الكريم ولغة العرب أن القول الذي ذهب إليه الإمام هو الأرجح والأقرب إلى الاستعمال القرآني واللغوي عند العرب، وهما من أهم مصادر الاحتجاج لدى العلماء والمفسرين، فهما يتقوى الاحتجاج، وكثبت الحجة، وتستقر لتكون دامنة.

ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

«حمل معاني كلام الله على الغالب من أساليب القرآن ومعهود استعماله أولى من الخروج به عن ذلك»^٢.

«يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر»^٣.

«القول الذي يؤيده تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها أولى بتفسير الآية»^٤.

١ معاني القرآن: ٣٣٧-٣٣٨.

٢ قواعد الترجيح عند المفسرين للحرابي: ١٧٢/١.

٣ المصدر السابق: ٣٦٩/٢.

٤ نفس المصدر السابق: ٥١١/٢.

الآية:

﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا سِيمَاهُمْ وَقَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِمَ عَلَيْكُمْ لَمَّا يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾ (٤٦)

مسألة:

ما المراد بـ "رجال" الذين أخبر الله - سبحانه وتعالى - أنهم على الأعراف ؟

قال الإمام المودودي - رحمه الله - : " أي أصحاب الأعراف هم الذين لا يقوى الجانب الإيجابي في حياتهم ليؤهلهم لدخول الجنة. ولا يكون الفساد يغلب على حياتهم ليلفوا في النار، ومن ثم سيقون على حائل بين الجنة والنار".

دراسة النص: من خلال عرض كلام الإمام المودودي - رحمه الله - يتبين أنه عرض قولاً واحداً في المراد بـ "رجال/أصحاب الأعراف" في قوله تعالى: "وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا سِيمَاهُمْ وَقَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِمَ عَلَيْكُمْ لَمَّا يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ"، إلا أنني وجدت خلال تتبعي للتفسير ستة وعشرين قولاً للمفسرين في المراد بـ "رجال/أصحاب الأعراف". المذكور في الآية السابقة لذكرها هنا باختصار على النحو التالي:

القول الأول: يراد بهم قوم من مؤمني بني آدم استوت حسنتهم وسيئاتهم فلم يدخلوا الجنة لتقصير حسنتهم ولم يدخلوا النار فلا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري^١، وابن الجوزي^٢، والرازي^٣، وغيرهم^٤.

١ تفسير القرآن: ٣٣/٢.

٢ انظر: جامع البيان: ٥٢/١٢.

٣ انظر: زاد السيرة: ١٢٣/٢.

٤ انظر: التفسير الكبير: ٢٤٩/٤.

٥ ينظر: تفسير القرطبي: ٢١٧٧. وتفسير الميساوي: ١٤/٣، وتفسير ابن جزي: ٢٨٩/١، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٥٧٥، وتفسير ابن كثير: ١٦٨/٣، والتفسير المظهر لثناء الله المظهري: ٣٥٤/٣، وتفسير الشوكاني:

٢٣٧/٢، وتفسير الألوسي: ٣١٣/٤.

القول الثاني: يراد بهم قوم خرجوا إلى الجهاد بغير إذن والديهم فاستشهدوا، فمنعوا من الجنة لعصيان والديهم ومنعوا من النار لاستشهادهم.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، وابن الجوزي، والرازي، وغيرهم.

القول الثالث: يراد بهم رجل من الأنبياء أو الأولياء أو الشهداء فيطلعون على أحوال الفريقين. ومن ذكر هذا القول من المفسرين ورد عليه القاضي ثناء الله المظهري قائلا: "وأما ما قل بعضهم إنهم رجل من الأنبياء أو الأولياء أو الشهداء فيطلعون على أهل الجنة وأهل النار جميعا ويطلعون على أحوال الفريقين فيرده ما روينا من الأحاديث وما سيأتي عليك من الآيات".

القول الرابع: يراد بهم قوم صالحون فقهاء علماء.

ومن ذكر هذا القول من المفسرين: الطبري، وابن الجوزي، والقرطبي، والشوكاني. ورد عليه الإمام ابن كثير: "وَكَذَا قَوْلٌ مُجَاهِلٌ إِنَّهُمْ قَوْمٌ صَالِحُونَ عُلَمَاءُ فُقَهَاءُ فِيهِ غَرَابَةٌ أَيْضًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ".

القول الخامس: يراد بهم فضلاء المؤمنين وعلمائهم.

ومن انفرد بذكر هذا القول من المفسرين الماوردي.

١ انظر: جامع البيان: ٥٧/١٢.

٢ انظر: زاد المسير: ١٢٣/٤.

٣ انظر: التفسير الكبير: ٢٤٩/١٤ - ٢٥٠.

٤ ينظر: تفسير القرطبي: ٢١٦/٧، وتفسير ابن جزي: ٢٨٩/١، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٥٧/٥، وتفسير ابن كثير: ٤١٨/٣، والتفسير المظهري لثناء الله المظهري: ٣٥٤/٣ - ٣٥٥، وتفسير الشوكاني: ٢٣٧/٢، وتفسير الألوسي: ٣٦٢/٤.

٥ انظر: التفسير المظهري: ٣٥٦/٣.

٦ المصدر نفسه.

٧ انظر: علمي الفتاوى: جامع البيان: ٥٨٨/١٢، وزاد المسير: ١٢٣/٢، والجامع لأحكام القرآن: ٢١٧/٧، وفتح القدير: ٢٣٧/٢.

٨ تفسير القرآن العظيم: ٤٢١/٣.

٩ النكت والعيون: ٢٢٩/٢.

القول السادس: يراد بهم أفاضل المسلمين

وعن انفرد بذكر هذا القول من المفسرين: النسفي^١.

القول السابع: يراد بهم قوم علت درجاتهم كالأنبياء والشهداء والأخيار والعلماء من المؤمنين.

وعن انفرد بذكر هذا القول أبو السعود. ومن الجدير بالذكر أنه ذكره بصيغة التعميم^٢.

القول الثامن: يراد بهم قوم علت درجاتهم كالأنبياء أو الشهداء أو أخيار المؤمنين والعلماء.

وعن انفرد بذكره البضاوي. وذكره بصيغة التعميم^٣.

القول التاسع: يراد بهم الملائكة الذين يرون في صورة الرجال وليسوا بني آدم.

وعن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن الجوزي^٤، والقرطبي^٥، والبضاوي^٦، وغيرهم^٧.

ورد عليه الطبري، والرازي، وابن كثير، والمظهري، ومحمد عبد اللطيف الخطيب.

يقول الطبري: "ولا إجماع من الأمة على أنهم ملائكة. فإذا كان ذلك كذلك وكان ذلك لا يدرك قيامه وكان المتعارف بين أهل لسان العرب أن "الرجال" اسم يجمع ذكور بني آدم دون إناثهم وذوئهم سائر الخلق غيرهم. كان ينبغي أن ما قاله أبو مجلز من أنهم ملائكة، قول لا معنى له، وأن الصحيح من القول في ذلك ما قاله سائر أهل التأويل غيره. هذا مع من قال بخلافه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك من الأخبار. وإن كان في أسانيد ما فيها^٨."

ويقول الإمام الرازي: "قال أبو مجلز هم ملائكة يعرفون أهل الجنة وأهل النار فيقول له: يقول الله تعالى: وعلى الأغراب رجال وتزعّم أنهم ملائكة؟ فقال الملائكة ذكور لا إناث. ولما قيل أن

١ مدارك التنزيل: ٥٧٤/٨.

٢ إرشاد العقل السليم: ٣٣٠/٨.

٣ أنوار التنزيل: ١٤/٣.

٤ انظر: زاد المسير: ١٢٤/٢.

٥ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٣١٢/٧.

٦ انظر: أنوار التنزيل: ١٤/٣.

٧ ينظر: تفسير الشوكاني: ٣٣٧/٢، وتفسير الألوسي: ٣٦٢/٤.

٨ جامع البيان: ٣٦١/١٢ - ٣٦١.

يَقُولُ: الْوَصْفُ بِالرُّجُولِيَّةِ إِنَّمَا يَحْسُنُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يَحْصُلُ فِيهِ مُقَابَلَةُ الرَّجُلِ مَنْ يَكُونُ
أَنْتَى وَلَكَمَا امْتَنَعَ كَوْنُ الْمَلَكَ أَنْتَى امْتَنَعَ وَصْفُهُمْ بِالرُّجُولِيَّةِ^١.

ويقول الإمام ابن كثير: "وَهَذَا صَحِيحٌ إِلَى أَبِي وَجَلَزَ لِلْحَقِّ بَيْنَ حُمَيْدٍ لِحَدِّ الثَّالِيَيْنِ وَهُوَ
غَرِيبٌ مِنْ قَوْلِهِ وَتَخِلَّافُ الظَّاهِرِ مِنَ السِّيَاقِ وَقَوْلُ الْمُجْتَهِدِ مُقَدَّمٌ عَلَى قَوْلِهِ بِدَلَالَةِ الْآيَةِ عَلَى
مَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ"^٢.

ويقول القاضي ثناء الله المظهري: "وَأَمَّا مَا أَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ عَنْ أَبِي بَجَلَزَ أَنَّهُ قَالَ الْأَعْرَافُ مَكَانَ
مَرْتَقِعٍ عَلَيْهِ رِجَالٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَعْرِفُونَ أَهْلَ الْجَنَّةِ بِسِيمَاهُمْ وَأَهْلَ النَّارِ بِسِيمَاهُمْ فَلَيْسَ بِشَيْءٍ إِذَا
لَا يَبْقَى لِلْمَلَائِكَةِ رِجَالٌ وَقَدْ سَمَّاهُمْ اللَّهُ تَعَالَى بِرِجَالٍ وَأَيْضًا يَرِدُهُ مَا رَوَيْنَا مِنَ الْأَحَادِيثِ"^٣.
ويقول محمد عبد اللطيف الخطيب: "وَرَوَّعَهُمْ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْمَقْصُودَ بِأَصْحَابِ الْأَعْرَافِ: الْمَلَائِكَةُ
وَأَنَّهُمْ يَنَاقِشُونَ أَهْلَ النَّارِ بِأَسْمَاءِ رَبِّهِمْ؛ وَهُوَ قَوْلٌ يَتَجَلَّى مَعَ الصَّوَابِ وَالْمَنْطِقِ فَقَدْ عَرَفَهُمُ اللَّهُ
تَعَالَى بِقَوْلِهِ {رِجَالٌ} وَلَا يُطْلَقُ هَذَا التَّحْرِيفُ عَلَى مَلَائِكَةِ الرَّحْمَنِ"^٤. وَذَكَرَهُ بِصِيغَةِ التَّحْرِيفِ:
الْعَلَامَةُ أَبُو السَّعُودِ^٥.

القول العاشر: يراد بهم قوم كانت لهم صفات لم تكفر عنهم بالمصائب في الدنيا.

وعن ذكر هذا القول من المفسرين: الماوردي، والقرطبي^٦.

القول الحادي عشر: يراد بهم قوم لم يرض عنهم أحد أبويه.

وعن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن الجوزي، والنسفي، وأبو حيان الأندلسي، والألوسي^٧.

القول الثاني عشر: يراد بهم أولاد الزنا.

وعن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن الجوزي، والقرطبي، والشوكاني، والألوسي^٨.

١ التفسير الكبير: ٢٤/١٤.

٢ تفسير القرآن العظيم: ٤٣/٣.

٣ المصريح المظهري: ٣٥٦٨.

٤ أوضح التفاسير: ١٨٥/١.

٥ انظر: إرشاد العقل السليم: ٣٣/٣.

٦ انظر: النكت والميوحة: ٣٦٢/٢، والجامع لأحكام القرآن: ٢١٢/٧.

٧ انظر على التوالي: زاد السير: ١٢٤/٢، ومنازل التنزيل: ٥٧/١، والبحر المحيط: ٥٧/٥، وروح المعاني: ٣١٣/٤.

القول الثالث عشر: يراد بهم أولاد المشركين.

وعن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن الجوزي، والتسفي، وأبو حيان الأنديسي، والألوسي.^١
ورد عليه القاضي ثناء الله المظهري قائلا: "وأما ما قال بعضهم إنهم أطفال المشركين يرده قوله تعالى رجال وما ذكرنا من الأحاديث".^٢

القول الرابع عشر: يراد بهم قوم أنبياء.

وعن ذكر هذا القول من المفسرين: ابن الجوزي، والرازي، والقرطبي، والشوكاني، والألوسي.^٣

القول الخامس عشر: يراد بهم الشهداء.

وعن انفرد يذكر هذا القول من المفسرين: الرازي، والقرطبي.^٤

القول السادس عشر: يراد بهم فضلاء المؤمنين وشهادتهم.

وعن انفرد يذكر هذا القول الإمام القرطبي.^٥

القول السابع عشر: يراد بهم عدول القباة الذين يشهدون على الناس بأعمالهم وهم في كل أمة.^٦

وعن ذكر هذا القول من المفسرين: القرطبي، والشوكاني، والألوسي.^٧

القول الثامن عشر: يراد بهم العباس، وحزقة، وعلي، وجعفر - رضي الله عنهم جميعا - وعن انفرد يذكر هذا القول القرطبي، والألوسي.^٨

١ انظر على التوالي: زاد المسير: ١٢٤/٢، والجامع لأحكام القرآن: ٢١٢/٧، وفتح القدير: ٣٣٧/٢، وروح المعاني: ٣١٣/٤.

٢ انظر على التوالي: زاد المسير: ١٢٤/٢، ومدارك التنزيل: ٥٧٧/١، والبحر المحيط: ٥٧/٥، وروح المعاني: ٣١٣/٤.

٣ التفسير المظهر: ٣٥٦/٣.

٤ انظر على التوالي: زاد المسير: ١٢٤/٢، والتفسير الكبير: ٢٤٧/١٤، والجامع لأحكام القرآن: ٢١٢/٧، وفتح القدير: ٣٣٧/٢، وروح المعاني: ٣١٣/٤.

٥ انظر: التفسير الكبير: ٢٤٧/١٤، والجامع لأحكام القرآن: ٢١٢/٧.

٦ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢١٢/٧.

٧ نقلت ألفاظ القرطبي.

٨ انظر على التوالي: الجامع لأحكام القرآن: ٢١٢/٧، وفتح القدير: ٣٣٧/٢، وروح المعاني: ٣١٣/٤.

٩ انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢١٢/٧، وروح المعاني: ٣١٣/٤.

القول التاسع عشر: يراد بهم مساكين أهل الجنة. وعن انفرد بذكر هذا القول الرازي،
والألوسي^١.

القول العشرون: يراد بهم الفساق من أهل الصلاة. وعن انفرد بذكر هذا القول الرازي^٢.

القول الحادي والعشرون: يراد بهم قوم كان فيهم عجب.

وعن انفرد بذكر هذا القول الألوسي^٣.

القول الثاني والعشرون: يراد بهم قوم كان عليهم دين.

وعن انفرد بذكر هذا القول الألوسي أيضاً^٤.

القول الثالث والعشرين: يراد بهم قوم عملوا لله تعالى لكنهم راعوا في أعمالهم.

وعن انفرد بذكر هذا القول ابن الجوزي^٥.

القول الرابع والعشرون: يراد بهم العلماء الذين شكوا في أوزانهم.

وعن انفرد بذكر هذا القول أبو حيان الأندلسي^٦.

القول الخامس والعشرون: يراد بهم الذين كانوا في الأسر ولم يبدلوا دينهم.

وعن انفرد بذكر هذا القول أبو حيان الأندلسي أيضاً^٧.

القول السادس والعشرون: يراد بهم أهل الفترة والذين لم يبدلوا دينهم.

وعن انفرد بذكر هذا القول ابن الجوزي والألوسي^٨.

التعليق: يتبين من القراءة في النصوص المذكورة أن هناك ستة وعشرين قولاً في المسألة ذكرها

المفسرون، والشيخ المودودي - رحمه الله - ذكر واحداً منها وركز عليه (وهو القول الأول)، مما

١ التفسير الكبير: ٢٥٠/١٤، وروح المعاني: ٣١٣/٤.

٢ التفسير الكبير: ٢٥٠/١٤.

٣ روح المعاني: ٣١٣/٤.

٤ المصدر نفسه.

٥ زاد المسير: ١٢٤/٣.

٦ النظر: البحر المحيط: ٥٧/٥.

٧ المصدر السابق: ٥٧/٥.

٨ انظر: زاد المسير: ١٢٤/٣، وروح المعاني: ٣١٣/٤.

يدل على أنه هو الراجح عنده فوقع عليه اختياره وهو أن يكون المراد بـ "رجال/أصحاب الأعراف" الذين استوت حسناتهم وسيئاتهم، فيقول: "أي أصحاب الأعراف هم الذين لا يقري الجانب الإيجابي في حياتهم ليؤهلهم للدخول الجنة. ولا يكون الفساد يغلب على حياتهم ليلقوا في النار. من ثم سيقيمون على حائل بين الجنة والنار". وإليه ذهب جمهور المفسرين كأمثال الأئمة: الطبري^١، والزغشري^٢، والبيضاوي^٣، وغيرهم^٤.

الأدلة:

قول جمهور المفسرين سلفا وخلفا وتأييده الآثار. وقد روى هذا القول عن حذيفة وابن عباس وابن مسعود وغير واحد من السلف والخلف.

هذا القول تؤيده الآثار التالية:

الآثر الأول: يقول الحافظ ابن كثير: وَقَدْ جَاءَ فِي حَدِيثِ مَرْقُوعٍ رَوَاهُ الْحَافِظُ أَبُو يَكْرِبٍ بْنُ مَرْثُومَةَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحُسَيْنِ، حَدَّثَنَا سَلِيمَانُ بْنُ دَاوُدَ، حَدَّثَنَا النُّعْمَانُ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ، حَدَّثَنَا شَيْخٌ لَنَا يَقُولُ لَهُ: أَبُو عِيَّازٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَطِيَّةٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَمَّنِ اسْتَوَتْ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ، فَقَالَ: "أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ، لَمْ يَدْخُلُوا وَهُمْ يَطْمَعُونَ".

ثم يقول: "وهذا حديث غريب من هذا الوجه ورواه من وجه آخر، عن سعيد بن سلمة عن أبي الحُسام، عن محمد بن المنكدر عن رجل من مريضة قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَصْحَابِ الْأَعْرَافِ، فَقَالَ: "إِنَّهُمْ قَوْمٌ خَرَجُوا عُصَّةً يَنْتَهِي إِذْنَ آبَائِهِمْ، فَقَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ".

١ انظر: جامع البيان: ٤٦١/١٢-٤٦١.

٢ انظر: الكشف: ٨٧/٢.

٣ انظر: أنوار التنزيل: ١٤/٣.

٤ ينظر: تفسير ابن جزي: ٢٨٨/١، وتفسير ابن كثير: ٤١٨/٣، والجلالين للمجالي والميوطي: ١٩٩/١، وتفسير أبي السعود: ٢٣٠/٣، والتفسير المظهري لشأنه الله المظهري: ٣٥٤/٣، وتفسير الألوسي: ٣٦٣/٤، وأوضح التفاسير محمد عبد اللطيف الخطيب: ١٨٥/١، والموسوعة القرآنية لإبراهيم بن إسماعيل الأبيزي: ٤٩٣/٩، وصفوة التباير للصاوي: ٤١٥/١، وأسر التفاسير للجزائري: ١٨٧/٢، والتفسير المنير لوجهة الزحيلي: ٢١٢/٨.

٥ تفسير القرآن العظيم: ١٨٨/٣.

الأثر الثاني: ويقول أيضا: وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ مَتَشُورٍ: حَدَّثَنَا أَبُو مَعْشَرٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ هِجَلٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقُرَيْشِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سِئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ "أَصْحَابِ الْمَاعِرِافِ" فَقَالَ: "هُمْ نَاسٌ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِمَعْصِيَةِ آبَائِهِمْ، فَتَمَتَّعَتْهُمْ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ مَعْصِيَةُ آبَائِهِمْ وَمَنَعَهُمُ النَّارُ قَتْلَهُمْ لِي سَبِيلِ اللَّهِ".

ثم يقول: "هَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ مَرْزُوقٍ، وَابْنُ جُرَيْجٍ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ طَرَفٍ عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ بِهِ وَكَذَلِكَ رَوَاهُ ابْنُ مَلْبَةَ تَرْفُوعًا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ هُبَالٍ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ لِرِضِيِّ اللَّهِ عَنْهُمَا".

يقول الحافظ ابن كثير بعد ذكر هذه الروايات: "وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِصِحَّةِ هَذِهِ الْكُتُبِ الْمَرْفُوعَةِ وَقَصَارَاهَا أَنْ تَكُونَ مَوْقُوفَةً وَفِيهِ ذَلَالَةٌ عَلَى مَا ذُكِرَ".

الأثر الثالث: قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبرَاهِيمَ قَالَ، حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ قَالَ، أَخْبَرَنَا حُصَيْنٌ، عَنْ الشَّعْبِيِّ عَنْ خَدِيفَةَ أُمِّهِ سِئِلَ عَنْ أَصْحَابِ الْمَاعِرِافِ قَالَ: فَقَالَ: هُمْ قَوْمٌ اسْتَوَتْ حَسَنَاتُهُمْ وَمَسِيئَاتُهُمْ، فَتَقَصَّرَتْ بِهِمْ سَيِّئَاتُهُمْ عَنِ الْجَنَّةِ، وَخَلَفَتْ بِهِمْ حَسَنَاتُهُمْ عَنِ النَّارِ. قَالَ: فَوَقَّفُوا مِثْلَكَ عَلَى السُّورِ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيهِمْ.

الأثر الرابع: ويقول أيضا: "حَدَّثَنَا الثَّوَالِيقِيُّ قَالَ، حَدَّثَنَا سُوَيْدُ بْنُ نَصْرٍ قَالَ، أَخْبَرَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ أَبِي بَكْرِ الْهَذَلِيِّ قَالَ: قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَهُوَ يَخْدُثُ ذَلِكَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ يُحَاسِبُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَمَنْ كَانَتْ حَسَنَاتُهُ أَكْثَرَ مِنْ سَيِّئَاتِهِ بِوَاجِلَةٍ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ كَانَتْ سَيِّئَاتُهُ أَكْثَرَ مِنْ حَسَنَاتِهِ بِوَاجِلَةٍ دَخَلَ النَّارَ. ثُمَّ قَرَأَ قَوْلَ اللَّهِ: (فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ) [فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ] * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا] ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الْمِيزَانَ يَخْفُفُ بِمِثْقَلِ حَبَّةٍ وَيَرْجَحُ، قَالَ: وَمَنْ اسْتَوَتْ حَسَنَاتُهُ وَمَسِيئَاتُهُ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْمَاعِرِافِ فَوَقَّفُوا عَلَى الصِّرَاطِ، ثُمَّ عَرَفُوا أَهْلَ الْجَنَّةِ وَأَهْلَ النَّارِ، فَإِذَا نَظَرُوا إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ نَادَوْا: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، وَإِذَا صَرَفُوا أَبْصَارَهُمْ إِلَى يَسَارِهِمْ نَظَرُوا أَصْحَابَ النَّارِ قَالُوا: (لَبِئْسَ مَا

١ المصنف السابق: ٤١٨٣-٤١٩.

٢ للمصنف السابق: ٤١٩٣.

٣ جامع البيان: ٤٥٣/١٢.

٤ سورة المؤمنون، الآية ١٠٢-١٠٣.

تَجْعَلُنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} فَيَتَعَرَّضُونَ بِاللَّهِ مِنْ مَنَازِلِهِمْ. قَالَ: فَأَمَّا أَصْحَابُ الْحَسَنَاتِ فَيُنْفِثُهُمْ
يُعْطُونَ نُورًا فَيَمْشُونَ بِهِ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ وَيُعْطَى كُلُّ عَبْدٍ يَوْمَئِذٍ نُورًا، وَكُلُّ أَمَةٍ نُورًا، فَإِذَا
أَتَوْا عَلَى الصِّرَاطِ سَلَبَ اللَّهُ نُورَ كُلِّ مَنَاقِبٍ وَمَنَاقِبَةٍ فَلَمَّا رَأَى أَهْلُ الْجَنَّةِ مَا لَقِيَ الْمُتَّقُونَ
قَالُوا: {رَبَّنَا أَتَجَمُّ لَنَا نُورُنَا}. وَأَمَّا أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ فَإِنَّ النُّورَ كَانَ فِي أَيْدِيهِمْ فَلَمْ يَتَزَعْ مِنْ
أَيْدِيهِمْ، فَهَذَا الَّذِي يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: {لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ} فَكَانَ الطَّمَعُ دُخُولًا قَالَ: وَقَالَ
ابْنُ مَسْعُودٍ: عَلَى أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا عَمِلَ حَسَنَةً كَتَبَ لَهُ بِهَا حَشْرًا، وَإِذَا عَمِلَ سَيِّئَةً لَمْ تُكْتَبِ إِلَّا
وَاحِدَةٌ. ثُمَّ يَقُولُ: هَذَا مَنْ غَلَبَتْ وَاحِدَتُهُ أَحْسَنُهُ.

الآثر الخامس: ويقول أيضا: حَدَّثَنِي ابْنُ وَكَيْعٍ وَابْنُ حُمَيْدٍ قَالَا حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَتَشُورٍ، عَنْ
حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: "الْأَعْرَافُ": سُورَةُ النَّبِيِّ
بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَأَصْحَابُ الْأَعْرَافِ بِذَلِكَ الْمَكَانِ حَتَّى إِذَا بَدَأَ اللَّهُ أَنْ يُعَاقِبَهُمْ، انْطَلَقَ بِهِمْ
إِلَى نَهْرٍ يُقَالُ لَهُ: "الْحَيَّةُ"، حَافَتُهُ قَصَبٌ الذَّهَبِ، مُكَلَّلٌ بِاللُّؤْلُؤِ، تَرَاهُ الْجِسَالَةُ قَالُوا فِيهِ
حَتَّى تُصْلَحَ الْوُثَاغُ، وَتَبْدُو فِي نُحُورِهِمْ شَافَةُ بَيَاضَةٍ يُعْرِقُونَ بِهَا، حَتَّى إِذَا صُلِّحَتِ الْوُثَاغُ
أَتَى بِهِمُ الرَّحْمَنُ فَقَالَ: قِيمُوا مَا عَمِلْتُمْ، فَيَتَمَنَّوْنَ، حَتَّى إِذَا انْقَطَعَتْ أُمُوتُهُمْ قَالَتْ لَهُمْ لَكُمْ
الَّتِي تَمَنَيْتُمْ زَيْتُهَا سَبْعُونَ مَرَّةً فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَفِي نُحُورِهِمْ شَافَةُ بَيَاضَةٍ يُعْرِقُونَ بِهَا، يَسْمَعُونَ
مَسَاكِينَ الْجَنَّةِ.

يقول الحافظ ابن كثير بعد ذكر الخبرين -الآثر الرابع والخامس-: "وَكُنَّا رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ
عَنْ أَبِيهِ عَنْ يَحْيَى بْنِ الْمُفَوِّزِ، عَنْ جَرِيرٍ، ي. وَقَدْ رَوَاهُ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي
ثَابِتٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ، مِنْ قَوْلِهِ وَمَذَا أَصَحُّ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَهَكَذَا رَوَى
عَنْ مُجَاهِدٍ وَالضَّحَّاكِ وَغَيْرِ وَاحِدٍ.

^١ سورة الأعراف، الآية ٤٧.

^٢ سورة النحر، الآية ٨.

^٣ المصدر السابق: ٤٥٣/١٢ - ٤٥٤.

^٤ نفس المصدر السابق: ٤٥٥/١٢.

^٥ تفسير القرآن العظيم: ٤٢٠/٣.

يقول الإمام الطبري: "والصواب من القول في أصحاب الأعراف أن يقال كما قال الله جل ثناؤه فيهم: هم رجال يعرفون كلا من أهل الجنة وأهل النار بسيماهم، ولا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يصح منه، ولا أنه متفق على تأويلها، ولا إجماع من الأمة على أنهم ملائكة. فإذا كان ذلك كذلك، وكان ذلك لا يدرك قياساً، وكان المتعارف بين أهل لسان العرب أن "الرجل" اسم يجمع فكور بني آدم دون إناثهم ودون سائر الخلق غيرهم، كان بيّناً أن ما قاله أبو جاز من أنهم ملائكة، قول لا معنى له، وأن الصحيح من القول في ذلك ما قاله سائر أهل التأويل غيره. هذا مع من قال بخلافه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك من الأخبار، وإن كان في أسانيد ما فيها، وقد حدثني القاسم قال، حدثني الحسين قال، حدثني جرير عن عمارة بن القعقاع، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف فقال: هم أنجر من يفصل بينهم من العباد فإذا قرع رب العالمين من فضله بين العباد قال: أنتم قوم أخرجتكم حسنااتكم من النار، ولم تدخلكم الجنة، فأنتم عتقائي، فلوعدوا من الجنة حيث كنتم".

يعلق الإمام ابن كثير على هذا الخبر قائلا: "وهذا مرسل حسن".

الأقوال الأخرى تحتاج إلى دليل في التخصيص.

يقول أبو حنيفة الأندلسي: "والأقوال السابقة تحتاج إلى دليل واضح في التخصيص والنجس، منها هو الأول لإحدى جابر وتفسير جماعة من الصحابة وهؤلاء الأقوال هي على قول من قال أن الأعراف هو بين الجنة والنار".

ويقول الإمام ابن كثير: "واختلفت عبارات المفسرين في أصحاب الأعراف من هم، وكلها قريبة ترجع إلى معنى واحد، وهو أنهم قوم استوت حسنااتهم وسيئاتهم، نص عليه حنيفة، وابن عباس، وابن مسعود وغير واحد من السلف والخلف، رحمهم الله".

١ جامع البيان: ٤٦/١٢-٤٦١.

٢ تفسير القرآن العظيم: ٢٠/٣٣.

٣ البحر المحيط: ٥٧/٥.

٤ تفسير القرآن العظيم: ١٨٣.

ويقول الألوسي: "والرجح الأقوال - كما قل القرطبي - الأول وجمع بعضهم بينها بأنه يجوز أن يجلس الجميع ممن ورد فيهم أنهم أصحاب الأعراف هناك مع تفاوت مراتبهم على أن من هذه الأقوال ما لا يخفى تداخله. ومن الناس من استظهر القول بأن أصحاب الأعراف قوم علت درجاتهم لأن المقالات الآتية وما تفرغ من عليه لا تليق بغيرهم".^١

ويقول القاضي ثناء الله المظهري: "...قلت لعل المراد بهذا الذين قتلوا في سبيل الله الذين هم عصاة لا بانهم جمعا بين هذا وبين ما سبق وليعلم أن الذين قتلوا في سبيل الله عصاة لا بانهم أفراد ممن استوت حسناتهم وسيئاتهم فذكرهم على وجه التمثيل لا على وجه الحصر لما مر من الأحاديث ولما أخرج ابن أبي داود وابن جرير عن ابن عمر بن حزم بن جرير قال سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال هم آخر من يفصل بينهم من العباد فإذا فرغ رب العلمين من الفصل بين العباد قل أنتم قوم أخرجتكم حسناتكم من النار ولم تدخلوا الجنة وأنتم عنقله فأرعو من الجنة حيث شئتم قل السيوطي مرسل حسن".^٢

وهكذا يتبين مما ذكر في الأسطر السابقة أن جمهور المفسرين ذهبوا إلى ما ذهب إليه الإمام في ترجيح المراد في برجل الأعراف، وذلك استنادا إلى عدد غير قليل من الآثار المروية في كتب السنة والآثار التي تدعو إلى هذا المعنى الذي استقر عليه رأي الإمام المودودي بعدما كان رأي جمهور المفسرين الأجلاء رحمهم الله جميعا.

ويؤيد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

"تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم".^٣

"تفسير جمهور السلف مقتضى على كل تفسير شاذ".^٤

١ روح المعاني: ٣١٤/٤.

٢ التفسير المظهري: ٣٥٥/٣.

٣ قواعد الترجيح عند المفسرين للبحراني: ٢٧٨.

٤ المصدر السابق: ٢٧٨.

الخاتمة

الخاتمة والنائج:

لقد توصل البحث بعد الدراسة في الصفحات السابقة إلى مجموعة من النتائج التالية:

- يشتمل تفسير (تفهم القرآن) للإمام المودودي - رحمه الله - على عدد كبير من الآراء الترجيحية على مدار القرآن الكريم كله وهي ترد عنه في بعض الأحيان بصورة منصوص عليها وترد في أخرى بصورة غير مصرح بها.
- يورد المودودي - رحمه الله - عند تفسيره لبعض الآيات القرآنية عددا من أقوال المفسرين، والفقهاء، ثم يختار من بينها قولاً ويرجحه بصورة صريحة، وذلك استناداً إلى أدلة معينة.
- في معظم الأحيان يكتفي الإمام المودودي بذكر الرأي الراجح عنه في مسألة من المسائل التي يكون هو بصدد تفسيرها.
- عند عدم وقوع اختياره على رأي من الآراء المتعددة يميل إلى ذكر كل الآراء مع أدلتها، ويترك الأمر للقارئ وفي هذه الحالة لا يتجلى عنه أمر الترجيح إلا عن طريق السياق.
- في معظم الأحيان يقع اختياره على رأي جمهور المفسرين والفقهاء في المسائل اللغوية والفقهية.
- في المسائل المتعلقة بالنصرانية واليهودية ومعتقداتهما يحاول الوصول إلى ترجيح قول من الأقوال عن طريق القراءة في مصادرهما الأصلية كالإنجيل عند النصرانية مثلاً.
- بعد أن يرجح قولاً بصورة صريحة، أو يذكر قولاً ما من الأقوال فيحاول تقويته عن طريق الاستشهاد له بعدد من الآيات القرآنية في السور الأخرى، وذلك استناداً إلى تفسير المأثور بالمأثور.
- يعتمد المودودي - رحمه الله - إلى حد كبير في مسألة الترجيح على ملائمة النص، وما يحيط به من أسباب النزول، والظروف التي لزلت فيها الآية المطلوب تفسيرها.

- يعتمد على الجانب اللغوي إلى درجة كبيرة عندما يكون الأمر متعلقا بترجيح قول من الأقوال الواردة في مسألة من المسائل اللغوية المطلوب ترجيح قول فيها.
- عند ترجيحه قولاً من الأقوال التي سبق ذكرها في السور السابقة يحيل عليها وعلى رقم الآية فيها، وخاصة في القضايا المتكررة في القرآن الكريم كقصة موسى عليه السلام - مثلاً.
- لا يرى ضيراً في مخالفة رأي الجمهور، وذلك حين يعتقد أن هناك دليلاً قوياً يبعثه على ترجيح قول لم يختاره جمهور المفسرين أو الفقهاء.
- في الغالب يقع اختياره على ترجيح القول الذي يرى أنه يدفع الضرر عن أمة الإسلام، ويندر عليها بالفائدة والمنفعة وذلك خاصة في المسائل الفقهية.
- يستشهد الشيخ عند تفسيره لبعض الآيات القرآنية بما ورد عند أهل الكتاب من النصوص، ليستنبط منها أنها تصنف ما ورد في القرآن الكريم، وأن هؤلاء من أهل الكتاب لا يؤمنون بما عندهم من التعليمات الدينية.

التوصيات والمقترحات

بعد الدراسة والاستقراء في الصفحات السابقة تتقدم الباحثة بعند من التوصيات والمقترحات التالية:

- يعتبر موضوع الترجيح في التفسير القرآني موضوعا خصباً وصالحاً للدراسة، فمن المستحسن أن يقبل عليه طلاب العلم من الباحثين والباحثات في التفسير الحديثة على وجه الخصوص.
- ينبغي أن تشجع أقسام التفسير وعلوم القرآن بالجامعات الباكستانية طلابها على دراسة التفسير المعاصرة المكتوبة بغير اللغة العربية، وذلك للموقف على ترجيحات مؤلفيها ومعرفة الأسس والقواعد التي اعتمدوا عليها في ذلك العمل العلمي.
- أرى أن يعرض قسمنا هذا الموضوع نفسه في التفسير نفسه (تفهيم القرآن) على طلابه وطلباته، وذلك في السور المتبقية منه؛ حتى تتم هذه المسيرة العلمية، وتكتمل خطواتها.
- فتح دورات تدريبية قصيرة المدى للباحثين والباحثات من أهل العلم الذين يريدون أن يلجوا هذا الميدان العلمي، وذلك ليسيروا في دراستهم على هدى وبصيرة.
- إعداد خطط دراسية من قبل المتخصصين في هذا المجال، ثم تكليف الطلاب والطلبات من أهل البحث النابهين بدراستها والتحقيق فيها.
- القيام بتعريب التفسير كاملاً، خاصة وأن بعض السور منه قد تم تعريبه من قبل، كتعريب سورة الفاتحة، والبقرة، وآل عمران، والكهف، ومريم، والنور، والأحزاب.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية.

فهرس الآيات القرآنية

الرقم المسلسل	المسألة	رقم الآية	رقم الصفحة
١.	الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ	١	١٣٠
٢.	"مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ"	٢	٦٣
٣.	صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ	٧	١٥٤
البقرة			
٤.	ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ	٢	١٦١، ١٦٣
٥.	الَّذِينَ يُؤْتُونَ بِالْعُسْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ	٣	١٦٦، ١٧٢
٦.	وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ	٩	٦٥
٧.	فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ	١٠	١٧٥
٨.	فَإِنْ لَّمْ تَعْمَلُوا وَلَنْ تَعْمَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ	٢٤	١٨٣
٩.	الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ	٢٧	١٨٨
١٠.	كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَانًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ	٢٨	٢٩٤، ٢٨١
١١.	وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ	٣٠	١٩٥
١٢.	وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ حَرَّمَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَلْبِسُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ مُسَبِّحِينَ	٣١	٢٠٤

١٣	وَأَذِّنْ لَنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ	٣٤	٣٦٠
١٤	وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ	٣٥	٧٥
١٥	﴿ فَأَزَلُّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ	٣٦	٢٢٤
١٦	وَأَمِيتُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ	٤١	١٢٢
١٧	يٰٓبَنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا بَعَثْنَا إِلَيْنَا أَنَّمَا عَلَيْكُمْ آدَمُ وَآوْفَا بِهَدْيِ آوْفٍ بِهَدْيِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْسِلُوكُمْ ﴿١﴾ وَءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَتَّبِعُوا بِمَا بَيْنَ يَدَيْ نَسَا قَلِيلًا وَإِنِّي فَآتِيكُمْ ﴿٢﴾ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَقْتُمُونَ ﴿٣﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤﴾ إِنَّمَا أَمُرْتُ النَّاسَ بِالْإِخْوَانَةِ وَتَقْسُونَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَتَكُونَنَّ الْكَافِرُونَ ﴿٥﴾ إِنْ قَوْلُهُ ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَيْدٌ إِلَّا عَلَى الْمُجْرِمِينَ ﴾	٤٠-٤٥	٢٣١
١٨	يٰٓبَنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا بَعَثْنَا إِلَيْنَا أَنَّمَا عَلَيْكُمْ آدَمُ وَآوْفَا بِهَدْيِ آوْفٍ بِهَدْيِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْسِلُوكُمْ مِنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ السُّوءِ يُدْخِلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ	٤٧	٢٣٣
١٩	وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا بِكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ	٤٩	٢٣٨
٢٠	وَأَذَّنَ مُوسَى أَقْرَبُكُمْ إِلَيْنَا فَلَمَّا تَوَلَّوْا كَانُوا مِنْكُمْ يَكْفُرُونَ	٦٥	٢٤٥، ٨١
٢١	وَأَذَّنَ مُوسَى أَقْرَبُكُمْ إِلَيْنَا فَلَمَّا تَوَلَّوْا كَانُوا مِنْكُمْ يَكْفُرُونَ	٥٤	٢٤٢

		بَارِكُمْ مَنَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ مَرَّ النَّزَابُ الرَّحِيمُ	
٢٤٩	٧٣	قُلْنَا اضْرِبُوهُ بِنَعْصِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ	٢٢
٢٥٣	٧٥	أَفَنظَمُونَ أَن يَوْمُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَنْصَبُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَنْصَرِفُونَ مِنْ بَعْدِ مَا عَقِلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ	٢٣
٩٨	٨٧	أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ	٢٤
٢٩٠، ٢٥٧	٨٩	وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ قَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ	٢٥
٩٩	٩٣	وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُلُّوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا	٢٦
٩٨	١٠٠	أَوْكُلَمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَاهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ	٢٧
٢٦٢	١١٣	وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ الْنَصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ الْنَصَارَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ	٢٨
١٠٣	١١٤	وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسُمِّيَ فِي خَوَائِبِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ	٢٩
٢٦٦	١٢١	الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ	٣٠
٢٧٠	١٢٤	وَإِنَّ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ	٣١
٢٦٩	١٢٦	لِلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ	٣٢
١١٦	١٥٤	وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاهُ وَلَكِنَّ لَكُمْ تَشْعُرُونَ	٣٣
٦٧، ٦٦	١٥٨	لَمَّا جُنَّاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا	٣٤

٣٥	وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ	١٧٧	٢٠٨ ٨٤
٣٦	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ	١٨٣	٢٨٠
٣٧	فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ	١٨٤	٢٨٠
٣٨	شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ	١٨٥	٢٧٤ ١٠٣ ٢٨١ ٢٧٧
٣٩	الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ رَمَسَ فِيهِمْ الْحَجَّ فَلَا رَفَقَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ رَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ حَنْفٍ بَعَلَنَّهُ اللَّهُ وَكَتَرُوا فَلَاحَ حَيْرَ الْمَارِ الْقَفُوقِ وَاتَّقُوا بِتَأْذِينِ الْأَلَسِ	١٩٧	٢٨٤
٤٠	فَهَذَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ	٢١٣	٩٥
٤١	لَا يُوَاجِدُكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْتِيكُمْ وَلَكِنْ يُوَاجِدُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَلِيمٌ	٢٢٥	٢٨٧
٤٢	أَطْلُقْ مَرَّتَيْنِ قَامَسَاكَ بِمَرْوِيٍّ أَوْ تَسْبِيحٍ بِإِحْسَنِ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُفْسِدَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُفِيتَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَمْتُدُّوهُمَا وَمَنْ تَمَتَّدْ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ	٢٢٩	٢٩٣
٤٣	فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا حِلَّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُفِيتَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ	٢٣٠	٢٩٧
٤٤	أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَلِمِّي يُحْيِي هَلِهُ اللَّهُ يَمْدُ مَرَّتَهَا قَامَاتُهُ	٢٥٨	٨٢
٤٥	وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ	٢٨٢	١٠٥ ١٠٤
٤٦	لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ	٢٨٦	٦١
٤٧	لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْلَوْا مَا فِي	٢٨٧	٦١

		أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَعْصِيكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ	
ال عمران			
٨٧	٢٧	وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ	٤٨
٣٠٢	٣٣	إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِصْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ	٤٩
٣٠٦	٣٦	فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ ائْمِي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتُ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ	٥٠
٣٠٩	٣٧	لَقَبَلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ	٥١
٨٦	٣٩	مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ	٥٢
٣٦١	٥٥	إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِي مَرْيَمَ اذْأِئْتِكِ إِهْلًا وَمَطَهْرًا مِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا	٥٣
٣٣٢	٦٤	قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نُعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا	٥٤
٣٣٦، ١٨٩	٨١	وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ	٥٥
٣٣٩، ٣٣٦	١١٠	لَكُمْ خَيْرٌ أَمَّاوُ الْحَرْجَتِ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ	٥٦
٣٣٢	١٢٩، ١٢٨	لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَلَهُمْ ظُلُمَاتٌ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ	٥٧
٣٣٥	١٦١	وَمَا كَانَ لِئَن يَأْتِيَ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ ثُمَّ تُوِّفَىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ	٥٨

٥٩	٢٧١	٧٤	إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ
٦٠	١٨٧	١٨٨	وَأَذِ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ
الْقِسْمَةُ			
٦١	٨	٦٣	وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا
٦٢	٢٣	٣٤١	حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَصَوَابُكُمْ وَأَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ
٦٣	٤٣	٣٤٤	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ
٦٤	٦٠	٣٥٢	أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ
٦٥	٩٤	٣٥٦	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا
٦٦	١٥٣	٨١	أَرَأَىٰ اللَّهُ جَهَنَّمَ
٦٧	١٥٨، ١٥٧	٣٦٥، ٣٦٤	وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْهَاجَ الظُّلُمِ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٨﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا
٦٨	١٥٩	١٠٦	وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا
الْمُحَادَّةُ			
٦٩	١	٣٦١	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ
٧٠	٢	٩٧	وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ

٢٧٠، ٢٧١ ٢٧٥	٣	حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْمُتَّيَّمَةُ وَلَحْمُ الْخَنَازِيرِ وَمَا أَهْلُ بَيْتِهِ	٧١
٢٤٥، ٢٤٧ ٢٥٠	٤	فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ	٧٢
٢٣٣، ٢٣٦	٢٠	وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يُقَوِّمُوا أَدْعُوا بِغَمَّةٍ اللَّهُ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مَائِمَةً يَوْتِ أَحَدًا مِنْ الْعَالَمِينَ	٧٣
٨١	٢٤	ادْعُ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ	٧٤
٢٤٦، ٢٤٧	٦٧	قُلْ هَلْ أَنْبَيْتُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ تَكْوِينِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَوَغَضِبَ عَلَيْهِ	٧٥
٧٠	٨٢	إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَهْدِيكُمْ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ آمَنُوا لِلَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَالرَّبَّائِيونَ وَالْخَبَرُ بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ	٧٦
الأنعام			
٢٨٦	١	الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ	٧٧
٢٨٩	٢	هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ مُمْتَرُونَ	٧٨
٣١٣	٦٠	وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ	٧٩
٧٣	٨٢	الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ يُهْتَدُونَ	٨٠
١٧٩، ١٨١	١١٢	وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ شَيْءٍ عَدُوًّا شَاطِئِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنَّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ	٨١

الأعراف

٨٢	ما مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ	١٢	٦٧
٨٣	يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنُكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ	٢٧	٦٠٦
٨٤	وَإِذَا قَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آيَةً نَّا وَاللَّهُ أَمَرْنَا بِهَا	٢٨	٣٩٧
٨٥	قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ	٣٨	٤٠١
٨٦	وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ	٤٦	٤٠٥
٨٧	وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَسْمَاءَ مِنْهُمْ الصَّالِحِينَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ	١٦٨	٢٣٩
٨٨	يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقَّتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً	١٨٧	٦٩
التوبة			
٨٩	وَلِي سَبِيلِ اللَّهِ	٢٠	٩١
٩٠	يَقُولُونَ يَا اللَّهُ لَكُمْ لِرِضْوَانِكُمْ وَاللَّهُ رِشْوَةٌ لِّكُلِّ شَيْءٍ	١٢	٢٣٦
٩١	فَقُلْ لَّنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنُتَقَابِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا	٨٣	٧٨
٩٢	لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ	١٢٨	٢٤٣
الحجر			
٩٣	وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّن حَمَلٍ مَسْنُونٍ	٢٨	٢١٧
٩٤	فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ	٢٩	٢١٧، ٢٦٥
الاحقاف			
٩٥	وَمِن أَوْذَارِ الَّذِينَ يُضِلُّوهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِيدُونَ	٢٥	٤٠٣
٩٦	وَالزَّلْزَلَةُ إِلَيْكَ اللَّاحِزَةُ لَتَجِدَنَّ أَشْقَىٰ لِّقَاسٍ مَّا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ	٤٤	٧٣

٢٠٢، ٢٠١	٥٠	يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ	٩٧
٢٣٠			
٤٠٣	٨٨	الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكَ عَذَابُهُمْ فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ	٩٨
الإِسْرَاءُ			
١٠١	٧١	يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْثَالِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ	٩٩
١٨٥	٩٧	كُلَّمَا خَبَتْ ذِذَّالُهُمْ سَمِيرًا	١٠٠
طه			
٣٦٢	١٢٩	وَقَوْلًا كَلِمَةً سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَ أَنْ لَأَن آتَاكَ لَهْلَهٌ مَّسْمُومٌ	١٠١
الأنبياء			
٢٠٢	٢٦	بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ	١٠٢
٢٣٩	٣٥	كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبِّئُوكُمْ بِالصَّخْرِ وَالْخَيْرِ فَتَنَةً وَاللَّيْلِ تَرْجَعُونَ	١٠٣
٨٥، ٨٤	٨٧	فَظُنُّوا أَنَّ لَنْ تَقْدِرَ عَلَيْهِ	١٠٤
١٨٤	٩٨	إِنَّكُمْ وَمَنْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ	١٠٥
الحج			
٢٦٤	١٨	أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ	١٠٦
النور			
٩٦	٤١	أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ كُلِّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ	١٠٧
القصاص			
٨٠	٧٦	لَتَنُوَّهَ بِالْعَصَةِ	١٠٨
العنكبوت			
٤٠٣	١٣	وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ	١٠٩

		عَمَّا كَانُوا يَقْتُرُونَ	
الرَّوم			
٣٦٩	٤٠	اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ ثُمَّ يُجْزِيكُمْ كَذَلِكَ مِنْ شَرِّ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ	١١٠
القسمان			
١٠٢	٦	وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ	١١١
السجدة			
١٦٤	٢	تَفْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ	١١٢
فاطر			
٢٢٧	٦	إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ	١١٣
يس			
٦٠١	١٢	وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ	١١٤
١٩١	٦٠	أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ	١١٥
الزمر			
٣٦٣	٤٢	اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ كُنَتْ فِي مَنَاسِكَةٍ فَيَرْسِلُ إِلَيْهَا قَاصًّا وَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ أَلَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ لَآئِمَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ	١١٦
المؤمن			
١٦٤	٢	تَفْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ	١١٧
فصلت			
٩٢	٤٤	قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَبَيِّنَةٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ	١١٨
الفتح			

١٠٨	٩	يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا	١١٩
٧٨، ٧٧	١٥	يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ	١٢٠
الطور			
٧٢	٤٩	وَإِقْبَارَ النُّجُومِ	١٢١
الصَّحاح			
٧٢	١	وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ	١٢٢
الواقعة			
٧١	٧٥	قُلْ أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ	١٢٣
الجمعة			
٢٤٦	٥	مَقُلْ الَّذِينَ حُمِّلُوا الثَّوَدَةَ ثُمَّ لَمْ يُحْمِلُوهَا	١٢٤
المنافقون			
١٧٤	١٠	وَأَتَّبِعُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ	١٢٥
الطلاق			
٨٥	٧	وَمَنْ قَلِيلٌ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيَتَّقِ بِمَا آتَاهُ اللَّهُ	١٢٦
التحریم			
١٨٣	٦	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ	١٢٧
٢٠١، ١٨٣، ٢٢٠، ٢٠٢	٦	لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ	١٢٨
الحاقة			
١٠١	١٩٢٠	فَأَمَّا مَنْ أَوْتِيَ كِتَابَهُ يَمِينَهُ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ اقْرَءُوا كِتَابِيَةَ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَةَ	١٢٩
المعارج			
٧٢	٤٠	قُلْ أَقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ	١٣٠
التكوير			

١٣١.	فَلَا أَقْسِمُ بِالْخُنْثَى الْجَوَارِ الْكُنْثَى	٧	٧٢
الاعلى			
١٣٢.	وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى	٤	٩٤
العلق			
١٣٣.	اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ	١	١٤٠، ١٤٣

فهرس الأحاديث والآثار

فهرس الأحاديث والآثار

الرقم	الحديث	الصفحة
١.	مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ	٣
٢.	سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ،	٧٤
٣.	كَانَ الْأَنْصَارُ إِذَا حَبَّجُوا قَرَجَعُوا لَمْ يَدْخُلُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا	٧٦
٤.	اللَّهُمَّ فَقِّهْ فِي الدِّينِ وَعَلِّمَهُ التَّوْبِيلَ	١٧٩، ١٦٤، ١٣٦، ١٦٩، ١٨٦
٥.	إِذَا جُمِعَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُرْفَعُ لِكُلِّ عَامِلٍ لِرَأْيِهِ	١٠٠
٦.	مَرَّ بِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَصَلِّي، فَذَعَانِي فَلَمْ أَجِبْهُ	١٤٩
٧.	لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِقَاتِحَةِ الْكِتَابِ	١٢٩
٨.	مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأَمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ حِدَاجٌ (ثَلَاثًا) غَيْرُ تَمَامٍ.	١٢٩
٩.	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِخَدِيجَةَ إِثْنِي إِذَا خَلَوْتُ وَخَدِيجِي سَمِعْتُ إِذًا	١٢٩
١٠.	تَزَلَّتْ قَاتِحَةُ الْكِتَابِ بِمَكَّةَ مِنْ كَثَرِ تَحْتَ الْعَرْشِ	١٣٦
١١.	وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ قِطْرَةِ الْوَحْيِ إِلَى أَنْ قَالَ وَانْزَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى: "يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ"	١٤٠
١٢.	الْحَمْدُ لِلَّهِ أَمُّ الْقُرْآنِ وَأَمُّ الْكِتَابِ وَالسَّبِيحُ الْمَثَانِي	١٤٩
١٣.	أَنْ تُوْمِنَ بِاللَّهِ وَتَمْلَأَ كِتَابَهُ وَرُسُلَهُ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَتُؤْمِنَ بِالْقَلْبِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ	١٦٩
١٤.	أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضَغَةً إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ	١٧٧

١٥.	يَجْتَمِعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَيِّقُولُونَ: لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا	٢٠٨
١٦.	خَلَقْتَ الْمَلَائِكَةَ مِنْ نُورٍ، وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخَلَقَ آدَمَ بَمَاءٍ وَصُفْتٍ لَكُمْ	٢٢٢
١٧.	أَلْتُمُ تُبْصِرُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَلْتُمُ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ	٢٢٦
١٨.	فِينَا وَاللَّهُ وَلِيهِمْ - يَعْنِي فِي الْأَنْصَارِ، وَفِي الْيَهُودِ - الَّذِينَ كَانُوا جِيرَانَهُمْ - نَزَلَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ	٢٦٠
١٩.	أَفْسُوا السَّلَامَ، وَأَطِيعُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ يَبْلُغُ تَذَخُّلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ	٢٧٢
٢٠.	لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ الصَّوْمُ فِي السُّقْرِ	٢٧٨، ٢٧٩
٢١.	كُنَّا نُسَافِرُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَمَسَّ الصَّائِمُ عَلَى الْمُفْطِرِ، وَلَا الْمُفْطِرُ عَلَى الصَّائِمِ	٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٢
٢٢.	أَصُومُ فِي السُّقْرِ؟ - وَكَانَ كَثِيرَ الصَّيِّمِ -، فَقَالَ: «إِنْ شِئْتَ فَصُمْ، وَإِنْ شِئْتَ فَافْطِرْ»	٢٧٨
٢٣.	خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ فِي يَوْمٍ حَارٍّ حَتَّى يَضَعُ الرَّجُلُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ، وَمَا فِينَا صَائِمٌ إِلَّا مَا كَانَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَابْنِ رَوَاحَةَ	٢٧٩، ٢٨٢
٢٤.	قَدْ صَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَفْطَرَ، فَمَنْ شَاءَ صَلَّمَ وَمَنْ شَاءَ أَفْطَرَ	٢٧٩، ٢٨٢
٢٥.	إِلَيْكُمْ قَدْ دَخَلْتُمْ مِنْ عِدْوَتِكُمْ، وَالْفِطْرُ أَقْوَى لَكُمْ	٢٨٠، ٢٨٢
٢٦.	هِيَ رُخْصَةٌ مِنَ اللَّهِ، فَمَنْ أَخَذَ بِهَا، فَحَسَنٌ وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَصُومَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ	٢٨٢
٢٧.	أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: {لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ} [البقرة: ٢٢٥] فِي قَوْلِ الرَّجُلِ: لَا وَاللَّهِ وَبَلَى وَاللَّهُ	٢٩٠
٢٨.	اللَّهُ فِي الْيَمِينِ "هُوَ كَلَامُ الرَّجُلِ فِي بَيْتِهِ، كَلَامُ اللَّهِ وَبَلَى	٢٩١

	والله	
٢٩٤	فَأَمَرَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ أَمَرَتْ أَنْ تَعْتَدَ بِحَيْضَةٍ	
٢٩٥	أَنْ امْرَأَةً ثَابِتٍ بِنِ قَيْسٍ اخْتَلَعَتْ مِنْهُ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عِدَّتَهَا حَيْضَةً	
٢٩٥	اخْتَلَعَتْ مِنْ رَوْحِي، ثُمَّ جِئْتُ عُثْمَانَ، فَسَأَلْتُ: مَاذَا عَلَيَّ مِنَ الْعِدَّةِ؟ فَقَالَ: لَا عِدَّةَ عَلَيْكَ	
٢٩٩	لَمَنْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْمُحَلَّلُ - الْمُحَلَّلُ لَهُ	
٢٩٩	لَمَنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْوَاشِمَةُ وَالْمَتَوَشِّمَةُ، وَالْوَاصِلَةُ وَالْمَوْصُولَةُ، وَالْمُحِلُّ وَالْمُحَلَّلُ لَهُ، وَآكِلُ الرِّبَا، وَمُؤْكَلُهُ	
٣٠٠	لَا يَنْكَاحُ إِلَّا يَنْكَاحَ رَغْبَةٍ، لَا يَنْكَاحُ دَلْسَةً، وَلَا مُسْتَهْزِئًا بِكِتَابِ اللَّهِ لَمْ يَذُقِ النِّسَاءَ	
٣٠٠	أَلَا أَخْبَرُكُمْ بِالتَّيْسِ الْمُسْتَعَارِ؟" قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "هُوَ الْمُحِلُّ"	
٣٠١	جَلَّةٌ وَجَلُّ إِلَى ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَسَأَلَهُ عَنْ رَجُلٍ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ ثَلَاثًا، فَتَزَوَّجَهَا أَيْ لَهَا، مِنْ غَيْرِ مُؤَامَرَةٍ مِنْهُ، لِيُحِلَّهَا لِأَخِيهِ، هَلْ تَحِلُّ لِلأَوَّلِ؟ قَالَ: "لَا، إِلَّا يَنْكَاحَ رَغْبَةً"	
٣٠١	وَكَانَتْ أُمْتُ مَرْيَمَ تَحْتَهُ	
٣٠١	أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَضَى فِي عِمَارَةٍ بِنْتِ حَمْرَةَ أَنْ تَكُونَ فِي خِصَانَةِ خَالَاتِهَا	
٣٠٦	وَالَّذِي لَفْسِي بَيْنِي، لِيُوشِكُنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَذْلًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْجَنْزِيرَ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ، وَيَقْبِضَ الْمَالَ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، حَتَّى تَكُونَ السُّجْدَةُ	

	الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها	
٤٠	كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فَيُكَلِّمُكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ	٣١٧
٤١	لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ	٣١٧
٤٢	الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتِ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ	٣١٧
٤٣	لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ	٣١٧
٤٤	لَوْ آمَنَ بِي عَشْرَةٌ مِنَ الْيَهُودِ لَأَمَنَ بِي الْيَهُودُ	٣٣٠، ٣٣١
٤٥	كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجَّوْا نَبِيَّهُمْ، وَكَسَرُوا رِبَاعِيَّتَهُ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ؟	٣٣٣
٤٦	كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ فَعَلُوا هَذَا بِنَبِيِّهِمْ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ؟	٣٣٣
٤٧	جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهْرًا	٣٤٦
٤٨	إِنَّا نَكُونُ فِي هَذِهِ الرَّمَالِ لَا تَقْدِرُ عَلَى الْمَدَةِ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ أَوْ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ	٣٤٦
٤٩	جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَتَرَابُهَا طَهْرًا	٣٤٧
٥٠	وَجُعِلَتْ تَرَبَّتُهَا لَنَا طَهْرًا	٣٤٧، ٣٤٨، ٣٥٠، ٣٥١
٥١	فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلَاثٍ: جُعِلَتْ صُفُوفُنَا تَصُفُّوهُمْ، جُعِلَتْ تَرَبَّتُهَا لَنَا طَهْرًا، وَجُعِلَتْ لَنَا الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا، وَجُعِلَتْ تَرَبَّتُهَا لَنَا طَهْرًا، إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَدَةَ	٣٤٨
٥٢	أَعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي	٣٤٩
٥٣	فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ	٣٥٠
٥٤	كَانَ رَجُلٌ فِي غَنِيمَةٍ لَهُ فَلَحِقَهُ الْمُسْلِمُونَ	٣٥٨
٥٥	إِذَا كَانَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ يُخْفِي إِيمَانَهُ مَعَ قَوْمٍ كُفَّارٍ	٣٥٩
٥٦	لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنْ الْمُنْبَاعِ، وَعَنْ كُلِّ ذِي مَخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ	٣٦٦
٥٧	نُزِلَتْ سُورَةُ الْأَنْعَامِ جُمْلَةً بِمَكَّةَ	٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣

٥٨	نَزَلَتْ الْإِنْعَامُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جُمْلَةً وَاحِدَةً وَأَنَا أَخِيَّةٌ بِهِمْ نَاقَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ كَانَتْ مِنْ يَاقِلِهَا لَتَكْسِرُ عَظْمَ النَّاقَةِ	٣٨٠، ٣٨٢، ٣٨٣
٥٩	مَنْ ابْتَدَعَ بَدْعَ ضَلَالَةٍ لَا يَرْضَاهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ عَمِلَ بِهَا	٤٠٠
٦٠	لَا تَقْتُلْ نَفْسٌ ظُلْمًا، إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِيهَا، يَأْتِيهِ أَوَّلُ مَنْ سَرَّ الْقَتْلَ	٤٠٠، ٤٠٢
٦١	أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ، لَمْ يَدْخُلُوها وَهُمْ يَطْمَعُونَ	٤١١
٦٢	إِنَّهُمْ قَوْمٌ خَرَجُوا عَصَاً يَمِيرُ إِذْنُ آبَائِهِمْ	٤١١
٦٣	هَمْ نَاسٌ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَمْنَعِيهِمْ آبَائِهِمْ	٤١٢
٦٤	هَمْ قَوْمٌ اسْتَوَتْ حَسَنَاتُهُمْ وَسَيِّئَاتُهُمْ	٤١٢
٦٥	يُحَاسِبُهُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَمَنْ كَانَتْ حَسَنَاتُهُ أَكْثَرَ مِنْ سَيِّئَاتِهِ يَوَاحِلُهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ	٤١٢
٦٦	سُورَ الَّذِي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ	٤١٣
٦٧	هَمْ آخِرُ مَنْ يُفْصَلُ بَيْنَهُمْ مِنَ الْعِبَادِ	٤١٤، ٤١٥

فهرس الأعلام

فهرس الأعلام

الرقم	الأعلام	الصفحة
حرف الألف		
١.	إبراهيم بن إسماعيل الأبياري	١٢٧
٢.	إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج البغدادي	١٤٦
٣.	أحمد بن علي أبو بكر، الجصاص، الرازي، الحنفي	٣٤٥
٤.	أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب القزويني المعروف بالرازي الشافعي	١٣١
٥.	أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق النيسابوري الثعلبي	١١٣
٦.	إسماعيل بن عمر بن كثير الحافظ عمدة الدين أبو الفداء القرشي البصري المشي الشافعي	٦٦
٧.	إسماعيل حقي بن مصطفى الإسلامبولي الحنفي الحلوتي المولى أبو الفداء	١١٥
٨.	ألف الدين الترابي بن عالم الدين القرشي	١٥
٩.	أمين أحسن الإصلاحي	٥٥
١٠.	أنس بن مالك بن النضر بن خنضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عمرو بن غنم بن علي بن النجار	٦٨
حرف الباء		
١١.	تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية	٦٠
حرف الجيم		
١٢.	جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري	١٩٢
١٣.	جبل الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي التيمي البكري البغدادي الحنفي	١٢٤

حرف الحاء		
١٥٠	الحارث بن نفيح بن المعلى بن لوذان بن حارثة بن زيد بن ثعلبة من بني نديق الأنصاري الزرقي، أبو سعيد	١٤
٢٣٣	الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد مولى زيد بن ثابت الأنصاري البصري، الفقيه القارئ الزاهد العابد	١٥
١١٦	حسن بن محمد ابن القمي النيسابوري، نظام الدين	١٦
١٢٢	الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم المعروف بالراغب الأصفهاني	١٧
٨٤	الحسين بن مسعود بن محمد المعروف بالقراء البغوي	١٨
حرف الخاء		
١٥	خليل بن أحمد الحامدي	١٩
حرف السين		
٤٦	سيد قطب	٢٠
١٧	سيدة حمير	٢١
حرف العين		
٦٧	عائشة بنت أبي بكر الصديق الصديقة بنت الصديق أم المؤمنين، زوج النبي صلى الله عليه وسلم	٢٢
٦٧	عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي الحجازي الغوناطي القاضي الإمام العلامة شيخ المفسرين	٢٣
١٥٠	عبد الرحمن بن صخر، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، المعروف بأبي هريرة الدوسي	٢٤
٢٢٧	عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله الشُعَيْبِي التميمي، النجدي، الحنبلي	٢٥
٢٥٢	عبد السلام بن الشيخ عبد الرؤوف الرستمي	٢٦
٢٢٢	عبد الكريم محمود بن نسي الخطيب	٢٧
١٦	عبد الله العقيل المستشار أحد قادة الإخوان المسلمين	٢٨

٢٩	عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين، أبو البركات، النفي فقيه حنفي، مفسر	١٢٤
٣٠	عبد الله بن عمر بن محمد بن علي أبو الخير القاضي ناصر الدين البيضاوي الشيرازي	١٢٥
٣١	علي بن محمد بن إبراهيم علاء الدين البغدادي المعروف بلخازن	١٣٤
٣٢	علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالملاوردي	١١٨
٣٣	علي سفيان ألقبي	١٩
٣٤	عمر بن علي بن عادل الحنبلي التمشقي القمعي أبو حفص سراج الدين الإمام العالم الفاضل المفسر	١١٦
حرف الميم		
٣٥	مجاهد بن جبر أبو الحجاج مؤيد السائب بن أبي السائب المعزومي المكي الإمام شيخ القراء والمفسرين	٧٨
٣٦	محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح أبو عبد الله الأنصاري الخرجي المالكي القرطبي	٦٤
٣٧	محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف ابن جزى الكلبي الدرناطي	٧٠
٣٨	محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن يزدبه الجعفي مولاهم البخاري	١٥٠
٣٩	محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن أبو جعفر الطبري	٦٢
٤٠	محمد بن عبد الله ابن العربي الأندلسي الإشبيلي المالكي صاحب التصانيف	٩٣
٤١	محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني الصنعلي الشوكاني الحنبلي	١٠٥
٤٢	محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي العلامة فخر الدين	٩١

	أبو عبد الله القرشي البكري الطبرستاني الرازي	
١١٤	محمد بن محمد بن مصطفى العمادي المفسر، المقتي الشاعر المعروف بأبي السعود	٤٣.
٧٩	محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان أثير الدين أبو حيّان الأندلسي الفرناطلي	٤٤.
١٤١	محمد نناء الله الهنلي الفاني في النقشبندي الحنفي المظهري	٤٥.
١٦	محمد رجب البيومي	٤٦.
١٥٤	محمد سيد طنطاوي	٤٧.
١١٧	محمد تميم بن ياسين الديوبندي العثماني الحنفي	٤٨.
١١٥	محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي	٤٩.
١٢٠	محمد عزّة بن عبد الحلبي دروزة	٥٠.
١١٥	محمد علي الصابوني	٥١.
٢٤١	محمد محمد عبد اللطيف الخطيب	٥٢.
٦٥	محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي، شهاب الدين، أبو التّناء	٥٣.
٩٤	عمود بن عمر بن محمد أبو القاسم الزعشمري، الخوارزمي	٥٤.
١١٨	مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار، القيسي القيرواني ثم الشرطي	٥٥.
١١٩	منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد التميمي، السمعاني المروزي	٥٦.
حرف النون		
١٧	نعيم صديقي	٥٧.
٤٦	نور محمد جمعة	٥٨.
حرف الواو		
١٥٨	وهبة بن مصطفى الزحيلي	٥٩.

فهرس المصادر والمراجع

فهرس المصادر والمراجع العربية:

- ١- أبو الأعلى المودودي، عصره، حياته دعوته، مؤلفاته للبروفيسور أليف الدين الترابي، الطبعة الأولى عام ١٩٨٧م، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت.
- ٢- أبو الأعلى المودودي، فكره ودعوته للأستاذ أسعد جيلاني، ترجمة د/ سمير عبد الحميد إبراهيم، الطبعة الرابعة، عام ١٩٧٨م، شركة الفيصل، لاهور.
- ٣- الإتيقان في علوم القرآن لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، عام ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ٤- أحكام القرآن لأحمد بن علي أبو بكر الرازي، الجصاص الحنفي، المحقق: محمد صافي القمحاوي، عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف، تاريخ الطبع: ١٤٠٥هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٥- أحكام القرآن لعلي بن محمد بن علي، أبو الحسن الطبري، الملقب بعماد الدين، المعروف بالكيا المراسي الشافعي، المحقق: موسى محمد علي وعزة عبد عطية، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٦- أحكام القرآن للقاضي محمد بن عبد الله أبي بكر بن العربي المعافري الاشعيلي المالكي، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد عبد القادر عطية، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ٧- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ الطبع.
- ٨- أسباب نزول القرآن لأبي الحسن علي بن أحمد الراحدي، تحقيق ودراسة: كماله بسيوني زغلول، الطبعة الأولى ١٤١١هـ/ ١٩٩١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ٩- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، المحقق: علي محمد البجاوي، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، دار الجيل، بيروت.

- ١٠- أسد الغابة لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، عام النشر: ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، دار الفكر، بيروت.
- ١١- أسرار ترتيب القرآن لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ/١٩٧٧م، دار الاعتصام.
- ١٢- الأشباه والنظائر لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، الطبعة الأولى ١٤١١هـ/١٩٩١م، دار الكتب العلمية.
- ١٣- الإصابة في تمييز الصحابة لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١٤- أصول في التفسير لمحمد الصالح العثيمين، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٧م، دار ابن الجوزي، الدمام.
- ١٥- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، عام النشر: ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥م، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت، لبنان.
- ١٦- إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرازي النحوي وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١٧- إعراب القرآن وبيانه لحيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، الطبعة الرابعة، ١٤١٥هـ دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص، سورية، (دار اليمامة، دمشق، بيروت)، و(دار ابن كثير، دمشق، بيروت).
- ١٨- الأعلام لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، الطبعة الخامسة عشر، مايو ٢٠٠٢م، دار العلم للملايين.

- ١٩- الإمام أبو الأعلى المودودي، حياته و دعوته، وجهاته للأستاذ خليل الحامدي، أكتوبر عام ١٩٨٩م، دار العروة للدعوة الإسلامية، المنصورة، لاهور، باكستان .
- ٢٠- الانتصار للقرآن محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم القاضي أبي بكر الباقلائي المالكي، تحقيق: د محمد عصام القضاة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، دار المفتاح، عمان، دار ابن حزم، بيروت.
- ٢١- أنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البیضاوی، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٢٢- إيجاز البيان عن معاني القرآن لعمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري أبي القاسم نجم الدين، المحقق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- ٢٣- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لجابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبي بكر الجزائري، الطبعة الخامسة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.
- ٢٤- أئمة الفكر الإسلامي الحديث للبروفيسور أليف الدين الترابي، الطبعة الأولى، جمادى الثانية عام ١٤٢٦هـ / يونيو عام ٢٠١٠م.
- ٢٥- بحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمورقندي، بدون تاريخ الطبع ومكان الطبع.
- ٢٦- البحر المحيوط في التفسير لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أنير الدين الأندلسي، المحقق: صدقي محمد جميل، الطبعة: ١٤٢٠هـ دار الفكر، بيروت.
- ٢٧- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسيني الأحمري القاسمي الصوفي، المحقق: أحمد عبد الله القرشي وعلان، عام ١٤١٩هـ الناشر: الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة.

٢٨- البداية والنهاية لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم
الدمشقي، المحقق: علي شيري، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، قام بفهرسته: عبد الرحمن
الشلي.

٢٩- البرهان في ترتيب سور القرآن لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير
الغرناطي، دراسة وتحقيق: محمد شعياتي، عام ١٤١٠هـ/١٩٩٧م، وزارة الأوقاف والشؤون
الإسلامية، المملكة المغربية.

٣٠- البرهان في علوم القرآن لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر
الزركشي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، ١٣٧١هـ/١٩٥٧م، دار إحياء
الكتاب العربي عيسى البابي الحلبي وشركائه، (ثم صورته دار المعرفة، بيروت، لبنان
وبنفس ترقيم الصفحات).

٣١- بيان المعاني لعبد القادر بن ملا حويش السيد محمود آل غلازي العاني، الطبعة
الأولى، ١٣٨٢هـ/١٩٦٥م، مطبعة الرقي، دمشق.

٣٢- التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري،
المحقق: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركائه، (جزءان في ترقيم مسلسل
واحد)، بدون تاريخ المطبع.

٣٣- التبيان في أقسام القرآن لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد خمس الدين ابن
قيم الجوزية، المحقق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٣٤- التحرير والتنوير "تحرير المعنى السليد وتنوير العقل الجديد من تفسير
الكتاب المجيد" لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، سنة النشر
١٩٨٤هـ، الدار التونسية للنشر، تونس.

٣٥- تذكرة الحفاظ لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز
الذهبي، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٧م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- ٣٦- التسهيل لعلوم التنزيل لأبي القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت.
- ٣٧- تفسير الإمام ابن عرفة لمحمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبي عبد الله، المحقق: د. حسن المناعي، الطبعة الأولى ١٩٨٦م، مركز البحوث بالكلية الزيتونية، تونس.
- ٣٨- تفسير الجلالين لجلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الطبعة الأولى، دار الحديث، القاهرة، بدون تاريخ الطبع.
- ٣٩- التفسير الحديث (مرتب حسب ترتيب النزول)، محمد عزة دروزة، الطبعة: ١٣٨٣هـ دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
- ٤٠- تفسير الراغب الأصفهاني لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق ودراسة: د/محمد عبد العزيز بسيوني، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، كلية الآداب، جامعة طنطا.
- ٤١- تفسير الشعراوي (الخواطر) لمحمد متولي الشعراوي، ليس على الكتاب الأصل (المطبوع) أي بيانات عن رقم الطبعة أو غيره، غير أن رقم الإيداع يوضح أنه نشر عام ١٩٩٧م، مطابع أخبار اليوم
- ٤٢- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) لمحمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، سنة النشر: ١٩٩٠م، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ٤٣- تفسير القرآن العزيز لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زمين المالكي، المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، الفاروق الحديثة، القاهرة، مصر.

- ٤٤- تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، دار طيبة للنشر والتوزيع.
- ٤٥- تفسير القرآن الكريم لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ دار ومكتبة الهلال، بيروت.
- ٤٦- تفسير القرآن لأبي المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، دار الوطن، الرياض، السعودية.
- ٤٧- تفسير القرآن لأبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء، المحقق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهي، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، دار ابن حزم، بيروت.
- ٤٨- التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم يونس الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ الطبع.
- ٤٩- تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) لمحمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، المحقق: د/مجدي باسلوم، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ٥٠- تفسير الماوردي - النكت والعيون لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ٥١- تفسير المراغي لأحمد بن مصطفى المراغي، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
- ٥٢- التفسير المظهري للقاضي محمد ثناء الله المظهري، المحقق: غلام نبي التونسي، الطبعة: ١٤١٢هـ مكتبة الرشيدية، باكستان.

- ٥٣- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج لوهبة بن مصطفى الزحيلي، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ دار الفكر المعاصر، دمشق.
- ٥٤- التفسير الميسر لنتيجة من أساتذة التفسير، بإشراف: صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، الطبعة الثانية، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية.
- ٥٥- التفسير الواضح لمحمد محمود الحجازي، الطبعة العاشرة، ١٤١٣هـ دار الجيل الجديد، بيروت.
- ٥٦- التفسير الوسيط للقرآن الكريم لمحمد سيد طنطاوي، الطبعة الأولى، يناير ١٩٩٧، دار نهضة مصر، القاهرة، القاهرة.
- ٥٧- تفسير آيات الأحكام لمحمد علي السائس، المحقق: تاجي سويدان، تاريخ النشر: ٢٠٠٢/١٠/٠١، المكتبة العصرية للطباعة والنشر.
- ٥٨- تفسير حقائق الروح والرياح في روائع علوم القرآن للشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي المروري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان.
- ٥٩- تفسير نظام القرآن وتكوين الفرقان بالفرقان لعبد الحميد القراهي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م، المطبعة الحميدية.
- ٦٠- تفهيم القرآن للإمام المودودي، الجزء الأول من الفاتحة إلى آل عمران يتصرف يسير، تعريب: أحمد إدريس، ص ٢٣، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ/١٩٧٧م، دار القلم، الكويت.
- ٦١- تناسق الدرر في تناسب السور لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ٦٢- تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهر المروري، المحقق: محمد عوض مرعب، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦٣- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، مؤسسة الرسالة.

٦٤- جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأُمي، أبي جعفر الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، مؤسسة الرسالة.

٦٥- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه- صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر، الناصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ومتم مرتبط بشرح فتح الباري لابن رجب ولاين حجره مع الكتاب: شرح وتعليق د. مصطفى ذيب البغا كالتالي: رقم الحديث (والجزء والصفحة) في ط البغا، يليه تعليقه، ثم أطرافه.

٦٦- الجامع لأحكام القرآن- تفسير القرطبي لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فوج الأنصاري الخزرجي محس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، دار الكتب المصرية، القاهرة.

٦٧- الجدول في إعراب القرآن الكريم لمحمود بن عبد الرحيم صافي، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ دار الرشيد، دمشق، مؤسسة الإيمان، بيروت.

٦٨- الجواهر الحسن في تفسير القرآن لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الفعالي، المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦٩- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون لأبي العباس شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

- ٧٥- الدر المنثور في التفسير بالمأثور لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ الطبع.
- ٧٦- الدر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، المحقق: مراقيه/محمد عبد المعيد ضان، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد، الهند.
- ٧٧- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الحسروجردي الخراساني، أبي بكر البهقي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٧٨- دلائل النظام لعبد الحميد الفراهي، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ المطبعة الحميدية.
- ٧٩- روح البيان لإسماعيل حقي بن مصطفى الإسطنبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبي الفداء، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ الطبع.
- ٨٠- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، المحقق: علي عبد الباري عطية، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٨١- زاد المسير في علم التفسير ليحمد الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ دار الكتب العربية، بيروت.
- ٨٢- زاد المعاد في هدي خير العباد لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، الطبعة السابعة والعشرون ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت.
- ٨٣- زهرة التفاسير لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، دار الفكر العربي، بدون تاريخ الطبع.

- ٧٩- سنن ابن ماجه لابن ماجه أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، المحقق: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد - محمد كامل قره بللي - عبد اللطيف حرز الله الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، دار الرسالة العالمية.
- ٨٠- سنن أبي داود لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني، المحقق: شعيب الأرناؤوط، ومحمد كامل قره بللي، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، دار الرسالة العالمية.
- ٨١- سنن الترمذي للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن ميمونة بن موسى بن الضحاك الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، وأخروته الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر.
- ٨٢- السنن الكبرى لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجيردي الخراساني، أبي بكر البيهقي، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ٨٣- سير أعلام النبلاء لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، حققه: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، مؤسسة الرسالة.
- ٨٤- سيرة ابن إسحاق لمحمد بن إسحاق بن يسار المطلي بالولاء، المدني تحقيق: سهيل زكار، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ/١٩٧٧م، دار الفكر، بيروت.
- ٨٥- السيرة النبوية لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد جمال الدين، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
- ٨٦- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لعبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد المعري الحنبلي، أبي الفلاح، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، دار ابن كثير، دمشق، بيروت.

٨٧- شرح الكواكب المفير للشيخ الدين أبي البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوح المعروف بابن النجار الحنبلي، المحقق: محمد الزحيلي ونزيه حماد الطبعة الثانية ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، مكتبة العبيكان.

٨٨- المصحح تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، دار العلم للملايين، بيروت.

٨٩- صفوة التفسير محمد علي الصابوني، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، دار الصابوني، القاهرة.

٩٠- طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي المحقق: د/محمود محمد الطناحي، و د/عبد الفتاح محمد الحلوة، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ مخرج.

٩١- طبقات المفسرين لأحمد بن محمد الأدنه وي، المحقق: سليمان بن صالح الحزري، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، مكتبة العلوم والحكم، الحديدة.

٩٢- طبقات المفسرين لمحمد بن علي بن أحمد شمس الدين الداودي المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ الطبع. (راجع النسخة وضبط أعلامها؛ لجنة من العلماء بإشراف الناشر).

٩٣- طبقات علماء الحديث للإمام محمد بن أحمد بن عبد الهادي، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٩٤- عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير للشيخ أحمد شاكر، أعده أنور بان، دار الوفاء، المنصورة.

٩٥- غرائب القرآن ووعائب الفوقان لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ دار الكتب العلمية، بيروت.

- ٩٦- غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي.
المحقق: محمد عبد المعيد خان. الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، مطبعة دائرة المعارف
العثمانية، حيدر آباد، الدكن.
- ٩٧- الفتاوى الكبرى لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد
الله بن أبي القاسم بن محمد ابن ثيمية الحاراني الحنبلي النمشقي، الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، دار المکتب العلمیة.
- ٩٨- فتاوى المودودي "رسائل ومسابيل" للإمام الجليل أبي الأعلى المودودي، الجزء
الأول، ترجمة وتحقيق: محمد علي غوري، الطبعة الأولى عام ١٤١٤هـ/ عام ١٩٩٤م،
المركز العربي للخدمات أروبا، لاهور، باكستان.
- ٩٩- فتح الباري لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي، رقم كتبه
وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب
الدين الخطيب، علق عليه العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز، عام ١٣٧٩هـ دار
المعرفة، بيروت.
- ١٠٠- فتح البيان في مقاصد القرآن لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي
ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي، عني بطبعه وقدم له وراجعته: عبد الله بن
إبراهيم الأنصاري، عام النشر: ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، المكتبة المصرية للطباعة والنشر، صيدا،
بيروت.
- ١٠١- فتح القدير لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، الطبعة
الأولى ١٤١٤هـ دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت.
- ١٠٢- فصول في أصول التفسير لمساعد بن سليمان الطيار، تقديم: محمد بن صالح
المفوزان، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، دار ابن الجوزي، الدمام.
- ١٠٣- في ظلال القرآن للسيد قطب، الطبعة السابعة عشر، ١٤١٢هـ دار الشروق،
القاهرة.

- ١٠٤- قطف الأزهار في كشف الأسرار لعبد الرحمن بن أبي بكر، لجلال الدين السيوطي، تحقيق ودراسة: د/أحمد بن محمد الحمادي، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر.
- ١٠٥- قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية لحسين بن علي بن حسين الحربي، راجعه وقدم له: فضيلة الشيخ مناع القطان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
- ١٠٦- قواعد التفسير للسبت جمعاً ودراسة لخالد بن عثمان السبت، دار ابن عفان.
- ١٠٧- كتاب التعريفات لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.
- ١٠٨- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود بن عمر بن أحمد، الزمخشري جار الله، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ دار الكتاب العربي، بيروت.
- ١٠٩- الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبي إسحاق، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور. المراجعة والتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- ١١٠- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريني الكفوي، المحقق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ١١١- لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي أبي الحسن، المعروف بالخازن، تصحيح: محمد علي شاهين، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١١٢- اللباب في علوم الكتاب لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٧م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- ١١٣- لسان العرب محمد بن مكرم بن علي، أبي الفضل، جمال الدين ابن منطور
الأنصاري الرويفي الإفريقي، الطبعة الثالثة عام ١٤١٤هـ دار صادر، بيروت.
- ١١٤- مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري، المحقق: محمد فواد
سزكين، الطبعة ١٣٨١هـ مكتبة الخالجي، القاهرة.
- ١١٥- مجلة "الشباب" الصادرة في عام ٢٠٠٧م بمعهد المودودي للتداسات الإسلامية،
لاهور.
- ١١٦- مجلة "المجتمع"، العدد: ١٨١٧، ٢٩ من شعبان - ٥ من رمضان عام ١٤٢٩هـ/ ٢٧ من
أغسطس - ٥ من سبتمبر عام ٢٠٠٨م.
- ١١٧- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن
سليمان الهيتمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، حققه وخرج أحاديثه: حسين سليم أسد
الذاري، دار المأمون للتراث.
- ١١٨- مجموع فتاوى شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية الخرافي، جمع وترتيب:
عبد الرحمن بن قاسم، وساعده ابنه محمد طبع بأمر الخادم الحرمين الشريفين الملك فهد
بن عبد العزيز آل سعود، مجمع الملك فهد المدينة المنورة، تحت إشراف: وزارة الشؤون
الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، عام ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
- ١١٩- محاسن الغايل محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق الفاضلي،
المحقق: محمد باسل عيون السود، الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١٢٠- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد
الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي الخاربي، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد،
الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١٢١- المحصول في علم الأصول لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين
التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، معطية المزي، دراسة وتحقيق: الدكتور طه
جابر فياض العلواني، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، مؤسسة الرسالة.

- ١٢٢- المختصر في تفسير القرآن الكريم لجماعة من علماء التفسير، إشراف: مركز تفسير للدراسات القرآنية، الطبعة الثالثة ١٤٣٦هـ.
- ١٢٣- مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي يديوي، راجعه وقدم له: محي الدين ديب مستو، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٧م، دار الكلم الطيب، بيروت.
- ١٢٤- المدخل الفقهي العام لمصطفى أحمد الزرقاء، الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، دار القلم، دمشق.
- ١٢٥- المدخل لدراسة القرآن الكريم محمد بن محمد بن سويلم أبي شهبة، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، مكتبة السنة، القاهرة.
- ١٢٦- مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد لمحمد بن عمر نوي الجاوي البتني إقليم، التناري بلدا، المحقق: محمد أمين الصناوي، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١٢٧- المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى ١٤١١هـ/١٩٩٠م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١٢٨- مسند الإمام أحمد بن حنبل لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المحقق: شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د/ عبد الله بن عبد الحسَن التركي، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، مؤسسة الرسالة.
- ١٢٩- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لمسلم بن الحجاج أبي الحسن القشيري النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ الطبع.

- ١٣٠- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي لحلي السنة لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ١٣١- معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء، المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلي، الطبعة الأولى، دار المصرية، مصر، بدون تاريخ الطبع.
- ١٣٢- معاني القرآن وإعرابه لإبراهيم بن السري بن سهل، أبي إسحاق الزجاج المحقق: عبد الجليل عبده شلي، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، عالم الكتب، بيروت.
- ١٣٣- معترك الأقران في إعجاز القرآن لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ١٣٤- المعجم الكبير للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي الطبعة الثانية، بدون تاريخ الطبع، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
- ١٣٥- معجم المؤلفين لعمر بن رضا بن محمد راعب بن عبد الغني كحالة، الدمشقي، مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ الطبع.
- ١٣٦- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة.
- ١٣٧- معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين حمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، المحقق: عبد السلام محمد هارون، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، دار الفكر.
- ١٣٨- معرفة علوم الحديث، المحقق: السيد معظم حسين، الطبعة الثانية، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١٣٩- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- ١٤٠- المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ دار القلم، الدار الشامية/دمشق بيروت.
- ١٤١- مقدمة في أصول التفسير لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحلّيم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، الطبعة ١٤٩٠هـ/١٩٨٠م، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.
- ١٤٢- من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة للمستشار عبد الله العقيل، الطبعة الثامنة عام ١٤٢٩هـ/عام ٢٠٠٨م، دارالبشير، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ١٤٣- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلّيم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، المحقق: محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦م، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- ١٤٤- الموسوعة العربية الميسرة، بإشراف: محمد شفيق غربال، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ الطبع.
- ١٤٥- الموسوعة القرآنية لإبراهيم بن إسماعيل الأبياري، عام ١٤٠٥هـ مؤسسة سجل العرب.
- ١٤٦- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم لمحمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، الطبعة الأولى ١٩٩٦م، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت.
- ١٤٧- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون تاريخ الطبع.

١٤٨- نهاية السؤل شرح منهاج الوصول لعبد الرحيم بن الحسن بن علي الأسنوي
الشافعي، أبي محمد جمال الدين، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، دار الكتب العلمية،
بيروت، لبنان.

١٤٩- النهاية في غريب الحديث والأثر لجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن
محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير تحقيق: طاهر أحمد الزاوي،
محمود محمد الطنحجي، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، المكتبة العلمية، بيروت.

١٥٠- النهضة الإسلامية في سيرة أعلامها المعاصرين للدكتور محمد رجب البيومي،
الطبعة الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٥، دار القلم، دمشق/الدار الشامية، بيروت.

١٥١- نيل المرام من تفسير آيات الأحكام لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن
علي ابن لطف الله الحسيني البخاري المثنوي، تحقيق: محمد حسن إسماعيل - أحمد فريد
المنبلي، تاريخ النشر: ٢٠٠٣/١٦/٣٠، دار الكتب العلمية.

١٥٢- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه ورجل من فنون
علومه لأبي محمد مكّي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيسي الفيرواني ثم
الأندلسي القرطبي المالكي، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ/٢٠٠٧، جامعة الشارقة.

١٥٣- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لإسماعيل بن محمد أمين بن مير
سليم الباياني البغدادي، عام ١٩٥١م، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلية في مطبعتها
البهية استانبول، أعيدت طبعه بالأوفست، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

١٥٤- الوافي بالوفيات لصالح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي المحقق
أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، عام ١٤٢٠هـ/٢٠٠١م، دار إحياء التراث، بيروت.

فهرس المصادر والمراجع الأردوية

١٥٥- الأشجار الوارفة للمسيلة حمير المودودي (بالأردوية)، الطبعة الرابعة، مارس
٢٠٠٦، منشورات «منصورة» لاهور.

- ١٥٦- أم الكتاب (تفسير سورة الفاتحة) لأبي الكلام آزاد (بالأردوية)، يوليو ١٩٧٥م.
إسلامي أكاديمي، اردو بازار، لاهور.
- ١٥٧- الإمام أبو الأعلى المودودي قائد الحركة الإسلامية لعلي سفيان آفاقي
(بالأردوية)، سنة الطبعة: المحرم ١٤٣٢هـ/ديسمبر ٢٠١٠م، اذان سحر ببلي كيشنر،
منصورة، لاهور.
- ١٥٨- الإمام المودودي في رأيه ورأي الآخرين للأستاذ محمد يوسف بهته (بالأردوية)،
ص ٢٧- ٢٨، الطبعة الثانية، مارس ١٩٨٤م، إدارة معارف إسلامي، منصوره، لاهور.
- ١٥٩- الإمام المودودي، الطفولة، الشباب، الكهولة للأستاذ أسعد جيلاني (بالأردوية)،
الطبعة الخامسة مايو عام ١٩٨٧م، إداره ترجمان القرآن، منصوره، لاهور .
- ١٦٠- تدبر القرآن لأمين أحسن إصلاحي (بالأردوية): ٥٣/١، نوفمبر ٢٠٠٩م/ ذي قعدة
١٤٣٠هـ فاران فاؤنديشن، لاهور، باكستان.
- ١٦١- تذكرة سيد مودودي في ثلاث مجلدات لخليل أحمد الحامدي، (بالأردوية)، الصادرة
من إدارة المعارف الإسلامية، منصوره، لاهور، الطبعة الأولى، إبريل ١٩٨٦م.
- ١٦٢- تفسير بيان القرآن لحكيم الأمة ومجدد الملة للعلامة أشرف علي التهانوي
(بالأردوية)، مكتبة الحسن، لاهور.
- ١٦٣- تفصلوا بزيارة الإمام المودودي للأستاذ أسعد جيلاني (بالأردوية)، الطبعة الاولى
فبراير عام ١٩٦٢م، آزاد بك دبر، سر كودها (مغربي باكستان).
- ١٦٤- تيسير القرآن لعبد الرحمن كيلاني (بالأردوية)، راجعه: عبد الوكيل علوي،
إشراف: د/حبيب الرحمن كيلاني، الطبعة الثالثة، سبتمبر ٢٠٠٢م، مكتبة السلام، لاهور.
- ١٦٥- خدمات نعيم صديقي العلمية والأدبية للدكتور عبد الله شاه هاشمي (بالأردوية)،
(الرسالة على درجة الدكتوراه من جامعة العلامة إقبال المفتوحة سنة ٢٠٠٨م)، الطبعة

الأولى، مايو سنة ٢٠١١م، الناشر: حكيم مروة وحيد سليمان، إدارة مطبوعات سليمان،
لاهور.

١٦٦- الرحلة إلى أرض القرآن للأستاذ محمد عاصم الحداد (بالأردوية)، الفيصل، أردو
بازار، لاهور.

١٦٧- العدد الخاص لمجلة "الدعوة الشهرية" (بالأردوية)، الصادرة من أكاديمية الدعوة
بجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، المجلد ١٠، العدد ٧-٩، الصادرة لشهر ديسمبر عام
٢٠٠٣م.

١٦٨- العدد الخاص لمجلة "أربع الأسبوعية" (بالأردوية)، الصادرة من مكتب أربع
الأسبوعية، لاهور، وذلك بمناسبة اكتمال تفهيم القرآن، المجلد ١١، العدد ٧، الصادر بتاريخ
١٥ من ديسمبر عام ١٩٧٢م.

١٦٩- المحدثين الخاصين لمجلة "ترجمان القرآن الشهرية" لثوية المودودي (١٩٠٣-٢٠٠٣م)،
(بالأردوية)، الصادرة من إداره ترجمان القرآن، منصورة لاهور، المجلد ١٣٠، العدد ١٠،
الصادر بشهر أكتوبر عام ٢٠٠٣م، والمجلد ١٣١، العدد ٥، الصادر لشهر مايو عام ٢٠٠٤م.
١٧٠- علوم القرآن لمولانا كرم رحمان (بالأردوية)، يناير عام ٢٠١٠م، مكتبة تفهيم
القرآن، مردان.

١٧١- القرآن الكريم وترجمته إلى المعاني الأردوية (ترجمة: شيخ الهند محمود الحسن
الديوبندي، والتفسير: شيخ الإسلام شبير أحمد عثمان).

١٧٢- القضية کشمیریة للإمام المودودي (بالأردوية)، بدون تاريخ الطبع ومكان
الطبع.

١٧٣- كتاب إحياء الدين والإمام المودودي لخليل الرحمن جوشي (بالأردوية)، الطبعة
الأولى يوليو عام ٢٠٠٤م، منشورات، منصورة لاهور.

١٧٤- معارف القرآن للحقوقي محمد شفيق (بالأردنية)، . اشاعت مكررة، ٢٠٠٦م، سروسز
بله جي ايج كيو.

١٧٥- معارف القرآن محمد إدريس كاندهلوي (بالأردنية)، الطبعة الثانية، ١٩٨٢، مكتبة
عثمانية، بيت الحمد، جامعة اشرفية، لاهور.

١٧٦- المودودي لتعيم صديقي (بالأردنية)، الطبعة السادسة عام ٢٠٠٦م، الفيصل،
أردن، يازار، لاهور .

فهرس المصادر والمراجع البشتوية

١٧٧- تفسير القرآن الكريم للشيخ أبي زكريا عبد السلام الرستمدي (بلغة البشتو)
الطبعة الأولى نوفمبر ٢٠٠٢م/رمضان المبارك ١٤٢٣هـ دار السلام

فهرس المواقع الإلكترونية

١٧٨- تفسير تدبر القرآن "حراسة نقدية" للحافظ افتخار-بزم اردو
lib.bazmeurdu.net على الانترنت.

١٧٩- الدكتور عبد الكريم الخطيب وتفسيره - ملتقى أهل التفسير -

١٨٠- الشيخ المفسر أبو زكريا عبد السلام الرستمدي - رحمه الله - ملتقى أهل
الحديث - على الإنترنت
١٨١- المكتبة الشاملة.

١٨٢- موسوعة الإخوان المسلمين على الإنترنت www.IkhwanWiki.com

١٨٣- موسوعة ويكيبيديا الحرة على الانترنت (بالعربية)
<https://ar.wikipedia.org/wiki/الأردنية>

١٨٤- الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ أبي بكر جابر الجزائري.

١٨٥- الموقع الرسمي للمكتبة الشاملة على الانترنت.

- ١٨٦- موقع المعرفة محمد شفيق الديوبندي [www://marefa.org](http://marefa.org)
- ١٨٧- موقع صيد الفوائد www.saa'id.net/aldawah1336.htm
- ١٨٨- وفاة سيد طنطاوي - شيخ الأزهر - الجزيرة. نت www.alfazeera.net

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

٢	الإهداء
٣	كلمة الشكر
٥	التعريف بالموضوع
٦	أهمية الموضوع وأسباب اختياره
٨	الدراسات السابقة
١٠	إشكالية البحث:
١٠	منهج البحث:
١٠	خطوات البحث:
١٣	خطة البحث
١٥	التمهيد:
١٥	نبذة عن الشيخ المودودي:
١٩	ترجمة الإمام المودودي
٢٣	بداية حياته الصحفية
٢٧	بداية حياته الدهرية
٢٩	الحياة السياسية في عصره
٣٠	بداية حياته الحركية وتأسيس "الجماعة الإسلامية"
٣١	قيام باكستان وكفاح الإمام
٣٧	الرحلة إلى أرض القرآن
٣٨	عضوية مجلس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

- ٣٨ عضوية المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي :
- ٤٠ موقفه الحاسم من قضية كشمير المسلمة
- ٤٣ إكمال تفسيره (تفهيم القرآن) :
- ٤٤ المرضي والوفاء :
- ٤٨ **ثناء العلماء والمفكرين عليه**
- ٤٨ شهيد الإسلام سيد قطب
- ٤٨ العلامة الفيلسوف محمد إقبال
- ٤٨ الأستاذ عمر التلمساني
- ٤٩ الشيخ أبو الحسن الندوي
- ٥٠ الدكتور يوسف القرضاوي
- ٥١ الشيخ عماد رجب البيومي
- ٥٢ المستشار عبد الله العقيل
- ٥٢ العلامة الشيخ بشير الإبراهيمي الجزائري
- ٥٢ عبد الماجد الدرا آبادي
- ٥٢ الأستاذ طفيل محمد
- ٥٣ الأستاذ سيد سليمان الندوي
- ٥٣ الأستاذ ملك غلام علي
- ٥٤ الشيخ أمين احسن إصلاحي
- ٥٤ الأستاذ نعيم حمديقي
- ٥٥ نبذة عن قواعد الترجيح عند المفسرين :

الباب الأول

١١١

ترجيحات أبي الأعلى المودودي في أم الكتاب، والزهراويين: ١١١

الفصل الأول ١١٢

ترجيحات سورة الفاتحة ١١٢

لماذا سميت سورة الفاتحة بهذا الاسم " الفاتحة " ١١٣

ما موضوع سورة الفاتحة، وما مدى علاقتها بالقرآن ١٤٣

ما نوع "أل" في قوله تعالى " الْحَمْدُ لِلَّهِ "؟ ١٥٢

ما موقع "غير" الإهرايبي في الآية الكريمة ١٥٥

الفصل الثاني: ١٦١

ترجيحات سورة البقرة ١٦١

ما معنى "لا رَبَّ فِيهِ" في الآية ١٦٢

ما معنى "الْقَيْبِ" في الآية ١٦٧

ما معنى "يَنْفَقُونَ" في الآية ١٧٣

ما معنى "مَرَضٌ" في الآية ١٧٦

ما معنى "الْحِجَارَةُ" في الآية ١٨٤

ما معنى "عَهْدٌ" في الآية الكريمة؟ ١٨٩

ما نوع "الهمزة" في قوله تعالى: "قَالُوا أَتَجْعَلُ" ٢٠

ما معنى "السجود" في الآية: "وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ" ٢١٥

(هل إبليس من الجن أو من الملائكة؟) ٢٢٠

ما المراد بـ " قِرْقَرَةٌ خَاسِيَةٌ " في الآية ٢٤٦

٢٥٠ ما مرجع ضمير "يَعْضِيهَا" في الآية

٢٥٤ ما المراد بـ "فَرِيقٌ مِنْهُمْ" في الآية

٢٦٢ ما المراد بـ "الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ" في الآية

٢٦٧ ما المراد بـ "الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ" في الآية

٢٧٠ ما هو مرجع الضمير في "يَعْرِفُونَهُ" في الآية؟

٢٧٥ هل الإنطار في السفر عزيمة أو رخصة؟

٢٨٥ ما المراد بـ "رَفَتْ" في الآية؟

٢٨٨ ما المراد بلغو اليمين في الآية الكريمة؟

٢٩٤ ما علة المختلعة؟

٢٩٩ هل التحليل عقد صحيح أو باطل؟

٣٠٣ الفصل الثالث:

ترجيحات سورة آل عمران

٣٠٤ ما المراد بـ "عمران" في الآية

٣٠٨ هل: "وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى" كلام الله تعالى أو كلام أم السيدة مريم -عليها السلام

٣١١ من هو "السيد زكريا" الذي تكفل بتربية "السيدة مريم -عليهما السلام-"

٣١٣ ما المراد بـ "الوفاء" التي ذكرها الله تعالى في الآية الكريمة؟

٣٢٢ ما المراد بـ قوله تعالى: "الَّذِينَ كَفَرُوا" في الآية

٣٢٤ ما المراد بـ "أهل الكتاب" في الآية

٣٢٨ هل أخذ الله تعالى من الأنبياء ميثاق الإيمان بمحمد -صلى الله عليه وسلم- أو بمن بعده؟

٣٣١ من المراد بأهل الكتاب في الآية الكريمة؟

٣٣٤ ما سبب نزول الآيات؟

٣٤١ الباب الثاني

ترجيحات الشيخ أبي الأعلى المودودي في سور النساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف : ٣٤١

الفصل الأول: ٣٤٢

ترجيحات سورة النساء ٣٤٢

هل البتة المولودة من الزنا تعدّ من المحرّمات أم لا ؟ ٣٤٣

بم يجوز التيمم؟ ٣٤٦

ما المراد بالطاغوت في الآية ٣٥٤

ما المراد بقوله تعالى: "كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ" ٣٥٨

الفصل الثاني: ٣٦٢

ترجيحات سورة المائدة ٣٦٢

ما المراد "بالتقوّد" في الآية ٣٦٣

ما المراد بـ "بهيمة الكألعم" في الآية ٣٦٨

ما نوع الاستثناء في قوله تعالى: "إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ" ٣٧٢

ما المراد بـ "اليوم" في قوله تعالى: "الْيَوْمَ يُخَسِّرُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ" في الآية ٣٧٧

الفصل الثالث: ٣٨١

ترجيحات سورة الأنعام ٣٨١

هل السورة مكية خالصة أو بعضها مكّي وبعضها مدني؟ وهل السورة نزلت دفعة واحدة أم

منجّمة؟ ٣٨٢

٣٩٨	ما المراد بـ "الَّذِينَ كَفَرُوا" في الآية
٣٩١	ما المراد بـ "خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ" في الآية
٣٩٣	ما المراد بـ "أَجَلٌ مُّسَمًّى" في الآية
٣٩٨	الفصل الرابع:
٣٩٨	ترجيحات سورة الأعراف
٣٩٩	ما المراد بـ "فَاجِئَتْ" في الآية؟
٤٠٥	ما المراد بـ "ضِعْفٌ" في الآية؟
٤٠٧	ما المراد بـ "رِجَالٌ" الذين أخبر الله سبحانه وتعالى - أنهم على الأعراف ؟
٤١٨	الخاتمة
٤١٩	الخاتمة والناتج
٤٢١	التوصيات والمقترحات
٤٢٢	الفهارس
٤٢٤	فهرس الآيات القرآنية
٤٢٧	فهرس الأحاديث والآثار
٤٤٣	فهرس الأعلام
٤٤٧	فهرس المصادر والمراجع
٤٧١	فهرس الموضوعات

